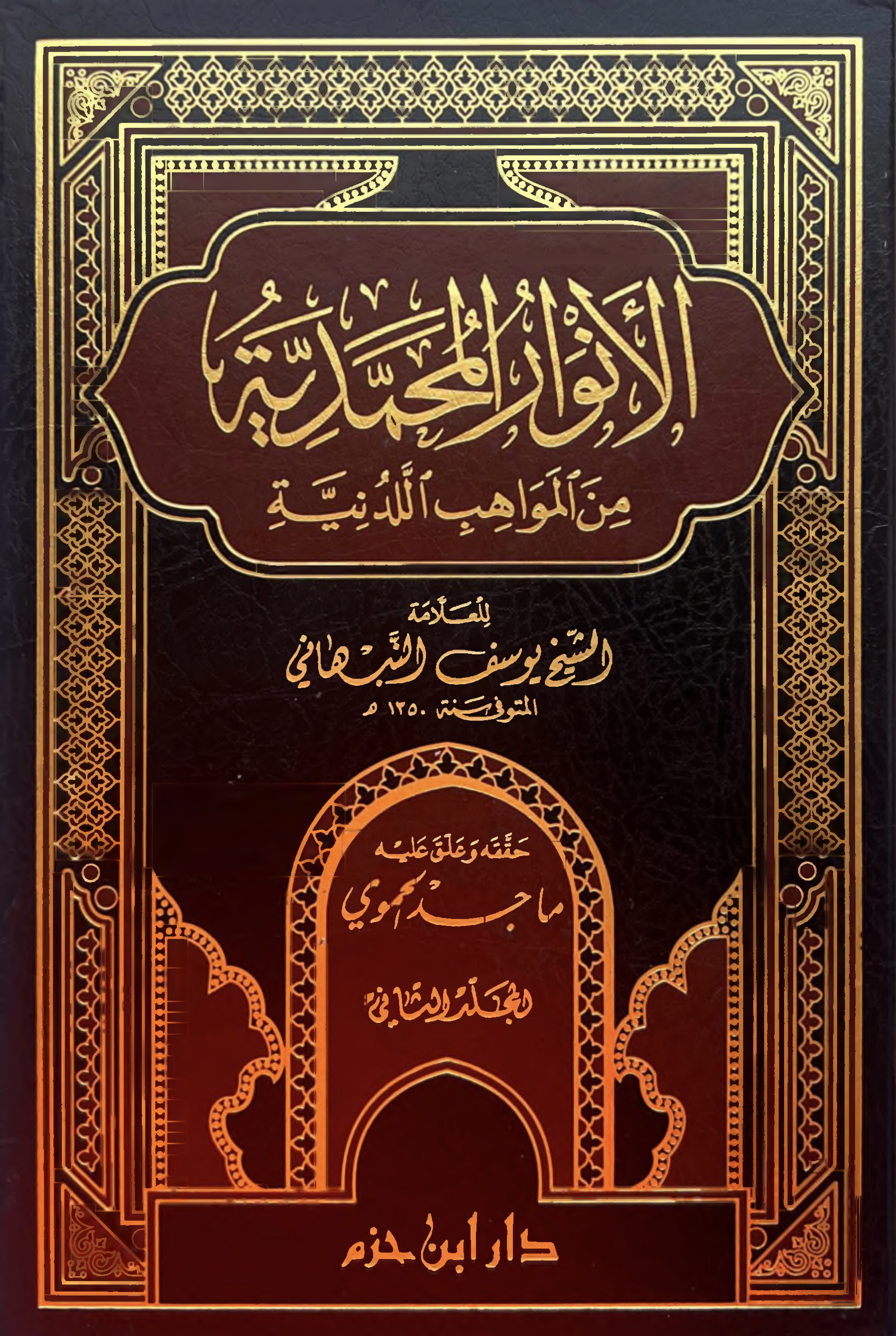
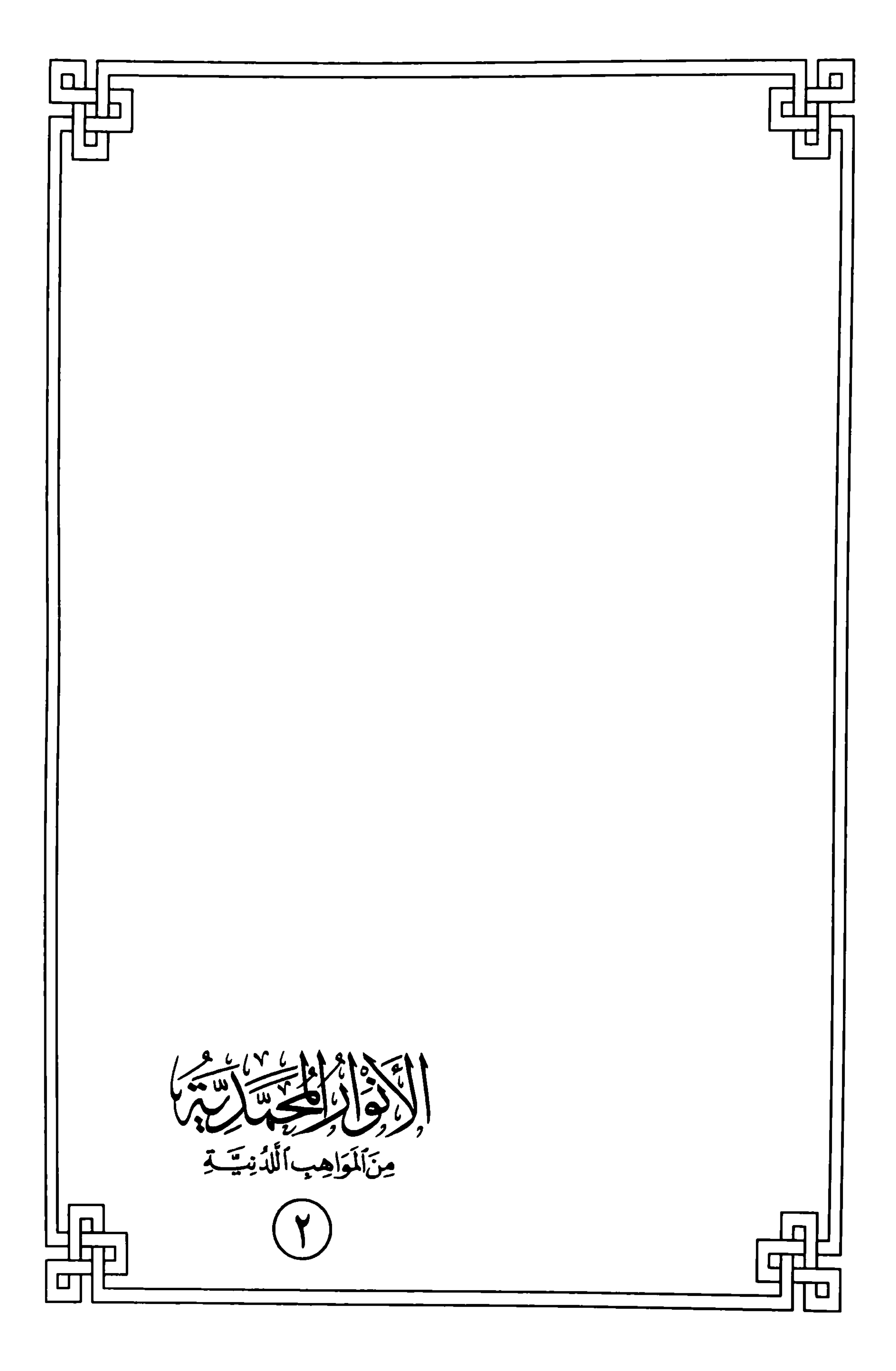
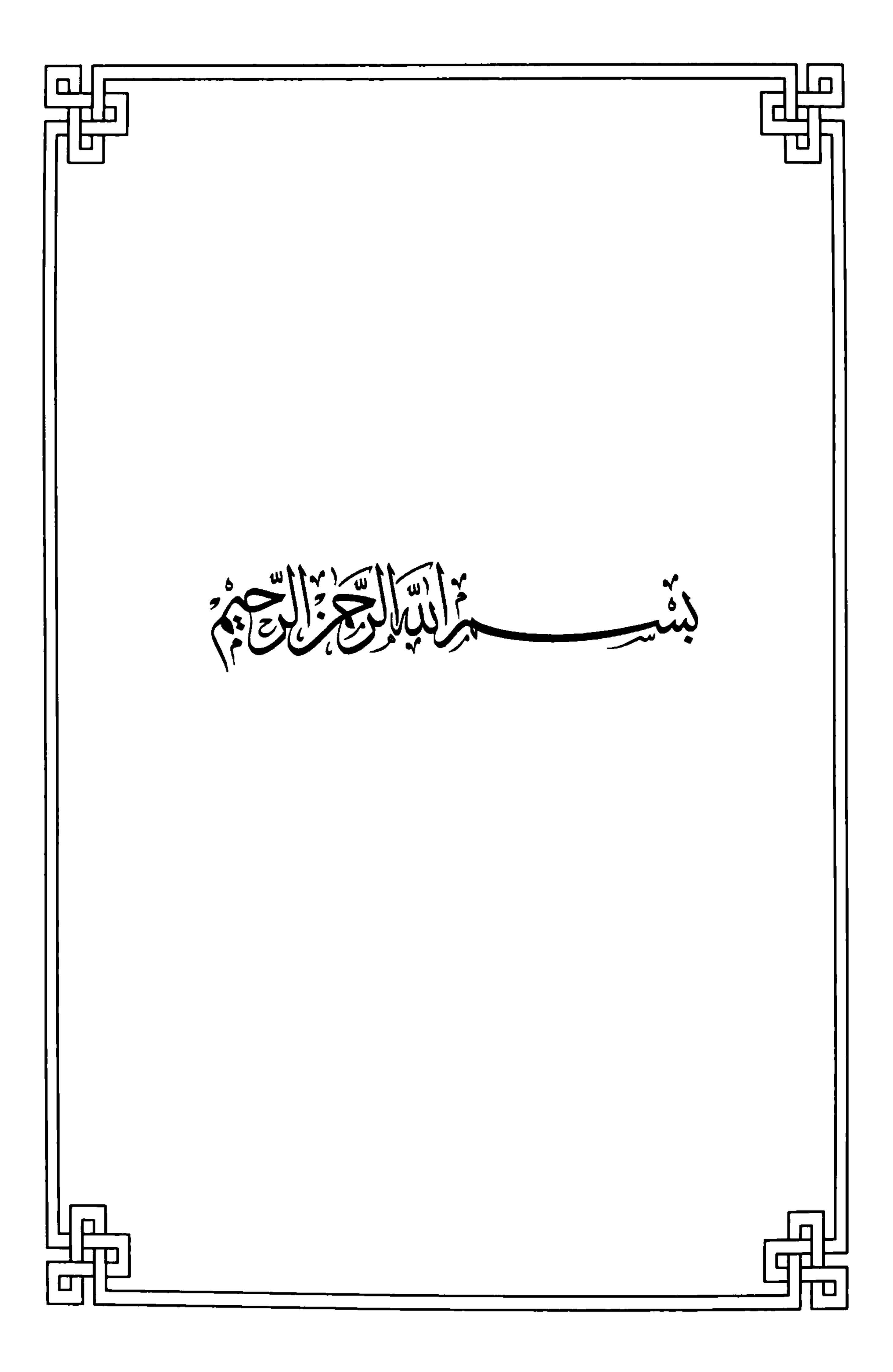

الأنوار المحمدية
من المواهب اللدنية
للعلامة
الشيخ يوسف النبهاني
المتوفى سنة ١٣٥٠ هـ
حققه وعلق عليه
ماجد الحموي
المجلد الثاني
دار ابن حزم


الأنوار المحمدية
من المواهب اللدنية
٢


بسم الله الرحمن الرحيم

الطَّبعَةُ الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



ISBN 978-614-416-236-1

دار ابن حزم

بيروت ـ لبنان ـ ص.ب : 14/6366

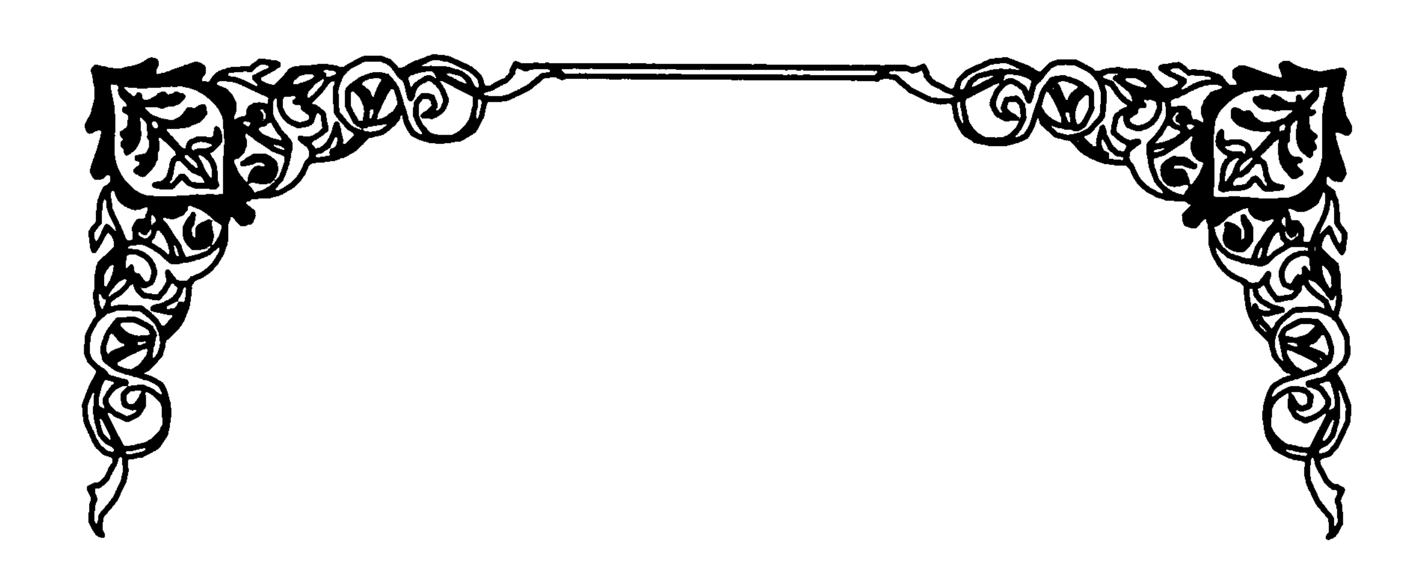
هاتف وفاكس : 701974 - 300227 (009611)

البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb

الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

المقصِد السادس

فِي بَعْضِ مَا وَرَدَ فِي آيِ الْتَّنْزِيلِ مِنْ عِظَمِ قَدْرِهِ، وَرِفْعَةِ ذِكْرِهِ، وَشَهَادَتِهِ تَعَالَى لَهُ بِصِدْقِ نُبُوَّتِهِ، وَقَسَمِهِ عَلَى تَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ، وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ، وَوُجُوبِ طَاعَتِهِ، وَأَخْذِهِ تَعَالَى لَهُ الْمِيثَاقَ عَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ إِنْ أَدْرَكُوهُ وَلَيَنْصُرُنَّهُ، وَالتَّنْوِيهِ بِهِ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ (كَالْتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ) وَغَيْرِ ذٰلِكَ. وَفِيهِ عَشَرَةُ أَنْوَاعٍ



النوع الأول
فِي آيَاتٍ تَتَضَمَّنُ عِظَمَ قَدْرِهِ، وَرِفْعَةَ ذِكْرِهِ، وَجَلِيلَ مَرْتَبَتِهِ، وَعُلُوَّ دَرَجَتِهِ عَلَى الأَنْبِيَاءِ، وَتَشْرِيفَ مَنْزِلَتِهِ ﷺ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾[1] قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: يَعْنِي مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، كَلَّمَهُ بِلاَ وَاسِطَةٍ، وَلَيْسَ نَصًّا فِي اخْتِصَاصِ مُوسَى بِالْكَلاَمِ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ تَعَالَى كَلَّمَ نَبِيَّنَا أَيْضاً.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾[2] يَعْنِي مُحَمَّداً ﷺ، رَفَعَهُ اللّٰهُ تَعَالَى مِنْ ثَلاَثَةِ أَوْجُهٍ: بِالذَّاتِ فِي الْمِعْرَاجِ، وَبِالسِّيَادَةِ عَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ، وَبِالْمُعْجِزَاتِ؛ لأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أُوتِيَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ مَا لَمْ يُؤْتَهُ نَبِيٌّ قَبْلَهُ. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَفِي هٰذَا الإِبْهَامِ مِنْ تَفْخِيمِ فَضْلِهِ وَإِعْلاَءِ قَدْرِهِ مَا لاَ يَخْفَى لِمَا فِيهِ مِنَ الشَّهَادَةِ عَلَى أَنَّهُ الْعَلَمُ الَّذِي لاَ يَشْتَبِهُ، وَالْمُتَمَيِّزُ الَّذِي لاَ يَلْتَبِسُ.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

وَقَدْ بَيَّنَتْ هٰذِهِ الآيَةُ، وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1] أَنَّ مَرَاتِبَ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ مُتَفَاوِتَةٌ.

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِيمَا حَكَاهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَالتَّفْضِيلُ الْمُرَادُ لَهُمْ هُنَا فِي الدُّنْيَا، وَذٰلِكَ بِثَلاَثَةِ أَحْوَالٍ: أَنْ تَكُونَ آيَاتُهُ وَمُعْجِزَاتُهُ أَظْهَرَ وَأَشْهَرَ، أَوْ تَكُونَ أُمَّتُهُ أَزْكَى وَأَكْثَرَ، أَوْ يَكُونَ فِي ذَاتِهِ أَفْضَلَ وَأَظْهَرَ، وَفَضْلُهُ فِي ذَاتِهِ رَاجِعٌ إِلَى مَا خَصَّهُ اللّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ، وَتَفْضِيلِهِ بِكَلاَمٍ أَوْ خُلَّةٍ[2] أَوْ رُؤْيَةٍ، أَوْ مَا شَاءَ اللّهُ مِنْ أَلْطَافِهِ وَتُحَفِ وِلاَيَتِهِ وَاخْتِصَاصِهِ.

فَلاَ مِرْيَةَ أَنَّ آيَاتِ نَبِيِّنَا ﷺ وَمُعْجِزَاتِهِ أَظْهَرُ وَأَبْهَرُ، وَأَكْثَرُ وَأَبْقَى وَأَقْوَى، وَمَنْصِبُهُ أَعْلَى، وَدَوْلَتُهُ أَعْظَمُ وَأَوْفَرُ، وَذَاتُهُ أَفْضَلُ وَأَطْهَرُ، وَخُصُوصِيَّاتُهُ عَلَى جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ، فَدَرَجَتُهُ أَرْفَعُ مِنْ دَرَجَاتِ جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ، وَذَاتُهُ أَزْكَى وَأَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقِينَ.

وَتَأَمَّلْ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ فِي الْمَحْشَرِ وَانْتِهَائِهَا إِلَيْهِ، وَانْفِرَادِهِ هُنَاكَ بِالسُّؤْدَدِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ.

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: «**أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَئِذٍ عَلَى رَبِّي وَلاَ فَخْرَ**» قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ فِي الْمَعَالِمِ[3]: إِنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ الأَنْبِيَاءَ بِالأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ، ثُمَّ قَالَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[4]، وَقَدْ أَتَى بِجَمِيعِ مَا أَتَوْا بِهِ مِنَ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ، فَقَدِ اجْتَمَعَ فِيهِ مَا كَانَ

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٥.

(٢) محبة.

(٣) وهو كتاب في علم الخلاف والجدل بين الفقهاء، وهو من كتبه الضائعة كما قال القنوجي في أبجد العلوم.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

مُفَرَّقاً فِيهِمْ، فَيَكُونُ أَفْضَلَ مِنْهُمْ، وَإِنَّ دَعْوَتَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَصَلَتْ إِلَى أَكْثَرِ بِلاَدِ الْعَالَمِ، بِخِلاَفِ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ، فَظَهَرَ أَنَّ انْتِفَاعَ أَهْلِ الدُّنْيَا بِدَعْوَتِهِ ﷺ أَكْمَلُ مِنِ انْتِفَاعِ سَائِرِ الأُمَمِ بِدَعْوَةِ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنْ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ.

وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ[١] عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلاَ فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلاَّ تَحْتَ لِوَائِي**».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً عِنْدَ الْبُخَارِيِّ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» وَهٰذَا يَدُلُّ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ وَمِنْ كُلِّ أَوْلاَدِهِ.

وَلَمْ يَقُلْ ﷺ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ عُجْباً وَافْتِخَاراً عَلَى مَنْ دُونَهُ، حَاشَاهُ اللَّهُ مِنْ ذٰلِكَ، وَإِنَّمَا قَالَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِظْهَاراً لِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَإِعْلاَماً لِلأُمَّةِ بِقَدْرِ إِمَامِهِمْ وَمَتْبُوعِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ لَدَيْهِ تَعَالَى، لِتَعْرِفَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِ، فَذٰلِكَ فَرَحٌ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾[٢].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾[٣]. رَوَى ابْنُ خُزَيْمَةَ[٤] مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ: تَدْرِي كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟ قُلْتُ: اللَّهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِذَا ذُكِرْتَ ذُكِرْتَ مَعِي**» وَذَكَرَهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ.

---

(١) بسند حسن صحيح.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٨.

(٣) سورة الشرح، الآية: ٤.

(٤) الصواب: ابن جرير، كما في المواهب وشرحها.

وَعَنِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ: مَعْنَاهُ: لاَ أُذْكَرُ إِلاَّ ذُكِرْتَ مَعِي، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ. قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: يَعْنِي وَاللّهُ أَعْلَمُ: ذِكْرَهُ عِنْدَ الإِيمَانِ بِاللّهِ وَالأَذَانِ. قَالَ: وَيَحْتَمِلُ ذِكْرُهُ عِنْدَ تِلاَوَةِ الْكِتَابِ، وَعِنْدَ الْعَمَلِ بِالطَّاعَةِ، وَالْوُقُوفِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ آدَمَ: رَفَعَهُ بِالنُّبُوَّةِ.

وَعَنِ ابْنِ عَطَاءٍ: جَعَلْتُكَ ذِكْراً مِنْ ذِكْرِي، فَمَنْ ذَكَرَكَ ذَكَرَنِي. وَعَنْهُ أَيْضاً: جَعَلْتُ تَمَامَ الإِيمَانِ بِذِكْرِكَ مَعِي.

قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: وَأَيُّ رَفْعٍ مِثْلُ أَنْ قَرَنَ اسْمَهُ بِاسْمِهِ فِي كَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ، وَجَعَلَ طَاعَتَهُ طَاعَتَهُ، يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1]، ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[2]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[3]، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾[4]، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[5].

وَقَالَ قَتَادَةُ: وَرَفَعَ اللّهُ ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلاَ مُتَشَهِّدٌ وَلاَ صَاحِبُ صَلاَةٍ إِلاَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ.

فَهُوَ مَذْكُورٌ مَعَهُ فِي الشَّهَادَةِ وَالتَّشَهُّدِ، وَمَقْرُونٌ ذِكْرُهُ بِذِكْرِهِ فِي الْقُرْآنِ وَالْخُطَبِ وَالأَذَانِ، وَيُؤَذَّنُ بِاسْمِهِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ١.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٣٢.

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْم فِي الْحِلْيَةِ[1]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَمَّا نَزَلَ آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِالْهِنْدِ اسْتَوْحَشَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَنَادَى بِالأَذَانِ: أَللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ مَرَّتَيْنِ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مَرَّتَيْنِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ**» الْحَدِيثَ.

وَكَتَبَ اسْمَهُ الشَّرِيفَ عَلَى الْعَرْشِ، وَعَلَى كُلِّ سَمَاءٍ، وَعَلَى الْجِنَانِ وَمَا فِيهَا. رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ[2].

وَأَخْرَجَ الْبَزَّارُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعاً: «**لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ مَا مَرَرْتُ بِسَمَاءٍ إِلاَّ وَجَدْتُ اسْمِي فِيهَا مَكْتُوباً: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**».

وَفِي الْحِلْيَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَا فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ عَلَيْهَا وَرَقَةٌ إِلاَّ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**».

وَشَقَّ اسْمَهُ الْكَرِيمَ مِنِ اسْمِهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ حَسَّانُ:

وَشَقَّ لَهُ مِنِ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ، وَهٰذَا مُحَمَّدُ

وَسَمَّاهُ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى بِنَحْوِ سَبْعِينَ اسْماً، وَصَلَّى عَلَيْهِ فِي مَلاَئِكَتِهِ وَأَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[3]، فَأَخْبَرَ عِبَادَهُ بِمَنْزِلَةِ نَبِيِّهِ عِنْدَهُ فِي الْمَلأِ الأَعْلَى بِأَنَّهُ يُثْنِي عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلاَئِكَةِ، وَأَنَّ الْمَلاَئِكَةَ تُصَلِّي عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ الْعَالَمَ السُّفْلِيَّ بِالصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ، فَيَجْتَمِعُ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ، وَأَهْلِ الْعَالَمِينَ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ جَمِيعاً، وَغَيْرُ ذٰلِكَ مِنْ وُجُوهِ رِفْعَةِ ذِكْرِهِ ﷺ. اهـ

---

(١) والحاكم وابن عساكر.

(٢) بسند ضعيف.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾[1]، ذَكَرُوا فِي سَبَبِ نُزُولِهَا أَقْوَالاً:

أَحَدُهَا: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَالْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ وَمُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّكَ تَشْقَى حَيْثُ تَرَكْتَ دِينَ آبَائِكَ، فَقَالَ ﷺ: «**بَلْ بُعِثْتُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**»، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَةَ رَدًّا عَلَيْهِمْ، وَتَعْرِيفاً لَهُ ﷺ بِأَنَّ دِينَ الإِسْلاَمِ وَالْقُرْآنَ هُوَ السُّلَّمُ إِلَى نَيْلِ كُلِّ فَوْزٍ، وَالسَّبَبُ فِي إِدْرَاكِ كُلِّ سَعَادَةٍ، وَمَا فِيهِ الْكَفَرَةُ هُوَ الشَّقَاوَةُ بِعَيْنِهَا.

وَثَانِيهَا: أَنَّهُ ﷺ صَلَّى بِاللَّيْلِ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: أَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ، فَإِنَّ لَهَا عَلَيْكَ حَقًّا، أَيْ: مَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ لِتُنْهِكَ نَفْسَكَ بِالْعِبَادَةِ وَتُذِيقَهَا الْمَشَقَّةَ الْعَظِيمَةَ، وَمَا بُعِثْتَ إِلاَّ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ.

وَمَعْنَى طٰه: يَا رَجُلُ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ[2].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى[3]: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾، قَالَ الإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ: فِي هٰذِهِ السُّورَةِ كَثِيرٌ مِنَ الْفَوَائِدِ، مِنْهَا: أَنَّهَا كَالْمُتَمِّمَةِ لِمَا قَبْلَهَا مِنَ السُّوَرِ، وَذٰلِكَ لأَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ سُورَةَ الضُّحَى فِي مَدْحِ نَبِيِّنَا ﷺ وَتَفْصِيلِ أَحْوَالِهِ، فَذَكَرَ فِي أَوَّلِهَا ثَلاَثَةَ أَشْيَاءَ تَتَعَلَّقُ بِنُبُوَّتِهِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى[4]: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾، ثُمَّ خَتَمَهَا كَذٰلِكَ بِأَحْوَالٍ ثَلاَثَةٍ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ أَيْ: عَنْ عِلْمِ

---

(١) سورة طه، الآيتان: ١، ٢.

(٢) كالحسن ومجاهد وسعيد بن جبير.

(٣) في سورة الكوثر.

(٤) في سورة الضحىٰ.

الْحِكَم وَالأَحْكَام ﴿فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾، ثُمَّ ذَكَرَ فِي سُورَةِ «أَلَمْ نَشْرَحْ» أَنَّهُ تَعَالَى شَرَّفَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِثَلاَثَةِ أَشْيَاءَ وَهِيَ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ أَيْ: أَلَمْ نَفْسَحْهُ حَتَّى وَسِعَ مُنَاجَاةَ الْحَقِّ وَدَعْوَةَ الْخَلْقِ ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾﴾ أَيْ: عَنَاءَكَ الثَّقِيلَ ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾[1]، وَهٰكَذَا سُورَةً سُورَةً حَتَّى قَالَ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ أَيْ: أَعْطَيْنَاكَ هٰذِهِ الْمَنَاقِبَ الْمُتَكَاثِرَةَ الَّتِي كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا أَعْظَمُ مِنْ مُلْكِ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا، وَإِذْ أَنْعَمْنَا عَلَيْكَ بِهٰذِهِ النِّعَمِ فَاشْتَغِلْ بِطَاعَتِنَا وَلاَ تُبَالِ بِقَوْلِهِمْ.

ثُمَّ إِنَّ الاشْتِغَالَ بِالْعِبَادَةِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِالنَّفْسِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ وَإِمَّا بِالْمَالِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱنْحَرْ﴾، وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ كَيْفَ ذَكَرَهُ بِلَفْظِ الْمَاضِي وَلَمْ يَقُلْ سَنُعْطِيكَ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ هٰذَا الإِعْطَاءَ حَصَلَ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ**»[2]، وَلاَ شَكَّ أَنَّ مَنْ كَانَ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي عَزِيزاً مَرْعِيَّ الْجَانِبِ أَشْرَفُ مِمَّن سَيَصِيرُ كَذٰلِكَ، كَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ! قَدْ هَيَّأْنَا أَسْبَابَ سَعَادَتِكَ قَبْلَ دُخُولِكَ فِي هٰذَا الْوُجُودِ، فَكَيْفَ أَمْرُكَ بَعْدَ وُجُودِكَ وَاشْتِغَالِكَ بِعُبُودِيَّتِنَا؟ يَا أَيُّهَا الْعَبْدُ الْكَرِيمُ! إِنَّا لَمْ نُعْطِكَ هٰذَا الْفَضْلَ الْعَظِيمَ لأَجْلِ طَاعَتِكَ، وَإِنَّمَا اخْتَرْنَاكَ بِمُجَرَّدِ فَضْلِنَا وَإِحْسَانِنَا مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ.

وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِ الْكَوْثَرِ عَلَى وُجُوهٍ، مِنْهَا: أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهٰذَا هُوَ الْمَشْهُورُ الْمُسْتَفِيضُ عِنْدَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، رَوَى أَنَسٌ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ**

---

(١) سورة الشرح.

(٢) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب، والحاكم وصححه، وأقرّه الذهبي.

حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هٰذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: بَيْنَا رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّماً، فَقُلْنَا: مَا يُضْحِكُكَ ـ أَضْحَكَ اللّٰهُ سِنَّكَ ـ يَا رَسُولَ اللّٰهِ! قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفاً سُورَةٌ»، فَقَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» قُلْنَا: اللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَهُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي؟ فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ»، وَهُوَ تَفْسِيرٌ صَرِيحٌ مِنْهُ ﷺ: بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْكَوْثَرِ هُنَا الْحَوْضُ، فَالْمَصِيرُ إِلَيْهِ أَوْلَى، وَهُوَ الْمَشْهُورُ، فَسُبْحَانَ مَنْ أَعْطَاهُ هٰذِهِ الْفَضَائِلَ الْعَظِيمَةَ، وَشَرَّفَهُ بِهٰذِهِ الْخِصَالِ الْعَمِيمَةِ، وَحَبَاهُ مَا أَفَاضَهُ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ الْجَسِيمَةِ.

وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ اللّٰهِ مَعَ أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يُنَادِيَهُمْ بِأَسْمَائِهِمُ الأَعْلَامِ، نَحْوُ: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ﴾[1]، ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾[2]، ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾[3]، ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾[4]، وَأَمَّا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ: فَنَادَاهُ بِالْوَصْفِ الشَّرِيفِ مِنَ الإِنْبَاءِ وَالإِرْسَالِ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾[5]، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾[6] وَلِلّٰهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٥.
(٢) سورة هود، الآية: ٤٨.
(٣) سورة القصص، الآية: ٣٠.
(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٠.
(٥) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٤١.

فَدَعَا جَمِيعَ الرُّسْلِ كُلاً بِاسْمِهِ وَدَعَاكَ وَحْدَكَ بِالرَّسُولِ وَبِالنَّبِي

قَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِالسَّلاَمِ: وَلاَ يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ أَنَّ السَّيِّدَ إِذَا دَعَا عَبِيدَهُ بِأَفْضَلِ مَا أَوْجَدَ لَهُمْ مِنَ الأَوْصَافِ الْعَلِيَّةِ وَالأَخْلاَقِ السَّنِيَّةِ؛ وَدَعَا آخَرِينَ بِأَسْمَائِهِمُ الأَعْلاَمِ الَّتِي لاَ تُشْعِرُ بِوَصْفٍ مِنَ الأَوْصَافِ وَلاَ بِخُلُقٍ مِنَ الأَخْلاَقِ؛ أَنَّ مَنْزِلَةَ مَنْ دَعَاهُ بِأَفْضَلِ الأَسْمَاءِ وَالأَوْصَافِ أَعَزُّ عَلَيْهِ وَأَقْرَبُ إِلَيْهِ مِمَّنْ دَعَاهُ بِاسْمِهِ الْعَلَمِ، وَهٰذَا مَعْلُومٌ بِالْعُرْفِ أَنَّ مَنْ دُعِيَ بِأَفْضَلِ أَوْصَافِهِ وَأَخْلاَقِهِ كَانَ ذٰلِكَ مُبَالَغَةً فِي تَعْظِيمِهِ وَاحْتِرَامِهِ.

وَانْظُرْ مَا فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] مِنْ ذِكْرِ الرَّبِّ وَإِضَافَتِهِ إِلَى كَافِ خِطَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا فِي ذٰلِكَ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى شَرَفِهِ، وَاخْتِصَاصِهِ بِخِطَابِهِ ﷺ.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَقَدْ تَضَمَّنَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ مِنَ التَّصْرِيحِ بِجَلِيلِ رُتْبَتِهِ وَعَظِيمِ قَدْرِهِ وَعُلُوِّ مَنْصِبِهِ وَرِفْعَةِ ذِكْرِهِ ﷺ مَا يَقْضِي بِأَنَّهُ اسْتَوْلَىٰ عَلَى أَقْصَى دَرَجَاتِ التَّكْرِيمِ.

وَيَكْفِي إِخْبَارُهُ تَعَالَى بِالْعَفْوِ عَنْهُ مُلاَطَفَةً قَبْلَ ذِكْرِ الْعِتَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾[2]، وَتَقْدِيمُ ذِكْرِهِ عَلَى الأَنْبِيَاءِ تَعْظِيماً لَهُ مَعَ تَأَخُّرِهِ عَنْهُمْ فِي الزَّمَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[3]، وَإِخْبَارُهُ تَعَالَى بِتَمَنِّي أَهْلِ النَّارِ طَاعَتَهُ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ۝٦٦﴾[4]، وَهٰذَا بَحْرٌ لاَ يَنْفَدُ وَقَطْرٌ لاَ يُعَدُّ. اهـ

***

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٣.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٧.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٦٦.

النوع الثاني
فِي أَخْذِ الْمِيثَاقِ لَهُ ﷺ عَلَى النَّبِيِّينَ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ إِنْ أَدْرَكُوهُ وَلَيَنْصُرُنَّهُ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ[1] رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ الآيَةَ[2].

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ: مَا بَعَثَ اللّٰهُ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ إِلاَّ أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ: لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ[3]، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّهُ تَعَالَى أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَأُمَمِهِمْ، وَاسْتَغْنَى بِذِكْرِهِمْ عَنْ ذِكْرِ الأُمَمِ.

قَالَ السُّبْكِيُّ فِي هٰذِهِ الآيَةِ: أَنَّهُ ﷺ عَلَى تَقْدِيرِ مَجِيئِهِمْ فِي زَمَانِهِ يَكُونُ مُرْسَلاً إِلَيْهِمْ، فَتَكُونُ نُبُوَّتُهُ وَرِسَالَتُهُ عَامَّةً لِجَمِيعِ الْخَلْقِ مِنْ زَمَنِ آدَمَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَتَكُونُ الأَنْبِيَاءُ وَأُمَمُهُمْ كُلُّهُمْ مِنْ أُمَّتِهِ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**»[4] لاَ يَخْتَصُّ بِهِ النَّاسُ فِي زَمَانِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، بَلْ يَتَنَاوَلُ مَنْ قَبْلَهُمْ أَيْضاً، وَإِنَّمَا أَخَذَ الْمَوَاثِيقَ عَلَى الأَنْبِيَاءِ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ الْمُقَدَّمُ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ نَبِيُّهُمْ وَرَسُولُهُمْ، فَالنَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيُّ الأَنْبِيَاءِ، وَلِهٰذَا ظَهَرَ ذٰلِكَ فِي الآخِرَةِ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ لِوَائِهِ، وَفِي الدُّنْيَا كَذٰلِكَ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ صَلَّى بِهِمْ، وَلَوِ اتَّفَقَ مَجِيئُهُ فِي زَمَنِ آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَجَبَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أُمَمِهِمُ اتِّبَاعُهُ

---

(١) الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لسيدنا محمد ﷺ.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٣) رواه ابن جرير وابن كثير بإسناد صحيح.

(٤) رواه البخاري.

وَالإِيمَانُ بِهِ وَنُصْرَتُهُ، وَبِذٰلِكَ أَخَذَ اللّٰهُ الْمِيثَاقَ عَلَيْهِمْ، فَنُبُوَّتُهُ عَلَيْهِمْ وَرِسَالَتُهُ إِلَيْهِمْ مَعْنًى حَاصِلٌ لَهُ، وَإِنَّمَا أَمْرُهُ يَتَوَقَّفُ عَلَى اجْتِمَاعِهِمْ مَعَهُ، فَتَأَخُّرُ ذٰلِكَ الأَمْرِ رَاجِعٌ إِلَى وُجُودِهِمْ لاَ إِلَى عَدَمِ اتِّصَافِهِمْ بِمَا يَقْتَضِيهِ، وَفَرْقٌ بَيْنَ تَوَقُّفِ الْفِعْلِ عَلَى قَبُولِ الْمَحَلِّ، وَتَوَقُّفِهِ عَلَى أَهْلِيَّةِ الْفَاعِلِ، فَهٰهُنَا لاَ تَوَقُّفَ مِنْ جِهَةِ الْفَاعِلِ وَلاَ مِنْ جِهَةِ ذَاتِهِ الشَّرِيفَةِ ﷺ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ وُجُودِ الْعَصْرِ الْمُشْتَمِلِ عَلَيْهِ، فَلَوْ وُجِدَ فِي عَصْرِهِمْ لَزِمَهُمُ اتِّبَاعُهُ بِلاَ شَكٍّ، وَلِهٰذَا يَأْتِي عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسلاَمُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عَلَى شَرِيعَتِهِ ﷺ وَهُوَ نَبِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى حَالِهِ، لاَ كَمَا يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ يَأْتِي وَاحِداً مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ، نَعَمْ هُوَ وَاحِدٌ مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ لِمَا قُلْنَا مِنِ اتِّبَاعِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَإِنَّمَا يَحْكُمُ بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَكُلُّ مَا فِيهِمَا مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ فَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِهِ كَمَا يَتَعَلَّقُ بِسَائِرِ الأُمَّةِ، وَكَذٰلِكَ لَوْ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي زَمَانِهِ أَوْ فِي زَمَانِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ وَنُوحٍ وَآدَمَ كَانُوا مُسْتَمِرِّينَ عَلَى نُبُوَّتِهِمْ وَرِسَالَتِهِمْ إِلَى أُمَمِهِمْ، وَالنَّبِيُّ ﷺ نَبِيٌّ عَلَيْهِمْ، وَرَسُولٌ إِلَى جَمِيعِهِمْ، فَنُبُوَّتُهُ وَرِسَالَتُهُ أَعَمُّ وَأَشْمَلُ وَأَعْظَمُ، وَتَتَّفِقُ مَعَ شَرَائِعِهِمْ فِي الأُصُولِ لأَنَّهَا لاَ تَخْتَلِفُ، وَتُقَدَّمُ شَرِيعَتُهُ ﷺ فِيمَا عَسَاهُ يَقَعُ الاخْتِلاَفُ فِيهِ مِنَ الْفُرُوعِ، وَبِهٰذَا بَانَ لَنَا مَعْنَى حَدِيثَيْنِ كَانَا خَفِيَا عَنَّا، أَحَدُهُمَا: قَوْلُهُ ﷺ: **«بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً»** كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ زَمَانِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَبَانَ أَنَّهُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ أَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ. وَالثَّانِي: قَوْلُهُ ﷺ: **«كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ»**[1] كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ بِالْعِلْمِ، فَبَانَ أَنَّهُ زَائِدٌ عَلَى ذٰلِكَ.

❋ ❋ ❋

(١) رواه أحمد، والترمذي وقال: حسن صحيح غريب، والحاكم وصححه، وأقرّه الذهبي.

النوع الثالث
فِي وَصْفِهِ تَعَالَى لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بِالشَّهَادَةِ وَشَهَادَتِهِ لَهُ بِالرِّسَالَةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عِنْدَ بِنَاءِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾[١]؛ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءَهُمَا، وَبَعَثَ فِي أَهْلِ مَكَّةَ مِنْهُمْ رَسُولاً بِهٰذِهِ الصِّفَةِ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي دَعَا مَعَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بِهٰذَا الدُّعَاءِ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّهُ ﷺ هُوَ الْمُرَادُ مِنَ الآيَةِ.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «**أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى**»[٢]، قَالُوا: وَأَرَادَ بِالدَّعْوَةِ هٰذِهِ الآيَةَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى هِيَ: مَا ذُكِرَ فِي سُورَةِ الصَّفِّ[٣] مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، وإِنَّمَا دَعَا إِبْرَاهِيمُ بِهٰذَا الدُّعَاءِ بِمَكَّةَ لِذُرِّيَّتِهِ الَّذِينَ كَانُوا بِهَا وَمَا حَوْلَهَا، وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَنْ بِمَكَّةَ إِلاَّ مُحَمَّداً ﷺ، وَقَدِ امْتَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِبَعْثِ هٰذَا النَّبِيِّ مِنْهُمْ عَلَى هٰذِهِ الصِّفَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٢٧ ـ ١٢٩.

(٢) رواه الطيالسي والديلمي وابن عساكر.

(٣) الآية: ٦.

الآيَةَ[1]، فَلَيْسَ لِلَّهِ مِنَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْظَمَ مِنْ إِرْسَالِهِ مُحَمَّداً ﷺ، يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ.

وَإِنَّمَا كَانَتِ النِّعْمَةُ عَلَى هٰذِهِ الأُمَّةِ بِإِرْسَالِهِ أَعْظَمَ النِّعَمِ؛ لأَنَّ النِّعْمَةَ بِهِ ﷺ تَمَّتْ بِهَا مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَكَمُلَ بِسَبَبِهَا دِينُ اللَّهِ الَّذِي رَضِيَهُ لِعِبَادِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يَعْنِي: أَنَّهُ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ، وَإِنَّمَا امْتَازَ عَلَيْهِمْ بِالْوَحْيِ، وَقُرِئَ فِي الشَّوَاذِّ ﴿أَنْفَسِهِمْ﴾ يَعْنِي: مِنْ أَشْرَفِهِمْ، لأَنَّهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَبَنُو هَاشِمٍ أَفْضَلُ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ أَفْضَلُ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾[2]، وَالْمُرَادُ بِالأُمِّيِّينَ: الْعَرَبُ، تَنْبِيهاً لَهُمْ عَلَى قَدْرِ هٰذِهِ النِّعْمَةِ وَعِظَمِهَا، حَيْثُ كَانُوا أُمِّيِّينَ لاَ كِتَابَ لَهُمْ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ مِنْ آثَارِ النُّبُوَّةِ كَمَا عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَمَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِهٰذَا الرَّسُولِ وَبِهٰذَا الْكِتَابِ حَتَّى صَارُوا أَفْضَلَ الأُمَمِ وَأَعْلَمَهُمْ، وَعَرَفُوا ضَلاَلَةَ مَنْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ مِنَ الأُمَمِ.

وَفِي كَوْنِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ «مِنهُمْ» فَائِدَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: أَنَّ هٰذَا الرَّسُولَ كَانَ أَيْضاً أُمِّيًّا، كَأُمِّيَّةِ الْمَبْعُوثِ إِلَيْهِمْ، لَمْ يَقْرَأْ كِتَاباً قَطُّ، وَلَمْ يَخُطَّهُ بِيَمِينِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾[3]، وَلاَ خَرَجَ عَنْ دِيَارِ قَوْمِهِ فَأَقَامَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٢.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

حَتَّى تَعَلَّمَ مِنهُمْ، بَلْ لَمْ يَزَلْ أُمِّيًا بَيْنَ أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ، لاَ يَكْتُبُ وَلاَ يَقْرَأُ حَتَّى بَلَغَ الأَرْبَعِينَ مِنْ عُمْرِهِ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذٰلِكَ بِهٰذَا الْكِتَابِ الْمُبِينِ، وَهٰذِهِ الشَّرِيعَةِ الْبَاهِرَةِ، وَهٰذَا الدِّينِ الْقَيِّمِ الَّذِي اعْتَرَفَ حُذَّاقُ أَهْلِ الأَرْضِ وَنُظَّارُهَا أَنَّهُ لَمْ يَقْرَعِ الْعَالَمَ نَامُوسٌ[1] أَعْظَمُ مِنْهُ، وَفِي هٰذَا بُرْهَانٌ عَظِيمٌ عَلَى صِدْقِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. اهـ

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الْمَبْعُوثَ مِنْهُمْ (وَهُمُ الأُمِّيُّونَ خُصُوصاً أَهْلَ مَكَّةَ) يَعْرِفُونَ نَسَبَهُ وَشَرَفَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعِفَّتَهُ، وَأَنَّهُ نَشَأَ بَيْنَهُمْ مَعْرُوفاً بِذٰلِكَ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ قَطُّ، فَكَيْفَ كَانَ يَدَعُ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ يَفْتَرِي الْكَذِبَ عَلَى اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ، هٰذَا هُوَ الْبَاطِلُ، وَلِهٰذَا سَأَلَ هِرَقْلُ عَنْ هٰذِهِ الأَوْصَافِ، وَاسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا ادَّعَاهُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، وَقَالَ اللّٰهُ تَعَالَى خِطَاباً لَهُمْ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾[2]، وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلاً قَالَ: وَاللّٰهِ يَا مُحَمَّدُ! مَا كَذَبْتَنَا قَطُّ فَنَتَّهِمَكَ الْيَوْمَ، وَلٰكِنْ إِنْ نَتَّبِعْكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا، فَنَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَعَنْ مُقَاتِلٍ: كَانَ الْحَارِثُ بْنُ عَامِرٍ يُكَذِّبُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْعَلاَنِيَةِ، فَإِذَا خَلاَ مَعَ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ: مَا مُحَمَّدٌ مِنْ أَهْلِ الْكَذِبِ.

وَيُرْوَى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا إِذَا رَأَوْهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَالُوا: إِنَّهُ لَنَبِيٌّ.

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّا لاَ نُكَذِّبُكَ، وَلٰكِنْ نُكَذِّبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، فَأَنْزَلَ اللّٰهُ الآيَةَ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يُنْكِرُونَهُ مَعَ الْعِلْمِ بِصِحَّتِهِ.

---

(١) وهو صاحب السرّ.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٣.

وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ لَقِيَهُ ﷺ فَصَافَحَهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتُصَافِحُهُ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَلَكِنْ مَتَى كُنَّا تَبَعاً لِبَنِي عَبْدِ مَنَافٍ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الآيَةَ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ مَمْلُوءٌ بِالآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ هٰذَا الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ وَتَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ، وَكَيْفَ يَلِيقُ بِكَمَالِ اللَّهِ أَنْ يُقِرَّ مَنْ يَكْذِبُ عَلَيْهِ أَعْظَمَ الْكَذِبِ، وَيُخْبِرُ عَنْهُ بِخِلافِ مَا هُوَ الأَمْرُ عَلَيْهِ؛ ثُمَّ يَنْصُرُهُ عَلَى ذٰلِكَ وَيُؤَيِّدُهُ، وَيُعْلِي كَلِمَتَهُ وَيَرْفَعُ شَأْنَهُ، وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ وَيُهْلِكُ عَدُوَّهُ، وَيُظْهِرُ عَلَى يَدِهِ مِنَ الآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ وَالأَدِلَّةِ مَا يَضْعُفُ عَنْ مِثْلِهِ قُوَى الْبَشَرِ؛ وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ كَاذِبٌ عَلَيْهِ مُفْتَرٍ سَاعٍ فِي الأَرْضِ بِالْفَسَادِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ شَهَادَتَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَقُدْرَتَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَحِكْمَتَهُ وَعِزَّتَهُ وَكَمَالَهُ الْمُقَدَّسَ؛ يَأْبَى ذٰلِكَ كُلَّ الإِبَاءِ، وَمَنْ ظَنَّ ذٰلِكَ بِهِ وَجَوَّزَهُ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنْ أَبْعَدِ الْخَلْقِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ.

وَإِذَا تَدَبَّرْتَ الْقُرْآنَ رَأَيْتَهُ يُنَادِي عَلَى ذٰلِكَ، وَيُبْدِيهِ وَيُعِيدُهُ لِمَنْ لَهُ فَهْمٌ وَقَلْبٌ وَاعٍ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾[1].

وَقَالَ تَعَالَى لِمَنْ طَلَبَ آيَةً تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾[2]،

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ٤٧.

(٢) سورة العنكبوت، الآيتان: ٥١، ٥٢.

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ يَكْفِي مِنْ كُلِّ آيَةٍ، فَفِيهِ الْحُجَّةُ وَالدَّلاَلَةُ عَلَى أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرْسَلَ بِهِ رَسُولَهُ، وَفِيهِ بَيَانُ مَا يُوجِبُ لِمَنِ اتَّبَعَهُ السَّعَادَةَ وَيُنَجِّيهِ مِنَ الْعَذَابِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾، فَإِذَا كَانَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَالِماً بِجَمِيعِ الأَشْيَاءِ كَانَتْ شَهَادَتُهُ أَصْدَقَ شَهَادَةٍ وَأَعْدَلَهَا، فَإِنَّهَا شَهَادَةٌ بِعِلْمٍ تَامٍّ مُحِيطٍ بِالْمَشْهُودِ بِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[1]، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: يَا أَيُّهَا الْمُشَرَّفُ مِنْ قِبَلِنَا! إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً بِوَحْدَانِيَّتِنَا، وَمُشَاهِداً كَمَالَ فَرْدَانِيَّتِنَا، تُبَشِّرُ عِبَادَنَا عَنَّا، وَتُحَذِّرُهُمْ مُخَالَفَةَ أَمْرِنَا، وَتُعَلِّمُهُمْ مَوَاضِعَ الْخَوْفِ مِنَّا، وَدَاعِياً الْخَلْقَ إِلَيْنَا، وَسِرَاجاً يَسْتَضِيئُونَ بِكَ، وَشَمْساً تَبْسُطُ شُعَاعَكَ عَلَى جَمِيعِ مَنْ صَدَّقَكَ وَآمَنَ بِكَ، وَلاَ يَصِلُ إِلَيْنَا إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ وَخَدَمَكَ وَقَدَّمَكَ، فَبَشِّرْهُ بِفَضْلِنَا وَطَوْلِنَا[2] عَلَيْهِمْ، وَإِحْسَانِنَا إِلَيْهِمْ.

وَلَمَّا كَانَ اللَّهُ قَدْ جَعَلَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ شَاهِداً عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ، وَالشَّاهِدُ لاَ يَكُونُ مُدَّعِياً؛ فَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلِ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَسْأَلَةِ الْوَحْدَانِيَّةِ مُدَّعِياً لَهَا، لأَنَّ الْمُدَّعِيَ مَنْ يَقُولُ شَيْئاً عَلَى خِلاَفِ الظَّاهِرِ، وَالْوَحْدَانِيَّةُ أَظْهَرُ مِنَ الشَّمْسِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ ادَّعَى النُّبُوَّةَ فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ شَاهِداً لَهُ فِي مُجَازَاةِ كَوْنِهِ شَاهِداً لَهُ تَعَالَى، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾[3]، وَمِنْ هٰذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾[4]، فَاسْتَشْهَدَ

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٦.
(٢) إنعامنا.
(٣) سورة المنافقون، الآية: ١.
(٤) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

عَلَى رِسَالَتِهِ بِشَهَادَةِ اللَّهِ لَهُ، وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[1]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾[2]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾[3]، وَقَوْلُهُ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾[4]، فَهٰذَا كُلُّهُ مِنْهُ تَعَالَى شَهَادَةٌ لِرَسُولِهِ قَدْ أَظْهَرَهَا وَبَيَّنَهَا وَبَيَّنَ صِحَّتَهَا غَايَةَ الْبَيَانِ، بِحَيْثُ قَطَعَ الْعُذْرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ بِكَوْنِهِ سُبْحَانَهُ شَاهِداً لِرَسُولِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾[5]، فَيَظْهَرُ ظُهُورَيْنِ: ظُهُوراً بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ، وَظُهُوراً بِالنَّصْرِ وَالْغَلَبَةِ وَالتَّأْيِيدِ، حَتَّى يَظْهَرَ عَلَى مُخَالِفِيهِ، وَيَكُونَ مَنْصُوراً.

وَمِنْ شَهَادَتِهِ تَعَالَى أَيْضاً[6]: مَا أَوْدَعَهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ مِنَ التَّصْدِيقِ الْجَازِمِ، وَالْيَقِينِ الثَّابِتِ، وَالطَّمَأْنِينَةِ بِكَلَامِهِ وَوَحْيِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَطَرَ الْقُلُوبَ عَلَى قَبُولِ الْحَقِّ، وَالانْقِيَادِ لَهُ، وَالطَّمَأْنِينَةِ وَالسُّكُونِ إِلَيْهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَفَطَرَهَا عَلَى بُغْضِ الْكَذِبِ وَالْبَاطِلِ، وَالنُّفُورِ عَنْهُ، وَعَدَمِ السُّكُونِ إِلَيْهِ، وَلَوْ بَقِيَتِ الْفِطْرَةُ عَلَى حَالِهَا لَمَا آثَرَتْ عَلَى الْحَقِّ سِوَاهُ، وَلَمَا سَكَنَتْ إِلاَّ إِلَيْهِ، وَلاَ اطْمَأَنَّتْ إِلاَّ بِهِ، وَلاَ أَحَبَّتْ غَيْرَهُ، وَلِهٰذَا نَدَبَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ إِلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ تَدَبَّرَهُ أَوْجَبَ لَهُ عِلْماً ضَرُورِيًّا وَيَقِيناً جَازِماً أَنَّهُ حَقٌّ، بَلْ أَحَقُّ كُلِّ حَقٍّ، وَأَصْدَقُ كُلِّ صِدْقٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٩.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٦.
(٣) سورة المنافقون، الآية: ١.
(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٥) سورة الفتح، الآية: ٢٨.
(٦) لنبيّه ﷺ بالرسالة.

عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[1] فلَوْ رُفِعَتِ الأَقْفَالُ عَنِ الْقُلُوبِ لَبَاشَرَتْهَا حَقَائِقُ الْقُرْآنِ، وَاسْتَنَارَتْ فِيهَا مَصَابِيحُ الإيمَانِ، وَعَلِمَتْ عِلْماً ضَرُورِيًّا كَسَائِرِ الأُمُورِ الْوِجْدَانِيَّةِ ـ كاللَّذَّةِ وَالأَلَمِ ـ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، تَكَلَّمَ بِهِ حَقًّا، وَبَلَّغَهُ رَسُولَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَهٰذَا الشَّاهِدُ فِي الْقَلْبِ مِنْ أَعْظَمِ الشَّوَاهِدِ. انْتَهَى مُلَخَّصاً مِنْ مَدَارِجِ السَّالِكِينَ[2]. اهـ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[3]، فَفِي هٰذِهِ الآيَةِ دَلاَلَةٌ عَلَى أَنَّهُ ﷺ مَبْعُوثٌ إِلَى كَافَّةِ الثَّقَلَيْنِ[4].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ وَلاَ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ وَمَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفِي هٰذَا الْحَدِيثِ نَسْخُ الْمِلَلِ كُلِّهَا بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا ﷺ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ الآيَة[5]، خَاطَبَ تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِأَنَّهُ قَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولَهُ مُحَمَّداً خَاتِمَ النَّبِيِّينَ الَّذِي لاَ نَبِيَّ بَعْدَهُ وَلاَ رَسُولَ، بَلْ هُوَ الْمُعَقِّبُ لِجَمِيعِهِمْ، وَلِهٰذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أَيْ: بَعْدَ مُدَّةٍ مُتَطَاوِلَةٍ مَا بَيْنَ إِرْسَالِهِ ﷺ وَإِرْسَالِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي مِقْدَارِ هٰذِهِ الْفَتْرَةِ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَالْمَشْهُورُ أَنَّهَا سِتُّ مِئَةِ سَنَةٍ، قَالَ ﷺ: «**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، لأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٢) لابن القيم.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٤) الإنس والجن.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١٩.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُمُوسٍ مِنَ السُّبُلِ، وَتَغَيُّرِ الأَدْيَانِ، وَكَثْرَةِ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ وَالنِّيرَانِ وَالصُّلْبَانِ، فَكَانَتِ النِّعْمَةُ بِهِ أَتَمَّ، وَالنَّفْعُ بِهِ أَعَمَّ.

وَفِي حَدِيثٍ عِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ مَرْفُوعاً: «**إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَجَمَهُمْ وَعَرَبَهُمْ إِلاَّ بَقَايَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**»، وَفِي لَفْظِ مُسْلِمٍ: «**مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**» فَكَانَ الدِّينُ قَدِ الْتَبَسَ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ كُلِّهِمْ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً ﷺ فَهَدَى بِهِ الْخَلاَئِقَ، وَأَخْرَجَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَتَرَكَهُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ، وَالشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[١] أَيْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ عَنَتُكُمْ ـ أَيْ: إِثْمُكُمْ بِالشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي ـ. قَالَ الْحَسَنُ: عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ تَدْخُلُوا النَّارَ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، وَمِنْ حِرْصِهِ ﷺ عَلَيْنَا أَنَّهُ لَمْ يُخَاطِبْنَا بِمَا يُرِيدُ إِبْلاَغَهُ إِلَيْنَا، وَفَهْمَنَا إِيَّاهُ عَلَى قَدْرِ مَنْزِلَتِهِ؛ بَلْ عَلَى قَدْرِ مَنْزِلَتِنَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[٢]، وَلاَ رَحْمَةَ مَعَ التَّكْلِيفِ بِمَا لاَ يُفْهَمُ، وَلِذٰلِكَ كَانَ ﷺ كَثِيراً مَا يَضْرِبُ الْمَثَلَ بِالْمَحْسُوسِ لِيَحْصُلَ الْفَهْمُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ رَأَى مِنْ ذٰلِكَ الْعَجَبَ الْعُجَابَ، وَلَمَّا سَاوَى سُبْحَانَهُ وتَعَالَى بَيْنَ النَّاسِ فِي حِرْصِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى إِسْلاَمِهِمْ خَصَّ الْمُؤْمِنِينَ بِرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ لَهُمْ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾، قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

طَاهِر[1]: زَيَّنَ اللّهُ تَعَالَى مُحَمَّداً ﷺ بِزِينَةِ الرَّحْمَةِ، فَكَانَ كَوْنُهُ رَحْمَةً، وَجَمِيعُ شَمَائِلِهِ وَصِفَاتِهِ رَحْمَةً عَلَى الْخَلْقِ، فَمَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ رَحْمَتِهِ فَهُوَ النَّاجِي فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَالْوَاصِلُ فِيهِمَا إِلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: رَحْمَةً لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، لأَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ إِذَا كُذِّبَ أَهْلَكَ اللّهُ مَنْ كَذَّبَهُ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُخِّرَ مَنْ كَذَّبه إِلَى الْمَوْتِ أَوْ إِلَى الْقِيَامَةِ، وَأَمَّا مَنْ صَدَّقَهُ فَلَهُ الرَّحْمَةُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَقَالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ: رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، يَعْنِي: الْجِنَّ وَالإِنْسَ.

وَقِيلَ: لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، لِلْمُؤْمِنِ رَحْمَةٌ بِالْهِدَايَةِ، وَرَحْمَةٌ لِلْمُنَافِقِ بِالأَمَانِ مِنَ الْقَتْلِ، وَرَحْمَةٌ لِلْكَافِرِ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ، فَذَاتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ رَحْمَةٌ تَعُمُّ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ، قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[2]، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**» رَواهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ[3].

وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: الأَنْبِيَاءُ خُلِقُوا كُلُّهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّنَا ﷺ عَيْنُ الرَّحْمَةِ.

وَفِي الشِّفَاءِ لِلْقَاضِي عِيَاضٍ: حُكِيَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ لِجِبْرِيلَ: هَلْ أَصَابَكَ مِنْ هٰذِهِ الرَّحْمَةِ شَيْءٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، كُنْتُ أَخْشَى الْعَاقِبَةَ، فَأَمِنْتُ بِثَنَاءِ اللّهِ تَعَالَى عَلَيَّ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١﴾[4].

(١) ابن مفوّز بن أحمد المعافري الشاطبي.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٣) كالدارميّ، والحاكم وصححه، وأقرّه الذهبي.

(٤) سورة التكوير، الآية: ٤٠.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1]، هٰذِهِ الآيَةُ نَصٌّ فِي أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدَهُ، فَلاَ رَسُولَ بِطَرِيقِ الأَوْلَى، لأَنَّ مَقَامَ الرِّسَالَةِ أَخَصُّ مِنْ مَقَامِ النُّبُوَّةِ، فَإِنَّ كُلَّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلاَ يَنْعَكِسُ، وَبِذٰلِكَ وَرَدَتِ الأَحَادِيثُ عَنْهُ ﷺ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، قَالَ ﷺ: «**إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدِ انْقَطَعَتْ، فَلاَ رَسُولَ بَعْدِي وَلاَ نَبِيَّ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، قَالَ ﷺ: «**مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَاراً، فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَكَانَ مَنْ دَخَلَهَا فَنَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ: مَا أَحْسَنَهَا إِلاَّ مَوْضِعَ هٰذِهِ اللَّبِنَةِ، فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، خُتِمَ بِيَ الأَنْبِيَاءُ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «**وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**».

وَقَدْ أَخْبَرَ اللّٰهُ فِي كِتَابِهِ، وَرَسُولُهُ فِي السُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَنْهُ: أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنِ ادَّعَى هٰذَا الْمَقَامَ بَعْدَهُ فَهُوَ كَذَّابٌ أَفَّاكٌ دَجَّالٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ، وَلَوْ تَحَذْلَقَ وَتَشَعْبَذَ وَأَتَى بِأَنْوَاعِ السِّحْرِ وَالطَّلاَسِمِ وَالنِّيْرَنْجِيَّاتِ[2]، فَكُلُّهَا مُحَالٌ وَضَلاَلٌ، وَلاَ يَقْدَحُ فِي هٰذَا نُزُولُ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بَعْدَهُ، لأَنَّهُ إِذَا نَزَلَ كَانَ عَلَى دِينِ نَبِيِّنَا ﷺ وَمِنْهَاجِهِ، فَنَبِيُّنَا ﷺ هُوَ آخِرُ مَنْ نُبِّىءَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. اهـ

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٢) وهي أُخَذٌ كالسِّحر.

النوع الرابع
فِي التَّنْوِيهِ بِرِسَالَتِهِ ﷺ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ (كَالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[1]، وَهٰذَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ صِدْقِهِ ﷺ، لأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَكْتُوباً لَكَانَ ذِكْرُ هٰذَا الْكَلاَمِ مِنْ أَعْظَمِ الْمُنَفِّرَاتِ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى عَنْ قَبُولِ قَوْلِهِ، لأَنَّ الإِصْرَارَ عَلَى الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ مِنْ أَعْظَمِ الْمُنَفِّرَاتِ، وَالْعَاقِلُ لاَ يَسْعَى فِيمَا يُوجِبُ نُقْصَانَ حَالِهِ، وَيُنَفِّرُ النَّاسَ عَنْ قَبُولِ مَقَالِهِ، فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ هٰذَا دَلَّ عَلَى أَنَّ ذٰلِكَ النَّعْتَ كَانَ مَذْكُوراً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، وَذٰلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الدَّلاَئِلِ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ ﷺ، لٰكِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2] و﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[3]، وَإِلاَّ فَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ قَدْ عَرَفُوا مُحَمَّداً ﷺ كَمَا عَرَفُوا أَبْنَاءَهُمْ، وَوَجَدُوهُ مَكْتُوباً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ لٰكِنَّهُمْ حَرَّفُوهُمَا، وَبَدَّلُوهُمَا؛ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَ وَلَوْ كَرِهِ الْكَافِرُونَ.

فَدَلاَئِلُ نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ فِي كِتَابَيْهِمَا بَعْدَ تَحْرِيفِهِمَا طَافِحَةٌ، وَأَعْلاَمُ شَرَائِعِهِ وَرِسَالَتِهِ فِيهِمَا لاَئِحَةٌ، وَكَيْفَ يُغْنِي عَنْهُمْ إِنْكَارُهُمْ، وَهٰذَا اسْمُ النَّبِيِّ ﷺ بِالسُّرْيَانِيَّةِ (مُشَفَّحْ)، فَمُشَفَّحْ مُحَمَّدٌ بِغَيْرِ شَكٍّ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: شَفْحَا لاَهَا، إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَقُولُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَإِذَا كَانَ الْحَمْدُ شَفْحَا فَمُشَفَّحْ مُحَمَّدٌ، وَلأَنَّ الصِّفَاتِ الَّتِي أَقَرُّوا بِهَا هِيَ وِفَاقٌ لأَحْوَالِهِ وَزَمَانِهِ وَمَخْرَجِهِ وَمَبْعَثِهِ وَشَرِيعَتِهِ ﷺ، فَلْيَدُلُّونَا عَلَى مَنْ هٰذِهِ الصِّفَاتُ لَهُ، وَمَنْ خَرَجَتْ لَهُ الأُمَمُ مِنَ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٣.

بَيْنِ يَدَيْهِ وَانقَادَتْ لَهُ وَاسْتَجَابَتْ لِدَعْوَتِهِ؟ وَمَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ الَّذِي هَلَكَتْ بَابِلُ وَأَصْنَامُهَا بِهِ؟ عَلَى أَنَّا لَوْ لَمْ نَأْتِ بِهٰذِهِ الأَنْبَاءِ وَالْقِصَصِ مِنْ كُتُبِهِمْ أَلَمْ يَكُنْ فِيمَا أَوْدَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقُرْآنَ دَلِيلٌ عَلَى ذٰلِكَ؟ وَفِي تَرْكِهِمْ جَحْدَ ذٰلِكَ وَإِنكَارَهُ وَهُوَ يُقَرِّعُهُمْ بِهِ دَلِيلٌ عَلَى اعْتِرَافِهِمْ لَهُ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[1]، وَيَقُولُ حِكَايَةً عَنِ الْمَسِيحِ: ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[2]، وَيَقُولُ: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾[3]، وَيَقُولُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[4]، وَكَانُوا يَقُولُونَ لِمُخَالِفِيهِمْ عِنْدَ الْقِتَالِ: هٰذَا نَبِيٌّ قَدْ أَظَلَّ مَوْلِدُهُ، وَيَذْكُرُونَ مِنْ صِفَتِهِ مَا يَجِدُونَهُ فِي كِتَابِهِمْ، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ حَسَداً وَخَوفاً عَلَى الرِّيَاسَةِ ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[5].

وَقَدْ كَانَ ﷺ يَدْعُوهُمْ إِلَى اتِّبَاعِهِ وَتَصْدِيقِهِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَحْتَجَّ بِبَاطِلٍ مِنَ الْحُجَجِ ثُمَّ يُحِيلُ ذٰلِكَ عَلَى مَا عِنْدَهُمْ وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيَقُولُ: مِنْ عَلاَمَةِ نُبُوَّتِي وَصِدْقِي أَنَّكُمْ تَجِدُونَنِي عِنْدَكُمْ مَكْتُوباً وَهُمْ لاَ يَجِدُونَهُ كَمَا ذَكَرَ؟ أَوَلَيْسَ ذٰلِكَ مِمَّا يَزِيدُهُمْ عَنْهُ بُعْداً؟ وَقَدْ كَانَ غَنِيًّا عَنْ أَنْ يَدْعُوَهُمْ بِمَا يُنَفِّرُهُمْ، وَكَمْ أَسْلَمَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَائِهِمْ كَعَبْدِاللّٰهِ بْنِ سَلاَمٍ وَتَمِيمٍ الدَّارِيِّ وَكَعْبٍ[6] وَقَدْ وَقَفُوا مِنْهُ عَلَى مِثْلِ هٰذِهِ الدعَاوِي.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.
(٢) سورة الصف، الآية: ٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٦.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٨٩.
(٦) كعب الأحبار.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ[١] عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ سَلاَمٍ: أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بِمَخْرَجِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ خَرَجَ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَنْتَ ابْنُ سَلاَمٍ عَالِمُ أَهْلِ يَثْرِبَ**[٢]؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**نَاشَدْتُكَ بِاللّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، هَلْ تَجِدُ صِفَتِي فِي كِتَابِ اللّهِ؟**» قَالَ: انْسُبْ رَبَّكَ[٣] يَا مُحَمَّدُ! فَأَرْتَجَ النَّبِيُّ ﷺ[٤]، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: ﴿**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤**﴾[٥]، فَقَالَ ابْنُ سَلاَمٍ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللّهِ، وَأَنَّ اللّهَ مُظْهِرُكَ وَمُظْهِرُ دِينِكَ عَلَى الأَدْيَانِ، وَإِنِّي لأَجِدُ صِفَتَكَ فِي كِتَابِ اللّهِ: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ[٦]، وَلاَ يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَلٰكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ، وَيَفْتَحَ بِهِ أَعْيُناً عُمْياً، وَآذَاناً صُمّاً، وَقُلُوباً غُلْفاً».

وَقَوْلُهُ: «**لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ**» مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَۖ**﴾[٧].

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[٨] عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِزِيَادَةٍ: «وَحِرْزاً لِلأُمِّيِّينَ».

---

(١) والترمذي.

(٢) اسم المدينة قديماً.

(٣) أي: صِفْهُ لنا.

(٤) أي: استَغلق الكلام عليه.

(٥) سورة الإخلاص.

(٦) أي: لا يرفع صوته فيها.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٨) ٤٥٥٨.

وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ عَنْ كَعْبٍ بِزِيَادَةٍ: «يُعِينُ الْمَظْلُومَ، وَيَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يُسْتَضْعَفَ».

وَعِنْدَ ابْنِ إِسْحٰقَ: «وَلاَ صَخِبٌ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ مُتَزَيِّنٌ بِالْفُحْشِ، وَلاَ قَوَّالٌ لِلْخَنَا[1]، أُسَدِّدُهُ بِكُلِّ[2] جَمِيلٍ، وَأَهَبُ لَهُ كُلَّ خُلُقٍ كَرِيمٍ، ثُمَّ أَجْعَلُ السَّكِينَةَ لِبَاسَهُ، وَالبِرَّ شِعَارَهُ[3]، وَالتَّقْوَى ضَمِيرَهُ، وَالْحِكْمَةَ مَعْقُولَهُ، وَالصِّدْقَ وَالْوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ، وَالْعَفْوَ وَالْمَعْرُوفَ خُلُقَهُ، وَالْعَدْلَ سِيرَتَهُ، وَالْحَقَّ شَرِيعَتَهُ، وَالْهُدَى إِمَامَهُ، وَالإِسْلاَمَ مِلَّتَهُ، وَأَحْمَدَ اسْمَهُ، أَهْدِي بِهِ بَعْدَ الضَّلاَلَةِ، وَأُعَلِّمُ بِهِ بَعْدَ الْجَهَالَةِ، وَأَرْفَعُ بِهِ بَعْدَ الْخَمَالَةِ[4]، وَأُسَمِّي بِهِ بَعْدَ النَّكِرَةِ[5]، وَأُكْثِرُ بِهِ بَعْدَ الْقِلَّةِ، وَأُغْنِي بِهِ بَعْدَ الْعَيْلَةِ[6]، وَأَجْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْفُرْقَةِ، وَأُؤَلِّفُ بِهِ بَيْنَ قُلُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَهْوَاءٍ مُتَشَتِّتَةٍ، وَأُمَمٍ مُتَفَرِّقَةٍ، وَأَجْعَلُ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ».

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَدِمَ الْجَارُودُ فَأَسْلَمَ وَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَقَدْ وَجَدْتُ وَصْفَكَ فِي الإِنْجِيلِ، وَلَقَدْ بَشَّرَ بِكَ ابْنُ الْبَتُولِ[7].

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ قَالَ: لَمَّا أُمِرَ إِبْرَاهِيمُ بِإِخْرَاجِ هَاجَرَ حُمِلَ عَلَى الْبُرَاقِ، فَكَانَ لاَ يَمُرُّ بِأَرْضٍ عَذْبَةٍ سَهْلَةٍ إِلاَّ قَالَ: أَنْزِلُ هٰهُنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ: لاَ، حَتَّى أَتَى مَكَّةَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: انْزِلْ يَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: حَيْثُ لاَ ضَرْعَ وَلاَ زَرْعَ؟ قَالَ: نَعَمْ، هٰهُنَا يَخْرُجُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ ذُرِّيَّةِ ابْنِكَ الَّذِي تَتِمُّ بِهِ الْكَلِمَةُ الْعُلْيَا.

---

(١) للقبيح.
(٢) في الشفا للقاضي عياض: (لكل).
(٣) الشِّعار: الثوب الذي يلي الجسد، والدِّثار فوقه. ومنه حديث: «**الأنصار شعار، والناس دثار**» رواه الشيخان.
(٤) الخفاء.
(٥) أي: أجعَلُ الناس المجهولين معروفين بسببه.
(٦) بعد الفقر والحاجة.
(٧) والبتول مريم: العذراء المنقطعة عن الزواج إلىٰ الله.

وَفِي التَّوْرَاةِ مِمَّا اخْتَارُوهُ بَعْدَ الْحَذْفِ وَالتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ مِمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ ظَفَرٍ[1] فِي (الْبِشْرِ)[2]، وَابْنُ قُتَيْبَةَ فِي (أَعْلاَمِ النُّبُوَّةِ): تَجَلَّى اللَّهُ مِنْ سِينَا، وَأَشْرَقَ مِنْ سَاعِيرَ، وَاسْتَعْلَنَ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ. فَسِينَا: هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى، وَسَاعِيرُ: هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي ظَهَرَتْ فِيهِ نُبُوَّةُ عِيسَى، وَجِبَالُ فَارَانَ - وَهُوَ اسْمٌ عِبْرَانِيٌّ -: جِبَالُ بَنِي هَاشِمٍ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَحَنَّثُ - أَيْ: يَتَعَبَّدُ - فِي أَحَدِهَا، وَفِيهِ فَاتِحَةُ الْوَحْيِ، وَهُوَ أَحَدُ ثَلاثَةِ جِبَالٍ: أَحَدُهَا: أَبُو قُبَيْسٍ، وَالْمُقَابِلُ لَهُ: قُعَيْقِعَانُ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي، وَالثَّالِثُ الشَّرْقِيُّ: فَارَانُ، وَمُنْفَتَحُهُ الَّذِي يَلِي قُعَيْقِعَانَ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي هُوَ شِعْبُ بَنِي هَاشِمٍ[3]، وَفِيهِ وُلِدَ ﷺ عَلَى أَحَدِ الأَقْوَالِ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَلَيْسَ بِهٰذَا غُمُوضٌ، لأَنَّ تَجَلِّيَ اللَّهِ مِنْ سِينَا: إِنْزَالُهُ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِطُورِ سِينَا، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ إِشْرَاقُهُ مِنْ سَاعِيرَ: إِنْزَالُهُ الإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَكَانَ الْمَسِيحُ يَسْكُنُ مِنْ سَاعِيرَ أَرْضَ الْجَلِيلِ بِقَرْيَةٍ تُدْعَى نَاصِرَةَ، بِاسْمِهَا سُمِّيَ مَنِ اتَّبَعَهُ نَصَارَى، فَكَمَا وَجَبَ أَنْ يَكُونَ إِشْرَاقُهُ مِنْ سَاعِيرَ إِنْزَالَهُ عَلَى الْمَسِيحِ الإِنْجِيلَ، فَكَذٰلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ اسْتِعْلاَنُهُ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ إِنْزَالَهُ الْقُرْآنَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهِيَ جِبَالُ مَكَّةَ، وَلَيْسَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ اخْتِلاَفٌ فِي أَنَّ فَارَانَ هِيَ مَكَّةُ.

وَإِنِ ادُّعِيَ أَنَّهَا غَيْرُ مَكَّةَ قُلْنَا: أَلَيْسَ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ اللَّهَ أَسْكَنَ هَاجَرَ وَإِسْمَاعِيلَ فَارَانَ؟ وَقُلْنَا: دُلُّونَا عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي اسْتَعْلَنَ اللَّهُ مِنْهُ وَاسْمُهُ فَارَانُ؛ وَالنَّبِيِّ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ بَعْدَ الْمَسِيحِ؛ أَوَلَيْسَ اسْتَعْلَنَ وَعَلَنَ

---

(١) الحموي.

(٢) بخير البَشَر.

(٣) الشِّعب: الطريق بين الجبلين.

بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ مَا ظَهَرَ وَانْكَشَفَ، فَهَلْ تَعْلَمُونَ دِيناً ظَهَرَ ظُهُورَ الإِسْلاَمِ، وَفَشَا فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا فُشُوَّهُ؟!

وَفِي التَّوْرَاةِ أَيْضاً - مِمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ ظَفَرٍ - خِطَاباً لِمُوسَى، وَالْمُرَادُ بِهِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ لِمِيقَاتِ رَبِّهِ الَّذِينَ أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ خُصُوصاً، ثُمَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عُمُوماً: وَاللّٰهُ رَبُّكَ يُقِيمُ نَبِيًّا مِنْ إِخْوَتِكَ، فَاسْتَمِعْ لَهُ كَالَّذِي سَمِعْتَ رَبَّكَ فِي حَوْرِيتَ يَوْمَ الاجْتِمَاعِ، حِينَ قُلْتَ لاَ أَعُودُ أَسْمَعُ صَوْتَ اللّٰهِ رَبِّي لِئَلاَّ أَمُوتَ، فَقَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: نِعْمَ مَا قَالُوا، وَسَأُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِثْلَكَ مِنْ إِخْوَتِهِمْ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَمَرْتُهُ بِهِ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ لَمْ يُطِعْ مَنْ تَكَلَّمَ بِاسْمِي، فَإِنِّي أَنْتَقِمُ مِنْهُ.

قَالَ وَفِي هٰذَا الْكَلاَمِ أَدِلَّةٌ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَقَوْلُهُ: نَبِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِمْ، وَمُوسَى وَقَوْمُهُ مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، وَإِخْوَتُهُمْ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَلَوْ كَانَ هٰذَا النَّبِيُّ الْمَوْعُودُ بِهِ مِنْ بَنِي إِسْحٰقَ لَكَانَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لاَ مِنْ إِخْوَتِهِمْ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: نَبِيًّا مِثْلَكَ، فَقَدْ قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: مِثْلُ مُوسَى لاَ يَقُومُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبَداً، فَذَهَبَتِ الْيَهُودُ إِلَى أَنَّ هٰذَا النَّبِيَّ الْمَوْعُودَ بِهِ هُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، وَذٰلِكَ بَاطِلٌ لأَنَّ يُوشَعَ لَمْ يَكُنْ كُفُواً لِمُوسَىٰ عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، بَلْ كَانَ خَادِماً لَهُ فِي حَيَاتِهِ، وَمُؤَكِّداً لِدَعْوَتِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ، فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ مُحَمَّداً ﷺ، فَإِنَّهُ كُفُؤُ مُوسَى، لأَنَّهُ مَاثَلَهُ فِي نَصْبِ الدَّعْوَةِ، وَالتَّحَدِّي بِالْمُعْجِزَةِ، وَشَرْعِ الأَحْكَامِ، وَإِجْرَاءِ النَّسْخِ عَلَى الشَّرَائِعِ السَّالِفَةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: أَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَإِنَّهُ وَاضِحٌ فِي أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، لأَنَّ مَعْنَاهُ: أُوحِيْ إِلَيْهِ بِكَلاَمِي، فَيَنْطِقُ بِهِ عَلَى نَحْوِ مَا سَمِعَهُ، وَلاَ أُنْزِلُ عَلَيْهِ صُحُفاً وَلاَ أَلْوَاحاً، لأَنَّهُ أُمِّيٌّ لاَ يُحْسِنُ أَنْ يَقْرَأَ الْمَكْتُوبَ.

وَفِي الإِنجِيلِ مِمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ طُغْرُبِكَ فِي الدُّرِّ الْمُنَظَّمِ: قَالَ يُوحَنَّا فِي إِنْجِيلِهِ عَنِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَالَ: أَنَا أَطْلُبُ لَكُمْ مِنَ الأَبِ أَنْ يُعْطِيَكُمْ فَارِقْلِيط

آخَرَ يَثْبُتُ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحَ الحَقِّ الَّذِي لَنْ يُطِيقَ الْعَالَمُ أَنْ يَقْتُلُوهُ.

وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ ظَفَرٍ بِلَفْظِ: إِنْ أَحْبَبْتُمُونِي فَاحْفَظُوا وَصِيَّتِي، وَأَنَا أَطْلُبُ إِلَى أَبِي فَيُعطِيكُمْ فَارِقْلِيطَ آخَرَ يَكُونُ مَعَكُمْ الدَّهْرَ كُلَّهُ. قَالَ: فَهٰذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّ اللَّهَ سَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ، وَيَنُوبُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّهِ وَسِيَاسَةِ خَلْقِهِ مَنَابَهُ، وَتَكُونُ شَرِيعَتُهُ بَاقِيَةً مُخَلَّدَةً أَبَداً، فَهَلْ هٰذَا إِلاَّ مُحَمَّدٌ ﷺ؟

وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّصَارَى فِي تَفْسِيرِ (الْفَارِقْلِيطَ): فَقِيلَ: هُوَ الحَامِدُ، وَقِيلَ: الْمُخَلِّصُ، فَإِنْ وَافَقْنَاهُمْ عَلَى أَنَّهُ الْمُخَلِّصُ أَفْضَى بِنَا الأَمْرُ إِلَى أَنَّ الْمُخَلِّصَ رَسُولٌ يَأْتِي بِخَلَاصِ الْعَالَمِ، وَذٰلِكَ مِنْ غَرَضِنَا؛ لأَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ مُخَلِّصٌ لأُمَّتِهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُ الْمَسِيحِ فِي الإِنْجِيلِ: إِنِّي جِئْتُ لِخَلَاصِ الْعَالَمِ. فَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ الَّذِي وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ، وَهُوَ الَّذِي سَأَلَ الأَبَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ فَارِقْلِيطَ آخَرَ، فَفِي مُقْتَضَى اللَّفْظِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ فَارِقْلِيطُ أَوَّلُ حَتَّى يَأْتِي فَارِقْلِيطُ آخَرُ، وَإِنْ قُلْنَا مَعَهُمْ: إِنَّ مَعْنَاهُ الْحَامِدُ؛ فَأَيُّ لَفْظٍ أَقْرَبُ إِلَى أَحْمَدَ وَمُحَمَّدٍ مِنْ هٰذَا؟

قَالَ ابْنُ ظَفَرٍ: وَفِي الإِنْجِيلِ مِمَّا تَرْجَمُوهُ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْفَارِقْلِيطَ «الرَّسُولُ» فَإِنَّهُ قَالَ: إِنَّ هٰذَا الْكَلَامَ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ هُوَ لِي، بَلِ الأَبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي بِهٰذَا الكَلَامِ لَكُمْ، وَأَمَّا الفَارِقْلِيطُ رُوحُ الْقُدُسِ الَّذِي يُرْسِلُهُ أَبِي بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ يُذَكِّرُكُمْ كُلَّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ، فَهَلْ بَعْدَ هٰذَا بَيَانٌ؟ أَلَيْسَ هٰذَا صَرِيحاً فِي أَنَّ الْفَارِقْلِيطَ رَسُولٌ يُرْسِلُهُ اللَّهُ، وَهُوَ رُوحُ الْقُدُسِ، وَهُوَ يُصَدِّقُ بِالْمَسِيحِ، وَيُظْهِرُ اسْمَهُ أَنَّهُ رَسُولٌ حَقٌّ مِنَ اللَّهِ وَلَيْسَ بِإِلٰهٍ، وَهُوَ يُعَلِّمُ الْخَلْقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُهُمْ كُلَّ مَا قَالَهُ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَهُمْ، وَكُلَّ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «أَبِي»، فَهٰذِهِ اللَّفْظَةُ مُبَدَّلَةٌ مُحَرَّفَةٌ، وَلَيْسَتْ مُنْكَرَةَ الاسْتِعْمَالِ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ إِشَارَةً إِلَى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لأَنَّهَا عِنْدَهُمْ

لَفظَةُ تَعظِيم يُخاطِبُ بِهَا الْمُتَعَلِّمُ مُعَلِّمَهُ الَّذِي يَسْتَمِدُّ مِنهُ العِلْمَ، وَمِنَ الْمَشهُورِ مُخَاطَبَةُ النَّصَارَى عُظَمَاءَ دِينِهِمْ بِالآبَاءِ الرُّوحَانِيَّةِ، وَلَمْ تَزَلْ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَبَنُو عِيصُو[1] يَقُولُونَ: نَحنُ أَبنَاءُ اللّهِ بِسُوءِ فَهمِهِمْ عَنِ اللّهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «يُرْسِلُهُ بِاسْمِي»، فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى شَهَادَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ لَهُ بِالصِّدْقِ وَالرِّسَالَةِ، وَمَا تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ مِنْ مَدْحِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا افْتُرِيَ فِي أَمْرِهِ.

وَفِي تَرْجَمَةٍ أُخْرَى لِلإِنْجِيلِ أَنَّهُ قَالَ: الْفَارِقْلِيطُ إِذَا جَاءَ وَبَّخَ الْعَالَمَ عَلَى الْخَطِيئَةِ، وَلاَ يَقُولُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، مَا يَسْمَعُ يُكَلِّمُهُمْ بِهِ، وَيَسُوسُهُمْ بِالْحَقِّ، وَيُخْبِرُهُمْ بِالْحَوَادِثِ.

وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ طُغْرُبِكْ بِلَفْظِ: «فَإِذَا جَاءَ رُوحُ الْحَقِّ لَيْسَ يَنْطِقُ مِنْ عِنْدِهِ، بَلْ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ مِنَ اللّهِ، وَيُخْبِرُهُمْ بِكُلِّ مَا يَأْتِي، وَهُوَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا هُوَ لِي وَيُخْبِرُكُمْ».

فَقَوْلُهُ: «لَيْسَ يَنْطِقُ مِنْ عِنْدِهِ» وَفِي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى: «وَلاَ يَقُولُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، بَلْ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ» أَيْ: مِنَ اللّهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ، وَهٰذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي صِفَتِهِ ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[2].

وَقَوْلُهُ: «وَهُوَ يُمَجِّدُنِي»، فَلَمْ يُمَجِّدْهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ حَقَّ تَمْجِيدِهِ إِلاَّ مُحَمَّدٌ ﷺ، لأَنَّهُ[3] وَصَفَهُ[4] بِأَنَّهُ رَسُولُ اللّهِ، وَبَرَّأَهُ وَبَرَّأَ أُمَّهُ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِمَا، وَأَمَرَ بِذٰلِكَ.

قَالَ ابْنُ ظَفَرٍ: فَمَنْ ذَا الَّذِي وَبَّخَ الْعُلَمَاءَ عَلَى كِتْمَانِ الْحَقِّ وَتَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَبَيْعِ الدِّينِ بِالثَّمَنِ الْبَخْسِ؛ وَمَنِ الَّذِي أَنْذَرَ بِالْحَوَادِثِ وَأَخْبَرَ بِالْغُيُوبِ إِلاَّ مُحَمَّدٌ ﷺ؟

---

(١) بنو عيسىٰ عليه الصلاة والسلام، وهم النصارىٰ.
(٢) سورة النجم، الآية: ٣.
(٣) أي: محمد ﷺ.
(٤) أي: وصف عيسىٰ عليه الصلاة والسلام.

وَفِي الدَّلائِلِ لِلْبَيْهَقِيِّ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْعَاصِ الأُمَوِيِّ قَالَ: بُعِثْتُ أَنَا وَرَجُلٌ آخَرُ إِلَى هِرَقْلَ صَاحِبِ الرُّومِ نَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلاَمِ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَأَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ لَيْلاً، قَالَ: فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَدَعَا بِشَيْءٍ كَهَيْئَةِ الرَّبْعَةِ الْعَظِيمَةِ مُذْهَبَةً، فِيهَا بُيُوتٌ صِغَارٌ عَلَيْهَا أَبْوَابٌ، فَفَتَحَ وَاسْتَخْرَجَ حَرِيرَةً سَوْدَاءَ فَنَشَرَهَا، فَإِذَا فِيهَا صُورَةٌ حَمْرَاءُ، وَإِذَا رَجُلٌ ضَخْمُ الْعَيْنَيْنِ، عَظِيمُ الإِلْيَتَيْنِ، لَمْ أَرَ مِثْلَ طُولِ عُنُقِهِ، وَإِذَا لَهُ ضَفِيرَتَانِ أَحْسَنُ مَا خَلَقَ اللّهُ تَعَالَى، قَالَ: أَتَعْرِفُونَ هٰذَا؟ قُلْنَا: لاَ، قَالَ: هٰذَا آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، ثُمَّ فَتَحَ بَاباً آخَرَ فَاسْتَخْرَجَ حَرِيرَةً سَوْدَاءَ، وَإِذَا فِيهَا صُورَةٌ بَيْضَاءُ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ الْعَيْنَيْنِ، ضَخْمُ الْهَامَةِ، حَسَنُ اللِّحْيَةِ، فَقَالَ: أَتَعْرِفُونَ هٰذَا؟ قُلْنَا: لاَ، قَالَ: هٰذَا نُوحٌ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، ثُمَّ فَتَحَ بَاباً آخَرَ، وَأَخْرَجَ حَرِيرَةً، فَإِذَا فِيهَا صُورَةٌ بَيْضَاءُ، وَإِذَا فِيهَا ـ وَاللّهِ ـ رَسُولُ اللّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَتَعْرِفُونَ هٰذَا؟ قُلْنَا: نَعَمْ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَنَبِيُّنَا، وَاللّهِ إِنَّهُ ـ أَيْ هِرَقْلَ ـ قَامَ قَائِماً، ثُمَّ جَلَسَ وَقَالَ: إِنَّهُ لَهُوَ؟ فَقُلْنَا: نَعَمْ، إِنَّهُ لَهُوَ، كَأَنَّكَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَأَمْسَكَ سَاعَةً يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللّهِ إِنَّهُ لآخِرُ الْبُيُوتِ، وَلٰكِنْ عَجَّلْتُهُ لَكُمْ لأَنْظُرَ مَا عِنْدَكُمْ... الْحَدِيثَ وَفِيهِ: ذِكْرُ صُوَرِ الأَنْبِيَاءِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَسُلَيْمَانَ وَغَيْرِهِمْ، قَالَ: فَقُلْنَا لَهُ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هٰذِهِ الصُّوَرُ؟ فَقَالَ: إِنَّ آدَمَ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ الأَنْبِيَاءَ مِنْ وَلَدِهِ، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ صُوَرَهُمْ، فَكَانَتْ فِي خِزَانَةِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عِنْدَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَاسْتَخْرَجَهَا ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَدَفَعَهَا إِلَى دَانِيَالَ.

وَفِي زَبُورِ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ مَزْمُورِ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ: فَاضَتِ النِّعْمَةُ مِنْ شَفَتَيْكَ، مِنْ أَجْلِ هٰذَا بَارَكَكَ اللّهُ إِلَى الأَبَدِ، تَقَلَّدْ أَيُّهَا الْجَبَّارُ سَيْفَكَ، فَإِنَّ شَرَائِعَكَ وَسُنَّتَكَ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَةِ يَمِينِكَ، وَسِهَامَكَ مَسْنُونَةٌ، وَجَمِيعَ الأُمَمِ يَخِرُّونَ تَحْتَكَ.

فَهٰذَا الْمَزْمُورُ يُنَوِّهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَالنِّعْمَةُ الَّتِي فَاضَتْ مِنْ شَفَتَيْهِ هُوَ

الْقَوْلُ الَّذِي يَقُولُهُ، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، وَالسُّنَّةُ الَّتِي سَنَّهَا.

وَفِي قَوْلِهِ: تَقَلَّدْ سَيْفَكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ دَلاَلَةٌ عَلَى أَنَّهُ النَّبِيُّ الْعَرَبِيُّ، إِذْ لَيْسَ يَتَقَلَّدُ السُّيُوفَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ إِلاَّ الْعَرَبُ، وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّدُونَهَا عَلَى عَوَاتِقِهِمْ.

وَفِي قَوْلِهِ: فَإِنَّ شَرَائِعَكَ وَسُنَنَكَ نَصٌّ صَرِيحٌ عَلَى أَنَّهُ صَاحِبُ شَرِيعَةٍ وَسُنَّةٍ، وَأَنَّهَا تَقُومُ بِسَيْفِهِ، وَالْجَبَّارُ: الَّذِي يَجْبُرُ الْخَلْقَ بِالسَّيْفِ عَلَى الْحَقِّ، وَيَصْرِفُهُمْ عَنِ الْكُفْرِ جَبْراً.

وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ قَالَ اللَّهُ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لأُنْزِلَنَّ عَلَى جِبَالِ الْعَرَبِ نُوراً يَمْلأُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلأُخْرِجَنَّ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ نَبِيًّا عَرَبِيًّا أُمِّيًّا، يُؤْمِنُ بِهِ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ وَنَبَاتِ الأَرْضِ، كُلُّهُمْ يُؤْمِنُ بِي رَبًّا وَبِهِ رَسُولاً، وَيَكْفُرُونَ بِمِلَلِ آبَائِهِمْ وَيَفِرُّونَ مِنْهَا، قَالَ مُوسَى: سُبْحَانَكَ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ، لَقَدْ كَرَّمْتَ هٰذَا النَّبِيَّ وَشَرَّفْتَهُ، قَالَ اللَّهُ: يَا مُوسَى! إِنِّي أَنْتَقِمُ مِنْ عَدُوِّهِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، وَأُظْهِرُ دَعْوَتَهُ عَلَى كُلِّ دَعْوَةٍ، وَأُذِلُّ مَنْ خَالَفَ شَرِيعَتَهُ، وَبِالْعَدْلِ زَيَّنْتُهُ، وَلِلْقِسْطِ[1] أَخْرَجْتُهُ، وَعِزَّتِي! لأَسْتَنْقِذَنَّ بِهِ أُمَماً مِنَ النَّارِ، فَتَحْتُ الدُّنْيَا بِإِبْرَاهِيمَ، وَخَتَمْتُهَا بِمُحَمَّدٍ، مَثَلُ كِتَابِهِ الَّذِي يَجِيءُ بِهِ ـ فَاعْقِلُوهُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ـ كَمَثَلِ السِّقَاءِ الْمَمْلُوءِ لَبَناً يُمْخَضُ[2]، فَيُخْرِجُ زُبْداً[3]، بِكِتَابِهِ أَخْتِمُ الْكُتُبَ، وَبِشَرِيعَتِهِ أَخْتِمُ الشَّرَائِعَ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ فِي شَرِيعَتِهِ فَهُوَ مِنَ اللَّهِ بَرِيءٌ، أَجْعَلُ أُمَّتَهُ يَبْنُونَ فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا مَسَاجِدَ، إِذَا ذُكِرَ اسْمِي فِيهَا ذُكِرَ اسْمُ ذٰلِكَ النَّبِيِّ مَعِي، لاَ يَزُولُ ذِكْرُهُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَزُولَ[4]. ذَكَرَهُ ابْنُ ظَفَرٍ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ـ وَغَيْرُهُ.)

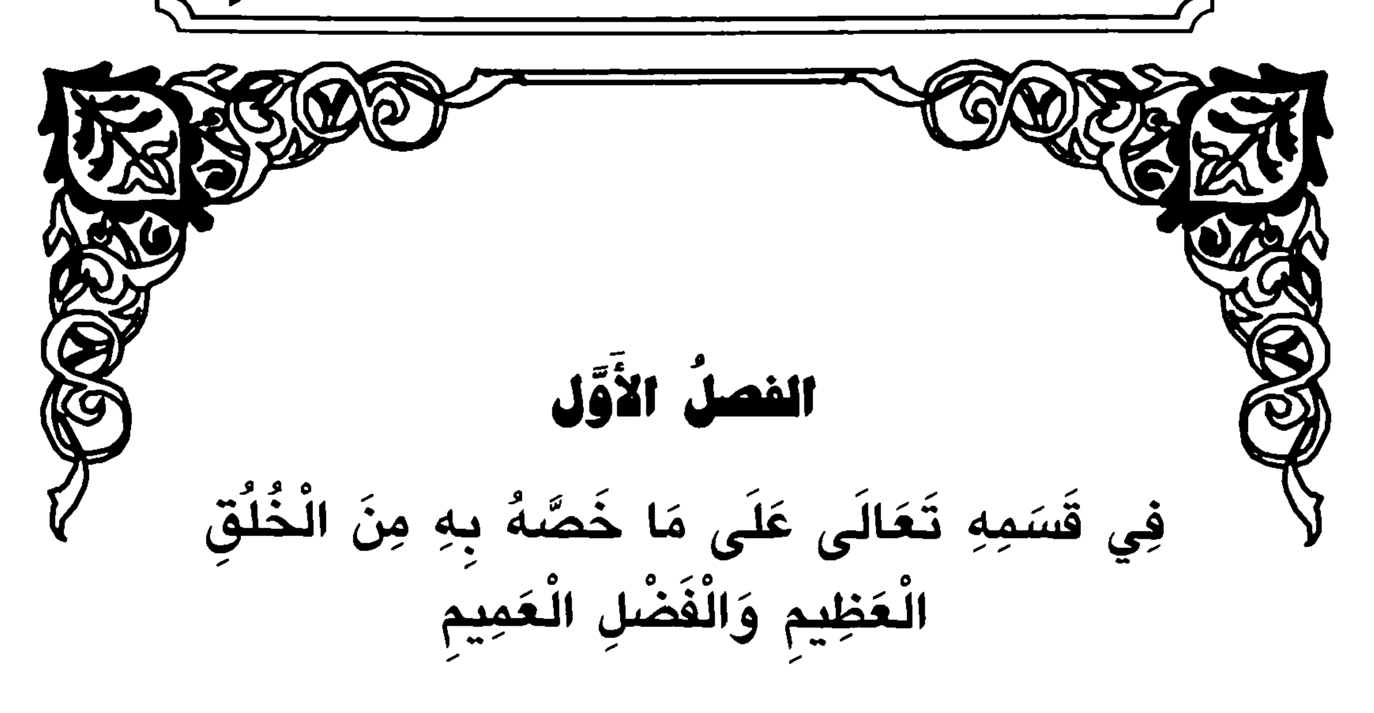
(١) للعدل.

(٢) يحرَّك بشدَّة.

(٣) **«أوتيتُ جوامع الكَلِم...»**.

(٤) أي: الدنيا.

النوع الخامس
فِي آيَاتٍ تَتَضَمَّنُ إِقْسَامَهُ تَعَالَى عَلَى تَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ، وَثُبُوتِ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ مِنْ آيَاتِهِ، وَعُلُوِّ رُتْبَتِهِ الرَّفِيعَةِ وَمَكَانَتِهِ. وَفِيهِ خَمْسَةُ فُصُولٍ



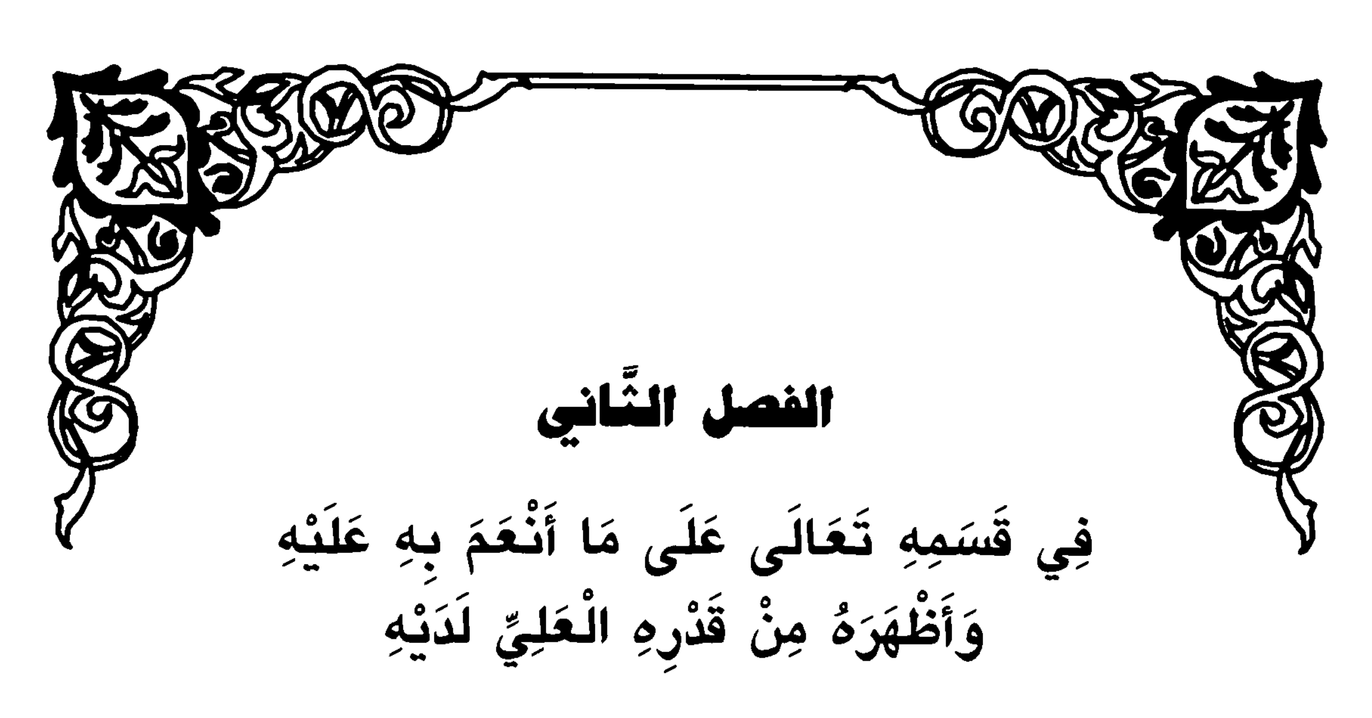
الفصلُ الأوَّل
فِي قَسَمِهِ تَعَالَى عَلَى مَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ وَالْفَضْلِ الْعَمِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[1]: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ[2] ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾، قِيلَ: إنَّ نَ لَوْحٌ مِن نُورٍ تَكْتُبُ فِيهِ الْمَلائِكَةُ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ اللَّهُ، وَلَقَدْ سُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ خُلُقِهِ ﷺ فَقَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ[3]، فَكَانَ كَلامُهُ مُطَابِقاً لِلْقُرْآنِ تَفْصِيلاً وَتَبْيِيناً، وَعُلُومُهُ عُلومَ الْقُرْآنِ، وَإِرَادَتُهُ وَأَعْمَالُهُ مَا أَوْجَبَهُ وَنَدَبَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ، وَإِعْرَاضُهُ وَتَرْكُهُ لِمَا مَنَعَ مِنْهُ الْقُرْآنُ، وَرَغْبَتُهُ فِيمَا

---
(١) في سورة القلم.
(٢) غير مقطوع.
(٣) رواه مسلم.

رَغَّبَ فِيهِ، وَزُهْدُهُ فِيمَا زَهَّدَ فِيهِ، وَكَرَاهَتُهُ لِمَا كَرِهَهُ، وَمَحَبَّتُهُ لِمَا أَحَبَّهُ، وَسَعْيُهُ فِي تَنْفِيذِ أَوَامِرِهِ. فَتَرْجَمَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِكَمَالِ مَعْرِفَتِهَا بِالْقُرْآنِ وَبِالرَّسُولِ وَحُسْنِ تَعْبِيرِهَا عَنْ هٰذَا كُلِّهِ بِقَوْلِهَا: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ».

وَلَمَّا وَصَفَهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ قَالَ: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾ أَيْ: فَسَتَرَى يَا مُحَمَّدُ وَسَيَرَى الْمُشْرِكُونَ عَاقِبَةَ أَمْرِكَ، فَإِنَّكَ تَصِيرُ مُعَظَّماً، وَيَصِيرُونَ أَذِلاَّءَ مَغْلُوبِينَ، وَتَسْتَوْلِي عَلَيْهِمْ.



الفصل الثَّاني

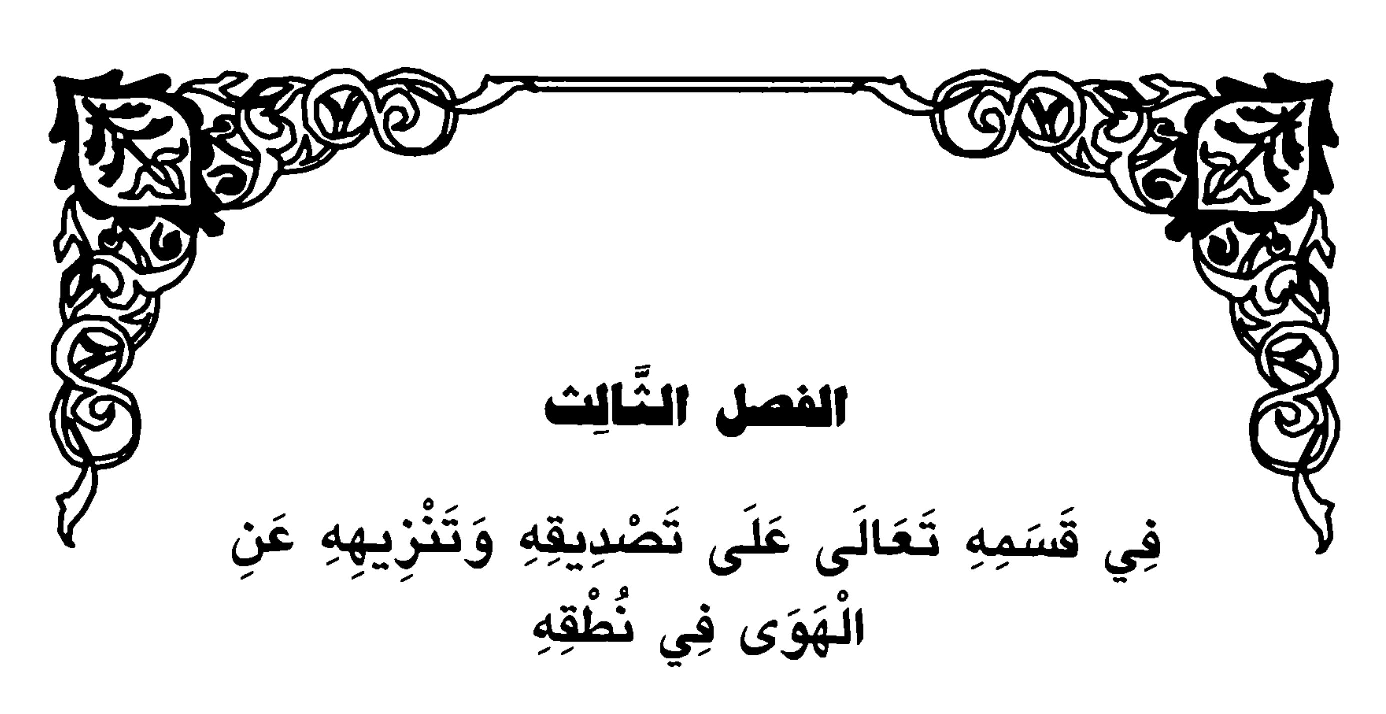
فِي قَسَمِهِ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ وَأَظْهَرَهُ مِنْ قَدْرِهِ الْعَلِيِّ لَدَيْهِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾، تَأَمَّلْ مُطَابَقَةَ هٰذَا الْقَسَمِ (وَهُوَ نُورُ الضُّحَى الَّذِي يُوَافِي بَعْدَ ظَلاَمِ اللَّيْلِ) لِلْمُقْسَمِ عَلَيْهِ (وَهُوَ نُورُ الْوَحْيِ الَّذِي وَافَاهُ ﷺ بَعْدَ احْتِبَاسِهِ عَنْهُ) حَتَّى قَالَ أَعْدَاؤُهُ: وَدَّعَ مُحَمَّداً رَبُّهُ، فَنَفَى سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ وَدَّعَ نَبِيَّهُ أَوْ قَلاَهُ، فَالتَّوْدِيعُ: التَّرْكُ، وَالْقِلَى: الْبُغْضُ، أَيْ: مَا تَرَكَكَ مُنْذُ اعْتَنَى بِكَ، وَلاَ أَبْغَضَكَ مُنْذُ أَحَبَّكَ، ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾، هٰذَا يَعُمُّ أَحْوَالَهُ ﷺ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ حَالَةٍ يُرَقِّيهِ إِلَيْهَا هِيَ خَيْرٌ لَهُ مِمَّا قَبْلَهَا، كَمَا أَنَّ الدَّارَ

الآخِرَةَ هِيَ خَيْرٌ لَهُ مِمَّا قَبْلَهَا، ثُمَّ وَعَدَهُ ﷺ بِمَا تَقَرُّ عَيْنُهُ وَيَنْشَرِحُ بِهِ صَدْرُهُ وَهُوَ أَنْ يُعْطِيَهُ فَيَرْضَى، وَهٰذَا يَعُمُّ مَا يُعْطِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْهُدَى، وَنَشْرِ دَعْوَتِهِ، وَإِعْلاَءِ كَلِمَتِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي مُدَّةِ حَيَاتِهِ وَأَيَّامِ خُلَفَائِهِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَمَا يُعْطِيهِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ مِنَ الشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَمَا يُعْطِيهِ فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْوَسِيلَةِ وَالدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ وَالْكَوْثَرِ.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَقَدْ دَلَّتْ هٰذِهِ الآيَةُ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يُعْطِيهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كُلَّ مَا يُرْضِيهِ.

ثُمَّ ذَكَّرَهُ سُبْحَانَهُ بِنِعَمِهِ عَلَيْهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقَابِلَهَا بِمَا يَلِيقُ بِهَا مِنَ الشُّكْرِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ[1].



الفصل الثَّالِث

فِي قَسَمِهِ تَعَالَى عَلَى تَصْدِيقِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الْهَوَى فِي نُطْقِهِ

قَالَ تَعَالَى[2]: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا

(١) سورة الضحى.

(٢) في سورة النجم.

﴿يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾، أَقْسَمَ تَعَالَى بِالنَّجْمِ عَلَى بَرَاءَةِ رَسُولِهِ ﷺ مِمَّا نَسَبَهُ إِلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ مِنَ الضَّلاَلِ وَالْغَيِّ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَقْسَمَ بِالثُّرَيَّا إِذَا سَقَطَتْ وَغَابَتْ[1].

وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾، وَلَمْ يَقُلْ مُحَمَّدٌ تَأْكِيداً لإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ صَاحِبُهُمْ، وَهُمْ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِهِ وَبِحَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ، وَأَنَّهُمْ لاَ يَعْرِفُونَهُ بِكَذِبٍ وَلاَ غَيٍّ وَلاَ ضَلاَلٍ، وَلاَ يَنْقِمُونَ عَلَيْهِ أَمْراً وَاحِداً، وَقَدْ نَبَّهَ تَعَالَى عَلَى هٰذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾[2]؟ ثُمَّ نَزَّهَ نُطْقَ رَسُولِهِ ﷺ عَنْ أَنْ يَصْدُرَ عَنْ هَوًى فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾، وَذَكَرَ الأَوْزَاعِيُّ عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ قَالَ: كَانَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ بِالسُّنَّةِ كَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ، يُعَلِّمُهُ إِيَّاهَا.

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ وَصْفِ مَنْ عَلَّمَهُ ﷺ الْوَحْيَ وَالْقُرْآنَ فَقَالَ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ وَهُوَ جِبْرِيلُ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ مَدْحَ الْمُعَلِّمِ مَدْحٌ لِلْمُتَعَلِّمِ، وَهٰذَا نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى[3]: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾، فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ تَصْدِيقِ فُؤَادِهِ ﷺ لِمَا رَأَتْهُ عَيْنَاهُ، وَأَنَّ الْقَلْبَ صَدَّقَ الْعَيْنَ، وَلَيْسَ كَمَنْ رَأَى شَيْئاً عَلَى خِلاَفِ مَا هُوَ بِهِ فَكَذَّبَ فُؤَادُهُ بَصَرَهُ، بَلْ مَا رَآهُ بِبَصَرِهِ صَدَّقَهُ الْفُؤَادُ، وَعَلِمَ أَنَّهُ كَذٰلِكَ.

وَقَالَ تَعَالَى[4]: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦﴾ إِلَى قَوْلِهِ:

---

(١) والعرب إذا أطلقت النجم تريد به الثريّا.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦٩.

(٣) سورة التكوير، الآية: ٢٠.

(٤) في سورة التكوير.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾، أَيْ: لاَ أُقْسِمُ إِذِ الأَمْرُ أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى قَسَمٍ، وَفِيهِ أَقْوَالٌ أُخْرَى: أَنَّهُ ـ أَيْ: الْقُرْآنَ ـ قَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، وَهُوَ هُنَا جِبْرِيلُ، وَأَمَّا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ فِي سُورَةِ الْحَاقَّةِ فَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَأَضَافَهُ إِلَى الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ تَارَةً وَإِلَى الْبَشَرِيِّ أُخْرَى، وَإِضَافَتُهُ إِلَيْهِمَا إِضَافَةُ تَبْلِيغٍ لاَ إِضَافَةَ إِنْشَاءٍ مِنْ عِنْدِهِمَا، وَلَفْظُ الرَّسُولِ يَدُلُّ عَلَى ذٰلِكَ، فَإِنَّ الرَّسُولَ هُوَ الَّذِي يُبَلِّغُ كَلاَمَ مَنْ أَرْسَلَهُ، فَهٰذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ كَلاَمُ مَنْ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ وَمُحَمَّداً ﷺ، فَجِبْرِيلُ تَلَقَّاهُ عَنِ اللّٰهِ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ تَلَقَّاهُ عَنْ جِبْرِيلَ.)

وَقَدْ وَصَفَ اللّٰهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْمَلَكِيَّ فِي هٰذِهِ السُّورَةِ بِأَنَّهُ كَرِيمٌ، يُعْطِي أَفْضَلَ الْعَطَايَا ـ وَهِيَ الْعِلْمُ، وَالْمَعْرِفَةُ، وَالْهِدَايَةُ، وَالبِرُّ، وَالإِرْشَادُ ـ، وَهٰذَا غَايَةُ الْكَرَمِ.

و﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ كَمَا قَالَ فِي النَّجْمِ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ فَيَمْنَعُ بِقُوَّتِهِ الشَّيَاطِينَ أَنْ يَدْنُوا مِنْهُ، وَأَنْ يَزِيدُوا فِيهِ أَوْ يَنْقُصُوا مِنْهُ، وَرُوِيَ[1] أَنَّهُ رَفَعَ قَرْيَاتِ قَوْمِ لُوطٍ الأَرْبَعَ عَلَى قَوَادِمِ جَنَاحِهِ حَتَّى سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ نُبَاحَ كِلاَبِهَا وَأَصْوَاتَ بَنِيهَا.

﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾، أَيْ: مُتَمَكِّنِ الْمَنْزِلَةِ، وَهٰذِهِ الْعِنْدِيَّةُ عِنْدِيَّةُ الإِكْرَامِ وَالتَّشْرِيفِ وَالتَّعْظِيمِ.

﴿مُّطَاعٍ﴾ فِي مَلاَئِكَةِ اللّٰهِ تَعَالَى الْمُقَرَّبِينَ، يَصْدُرُونَ عَنْ أَمْرِهِ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى رَأْيِهِ، ﴿ثَمَّ﴾ هُنَاكَ ﴿أَمِينٍ﴾ عَلَى وَحْيِ اللّٰهِ وَرِسَالَتِهِ، فَقَدْ عَصَمَهُ اللّٰهُ مِنَ الْخِيَانَةِ وَالزَّلَلِ. فَهٰذِهِ خَمْسُ صِفَاتٍ تَتَضَمَّنُ تَزْكِيَةَ سَنَدِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ سَمَاعُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ جِبْرِيلَ، وَسَمَاعُ جِبْرِيلَ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَنَاهِيكَ بِهٰذَا السَّنَدِ عُلُوًّا وَجَلاَلَةً، فَقَدْ تَوَلَّى اللّٰهُ تَزْكِيَتَهُ بِنَفْسِهِ.

---

(١) من رواية ابن عساكر.

ثُمَّ نَزَّهَ رَسُولَهُ الْبَشَرِيَّ ﷺ وَزَكَّاهُ مِمَّا يَقُولُ فِيهِ أَعْدَاؤُهُ فَقَالَ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾، وَهٰذَا أَمْرٌ يَعْلَمُونَهُ وَلاَ يَشُكُّونَ فِيهِ، وَإِنْ قَالُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ خِلاَفَهُ، فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ.

ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ رُؤْيَتِهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾، وَهٰذَا يَتَضَمَّنُ أَنَّهُ مَلَكٌ مَوْجُودٌ فِي الْخَارِجِ، يُرَى بِالْعِيَانِ، وَيُدْرَكُ بِالْبَصَرِ.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَ بِبَخِيلٍ بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ. وَأَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ الْغَيْبَ هٰهُنَا: الْقُرْآنُ وَالْوَحْيُ، وَقُرِىءَ ﴿بِظَنِينٍ﴾ وَمَعْنَاهُ: الْمُتَّهَمُ، وَالْمَعْنَى: وَمَا هٰذَا الرَّسُولُ ـ وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ ـ عَلَى الْقُرْآنِ بِمُتَّهَمٍ، بَلْ هُوَ أَمِينٌ فِيهِ، لاَ يَزِيدُ فِيهِ وَلاَ يَنْقُصُ مِنْهُ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ الآيَةَ[1]، أَقْسَمَ تَعَالَى بِالأَشْيَاءِ كُلِّهَا: مَا يُبْصَرُ مِنْهَا وَمَا لاَ يُبْصَرُ، وَهٰذَا أَعَمُّ قَسَمٍ وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ يَعُمُّ الْعُلْوِيَّاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ، وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةَ، وَمَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، فَذٰلِكَ كُلُّهُ دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ حَقٌّ ثَابِتٌ، كَمَا أَنَّ سَائِرَ الْمَوْجُودَاتِ مَا يُرَى مِنْهَا وَمَا لاَ يُرَى حَقٌّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[2]، فَكَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: إِنَّهُ حَقٌّ كَمَا أَنَّ مَا تُشَاهِدُونَهُ مِنَ الْخَلْقِ وَمَا لاَ تُشَاهِدُونَهُ حَقٌّ مَوْجُودٌ، وَيَكْفِي الإِنْسَانُ مِنْ جَمِيعِ مَا يُبْصِرُهُ وَمَا لاَ يُبْصِرُهُ نَفْسُهُ، وَمَبْدَأُ خَلْقِهِ وَنَشْأَتُهُ، وَمَا يُشَاهِدُهُ مِنْ أَحْوَالِهِ ظَاهِراً وَبَاطِناً، فَفِي ذٰلِكَ أَبْيَنُ دَلاَلَةٍ عَلَى

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٣.

وَحْدَانِيَّةِ الرَّبِّ، وَثُبُوتِ صِفَاتِهِ، وَصِدْقِ مَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، وَمَنْ لَمْ يُبَاشِرْ قَلْبُهُ ذٰلِكَ حَقِيقَةً لَمْ تُخَالِطْ بَشَاشَةُ الإِيمَانِ قَلْبَهُ.

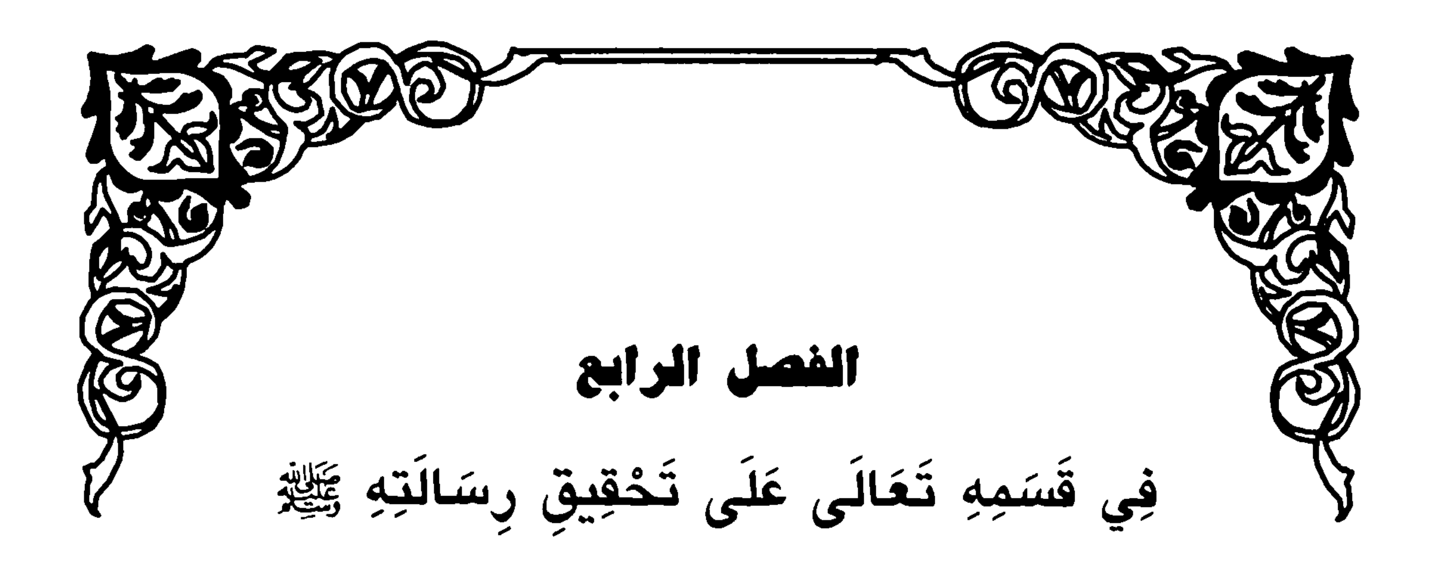
ثُمَّ أَقَامَ سُبْحَانَهُ الْبُرْهَانَ الْقَاطِعَ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَتَقَوَّلْ عَلَيْهِ فِيمَا قَالَهُ، وَأَنَّهُ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْهِ وَافْتَرَى لَمَا أَقَرَّهُ، وَلَعَاجَلَهُ بِالإِهْلاَكِ، فَإِنَّ كَمَالَ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ يَأْبَى أَنْ يُقِرَّ مَنْ تَقَوَّلَ عَلَيْهِ وَافْتَرَى عَلَيْهِ، وَأَضَلَّ عِبَادَهُ وَاسْتَبَاحَ دِمَاءَ مَنْ كَذَّبَهُ وَحَرِيمَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ وَأَقْدَرِ الْقَادِرِينَ أَنْ يُقِرَّ عَلَى ذٰلِكَ؟ بَلْ كَيْفَ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُؤَيِّدَهُ وَيَنْصُرَهُ وَيُغْلِبَهُ وَيُظْهِرَهُ وَيُظَفِّرَهُ بِهِمْ؛ فَيَسْفِكَ دِمَاءَهُمْ وَيَسْتَبِيحَ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلاَدَهُمْ وَبِلاَدَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ قَائِلاً إِنَّ اللّٰهَ أَمَرَنِي بِذٰلِكَ وَأَبَاحَهُ لِي؟ بَلْ كَيْفَ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُصَدِّقَهُ بِأَنْوَاعِ التَّصْدِيقِ كُلِّهَا، فَيُصَدِّقُهُ بِإِقْرَارِهِ وَبِالآيَاتِ الْمُسْتَلْزِمَةِ لِصِدْقِهِ، ثُمَّ يُصَدِّقُهُ بِأَنْوَاعِهَا كُلِّهَا عَلَى اخْتِلاَفِهَا، فَكُلُّ آيَةٍ عَلَى انْفِرَادِهَا مُصَدِّقَةٌ لَهُ، ثُمَّ يُقِيمُ الدَّلاَئِلَ الْقَاطِعَةَ عَلَى أَنَّ هٰذَا قَوْلُهُ وَكَلاَمُهُ، فَيَشْهَدُ لَهُ بِإِقْرَارِهِ وَفِعْلِهِ وَقَوْلِهِ، فَمِنْ أَعْظَمِ الْمُحَالِ وَأَبْطَلِ الْبَاطِلِ وَأَبْيَنِ الْبُهْتَانِ أَنْ يَجُوزَ عَلَى أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ أَنْ يَفْعَلَ ذٰلِكَ، وَالْمُرَادُ بِالرَّسُولِ الْكَرِيمِ هُنَا: مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى[1]: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ[2] (٧٩)﴾، قِيلَ: هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ. وَقِيلَ: الْكِتَابُ الَّذِي بِأَيْدِي الْمَلاَئِكَةِ. وَقِيلَ: الْمُصْحَفُ، وَرَجَّحَهُ ابْنُ الرِّفْعَةِ.

---

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٧٥ ـ ٧٧.

(٢) من بني آدم، ولا يمكن أن يكون المراد الملائكة، لأنه ليس في السماء غير مطهّر. والمفهوم من الخبر النهي على جميع المذاهب، قال ﷺ: **«لا تمسّ القرآن إلا وأنت على طُهر»** رواه أبو داود والنسائي.



الفصل الرابع

فِي قَسَمِهِ تَعَالَى عَلَى تَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ ﷺ

قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ الآيَةَ[1]، قَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ: يَا مُحَمَّدُ[2]!

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ قَسَمٌ أَقْسَمَ اللّهُ تَعَالَى بِهِ، وَهُوَ مِنْ أَسْمَائِهِ[3].

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾، وَهُوَ رَدٌّ عَلَى الكُفَّارِ حَيْثُ قَالُوا: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾[4]، فَأَقْسَمَ اللّهُ بِاسْمِهِ وَكِتَابِهِ: إِنَّهُ ﷺ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ بِوَحْيِهِ إِلَى عِبَادِهِ، وَعَلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ مِنْ إِيمَانِهِ ـ أَيْ: طَرِيقٍ لاَ اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَلاَ عُدُولَ عَنِ الْحَقِّ ـ.

قَالَ النَّقَّاشُ: لَمْ يُقْسِمِ اللّهُ تَعَالَى لأَحَدٍ مِنْ أَنْبِيَائِهِ بِالرِّسَالَةِ فِي كِتَابِهِ إِلاَّ لَهُ ﷺ.

---

(١) سورة يٓس، الآيات: ١ ـ ٤.

(٢) أي معنىٰ يٓس: يا محمد. وابن الحنفية هو محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، والحنفية أمه، واشتهر بنسبته إليها تمييزاً عن السبطين (الحسن والحسين) رضي الله عنهما.

(٣) أي: من أسماء الله تعالىٰ، كما في الشفا ١/٨٨.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٤٣.



الفصل الخامس

فِي قَسَمِهِ بِحَيَاتِهِ ﷺ، وَعَصْرِهِ، وَبَلَدِهِ

[القَسَمُ بِحَيَاتِهِ ﷺ]

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾[١]، الْعَمْرُ: هُوَ الْعُمُرُ، وَيُفْتَحُ فِي الْقَسَمِ، وَيَعْمَهُونَ: يَتَحَيَّرُونَ، وَفِي الْمُخَاطَبِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمَلائِكَةَ قَالَتْهُ لِلُوطٍ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَالثَّانِي: أَنَّ الْخِطَابَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّهُ تَعَالَى أَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ، وَفِي هٰذَا تَشْرِيفٌ عَظِيمٌ وَمَقَامٌ رَفِيعٌ وَجَاهٌ عَرِيضٌ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا خَلَقَ اللَّهُ وَمَا ذَرَأَ وَمَا بَرَأَ[٢] نَفساً أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا سَمِعْتُ اللَّهَ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِهِ[٣]. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾، يَقُولُ: وَحَيَاتِكَ وَعُمْرِكَ وَبَقَائِكَ فِي الدُّنْيَا إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ. رَوَاهُ ابن جرير.

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٧٢.

(٢) ذرأ وبرأ: خلق.

(٣) رواه البيهقي في دلائله، وأبو نُعيم، وأبو يعلىٰ.

وَرَوَاهُ البغوي فِي تَفْسِيرِهِ بِلَفظ: وَمَا أَقْسَمَ اللّهُ بِحَيَاةِ أَحَدٍ إلاَّ بِحَيَاتِهِ ﷺ، وَمَا أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِهِ، وَذٰلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَكْرَمُ خَلْقِ اللّهِ عَلَى اللّهِ.

❋ ❋ ❋

[القَسَمُ بِبَلَدِهِ ﷺ]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾ الآيَةَ[1]، أَقْسَمَ تَعَالَى بِالْبَلَدِ الأَمِينِ، وَهُوَ مَكَّةُ أُمُّ الْقُرَى، وَهُوَ بَلَدُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَقَيَّدَهُ بِحُلُولِهِ فِيهِ إظْهَاراً لِمَزِيدِ فَضْلِهِ، وَإِشْعَاراً بِأَنَّ شَرَفَ الْمَكَانِ بِشَرَفِ أَهْلِهِ. قَالَهُ الْبَيْضَاوِيُّ.

ثُمَّ أَقْسَمَ بِالْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ، وَهُوَ فِيمَا قِيلَ: إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ، وَمَا وَلَدَ: مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾ هُوَ مِنَ الْحُلُولِ، فَيَتَضَمَّنُ إِقْسَامَهُ تَعَالَى بِبَلَدِهِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، فَهُوَ خَيْرُ الْبِقَاعِ، وَاشْتَمَلَ عَلَى خَيْرِ الْعِبَادِ، فَقَدْ جَعَلَ اللّهُ تَعَالَى بَيْتَهُ[2] هُدًى لِلنَّاسِ، وَنَبِيَّهُ إِمَاماً وَهَادِياً لَهُمْ، وَذٰلِكَ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَى خَلْقِهِ، وَلاَ يَخْفَى مَا فِي قَسَمِهِ تَعَالَى بِبَلَدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ مِنْ زِيَادَةِ التَّعْظِيمِ.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ لِلْنَبِيِّ ﷺ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللّهِ! لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ اللّهِ أَنْ أَقْسَمَ بِحَيَاتِكَ دُونَ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَهُ أَنْ أَقْسَمَ بِبَلَدِكَ فَقَالَ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾ قِيلَ: مَكَّةُ، وَقِيلَ: الْمَدِينَةُ.

---

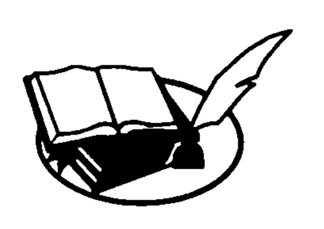
(١) سورة البلد، الآيتان: ١، ٢.

(٢) كعبته.

[القَسَمُ بِعَصْرِهِ ﷺ]

وَقَالَ تَعَالَى[1]: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾، وَفِي تَفْسِيرِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ وَالْبَيْضَاوِيِّ وَغَيْرِهِمَا: أَنَّهُ أَقْسَمَ بِزَمَانِ الرَّسُولِ ﷺ، قَالَ الإِمَامُ الرَّازِيُّ: وَاحْتَجُّوا لَهُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «**إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مَثَلُ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ مِنَ الْفَجْرِ إِلَى الظُّهْرِ بِقِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ مِنَ الظُّهْرِ إِلَى الْعَصْرِ بِقِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ مِنَ الْعَصْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ بِقِيرَاطَيْنِ؟ فَعَمِلْتُمْ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلاً، وَأَقَلُّ أَجْراً، فَقَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: وَهَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ شَيْئاً؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: فَذٰلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ، فَكُنْتُمْ أَقَلَّ عَمَلاً، وَأَكْثَرَ أَجْراً**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[2].

قَالُوا: فَهٰذَا الْحَدِيثُ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْعَصْرَ هُوَ عَصْرُهُ ﷺ، الَّذِي هُوَ فِيهِ، فَيَكُونُ عَلَى هٰذَا أَقْسَمَ تَعَالَى بِزَمَانِهِ فِي هٰذِهِ الآيَةِ، وَبِمَكَانِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ۝٢﴾، وَبِعَمْرِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَعَمْرُكَ﴾، وَذٰلِكَ كُلُّهُ كَالظَّرْفِ، فَكَيْفَ حَالُ الْمَظْرُوفِ، قَالَ: وَوَجْهُ الْقَسَمِ وَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: مَا أَعْظَمَ خُسْرَانَهُمْ إِذْ أَعْرَضُوا عَنْكَ، فَانْظُرْ شِدَّةَ اعْتِنَاءِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي شَأْنِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ تَعْلَمْ أَنَّهُ أَحَبُّ خَلْقِ اللّٰهِ إِلَى اللّٰهِ. اهـ



---

(١) في سورة العصر.

(٢) ومسلم، واللفظ لمسلم.

النوع السادس
فِي وَصْفِهِ تَعَالَى لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِالنُّورِ وَالسِّرَاجِ الْمُنِيرِ

اِعْلَمْ أَنَّ اللّهَ تَعَالَى قَدْ وَصَفَ رَسُولَهُ ﷺ بِالنُّورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[1]، وَقِيلَ: الْمُرَادُ الْقُرْآنُ.

وَوَصَفَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَيْضاً بِالسِّرَاجِ الْمُنِيرِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[2]، وَالْمُرَادُ: كَوْنُهُ هَادِياً مُبَيِّناً كَالسِّرَاجِ الَّذِي يُرِي الطَّرِيقَ وَيُبَيِّنُ الْهُدَى وَالرَّشَادَ، فَبَيَانُهُ أَقْوَى وَأَتَمُّ وَأَنْفَعُ مِنْ نُورِ الشَّمْسِ، وَإِذَا كَانَ كَذٰلِكَ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ نَفْسُهُ الْقُدْسِيَّةُ أَعْظَمَ فِي النُّورَانِيَّةِ مِنَ الشَّمْسِ، فَكَمَا أَنَّ الشَّمْسَ فِي عَالَمِ الأَجْسَامِ تُفِيدُ النُّورَ لِغَيْرِهَا وَلاَ تَسْتَفِيدُ مِنْ غَيْرِهَا، فَكَذَا نَفْسُ النَّبِيِّ ﷺ تُفِيدُ الأَنْوَارَ الْعَقْلِيَّةَ لِسَائِرِ الأَنْفُسِ الْبَشَرِيَّةِ، وَكَذٰلِكَ وَصَفَ اللّهُ الشَّمْسَ بِأَنَّهَا سِرَاجٌ حَيْثُ قَالَ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾[3].

وَكَمَا وَصَفَ اللّهُ رَسُولَهُ بِأَنَّهُ نُورٌ وَصَفَ نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ بِذٰلِكَ فَقَالَ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4]، فَلَيْسَ فِيهِمَا إِلاَّ نُورُ اللّهِ، وَنُورُهُ الْمُقَدَّسُ هُوَ سِرُّ الْوُجُودِ وَالْحَيَاةِ، وَالْجَمَالِ وَالْكَمَالِ، وَهُوَ الَّذِي أَشْرَقَ عَلَى الْعَالَمِ، فَأَشْرَقَ عَلَى الْعَوَالِمِ الرُّوحَانِيَّةِ ـ وَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ـ فَصَارَتْ سُرُجاً مُنِيرَةً يَسْتَمِدُّ مِنْهَا مَنْ دُونَهَا بُجُودِ اللّهِ، ثُمَّ سَرَى النُّورُ إِلَى عَالَمِ النُّفُوسِ الإِنْسَانِيَّةِ، ثُمَّ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٦.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦١.

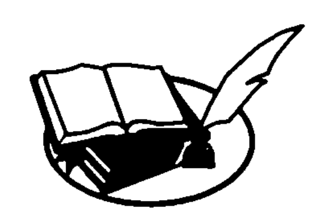
(٤) سورة النور، الآية: ٣٥. أي: مُنَوِّرُهُما.

طَرَحَتْهُ النُّفُوسُ عَلَى صَفَحَاتِ الْجُسُومِ، فَلَيْسَ فِي الْوُجُودِ إِلاَّ نُورُ اللّهِ السَّارِي إِلَى الشَّيْءِ مِنْهُ بِقَدْرِ قَبُولِهِ، وَوُسْعِ اسْتِعْدَادِهِ، وَرَحْبِ تَلَقِّيهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أَيْ: مَثَلُ هُدَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَعَنْ مُقَاتِلٍ، أَيْ: مَثَلُ الإِيمَانِ فِي قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَمِشْكَاةٍ[1] فِيهَا مِصْبَاحٌ، فَالْمِشْكَاةُ: نَظِيرُ صُلْبِ عَبْدِاللّهِ، وَالزُّجَاجَةُ: نَظِيرُ جَسَدِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْمِصْبَاحُ: نَظِيرُ الإِيمَانِ وَالنُّبُوَّةِ فِي قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَعَنْ غَيْرِهِ: الْمِشْكَاةُ: نَظِيرُ إِبْرَاهِيمَ، وَالزُّجَاجَةُ: نَظِيرُ إِسْمَاعِيلَ، وَالْمِصْبَاحُ: جَسَدُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالشَّجَرَةُ: النُّبُوَّةُ وَالرِّسَالَةُ.



(١) كُوَّة.

النوع السابع
فِي آيَاتٍ تَتَضَمَّنُ وُجُوبَ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ ﷺ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾(1)، وَقَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾(2)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾(3)، قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: فَجَعَلَ طَاعَتَهُ طَاعَةَ رَسُولِهِ، وَقَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ، وَوَعَدَ عَلَى ذٰلِكَ بِجَزِيلِ الثَّوَابِ، وَأَوْعَدَ عَلَى مُخَالَفَتِهِ بِسُوءِ الْعِقَابِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾، يَعْنِي: مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ لِكَوْنِهِ رَسُولاً مُبَلِّغاً إِلَى الْخَلْقِ أَحْكَامَ اللّٰهِ فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مَا أَطَاعَ إِلاَّ اللّٰهَ، وَذٰلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ لاَ يَكُونُ إِلاَّ بِتَوْفِيقِ اللّٰهِ، ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾(4)، فَإِنَّ مَنْ أَعْمَاهُ اللّٰهُ عَنِ الرُّشْدِ، وَأَضَلَّهُ عَنِ الطَّرِيقِ؛ فَإِنَّ أَحَداً مِنْ خَلْقِ اللّٰهِ لاَ يَقْدِرُ عَلَى إِرْشَادِهِ، وَهَذِهِ الآيَةُ مِنْ أَقْوَى الأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ مَعْصُومٌ فِي جَمِيعِ الأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، وَفِي كُلِّ مَا يُبَلِّغُهُ عَنِ اللّٰهِ، لأَنَّهُ لَوْ أَخْطَأَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا لَمْ تَكُنْ طَاعَتُهُ طَاعَةً لِلّٰهِ تَعَالَى، وَأَيْضاً وَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَعْصُوماً فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ، لأَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِمُتَابَعَتِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾(5)، وَالْمُتَابَعَةُ عِبَارَةٌ عَنِ الإِتْيَانِ بِمِثْلِ فِعْلِ الْغَيْرِ، فَثَبَتَ أَنَّ الانْقِيَادَ

---

(1) سورة الأنفال، الآية: ٢٠.
(2) سورة آل عمران، الآية: ١٣٢.
(3) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.
(4) سورة النساء، الآية: ٨٠.
(5) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

لَهُ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ـ إِلاَّ مَا خَصَّهُ الدَّلِيلُ بِهِ ـ طَاعَةٌ لَهُ وَانْقِيَادٌ لِحُكْمِ اللّهِ تَعَالَى.

قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ الآيَةَ[1]، وَهٰذَا عَامٌّ فِي الْمُطِيعِينَ لِلّهِ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَقَدْ ذَكَرُوا فِي سَبَبِ نُزُولِ الآيَةِ: أَنَّ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ كَانَ شَدِيدَ الْحُبِّ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ، قَلِيلَ الصَّبْرِ عَنْهُ، فَأَتَاهُ يَوْماً وَقَدْ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ، وَنَحِلَ جِسْمُهُ، وَعُرِفَ الْحُزْنُ فِي وَجْهِهِ، فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَنْ حَالِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! مَا بِي وَجَعٌ، غَيْرَ أَنِّي إِذَا لَمْ أَرَكَ اشْتَقْتُكَ وَاسْتَوْحَشْتُ وَحْشَةً عَظِيمَةً حَتَّى أَلْقَاكَ، فَذَكَرْتُ الآخِرَةَ بِحَيْثُ لاَ أَرَاكَ هُنَاكَ، لأَنِّي إِنْ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَأَنْتَ تَكُونُ فِي دَرَجَاتِ النَّبِيِّينَ، وَإِنْ أَنَا لَمْ أَدْخُلِ الْجَنَّةَ فَحِينَئِذٍ لاَ أَرَاكَ أَبداً، فَنَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ.

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِم عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ: يَا رَسُولَ اللّهِ! مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُفَارِقَكَ، فَإِنَّكَ لَوْ قَدْ مُتَّ لَرُفِعْتَ فَوْقَنَا وَلَمْ نَرَكَ، فَأَنْزَلَ اللّهُ الآيَةَ.

وَذَكَرَ عَنْ عِكْرِمَةَ مُرْسَلاً قَالَ: أَتَى فَتًى لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّ لَنَا مِنكَ نَظْرَةً فِي الدُّنْيَا، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ نَرَاكَ، فَإِنَّكَ فِي الْجَنَّةِ فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى، فَأَنْزَلَ اللّهِ هٰذِهِ الآيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**أَنْتَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ**».

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

قَالَ الْمُحَقِّقُونَ: لاَ تُنْكَرُ صِحَّةُ هٰذِهِ الرِّوَايَاتِ، إلاَّ أَنَّ سَبَبَ نُزُولِ هٰذِهِ الآيَةِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ شَيْئاً أَعْظَمَ مِنْ ذٰلِكَ، وَهُوَ الْحَثُّ عَلَى الطَّاعَةِ، وَالتَّرْغِيبُ فِيهَا، فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ خُصُوصَ السَّبَبِ لاَ يَقْدَحُ فِي عُمُومِ اللَّفْظِ، فَهٰذِهِ الآيَةُ عَامَّةٌ فِي حَقِّ جَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ، وَهُوَ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَطَاعَ اللّهَ وَأَطَاعَ الرَّسُولَ فَقَدْ فَازَ بِالدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ وَالْمَرَاتِبِ الشَّرِيفَةِ عِنْدَهُ تَعَالَى، وَقَدْ ثَبَتَ وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[١]، وَثَبَتَ عَنْهُ أَيْضاً عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَاماً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً وَلاَ نَزَلْتُمْ مَنْزِلاً إِلاَّ وَهُمْ مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»[٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[٣]، وَهٰذِهِ الآيَةُ الشَّرِيفَةُ تُسَمَّى آيَةَ الْمَحَبَّةِ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: ادَّعَى قَوْمٌ مَحَبَّةَ اللّهِ فَأَنْزَلَ اللّهُ هٰذِهِ الآيَةَ إِشَارَةً إِلَى دَلِيلِ الْمَحَبَّةِ وَثَمَرَتِهَا وَفَائِدَتِهَا، فَدَلِيلُهَا وَعَلاَمَتُهَا: اتِّبَاعُ الرَّسُولِ، وَفَائِدَتُهَا وَثَمَرَتُهَا: مَحَبَّةُ الْمُرْسِلِ لَكُمْ، فَمَا لَمْ تَحْصُلِ الْمُتَابَعَةُ فَلاَ مَحَبَّةَ لَكُمْ حَاصِلَةٌ، وَمَحَبَّتُهُ لَكُمْ مُنْتَفِيَةٌ، وَيَسْتَحِيلُ ثُبُوتُ مَحَبَّتِهِمْ لِلّهِ وَثُبُوتُ مُحَبَّةِ اللّهِ لَهُمْ بِدُونِ الْمُتَابَعَةِ لِرَسُولِهِ ﷺ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مُتَابَعَةَ الرَّسُولِ هِيَ حُبُّ اللّهِ وَرَسُولِهِ، وَطَاعَةُ أَمْرِهِ، وَلاَ يَكْفِي ذٰلِكَ فِي الْعُبُودِيَّةِ حَتَّى يَكُونَ اللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَتَى كَانَ شَيْءٌ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُمَا فَهٰذَا هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي لاَ يُغْفَرُ لِصَاحِبِهِ أَلْبَتَّةَ، وَلاَ يَهْدِيهِ اللّهُ، قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه البخاري. وكان ذلك حين رجوعه ﷺ من غزوة تبوك.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾[1]، فَكُلُّ مَنْ قَدَّمَ طَاعَةَ أَحَدٍ مِنْ هٰؤُلاَءِ عَلَى طَاعَةِ اللّهِ وَرَسُولِهِ؛ أَوْ قَوْلَ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى قَوْلِ اللّهِ وَرَسُولِهِ؛ أَوْ مَرْضَاةَ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى مَرْضَاةِ اللّهِ وَرَسُولِهِ؛ أَوْ خَوْفَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَوْ رَجَاءَهُ أَوِ التَّوَكُّلَ عَلَيْهِ عَلَى خَوْفِ اللّهِ وَرَجَائِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ؛ أَوْ مُعَامَلَةَ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى مُعَامَلَةِ اللّهِ وَرَسُولِهِ؛ فَهُوَ مِمَّنْ لَيْسَ اللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَإِنْ قَالَ بِلِسَانِهِ فَهُوَ كَذِبٌ مِنْهُ وَإِخْبَارٌ بِمَا لَيْسَ هُوَ عَلَيْهِ. انْتَهَى مُلَخَّصاً مِنْ كِتَابِ مَدَارِجِ السَّالِكِينَ.

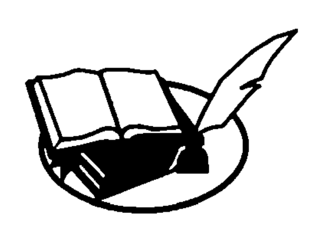
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2] أَيْ: إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَجَعَلَ رَجَاءَ الاهْتِدَاءِ أَثَرَ الأَمْرَيْنِ (الإِيمَانِ بِالرَّسُولِ، وَاتِّبَاعِهِ)، تَنْبِيهاً عَلَى أَنَّ مَنْ صَدَّقَهُ وَلَمْ يُتَابِعْهُ بِالْتِزَامِ شَرْعِهِ فَهُوَ فِي الضَّلاَلَةِ، فَكُلُّ مَا أَتَى بِهِ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَجِبُ عَلَيْنَا اتِّبَاعُهُ، إِلاَّ مَا خَصَّهُ الدَّلِيلُ بِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾[3] يَعْنِي: الْقُرْآنَ، فَالإِيمَانُ بِهِ ﷺ وَاجِبٌ مُتَعَيِّنٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، لاَ يَتِمُّ إِيمَانٌ إِلاَّ بِهِ، وَلاَ يَصِحُّ إِسْلاَمٌ إِلاَّ مَعَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا[4] لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾[5] أَيْ: وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٤.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٣) سورة التغابن، الآية: ٨.
(٤) هيأنا.
(٥) سورة الفتح، الآية: ١٣.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآيَةَ[1]، مَعْنَاهَا: فَوَرَبِّكَ، وَ«لاَ»: مَزِيدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ لِمَعْنَى الْقَسَمِ، وَلاَ يُؤْمِنُونَ: جَوَابُ الْقَسَمِ، أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ الْمُقَدَّسَةِ أَنَّهُ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدٌ حَتَّى يُحَكِّمَ الرَّسُولَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَيَرْضَى بِجَمِيعِ مَا حَكَمَ بِهِ، وَيَنْقَادُ لَهُ ظَاهِراً وَبَاطِناً، سَوَاءٌ كَانَ الْحُكْمُ بِمَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ أَوْ يُخَالِفُهَا، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ**»[2]. وَهٰذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ الرَّسُولِ ﷺ لاَ يَكُونُ مُؤْمِناً، وَعَلَى أَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْ حُصُولِ الرِّضَا بِحُكْمِهِ فِي الْقَلْبِ، وَذٰلِكَ بِأَنْ يَحْصُلَ الْجَزْمُ وَالتَّيَقُّنُ فِي الْقَلْبِ بِأَنَّ الَّذِي يَحْكُمُ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ هُوَ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ، فَلاَ بُدَّ مِنَ الانْقِيَادِ لَهُ ﷺ بَاطِناً وَظَاهِراً.



(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٢) قال النووي في الأربعين النووية الحديث ٤١: حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

النوع الثامن
فِيمَا يَتَضَمَّنُ الأدَبَ مَعَهُ ﷺ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1]، قَالَ مُجَاهِدٌ: لاَ تَفْتَاتُوا[2] عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ بِشَيْءٍ حَتَّى يَقْضِيَهُ اللّٰهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِهِ، وَانْظُرْ أَدَبَ الْصِّدِّيقِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ مَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي الْصَّلاَةِ أَنْ[3] تَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ[4] كَيْفَ تَأَخَّرَ فَقَالَ[5]: مَا كَانَ لاِبْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ، وَكَيْفَ أَوْرَثَهُ اللّٰهُ مَقَامَهُ وَالإِمَامَةَ بَعْدَهُ.

وَقَالَ الْضَّحَّاكُ: لاَ تَقْضُوا أَمْراً دُونَ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: لاَ تَأْمُرُوا حَتَّى يَأْمُرَ، وَلاَ تَنْهَوا حَتَّى يَنْهَى.

فَمِنَ الأَدَبِ: أَنْ لاَ يُتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِأَمْرٍ وَلاَ نَهْيٍ وَلاَ إِذْنٍ وَلاَ تَصَرُّفٍ حَتَّى يَأْمُرَ هُوَ وَيَنْهَى وَيَأْذَنَ، كَمَا أَمَرَ اللّٰهُ تَعَالَى بِذٰلِكَ فِي هٰذِهِ الآيَةِ، وَهٰذَا بَاقٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَمْ يُنْسَخْ، فَالتَّقَدُّمُ بَيْنَ يَدَيْ سُنَّتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَالتَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي حَيَاتِهِ، لاَ فَرْقَ بَيْنَهُمَا عِنْدَ ذِي عَقْلٍ سَلِيمٍ.

وَمِنَ الأَدَبِ مَعَهُ ﷺ: أَنْ لاَ تُرْفَعَ الأَصْوَاتُ فَوْقَ صَوْتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾[6]، قَالَ الْرَّازِيُّ: أَفَادَ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لاَ يَتَكَلَّمَ

(١) سورة الحجرات، الآية: ١.
(٢) لا تنفردوا.
(٣) في المواهب: إذ.
(٤) ليصلي إماماً بالناس في مرضه ﷺ، فلما خرج ﷺ من بيته تأخر أبو بكر رضي الله عنه.
(٥) في المواهب: وقال.
(٦) سورة الحجرات، الآية: ٢.

الْمُؤْمِنُ عِنْدَهُ ﷺ كَمَا يَتَكَلَّمُ الْعَبْدُ عِنْدَ سَيِّدِهِ، أَيْ: بَلْ يَكُونُ صَوْتُهُ دُونَ صَوْتِهِ مَعَ سَيِّدِهِ.

وَإِذَا كَانَ رَفْعُ الأَصْوَاتِ فَوْقَ صَوْتِهِ ﷺ مُوجِباً لِحُبُوطِ الأَعْمَالِ؛ فَمَا الظَّنُّ بِرَفْعِ الآرَاءِ وَنَتَائِجِ الأَفْكَارِ عَلَى سُنَّتِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ ﷺ.

وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ قَالَ: وَاللّهِ يَا رَسُولَ اللّهِ! لاَ أُكَلِّمُكَ إِلاَّ كَأَخِي السِّرَارِ ـ أَي: الْكَلامَ الْخَفِيَّ الَّذِي يُرَادُ كَتْمُهُ ـ، وَأَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا حَدَّثَهُ كَأَخِي السِّرَارِ، مَا كَانَ يَسْمَعُ النَّبِيُّ ﷺ حَدِيثَهُ بَعْدَ هٰذِهِ الآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ.

وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَاظَرَ مَالِكاً فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لاَ تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِي هٰذَا الْمَسْجِدِ، فَإِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَدَّبَ قَوْماً فَقَالَ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾، وَمَدَحَ قَوْماً فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ الآيَةَ[1]، وَذَمَّ قَوْماً[2] فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ الآيَةَ[3]، وَإِنَّ حُرْمَتَهُ مَيْتاً كَحُرْمَتِهِ حَيًّا، فَاسْتَكَانَ لَهَا أَبُو جَعْفَرٍ.

وَمِنَ الأَدَبِ مَعَهُ ﷺ: أَنْ لاَ يُجْعَلَ دُعَاؤُهُ كَدُعَاءِ بَعْضِنَا بَعْضاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ﴾[4]، وَفِيهِ قَوْلاَنِ لِلْمُفَسِّرِينَ:

أَحَدُهُمَا: لاَ تَدْعُوهُ بِاسْمِهِ كَمَا يَدْعُو بَعْضُكُمْ بَعْضاً، بَلْ قُولُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ! يَا نَبِيَّ اللّهِ! مَعَ التَّوْقِيرِ وَالتَّوَاضُعِ.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٣.

(٢) وهم وفد بني تميم الذين أتوا رسول الله ﷺ وقت الظهيرة وهو راقد، ونادوا النبي ﷺ: أُخرج إلينا يا محمد، فإن مَدْحنا زَين، وذمَّنا شَين.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٤.

(٤) سورة النور، الآية: ٦٣.

الثَّانِي: أَنَّ الْمَعْنَى: لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَهُ لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ دُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً، إِنْ شَاءَ الْمَدْعُوُّ أَجَابَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ، بَلْ إِذَا دَعَاكُمْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بُدٌّ مِنْ إِجَابَتِهِ، وَلَمْ يَسَعْكُمُ التَّخَلُّفُ عَنْهَا أَلْبَتَّةَ، فَإِنَّ الْمُبَادَرَةِ إِلَى إِجَابَتِهِ وَاجِبَةٌ، وَالْمُرَاجَعَةَ[1] بِغَيْرِ إِذْنِهِ مُحَرَّمَةٌ.

وَمِنَ الأَدَبِ مَعَهُ ﷺ: أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ مِنْ خُطْبَةٍ أَوْ جِهَادٍ أَوْ رِبَاطٍ لَمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ مَذْهَباً فِي حَاجَةٍ لَهُ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾[2].

وَمِنَ الأَدَبِ مَعَهُ ﷺ: أَنَّهُ لاَ يُسْتَشْكَلُ قَوْلُهُ، بَلْ تُسْتَشْكَلُ الآرَاءُ بِقَوْلِهِ، وَلاَ يُعَارَضُ نَصُّهُ بِقِيَاسٍ، بَلْ تُهْدَرُ الأَقْيِسَةُ وَتُلْقَى لِنُصُوصِهِ، وَلاَ يُحَرَّفُ كَلاَمُهُ عَنْ حَقِيقَتِهِ لِخَيَالِ مُخَالِفٍ تُسَمِّيهِ[3] أَصْحَابُهُ مَعْقُولاً، نَعَمْ، هُوَ مَجْهُولٌ وَعَنِ الصَّوَابِ مَعْزُولٌ، وَلاَ يَتَوَقَّفُ قَبُولُ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى مُوَافَقَةِ أَحَدٍ، فَكُلُّ هٰذَا مِنْ قِلَّةِ الأَدَبِ مَعَهُ، وَهُوَ عَيْنُ الْجُرْأَةِ عَلَيْهِ ﷺ.

وَرَأْسُ الأَدَبِ مَعَهُ ﷺ: كَمَالُ التَّسْلِيمِ لَهُ وَالانْقِيَادِ لأَمْرِهِ، وَتَلَقِّي خَبَرِهِ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ، دُونَ أَنْ يَحْمِلَهُ مُعَارَضَةُ خَيَالٍ بَاطِلٍ عَلَى أَنْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ آرَاءَ الرِّجَالِ، فَيُوَحِّدُ التَّحْكِيمَ وَالتَّسْلِيمَ وَالانْقِيَادَ لِلرَّسُولِ، كَمَا وَحَّدَ الْمُرْسِلَ بِالْعِبَادَةِ، فَهُمَا تَوْحِيدَانِ لاَ نَجَاةَ إِلاَّ بِهِمَا.

وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ بِالآيَاتِ الْمُرْشِدَةِ إِلَى الأَدَبِ مَعَهُ ﷺ.

---

(١) وهي ترك إجابته.

(٢) سورة النور، الآية: ٦٢.

(٣) في المواهب: يسمّيه.

النوع التاسع
فِي آيَاتٍ تَتَضَمَّنُ رَدَّهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ عَلَى عَدُوِّهِ ﷺ تَرْفِيعاً لِشَأْنِهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾[1] لَمَّا قَالَ الْمُشْرِكُونَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[2]، أَجَابَ تَعَالَى عَنْهُ عَدُوَّهُ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَهٰكَذَا سُنَّةُ الأَحْبَابِ، فَإِنَّ الْحَبِيبَ إِذَا سَمِعَ مَنْ يَسُبُّ حَبِيبَهُ تَوَلَّى بِنَفْسِهِ جَوَابَهُ، فَهٰهُنَا تَوَلَّى الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَوَابَهُمْ بِنَفْسِهِ مُنْتَصِراً لَهُ، لأَنَّ نُصْرَتَهُ تَعَالَى لَهُ أَتَمُّ مِنْ نُصْرَتِهِ، وَأَرْفَعُ لِمَنْزِلَتِهِ، فَأَقْسَمَ تَعَالَى بِمَا أَقْسَمَ بِهِ مِنْ عَظِيمِ آيَاتِهِ عَلَى تَنْزِيهِ رَسُولِهِ مِمَّا افْتَرَتْ بِهِ عَلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ الْكَفَرَةُ وَتَكْذِيبِهِمْ لَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾، وَسَيَعْلَمُ أَعْدَاؤُهُ الْمُكَذِّبُونَ لَهُ أَيُّهُمُ الْمَفْتُونُ[3]، هُوَ أَوْ هُمْ فِي الدُّنْيَا؟ وَيَزْدَادُ عِلْمُهُمْ بِهِ فِي الْبَرْزَخِ، وَيَنْكَشِفُ وَيَظْهَرُ كُلَّ الظُّهُورِ فِي الآخِرَةِ، بِحَيْثُ يَتَسَاوَى الْخَلْقُ كُلُّهُمْ فِي الْعِلْمِ بِهِ ﷺ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢﴾[4].

وَلَمَّا رَأَى الْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ النَّبِيَّ ﷺ يَخْرُجُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَدْخُلُ، فَالْتَقَيَا عِنْدَ بَابِ بَنِي سَهْمٍ، وَتَحَدَّثَا وَأُنَاسٌ مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ جُلُوسٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا دَخَلَ الْعَاصِي قَالُوا: مَنْ ذَا الَّذِي كُنْتَ تَحَدَّثُ مَعَهُ؟ قَالَ: ذٰلِكَ الأَبْتَرُ ـ يَعْنِي: النَّبِيَّ ﷺ ـ، وَكَانَ قَدْ تُوُفِّيَ ابْنٌ

---

(١) سورة القلم، الآيتان: ١، ٢.
(٢) سورة الحِجْر، الآية: ٦.
(٣) المجنون.
(٤) سورة التكوير، الآية: ٢٢.

لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَدِيجَةَ، فَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَتَوَلَّى جَوَابَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾[1]، أَيْ: عَدُوَّكَ وَمُبْغِضَكَ هُوَ الذَّلِيلُ الْحَقِيرُ.

وَلَمَّا قَالُوا: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾[2] قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾[3].

وَلَمَّا قَالُوا: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾[4] أَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَقَالَ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾[5].

وَلَمَّا قَالُوا: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ۝٣٦﴾ رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣٧﴾ فَصَدَّقَهُ، ثُمَّ ذَكَرَ وَعِيدَ خُصَمَائِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ۝٣٨﴾[6].

وَلَمَّا قَالُوا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠﴾[7] رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩﴾[8].

وَلَمَّا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ قَوْلَهُمْ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ كَذَّبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾[9].

---

(١) سورة الكوثر، الآية: ٣.
(٢) سورة سبأ، الآية: ٨.
(٣) سورة سبأ، الآية: ٨.
(٤) سورة الرعد، الآية: ٤٣.
(٥) سورة يٓس، الآيات: ١ ـ ٣.
(٦) سورة الصافات، الآيات: ٣٦ ـ ٣٨.
(٧) أي: حوادث الدهر حتىٰ يهلك. سورة الطور، الآية: ٣٠.
(٨) سورة يٓس، الآية: ٦٩.
(٩) سورة الفرقان، الآية: ٤.

وَقَالَ رَدًّا لِقَوْلِهِمْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

وَلَمَّا قَالُوا: يُلْقِيهِ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ الآيَةَ[2].

وَلَمَّا تَلاَ عَلَيْهِمْ نَبأَ الأَوَّلِينَ قَالَ النَّضرُ بْنُ الْحَارِثِ: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[3]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى تَكْذِيباً لَهُمْ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[4].

وَلَمَّا قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾[5] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾[6] تَسْلِيَةً لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَلَمَّا قَالُوا: مُحَمَّدٌ قَلاَهُ[7] رَبُّهُ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾[8].

وَلَمَّا قَالُوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾[9]

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٠.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣١.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.
(٥) سورة المدّثر، الآية: ٢٤.
(٦) سورة الذاريات، الآية: ٥٢.
(٧) أبغضه.
(٨) سورة الضحىٰ، الآية: ٣.
(٩) سورة الفرقان، الآية: ٧.

قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾[1].

وَلَمَّا حَسَدَتْهُ أَعْدَاءُ اللّهِ الْيَهُودُ عَلَى كَثْرَةِ النِّكَاحِ وَالزَّوْجَاتِ وَقَالُوا: مَا هِمَّتُهُ إِلاَّ النِّكَاحُ رَدَّ اللّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ فَقَالَ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾[2].

وَلَمَّا اسْتَبْعَدُوا أَنْ يَبْعَثَ اللّهُ رَسُولاً مِنَ الْبَشَرِ بِقَوْلِهِمُ الَّذِي حَكَاهُ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾[3] وَجَهِلُوا أَنَّ التَّجَانُسَ يُورِثُ التَّأَنُّسَ، وَأَنَّ التَّخَالُفَ يُورِثُ التَّبَايُنَ، قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾[4]، أَيْ: لَوْ كَانُوا مَلائِكَةً لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُمْ مِنَ الْمَلائِكَةِ، لٰكِنْ لَمَّا كَانَ أَهْلُ الأَرْضِ مِنَ الْبَشَرِ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُمْ مِنَ الْبَشَرِ.

وَقَدْ كَانَتِ الأَنْبِيَاءُ إِنَّمَا يُدَافِعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَيَرُدُّونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، كَقَوْلِ نُوحٍ: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾[5]، وَقَوْلِ هُودٍ: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾[6].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٤.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٩٤.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩٥.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٦١.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٦٧.

النوع العاشر
فِي إِزَالَةِ الْشُّبُهَاتِ عَنْ آيَاتٍ وَرَدَتْ فِي حَقِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مُتَشَابِهَاتٍ

قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾[(١)]، اعْلَمْ أَنَّهُ قَدِ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ ﷺ مَا ضَلَّ لَحْظَةً وَاحِدَةً قطُّ، قَالَ فِي الْشِّفَاءِ: وَالصَّوَابُ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ مِنَ الْجَهْلِ بِاللّهِ وَصِفَاتِهِ، وَالتَّشْكِيكِ[(٢)] فِي شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ، وَقَدْ تَعَاضَدَتِ الأَخْبَارُ وَالآثَارُ عَنِ الأَنْبِيَاءِ بِتَنْزِيهِهِمْ عَنْ هٰذِهِ النَّقِيصَةِ مُنْذُ وُلِدُوا، وَنَشْأَتِهِمْ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالإِيمَانِ، بَلْ عَلَى إِشْرَاقِ أَنْوَارِ الْمَعَارِفِ وَنَفَحَاتِ أَلْطَافِ السَّعَادَةِ، وَلَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الأَخْبَارِ أَنَّ أَحداً نُبِّىءَ وَاصْطُفِيَ مِمَّنْ عُرِفَ بِكُفْرٍ وَإِشْرَاكٍ قَبْلَ ذٰلِكَ، وَمُسْتَنَدُ هٰذَا الْبَابِ النَّقْلُ.

وَاخْتُلِفَ فِي تَفْسِيرِ هٰذِهِ الآيَةِ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجَمَاعَةٌ: وَجَدَكَ ضَالاً عَنْ مَعَالِمِ النُّبُوَّةِ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾[(٣)]، أَيْ: مَا كُنْتَ تَدْرِي قَبْلَ الْوَحْيِ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ، وَلاَ كَيْفَ تَدْعُو الْخَلْقَ إِلَى الإِيمانِ. قَالَهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ.

قَالَ بَكْرٌ الْقَاضِي: ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ الَّذِي هُوَ الْفَرَائِضُ وَالأَحْكَامُ، وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَبْلُ مُؤْمِناً بِتَوْحِيدِهِ، ثُمَّ نَزَلَتِ الْفَرَائِضُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَدْرِيهَا قَبْلُ، فَازْدَادَ بِالتَّكْلِيفِ إِيمَاناً.

---

(١) سورة الضحىٰ، الآية: ٧.
(٢) في المواهب: والتشكُّك.
(٣) سورة الشورىٰ، الآية: ٥٢.

وَذَكَرَ الإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**ضَلَلْتُ عَنْ جَدِّي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَنَا صَبِيٌّ حَتَّى كَادَ الْجُوعُ يَقْتُلُنِي، فَهَدَانِي اللَّهُ**».

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْمَلُونَ بِهِ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ، كُلُّ ذٰلِكَ يَحُولُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ، ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهُمَا بِشَيْءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ، قُلْتُ لَيْلَةً لِغُلاَمٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَ يَرْعَى غَنَماً بِأَعْلَى مَكَّةَ: لَوْ حَفِظْتَ لِي غَنَمِي حَتَّى أَدْخُلَ مَكَّةَ فَأَسْمُرَ بِهَا كَمَا يَسْمُرُ الشَّبَابُ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ دُورِ أَهْلِ مَكَّةَ سَمِعْتُ عَزْفاً بِالدُّفُوفِ وَالْمَزَامِيرِ، فَجَلَسْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنَيَّ فَنِمْتُ، فَمَا أَيْقَظَنِي إِلاَّ مَسُّ الشَّمْسِ، ثُمَّ قُلْتُ لَيْلَةً أُخْرَى مِثْلَ ذٰلِكَ، فَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنَيَّ فَنِمْتُ، فَمَا أَيْقَظَنِي إِلاَّ مَسُّ الشَّمْسِ، ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهُمَا بِسُوءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ**».

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾[1] فَقَدِ اخْتُلِفَ فِي تَفْسِيرِهِ، فَقِيلَ: الْمُرَادُ مِنْهُ تَخْفِيفُ أَعْبَاءِ النُّبُوَّةِ الَّتِي يُثْقِلُ الظَّهْرَ الْقِيَامُ بِأَمْرِهَا وَحِفْظُ مُوجِبَاتِهَا وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى حُقُوقِهَا، فَسَهَّلَ اللَّهُ ذٰلِكَ عَلَيْهِ وَحَطَّ عَنْهُ ثِقَلَهَا بِأَنْ يَسَّرَهَا عَلَيْهِ حَتَّى تَيَسَّرَتْ لَهُ[2].

وَقِيلَ: الْوِزْرُ مَا كَانَ يَكْرَهُهُ مِنْ تَغْيِيرِهِمْ لِسُنَّةِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَكَانَ لاَ يَقْدِرُ عَلَى مَنْعِهِمْ إِلَى أَنْ قَوَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَالَ لَهُ: ﴿ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾[3]، وَمَعْنَى أَنْقَضَ: أَعْيَىٰ وَأَثْقَلَ.

---

(١) سورة الشرح، الآيتان: ٢، ٣.

(٢) أو معنى ﴿وِزْرَكَ﴾ ما تراه ذنباً، كأخذ الفداء من أسرىٰ بدر، وعبسك في وجه الأعمىٰ.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٣.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1]: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيْ إِنَّكَ مَغْفُورٌ لَكَ، غَيْرُ مُؤَاخَذٍ بِذَنْبٍ أَنْ لَوْ كَانَ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ أُمَّتُهُ ﷺ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالذَّنْبِ: تَرْكُ الأَوْلَى، كَمَا قِيلَ: حَسَنَاتُ الأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ.

وَقَالَ السُّبكِيُّ: قَدْ تَأَمَّلْتُهَا ـ يَعْنِي الآيَةَ ـ مَعَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَوَجَدْتُهَا لاَ تَحْتَمِلُ إِلاَّ وَجْهاً وَاحِداً وَهُوَ تَشْرِيفُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ ذَنْبٌ.

وَقَدْ سَبَقَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ فَقَالَ: وَإِنَّمَا الْمَعْنَى التَّشْرِيفُ بِهٰذَا الْحُكْمِ وَلَمْ تَكُنْ ذُنُوبٌ أَلْبَتَّةَ، وَكَيْفَ يُتَخَيَّلُ خِلاَفُ ذٰلِكَ وَأَحْوَالُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مُنْقَسِمَةٌ إِلَى قَوْلٍ وَفِعْلٍ، أَمَّا الْقَوْلُ: فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[2]، وَأَمَّا الْفِعْلُ: فَإِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ عَلَى اتِّبَاعِهِ وَالتَّأَسِّي بِهِ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُهُ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ أَوْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ فِي ذٰلِكَ تَوَقُّفٌ وَلاَ بَحْثٌ، حَتَّى أَعْمَالُهُ ﷺ فِي السِّرِّ وَالْخَلْوَةِ يَحْرِصُونَ عَلَى الْعِلْمِ بِهَا وَعَلَى اتِّبَاعِهَا، عَلِمَ بِهِمْ ﷺ أَوْ لَمْ يَعْلَمْ، وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الصَّحَابَةِ مَعَهُ ﷺ اسْتَحْيَى مِنَ اللّهِ أَنْ يُخْطِرَ بِبَالِهِ خِلاَفَ ذٰلِكَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾[3]: فَإِنَّمَا أَمَرَهُ اللّهُ تَعَالَى بِتَقْوَى تُوجِبُ اسْتِدَامَةَ الْحُضُورِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ دُمْ عَلَى التَّقْوَى. وَقِيلَ: الْخِطَابُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُرَادُ أُمَّتُهُ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[4]، وَلَمْ يَقُلْ بِمَا تَعْمَلُ.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢.

(٢) سورة النجم، الآية: ٤.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ١.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾[1]: فَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ مَا عَلَيْهِ الْكُفَّارُ فِي أَمْرِهِ ﷺ وَنِسْبَتِهِ إِلَى مَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ (مَعَ مَا أَنْعَمَ اللّٰهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْكَمَالِ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالْخُلُقِ الْعَظِيمِ) أَتْبَعَهُ بِمَا يُقَوِّي قَلْبَهُ وَيَدْعُوهُ إِلَى التَّشْدِيدِ مَعَ قَوْمِهِ، وَقَوَّى قَلْبَهُ بِذٰلِكَ مَعَ قِلَّةِ الْعَدَدِ وَكَثْرَةِ الْكُفَّارِ ـ فَإِنَّ هٰذِهِ السُّورَةَ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ ـ فَقَالَ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾، وَالْمُرَادُ رُؤَسَاءُ الْكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ دَعَوْهُ إِلَى دِينِهِمْ فَنَهَاهُ اللّٰهُ أَنْ يُطِيعَهُمْ، وَهٰذَا مِنَ اللّٰهِ تَهْيِيجٌ لِلتَّشْدِيدِ فِي مُخَالَفَتِهِمْ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ الآيَةَ[2]، فَقَالَ قَوْمٌ: الْمُخَاطَبُ بِهِ غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ آخَرُونَ: الْمُخَاطَبُ بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي الظَّاهِرِ وَالْمُرَادُ غَيْرُهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[3]، وَأَمْثَالُهُ كَثِيرَةٌ، أَوْ يَكُونُ عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ لاَ إِمْكَانِ وُقُوعِ الشَّكِّ لَهُ، وَلِذٰلِكَ قَالَ ﷺ: **«وَاللّٰهِ لاَ أَشُكُّ وَلاَ أَسْأَلُ»**[4].

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى[5]: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ[6]﴾ أَيْ: فِي أَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ذٰلِكَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ

---

(١) سورة القلم، الآية: ٨.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩٤.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ١.

(٤) رواه ابن جرير عن قتادة مرسلاً، لكن بدون قَسَم.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١١٤.

(٦) الشاكّين.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾[1]: فَقَدْ أَمَرَهُ اللّهُ بِالْتِزَامِ الصَّبْرِ عَلَى إِعْرَاضِ قَوْمِهِ، وَأَنْ لاَ يَضِيقَ صَدْرُهُ عِنْدَ ذٰلِكَ فَيُقَارِبَ حَالَ الْجَاهِلِ بِشِدَّةِ التَّحَسُّرِ، وَقِيلَ: الْخِطَابُ لأُمَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، أَيْ: «**فَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْجَاهِلِينَ**»[2]، وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾[3]، فَالْمُرَادُ غَيْرُهُ كَمَا قَالَ: ﴿إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[4]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[5]، ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[6]، وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ؛ فَالْمُرَادُ غَيْرُهُ ﷺ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾[7]: فَلَيْسَ بِمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ﴾[8]، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى لَمِنَ الْغَافِلِينَ عَنْ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، إِذْ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالِكَ، وَلَمْ تَقْرَعْ سَمْعَكَ قَطُّ، فَلَمْ تَعْلَمْهَا إِلاَّ بِوَحْيِنَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ[9] مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ[10] فَٱسْتَعِذْ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٥.

(٢) أو: فلا تكوننّ من الجاهلين حكمةَ الله تعالىٰ.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٩.

(٥) سورة الشورىٰ، الآية: ٢٤، أو معناها: لو كذبتَ كما يزعم هؤلاء لختم علىٰ قلبك فأنساك القرآن.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

(٧) سورة يوسف، الآية: ٣.

(٨) سورة يونس، الآية: ٧.

(٩) يصيبنّك.

(١٠) وسوسة.

﴿بِٱللَّهِ﴾ الآيَةَ[1]: فَمَعْنَاهُ: يَسْتَخِفَّنَّكَ بِغَضَبٍ يَحْمِلُكَ عَلَى تَرْكِ الإِعْرَاضِ عَنْهُمْ، وَالنَّزْغُ: أَدْنَى حَرَكَةٍ تَكُونُ، كَمَا قَالَهُ الزَّجَّاجُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ الآيَةَ[2]: فَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهَا مَا عَلَيْهِ جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ: أَنَّ التَّمَنِّيَ الْمُرَادُ بِهِ هُنَا: التِّلاَوَةُ، وَإِلْقَاءُ الشَّيْطَانِ فِيهَا: إِشْغَالُهُ بِخَوَاطِرَ وَأَذْكَارٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا لِلتَّالِي حَتَّى يُدْخِلَ عَلَيْهِ الْوَهْمَ وَالنِّسْيَانَ فِيمَا تَلاَهُ، أَوْ يُدْخِلَ غَيْرَ ذٰلِكَ عَلَى أَفْهَامِ السَّامِعِينَ مِنَ التَّحْرِيفِ وَسُوءِ التَّأْوِيلِ مَا يُزِيلُهُ اللّهُ وَيَنْسَخُهُ وَيَكْشِفُ لَبْسَهُ وَيُحْكِمُ آيَاتِهِ[3].

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ الآيَاتِ[4]: فَلَيْسَ فِيهَا إِثْبَاتُ ذَنْبٍ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَفِعْلُ النَّبِيِّ ﷺ لِمَا فَعَلَ وَتَصَدِّيهِ لِذٰلِكَ الْكَافِرِ كَانَ طَاعَةً لِلّهِ، وَتَبْلِيغاً عَنْهُ، وَاسْتِئْلاَفاً لَهُ كَمَا شَرَعَهُ اللّهُ لَهُ، لاَ مَعْصِيَةً وَلاَ مُخَالَفَةً لَهُ تَعَالَى، وَمَا قَصَّهُ اللّهُ عَلَيْهِ مِنْ ذٰلِكَ إِعْلاَمٌ بِحَالِ الرَّجُلَيْنِ وَتَوْهِينِ أَمْرِ الْكَافِرِ عِنْدَهُ، وَالإِشَارَةُ إِلَى الإِعْرَاضِ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾[5] أَيْ: لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ فِي أَنْ لاَ يَتَزَكَّى بِالإِسْلاَمِ، أَيْ: لاَ يَبْلُغَنَّ بِكَ الْحِرْصُ عَلَى إِسْلاَمِهِمْ أَنْ تُعْرِضَ عَمَّنْ أَسْلَمَ بِالاشْتِغَالِ بِدَعْوَتِهِمْ، إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ. اهـ

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ الآيَةَ[6]: فَرَوَى ابْنُ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

(٢) سورة الحج، الآية: ٥٢.

(٣) بل أحسن ما قيل فيها: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنّىٰ الهداية لقومه ألقىٰ الشيطان الوسواس لقومه في أمنيّته، فيُبطل الله ما يُلقي الشيطان، ثم يُحكِم الله آياته.

(٤) سورة عبس، الآيتان: ١، ٢.

(٥) سورة عبس، الآية: ٧.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٤٣.

أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مِسْعَرٍ عَنْ عَوْنٍ قَالَ: هَلْ سَمِعْتُمْ بِمُعَاتَبَةٍ أَحْسَنَ مِنْ هٰذَا؟ بَدَأَ بِالْعَفْوِ قَبْلَ الْمُعَاتَبَةِ، وَكَذَا قَالَ غَيْرُهُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: عَاتَبَهُ اللّهُ كَمَا تَسْمَعُونَ، ثُمَّ أَنْزَلَ الَّتِي فِي سُورَةِ النُّورِ فَرَخَّصَ لَهُ فِي أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ إِنْ شَاءَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾[1]، فَفَوَّضَ الأَمْرَ إِلَى رَأْيِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ: اثْنَتَانِ فَعَلَهُمَا الرَّسُولُ ﷺ لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِمَا بِشَيْءٍ: إِذْنُهُ لِلْمُنَافِقِينَ، وَأَخْذُهُ الْفِدَاءَ مِنَ الأَسْرَى، فَعَاتَبَهُ اللّهُ كَمَا تَسْمَعُونَ، وَذٰلِكَ يَدُلُّ عَلَى مُبَالَغَةِ اللّهِ تَعَالَى فِي تَوْقِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِغَيْرِهِ إِذَا كَانَ عَظِيماً عِنْدَهُ: عَفَا اللّهُ عَنْكَ مَا جَوَابُكَ عَنْ كَلاَمِي؟ وَعَافَاكَ اللّهُ أَلاَ عَرَفْتَ حَقِّي؟ فَلاَ يَكُونُ غَرَضُهُ مِنْ هٰذَا الْكَلامِ إِلاَّ زِيَادَةُ التَّبْجِيلِ وَالتَّعْظِيمِ.

وَأَمَّا الْجَوَابُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾: فَذَهَبَ نَاسٌ إِلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُعَاتَبٌ بِهٰذِهِ الآيَةِ، وَحَاشَاهُ مِنْ ذٰلِكَ، بَلْ كَانَ ﷺ مُخَيَّراً، فَلَمَّا أَذِنَ لَهُمْ أَعْلَمَهُ اللّهُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ لَقَعَدُوا لِنِفَاقِهِمْ، وَأَنَّهُ لاَ حَرَجَ عَلَيْهِ فِي الإِذْنِ لَهُمْ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي أَسَارَى بَدْرٍ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأٓخِرَةَۗ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَظِيمٌ﴾[2]: فَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا هَزَمَ اللّهُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ وَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ وَأُسِرَ سَبْعُونَ اسْتَشَارَ

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ٦٧، ٦٨.

النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَلِيًّا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! هٰؤُلاَءِ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ وَالإِخْوَانُ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمُ الْفِدْيَةَ، فَيَكُونُ مَا أَخَذْنَاهُ مِنْهُمْ قُوَّةً لَنَا عَلَى الْكُفَّارِ، وَعَسَى أَنْ يَهْدِيَهُمُ اللَّهُ فَيَكُونُوا لَنَا عَضُداً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟**» قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَرَى مَا رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلٰكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَنِي مِنْ فُلاَنٍ - قَرِيبٍ لِعُمَرَ - فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنَ حَمْزَةَ مِنْ فُلاَنٍ أَخِيهِ - يَعْنِي: الْعَبَّاسَ - فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي قُلُوبِنَا هَوَادَةٌ - أَيْ: مَيْلٌ - لِلْمُشْرِكِينَ، فَهَوِيَ ﷺ مَا هَوِيَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَأَخَذَ مِنْهُمُ الْفِدَاءَ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ غَدَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ قَاعِدٌ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَهُمَا يَبْكِيَانِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي مَا يُبْكِيكَ أَنْتَ وَصَاحِبَكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ تَبَاكَيْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنَ الْفِدَاءِ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُكُمْ أَدْنَى مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ**» - لِشَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ -، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَظِيمٌ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: يُكْثِرَ الْقَتْلَ وَيُبَالِغَ فِيهِ حَتَّى يَذِلَّ الْكُفْرُ وَيَقِلَّ حِزْبُهُ، وَيَعِزَّ الإِسْلاَمُ وَيَسْتَوْلِيَ أَهْلُهُ.

وَلَيْسَ فِي هٰذَا إِلْزَامُ ذَنْبٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ، بَلْ فِيهِ بَيَانُ مَا خُصَّ بِهِ وَفُضِّلَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: مَا كَانَ هٰذَا لِنَبِيٍّ غَيْرِكَ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**أُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِنَبِيٍّ قَبْلِي**».

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾: فَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْخِطَابِ مَنْ أَرَادَ ذٰلِكَ مِنْهُمْ وَتَجَرَّدَ غَرَضُهُ لِعَرَضِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ وَالاسْتِكْثَارِ مِنْهَا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهٰذَا النَّبِيَّ ﷺ وَلاَ عِلْيَةَ أَصْحَابِهِ، بَلْ قَدْ رُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ: أَنَّهَا

نَزَلَتْ حِينَ انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَاشْتَغَلَ النَّاسُ بِالسَّلَبِ[1] وَجَمْعِ الْغَنَائِمِ عَنِ الْقِتَالِ، حَتَّى خَشِيَ عُمَرُ أَنْ يَعْطِفَ عَلَيْهِمُ الْعَدُوُّ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾، فَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَى هٰذِهِ الآيَةِ، فَقِيلَ: مَعْنَاهَا: لَوْلاَ أَنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنْ لاَ أُعَذِّبَ أَحَداً إِلاَّ بَعْدَ النَّهْيِ لَعَذَّبْتُكُمْ، فَهٰذَا يَنْفِي أَنْ يَكُونَ أَمْرُ الأَسْرَى مَعْصِيَةً. وَقِيلَ: لَوْلاَ إِيمَانُكُمْ بِالْقُرْآنِ ـ وَهُوَ الْكِتَابُ السَّابِقُ، فَاسْتَوْجَبْتُمْ بِهِ الصَّفْحَ ـ لَعُوقِبْتُمْ عَلَى الْغَنَائِمِ. وَقِيلَ: لَوْلاَ أَنَّهُ سَبَقَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَنَّهَا حَلاَلٌ لَكُمْ لَعُوقِبْتُمْ. وَهٰذَا كُلُّهُ يَنْفِي الذَّنْبَ وَالْمَعْصِيَةَ، لأَنَّ مَنْ فَعَلَ مَا أُحِلَّ لَهُ لَمْ يَعْصِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾، قَالَ الْقَاضِي بَكْرُ بْنُ الْعَلاَءِ: أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ فِي هٰذِهِ الآيَةِ أَنَّ تَأْوِيلَهُ وَافَقَ مَا كُتِبَ لَهُ مِنْ إِحْلاَلِ الْغَنَائِمِ وَالْفِدَاءِ، فَهٰذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِعْلَ النَّبِيِّ ﷺ فِي شَأْنِ الأَسَارَى كَانَ عَلَى تَأْوِيلٍ وَبَصِيرَةٍ، فَلَمْ يُنْكِرْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَادَ لِعِظَمِ أَمْرِ بَدْرٍ وَكَثْرَةِ أَسْرَاهَا إِظْهَارَ نِعْمَتِهِ وَتَأْكِيدَ مِنَّتِهِ بِتَعْرِيفِهِمْ مَا كَتَبَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مِنْ حِلِّ ذٰلِكَ، لاَ عَلَى وَجْهِ عِتَابٍ أَوْ إِنْكَارٍ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝٧٤ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ الآيَةَ[2]: فَالْمَعْنَى: لَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَارَبْتَ أَنْ تَمِيلَ إِلَى اتِّبَاعِ مُرَادِهِمْ، لَكِنْ أَدْرَكَتْكَ عِصْمَتُنَا فَمُنِعْتَ أَنْ تَقْرُبَ فَضْلاً عَنْ أَنْ تَرْكَنَ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ ﷺ مَا هَمَّ بِإِجَابَتِهِم مَعَ قُوَّةِ الدَّوَاعِي إِلَيْهَا، فَالْعِصْمَةُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَحِفْظِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ

---

(١) وهو ما يؤخذ من القتيل من لباسه وما معه. قال ﷺ: **«مَن قتل قتيلاً فله سَلَبُه»** رواه الشيخان.

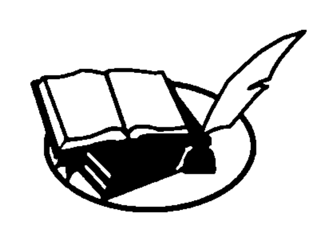
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٤.

﴿لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦﴾[1]: فَالْمَعْنَى: لَوِ افْتَرَى عَلَيْنَا بِشَيْءٍ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ وَقَطَعْنَا نِيَاطَ قَلْبِهِ[2] وَأَهْلَكْنَاهُ، وَقَدْ أَعَاذَهُ اللّهُ مِنَ التَّقَوُّلِ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾[3]: فَقِيلَ: مَعْنَاهُ: مَا كُنْتَ تَدْرِي الإِيمَانَ عَلَى التَّفْصِيلِ الَّذِي شُرِعَ لَكَ فِي الْقُرْآنِ، وَقَدِ اشْتَهَرَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُوَحِّدُ اللّهَ، وَيُبْغِضُ الأَوْثَانَ، وَيَحُجُّ وَيَعْتَمِرُ.

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ عَبَدْتَ وَثَناً قَطُّ؟ قَالَ: «**لاَ**»، قِيلَ: فَهَلْ شَرِبْتَ خَمْراً قَطُّ؟ قَالَ: «**لاَ، وَمَا زِلْتُ أَعْرِفُ أَنَّ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ كُفْرٌ، وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ**».

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ يَزَالُوْا عَلَى بَقَايَا مِنْ دِينِ إِسْمَاعِيلَ - كَحَجِّ الْبَيْتِ، وَالْخِتَانِ، وَالْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ -، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لاَ يَقْرُبُ الأَوْثَانَ، وَيَعِيبُهَا، وَلاَ يَعْرِفُ شَرَائِعَ اللّهِ الَّتِي شَرَعَهَا لِعِبَادِهِ عَلَى لِسَانِهِ، فَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾.



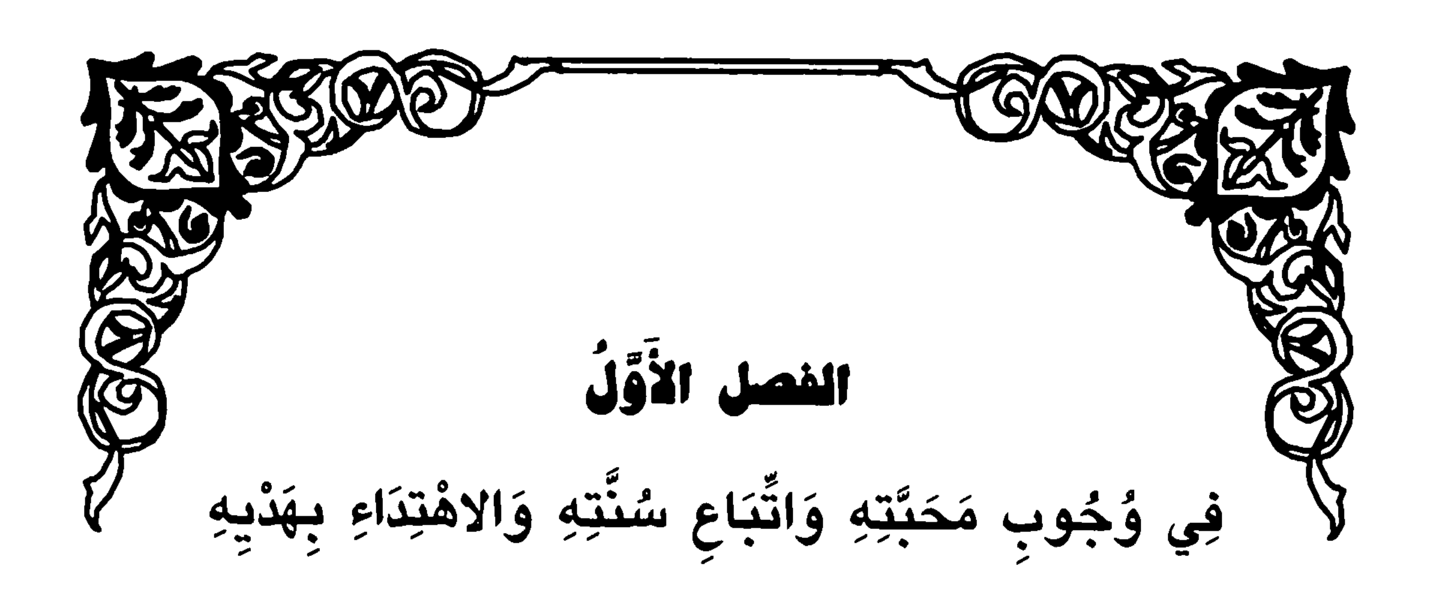
(١) سورة الحاقّة، الآية: ٤٦.

(٢) النِّيَاط: عِرْق غليظ عُلّق به القلب إلىٰ الرئتين.

(٣) سورة الشورىٰ، الآية: ٥٢.

المقصِد السابع

فِي وُجُوبِ مَحَبَّتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَالاهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ، وَفَرْضِ مَحَبَّةِ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَحُكْمِ الصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ ﷺ، وَفِيهِ ثَلاَثَةُ فُصُولٍ



الفصل الأَوَّلُ

فِي وُجُوبِ مَحَبَّتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَالاهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ

اعْلَمْ أَنَّ مَحَبَّةَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ هِيَ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي يَتَنَافَسُ فِيهَا الْمُتَنَافِسُونَ، وَإِلَيْهَا يَشْخَصُ الْعَامِلُونَ، وَعَلَيْهَا يَتَفَانَى الْمُحِبُّونَ، وَبِرُوحِ نَسِيمِهَا يَتَرَوَّحُ الْعَابِدُونَ، فَهِيَ قُوتُ الْقُلُوبِ، وَغِذَاءُ الأَرْوَاحِ، وَقُرَّةُ الْعُيُونِ، وَهِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي مَنْ حُرِمَهَا فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الأَمْوَاتِ، وَالنُّورُ الَّذِي مَنْ فَقَدَهُ فَهُوَ فِي بِحَارِ الظُّلُمَاتِ، وَهِيَ رُوحُ الإِيمَانِ وَالأَعْمَالِ وَالأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ.

وَإِذَا كَانَ الإِنْسَانُ يُحِبُّ مَنْ مَنَحَهُ - فِي دُنْيَاهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ - مَعْرُوفاً فَانِياً مُنْقَطِعاً؛ أَوْ اسْتَنْقَذَهُ مِنْ مَهْلَكَةٍ أَوْ مَضَرَّةٍ لاَ تَدُومُ؛ فَمَا بَالُكَ بِمَنْ مَنَحَهُ مِنَحاً لاَ تَبِيدُ وَلاَ تَزُولُ، وَوَقَاهُ مِنَ الْعَذَابِ الأَلِيمِ مَا لاَ يَفْنَى وَلاَ يَحُولُ.

وَإِذَا كَانَ الْمَرْءُ يُحِبُّ غَيْرَهُ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ صُورَةٍ جَمِيلَةٍ وَسِيرَةٍ حَمِيدَةٍ؛ فَكَيْفَ بِهٰذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ وَالرَّسُولِ الْعَظِيمِ، الْجَامِعِ لِمَحَاسِنِ الأَخْلاَقِ وَالتَّكْرِيمِ، الْمَانِحِ لَنَا جَوَامِعَ الْمَكَارِمِ وَالْفَضْلَ الْعَمِيمَ، فَقَدْ مَنَحَنَا اللّهُ بِهِ مِنَحَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا نِعَمَهُ بَاطِنَةً وَظَاهِرَةً، فَاسْتَحَقَّ أَنْ يَكُونَ حَظُّهُ مِنْ مَحَبَّتِنَا لَهُ أَوْفَى وَأَزْكَى مِنْ مَحَبَّتِنَا لأَنْفُسِنَا وَأَوْلاَدِنَا وَأَهْلِينَا وَأَمْوَالِنَا وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، بَلْ لَوْ كَانَ فِي مَنْبَتِ كُلِّ شَعْرَةٍ مِنَّا مَحَبَّةٌ تَامَّةٌ لَهُ صَلَوَاتُ اللّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ لَكَانَ ذٰلِكَ بَعْضَ مَا يَسْتَحِقُّهُ عَلَيْنَا.

وَقَدْ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»** رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَفِي صَحِيحِ ابْنِ خُزَيْمَةَ: **«مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ»**[1].

وَفِي كَلاَمِ الْقَاضِي عِيَاضٍ: أَنَّ ذٰلِكَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الإِيمَانِ، لأَنَّهُ حَمَلَ الْمَحَبَّةَ عَلَى مَعْنَى التَّعْظِيمِ وَالإِجْلاَلِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: اعْتِقَادُ الأَعْظَمِيَّةِ لَيْسَ مُسْتَلْزِماً لِلْمَحَبَّةِ، إِذْ قَدْ يَجِدُ الإِنْسَانُ إِعْظَامَ شَيْءٍ مَعَ خُلُوِّهِ مِنْ مَحَبَّتِهِ، فَعَلَى هٰذَا مَنْ لَمْ يَجِدْ مِنْ نَفْسِهِ ذٰلِكَ الْمَيْلَ لَمْ يَكْمُلْ إِيمَانُهُ، وَإِلَى هٰذَا يُومِىءُ قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ»** فَقَالَ عُمَرُ: وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **«الآنَ يَا عُمَرُ»**. فَهٰذِهِ الْمَحَبَّةُ لَيْسَتْ بِاعْتِقَادِ الأَعْظَمِيَّةِ فَقَطْ، فَإِنَّهَا كَانَتْ حَاصِلَةً لِعُمَرَ قَبْلَ ذٰلِكَ قَطْعاً.

وَمِنْ عَلاَمَاتِ الْحُبِّ الْمَذْكُورِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَعْرِضَ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ لَوْ خُيِّرَ بَيْنَ فَقْدِ غَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِهِ وَفَقْدِ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ لَوْ كَانَتْ مُمْكِنَةً، فَإِنْ كَانَ فَقْدُهَا أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ فَقْدِ شَيْءٍ مِنْ أَغْرَاضِهِ فَقَدِ اتَّصَفَ بِالأَحَبِّيَّةِ الْمَذْكُورَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ لاَ فَلاَ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: كُلُّ مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِيمَاناً صَحِيحاً لاَ يَخْلُو عَنْ وُجْدَانِ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْمَحَبَّةِ الرَّاجِحَةِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ مُتَفَاوِتُونَ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ بِالْحَظِّ الأَوْفَى، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ بِالْحَظِّ الأَدْنَى، كَمَنْ كَانَ مُسْتَغْرِقاً فِي الشَّهَوَاتِ مَحْجُوباً بِالْغَفَلاَتِ فِي أَكْثَرِ الأَوْقَاتِ، لٰكِنَّ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ

---

(١) بَدَل: «مِن والده وولده».

إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ ﷺ اشْتَاقَ إِلَى رُؤْيَتِهِ، بِحَيْثُ يُؤْثِرُهَا عَلَى أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ، وَيَبْذُلُ نَفْسَهُ فِي الأُمُورِ الْخَطِيرَةِ، وَيَجِدُ رُجْحَانَ ذٰلِكَ مِنْ نَفْسِهِ وُجْدَاناً لاَ تَرَدُّدَ فِيهِ، وَقَدْ شُوهِدَ مِنْ هٰذَا الْجِنْسِ مَنْ يُؤْثِرُ زِيَارَةَ قَبْرِهِ، وَرُؤْيَةَ مَوَاضِعِ آثَارِهِ عَلَى جَمِيعِ مَا ذُكِرَ لِمَا وَقَرَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ مَحَبَّتِهِ ﷺ، غَيْرَ أَنَّ ذٰلِكَ سَرِيعُ الزَّوَالِ لِتَوَالِي الْغَفَلاَتِ، انتهى.

فَكُلُّ مُسْلِمٍ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةُ اللّهِ وَرَسُولِهِ، إِذْ لاَ يَدْخُلُ فِي الإِسْلاَمِ إِلاَّ بِهَا، وَالنَّاسُ مُتَفَاوِتُونَ فِي مَحَبَّتِهِ ﷺ بِحَسَبِ اسْتِحْضَارِ مَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ جِهَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنَ النَّفْعِ الشَّامِلِ لِخَيْرِ الدَّارَيْنِ وَالْغَفْلَةِ عَنْ ذٰلِكَ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ حَظَّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُم فِي هٰذَا الْمَعْنَى أَتَمُّ، لأَنَّ هٰذَا ثَمَرَةُ الْمَعْرِفَةِ، وَهُمْ بِهَا أَعْلَمُ.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ إِسْحٰقَ: أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قُتِلَ أَبُوهَا وَأَخُوهَا وَزَوْجُهَا يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ؟ قَالُوا: خَيْراً، هُوَ بِحَمْدِ اللّهِ كَمَا تُحِبِّينَ، فَقَالَتْ: أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ ـ أَيْ: صَغِيرَةٌ ـ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَمْوَالِنَا وَأَوْلاَدِنَا، وَآبَاءِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، وَمِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى الظَّمأ.

وَلَمَّا أَخْرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ زَيْدَ بْنَ الدَّثِنَةِ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ[1] قَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ: أَنْشُدُكَ بِاللّهِ يَا زَيْدُ! أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّداً الآنَ عِنْدَنَا نَضْرِبُ عُنُقَهُ وَأَنَّكَ فِي أَهْلِكَ؟ فَقَالَ زَيْدٌ: وَاللّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّداً الآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ وَإِنِّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً مِنَ النَّاسِ يُحِبُّ أَحَداً كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّداً.

---

(١) بعد أن أسرُوه يوم الرجيع مع خُبيب، وبيعا في مكة.

قَالَ الإِمَامُ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾[1] فِي ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ شَدِيدَ الْحُبِّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَلِيلَ الصَّبْرِ عَنْهُ، فَأَتَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ يُعْرَفُ الْحُزْنُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا غَيَّرَ لَوْنَكَ؟»** فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا بِي مَرَضٌ وَلاَ وَجَعٌ، غَيْرَ أَنِّي إِذَا لَمْ أَرَكَ اسْتَوْحَشْتُ وَحْشَةً شَدِيدَةً حَتَّى أَلْقَاكَ، ثُمَّ ذَكَرْتُ الآخِرَةَ فَأَخَافُ أَنْ لاَ أَرَاكَ، لأَنَّكَ تُرْفَعُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَإِنِّي إِنْ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فِي مَنْزِلَةٍ أَدْنَى مِنْ مَنْزِلَتِكَ، وَإِنْ لَمْ أَدْخُلِ الْجَنَّةَ لاَ أَرَاكَ أَبَداً، فَنَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ. وَكَذَا ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ[2].

وَعَنْ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ قَالَ: إِنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَمَالِي وَوَلَدِي وَأَهْلِي، وَلَوْلاَ أَنِّي آتِيكَ فَأَرَاكَ لَرَأَيْتُ أَنْ أَمُوتَ، وَبَكَى الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا أَبْكَاكَ؟»** قَالَ: بَكَيْتُ أَنْ ذَكَرْتُ أَنَّكَ سَتَمُوتُ وَنَمُوتُ، فَتُرْفَعُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَنَكُونُ نَحْنُ إِنْ دَخَلْنَا الْجَنَّةَ دُونَكَ، فَلَمْ يُحِرِ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِ بِمَعْنَى - أَيْ: لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ بِقَوْلٍ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ الآيَةَ[3]. وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ: أَنَّ هٰذَا الأَنْصَارِيَّ هُوَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ زَيْدٍ الَّذِي رَأَى الأَذَانَ، وَذَكَرَ أَيْضاً أَنَّ عَبْدَاللَّهِ بنَ زَيْدٍ هٰذَا كَانَ يَعْمَلُ فِي جَنَّةٍ[4] لَهُ، فَأَتَاهُ ابْنُهُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ تُوُفِّيَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَذْهِبْ بَصَرِي حَتَّى لاَ أَرَى بَعْدَ حَبِيبِي مُحَمَّدٍ أَحَداً، فَكُفَّ بَصَرُهُ.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) في أسباب النزول.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) في بستان.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَلاَ حَيَاةَ لِلْقَلْبِ إِلاَّ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَلاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشَ الْمُحِبِّينَ الَّذِينَ قَرَّتْ أَعْيُنُهُمْ بِحَبِيبِهِمْ، وَسَكَنَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهِ، وَاطْمَأَنَّتْ قُلُوبُهُمْ بِهِ، وَاسْتَأْنَسُوا بِقُرْبِهِ وَتَنَعَّمُوا بِمَحَبَّتِهِ، فَفِي الْقَلْبِ طَاقَةٌ لاَ يَسُدُّهَا إِلاَّ مَحَبَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ لَمْ يَظْفَرْ بِذٰلِكَ فَحَيَاتُهُ كُلُّهَا هُمُومٌ وَغُمُومٌ، وَآلاَمٌ وَحَسَرَاتٌ. اهـ

قَالَ صَاحِبُ الْمَدَارِجِ[١]: وَلَنْ يَصِلَ الْعَبْدُ إِلَى هٰذِهِ الْمَنْزِلَةِ الْعَلِيَّةِ وَالْمَرْتَبَةِ السَّنِيَّةِ حَتَّى يَعْرِفَ اللَّهَ وَيَهْتَدِيَ إِلَيْهِ بِطَرِيقٍ تُوَصِّلُهُ إِلَيْهِ، وَيَخْرِقَ ظُلُمَاتِ الطَّبْعِ بِأَشِعَّةِ الْبَصِيرَةِ، فَيَقُومَ بِقَلْبِهِ شَاهِدٌ مِنْ شَوَاهِدِ الآخِرَةِ، فَيَنْجَذِبَ إِلَيْهَا بِكُلِّيَّتِهِ، وَيَزْهَدَ فِي التَّعَلُّقَاتِ الْفَانِيَةِ، وَيَدْأَبَ فِي تَصْحِيحِ التَّوْبَةِ، وَالْقِيَامِ بِالْمَأْمُورَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَتَرْكِ الْمَنْهِيَّاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، ثُمَّ يَقُومَ حَارِساً عَلَى قَلْبِهِ، فَلاَ يُسَامِحُهُ بِخَطْرَةٍ يَكْرَهُهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَلاَ بِخَطْرَةِ فُضُولٍ لاَ تَنْفَعُهُ، فَيَصْفُو لِذٰلِكَ قَلْبُهُ بِذِكْرِ رَبِّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالإِنَابَةِ إِلَيْهِ، فَحِينَئِذٍ يَجْتَمِعُ قَلْبُهُ وَخَوَاطِرُهُ وَحَدِيثُ نَفْسِهِ عَلَى إِرَادَةِ رَبِّهِ وَطَلَبِهِ وَالشَّوْقِ إِلَيْهِ، فَإِذَا صَدَقَ فِي ذٰلِكَ رُزِقَ مَحَبَّةَ الرَّسُولِ ﷺ، وَاسْتَوْلَتْ رُوحَانِيَّتُهُ عَلَى قَلْبِهِ، فَجَعَلَهُ إِمَامَهُ وَأُسْتَاذَهُ وَمُعَلِّمَهُ وَشَيْخَهُ وَقُدْوَتَهُ، كَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَرَسُولَهُ وَهَادِيَهُ، فَيُطَالِعُ سِيرَتَهُ ﷺ وَمَبَادِىءَ أُمُورِهِ وَكَيْفِيَّةَ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ، وَيَعْرِفُ صِفَاتِهِ وَأَخْلاَقَهُ وَآدَابَهُ، وَحَرَكَاتِهِ وَسُكُونَهُ وَيَقْظَتَهُ وَمَنَامَهُ، وَعِبَادَتَهُ وَمُعَاشَرَتَهُ لأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ، إِلَى غَيْرِ ذلك مِمَّا مَنَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى، حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ مَعَهُ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ.

وَلِمَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلاَمَاتٌ: أَعْظَمُهَا الاقْتِدَاءُ بِهِ، وَاسْتِعْمَالُ سُنَّتِهِ، وَسُلُوكُ طَرِيقَتِهِ، وَالاهْتِدَاءُ بِهَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ، وَالْوُقُوفُ عَلَى مَا حَدَّهُ لَنَا مِنْ شَرِيعَتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[٢]،

---

(١) مدارج السالكين لابن القيّم.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

فَجعَلَ تَعالَى مُتابَعَةَ الرَّسولِ ﷺ آيَةَ مَحبَّةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَجعَلَ جزاءَ الْعَبْدِ عَلَى حُسْنِ مُتابَعَةِ الرَّسولِ مَحبَّةَ اللّهِ تَعالَى إِيَّاهُ، وَبِحَسَبِ هٰذا الاتِّباعِ تَحْصُلُ الْمَحبَّةُ وَالْمَحْبوبِيَّةُ مَعاً، وَلاَ يَتِمُّ الأمْرُ إِلاَّ بِهِمَا، فَلَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُحِبَّ اللّهَ فَقَطْ، بَلِ الشَّأْنُ أَنْ يُحِبَّكَ اللّهُ، وَلاَ يُحِبُّكَ إِلاَّ إِذا اتَّبَعْتَ حَبِيبَهُ ﷺ ظَاهِراً وَباطِناً، وَصَدَّقْتَهُ خَبَراً، وَأَطَعْتَهُ أَمْراً، وَأَجَبْتَهُ دَعْوَةً، وَآثَرْتَهُ طَوْعاً، وَفَنَيْتَ عَنْ حُكْمِ غَيْرِهِ بِحُكْمِهِ، وَعَنْ مَحبَّةِ غَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ بِمَحبَّتِهِ، وَعَنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ بِطاعَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذٰلِكَ فَلاَ تَتعَنَّ[1] فَلَسْتَ عَلَى شَيْءٍ، وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعالَى: ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ أَيْ: الشَّأْنُ فِي أَنَّ اللّهَ يُحِبُّكُمْ لاَ فِي أَنَّكُمْ تُحِبُّونَهُ، وَهٰذا لاَ يَنالُونَهُ إِلاَّ بِاتِّباعِ الْحَبِيبِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَقَالَ الْمُحَاسِبِيُّ: عَلامَةُ حُبِّ الْعَبْدِ لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ اتِّباعُ مَرْضَاةِ اللّهِ، وَالتَّمَسُّكُ بِسُنَنِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَإِذَا ذَاقَ الْعَبْدُ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ وَوَجَدَ طَعْمَهُ ظَهَرَتْ ثَمَرَةُ ذٰلِكَ عَلَى جَوارِحِهِ وَلِسَانِهِ، فَاسْتَحْلَى اللِّسَانُ ذِكْرَ اللّهِ تَعالَى وَمَا وَالاَهُ، وَأَسْرَعَتِ الْجَوارِحُ إِلَى طَاعَةِ اللّهِ، فَحِينَئِذٍ يَدْخُلُ حُبُّ الإِيمَانِ بِالْقَلْبِ، كَمَا يَدْخُلُ حُبُّ الْمَاءِ الْبَارِدِ الشَّدِيدِ بَرْدُهُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْحَرِّ لِلظَّمْآنِ الشَّدِيدِ الْعَطَشِ، فَيَرْتَفِعُ عَنْهُ تَعَبُ الطَّاعَةِ لاسْتِلْذَاذِهِ بِهَا، بَلْ تَبْقَى الطَّاعَاتُ غِذَاءً لِقَلْبِهِ، وَسُرُوراً لَهُ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ فِي حَقِّهِ، وَنَعِيماً لِرُوحِهِ، يَلْتَذُّ بِهَا أَعْظَمَ مِنَ اللَّذَّاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ، فَلاَ يَجِدُ فِي أَوْرَادِ الْعِبَادَةِ كُلْفَةً.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«وَمَنْ أَحْيَى سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ»**.

وَعَنِ ابْنِ عَطَاءٍ: مَنْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ آدَابَ السُّنَّةِ نَوَّرَ اللّهُ قَلْبَهُ بِنُورِ الْمَعْرِفَةِ، وَلاَ مَقَامَ أَشْرَفُ مِنْ مَقَامِ مُتابَعَةِ الْحَبِيبِ فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَأَفْعَالِهِ وَأَخْلاَقِهِ.

---

(١) فلا تتعب.

وَقَالَ أَبُو إِسْحٰقَ الرَّقِّيُّ ـ مِنْ أَقْرَانِ الْجُنَيْدِ ـ: عَلاَمَةُ مَحَبَّةِ اللّهِ إِيثَارُ طَاعَتِهِ، وَمُتَابَعَةُ نَبِيِّهِ ﷺ.

وَعَنْ غَيْرِهِ: لاَ يَظْهَرُ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ مِنْ نُورِ الإِيمَانِ إِلاَّ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَمُجَانَبَةِ الْبِدْعَةِ، فَأَمَّا مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ وَلَمْ يَتَلَقَّ الْعِلْمَ مِنْ مِشْكَاةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِدَعْوَاهُ عِلْماً لَدُنِّيًّا أُوتِيَهُ؛ فَهُوَ مِنْ لَدُنِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ كَوْنُ الْعِلْمِ لَدُنِّيًّا رَحْمَانِيًّا بِمُوَافَقَتِهِ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى، وَالْعِلْمُ اللَّدُنِّيُّ الرَّحْمَانِيُّ هُوَ ثَمَرَةُ الْعُبُودِيَّةِ وَالْمُتَابَعَةِ لِهٰذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ أَزْكَى الصَّلاَةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ، وَبِهِ يَحْصُلُ الْفَهْمُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِأَمْرٍ يَخْتَصُّ بِهِ صَاحِبُهُ، كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَقَدْ سُئِلَ: هَلْ خَصَّكُمْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِشَيْءٍ دُونَ النَّاسِ؟ فَقَالَ: لاَ، إِلاَّ فَهْماً يُؤْتِيهِ اللّهُ عَبْداً فِي كِتَابِهِ، فَهٰذَا هُوَ الْعِلْمُ اللَّدُنِّيُّ الْحَقِيقِيُّ، فَاتِّبَاعُ هٰذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَنُورُ الْبَصَائِرِ، وَشِفَاءُ الصُّدُورِ، وَرِيَاضُ النُّفُوسِ، وَلَذَّةُ الأَرْوَاحِ، وَأُنْسُ الْمُسْتَوْحِشِينَ، وَدَلِيلُ الْمُتَحَيِّرِينَ.

وَمِنْ عَلاَمَاتِ مَحَبَّتِهِ ﷺ: أَنْ يَرْضَى مُدَّعِيهَا بِمَا شَرَعَهُ، حَتَّى لاَ يَجِدَ فِي نَفْسِهِ حَرَجاً مِمَّا قَضَىٰ، قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ(١) ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٢)، فَسَلَبَ اسْمَ الإِيمَانِ عَمَّنْ وَجَدَ فِي صَدْرِهِ حَرَجاً مِنْ قَضَائِهِ، وَلَمْ يُسَلِّمْ لَهُ.

قَالَ تَاجُ الدِّينِ بْنُ عَطَاءِ اللّهِ ـ أَذَاقَنَا اللّهُ حَلاَوَةَ مَشْرَبِهِ ـ: فِي هٰذِهِ الآيَةِ دَلاَلَةٌ عَلَى أَنَّ الإِيمَانَ الْحَقِيقِيَّ لاَ يَحْصُلُ إِلاَّ لِمَنْ حَكَّمَ اللّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلاً وَفِعْلاً، وَأَخْذاً وَتَرْكاً، وَحُبًّا وَبُغْضاً.

---

(١) فيما اختلفوا فيه.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.

ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَكْتَفِ بِنَفْيِ الإِيمَانِ عَمَّنْ لَمْ يُحَكِّمْ؛ أَوْ حَكَّمَ وَوَجَدَ الْحَرَجَ فِي نَفْسِهِ؛ حَتَّى أَقْسَمَ عَلَى ذٰلِكَ بِالرُّبُوبِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ رَأْفَةً وَعِنَايَةً، وَتَخْصِيصاً وَرِعَايَةً، لأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ فَلاَ وَالرَّبِّ، إِنَّمَا قَالَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾، فَفِي ذٰلِكَ تَأْكِيدُ بِالْقَسَمِ وَتَأْكِيدٌ فِي الْقَسَمِ عِلْماً مِنْهُ سُبْحَانَهُ بِمَا النُّفُوسُ مُنْطَوِيَةٌ عَلَيْهِ مِنْ حُبِّ الْغَلَبَةِ، وَوُجُودِ النُّصْرَةِ، سَوَاءٌ كَانَ الْحَقُّ عَلَيْهَا أَوْ لَهَا، وَفِي ذٰلِكَ إِظْهَارٌ لِعِنَايَتِهِ بِرَسُولِهِ ﷺ، إِذْ جَعَلَ حُكْمَهُ حُكْمَهُ، وَقَضَاءَهُ قَضَاءَهُ، فَأَوْجَبَ عَلَى الْعِبَادِ الاسْتِسْلاَمَ لِحُكْمِهِ، وَالانْقِيَادَ لأَمْرِهِ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمُ الإِيمَانَ بِإِلٰهِيَّتِهِ حَتَّى يُذْعِنُوا لأَحْكَامِ رَسُولِهِ ﷺ، لأَنَّهُ كَمَا وَصَفَهُ رَبُّهُ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[1]، فَحُكْمُهُ حُكْمُ اللّهِ، وَقَضَاؤُهُ قَضَاءُ اللّهِ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾[2] وَأَكَّدَ ذٰلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.

وَفِي الآيَةِ إِشَارَةٌ أُخْرَى إِلَى تَعْظِيمِ قَدْرِهِ وَتَفْخِيمِ أَمْرِهِ ﷺ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبِّكَ﴾ فَأَضَافَ نَفْسَهُ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ فِي الآيَةِ الأُخْرَى ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾﴾[3] فَأَضَافَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَضَافَ زَكَرِيَّا إِلَيْهِ لِيُعْلِمَ الْعِبَادَ فَرْقَ مَا بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، وَتَفَاوتَ الرُّتْبَتَيْنِ.

ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَكْتَفِ بِالتَّحْكِيمِ بِالظَّاهِرِ فَيَكُونُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ، بَلِ اشْتَرَطَ فُقْدَانَ الْحَرَجِ ـ وَهُوَ الضِّيقُ ـ مِنْ نُفُوسِهِمْ فِي أَحْكَامِهِ ﷺ، سَوَاءٌ كَانَ الْحُكْمُ بِمَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ أَوْ يُخَالِفُهَا، وَإِنَّمَا تَضِيقُ النُّفُوسُ لِفُقْدَانِ الأَنْوَارِ،

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٣) سورة مريم، الآيتان: ١، ٢.

وَوُجودِ الأَغْيَارِ، فَعَنْهُ يَكُونُ الْحَرَجُ - وَهُوَ الضِّيقُ -، وَالْمُؤْمِنُونَ لَيْسُوا كَذٰلِكَ، إِذْ نُورُ الإِيمَانِ مَلأَ قُلوبَهُمْ فَاتَّسَعَتْ وَانْشَرَحَتْ، فَكَانَتْ وَاسِعَةً بِنُورِ الْوَاسِعِ الْعَلِيمِ، مَمْدُودَةً بِوُجُودِ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ، مُهَيَّأَةً لِوَارِدَاتِ أَحْكَامِهِ، مُفَوَّضَةً لَهُ فِي نَقْضِهِ وَإِبْرَامِهِ[1].

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِاللّهِ: مَنْ لَمْ يَرَ وِلاَيَةَ الرَّسُولِ ﷺ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ؛ وَيَرَى نَفْسَهُ فِي مِلْكِهِ؛ لَمْ يَذُقْ حَلاوَةَ سُنَّتِهِ، لأَنَّهُ ﷺ قَالَ: **«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ»**.

وَمِنْ عَلامَاتِ مَحَبَّتِهِ ﷺ: نَصْرُ دِينِهِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَالذَّبُّ عَنْ شَرِيعَتِهِ، وَالتَّخَلُّقُ بِأَخْلاَقِهِ فِي الْجُودِ وَالإِيثَارِ وَالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ وَالتَّوَاضُعِ وَغَيْرِهَا، فَمَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ عَلَى ذٰلِكَ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ، وَمَنْ وَجَدَهَا اسْتَلَذَّ الطَّاعَاتِ، وَتَحَمَّلَ الْمَشَاقَّ فِي الدِّينِ، وَآثَرَ ذٰلِكَ عَلَى أَعْرَاضِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ.

وَمِنْ عَلامَاتِ مَحَبَّتِهِ ﷺ: التَّسَلِّي عَنِ الْمَصَائِبِ، فَإِنَّ الْمُحِبَّ يَجِدُ فِي لَذَّةِ الْمَحَبَّةِ مَا يُنْسِيهِ الْمَصَائِبَ، وَلاَ يَجِدُ مِنْ مَسِّهَا مَا يَجِدُ غَيْرُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قَدِ اكْتَسَى طَبِيعَةً ثَانِيَةً لَيْسَتْ طَبِيعَةَ الْخَلْقِ، بَلْ يَقْوَى سُلْطَانُ الْمَحَبَّةِ حَتَّى يَلْتَذَّ بِكَثِيرٍ مِنَ الْمَصَائِبِ أَعْظَمَ مِنْ الْتِذَاذِ الْخَلِيِّ بِحُظُوظِهِ وَشَهَوَاتِهِ.

وَمِنْ عَلامَاتِ مَحَبَّتِهِ ﷺ: كَثْرَةُ ذِكْرِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ.

وَمِنْ عَلامَاتِ مَحَبَّتِهِ ﷺ: تَعْظِيمُهُ عِنْدَ ذِكْرِهِ، وَإِظْهَارُ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ وَالانْكِسَارِ مَعَ سَمَاعِ اسْمِهِ، فَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً خَضَعَ لَهُ، كَمَا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ بَعْدَهُ إِذَا ذَكَرُوهُ خَشَعُوا وَاقْشَعَرَّتْ جُلُودُهُمْ وَبَكَوْا،

---

(١) انتهى كلام ابن عطاء الله من كتابه (التنوير في إسقاط التدبير).

وَكَذٰلِكَ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ التَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ يَفْعَلُونَ ذٰلِكَ مَحَبَّةً لَهُ، وَشَوْقاً إِلَيْهِ، وَتَهَيُّباً وَتَوْقِيراً.

قَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ التُّجِيبِيُّ[1]: وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ مَتَى ذَكَرَهُ ﷺ أَوْ ذُكِرَ عِنْدَهُ أَنْ يَخْضَعَ وَيَخْشَعَ وَيَتَوَقَّرَ وَيَسْكُنَ مِنْ حَرَكَتِهِ، وَيَأْخُذَ فِي هَيْبَتِهِ وَإِجْلاَلِهِ بِمَا كَانَ يَأْخُذُ بِهِ نَفْسَهُ لَوْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَتَأَدَّبَ بِمَا أَدَّبَنَا اللَّهُ بِهِ.

وَكَانَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ[2] إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهُ بَكَى حَتَّى نَرْحَمَهُ.

وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ[3] كَثِيرَ الدُّعَابَةِ وَالتَّبَسُّمِ، فَإِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ ﷺ اصْفَرَّ لَوْنُهُ.

وَكَانَ عَبْدُالرَّحْمٰنِ بْنُ الْقَاسِمِ[4] إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ ﷺ يُنْظَرُ إِلَى لَوْنِهِ كَأَنَّهُ قَدْ نَزَفَ مِنْهُ الدَّمُ، وَقَدْ جَفَّ لِسَانُهُ فِي فَمِهِ هَيْبَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَكَانَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ[5] إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَكَى حَتَّى لاَ يَبْقَى فِي عَيْنَيْهِ دُمُوعٌ.

وَكَانَ الزُّهْرِيُّ مِنْ أَهْنَإِ النَّاسِ وَأَقْرَبِهِمْ، فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَكَأَنَّكَ مَا عَرَفْتَهُ وَلاَ عَرَفَكَ.

وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ سُلَيْمٍ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ الْمُجْتَهِدِينَ، فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَكَى، فَلاَ يَزَالُ يَبْكِي حَتَّى يَقُومَ النَّاسُ عَنْهُ وَيَتْرُكُوهُ.

---

(١) نسبة لقبيلة من كِندة تدعىٰ تُجيب.

(٢) نسبة لعمل السَّختيان (وهو الجلد المدبوغ).

(٣) ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٤) ابن محمد بن أبي بكر الصديق.

(٥) وفي الشفا: عامر بن عبدالله بن الزبير.

وَكَانَ قَتَادَةُ إِذَا سَمِعَ الْحَدِيثَ أَخَذَهُ الْبُكَاءُ وَالْعَوِيلُ[1] وَالزَّوِيلُ - أي: الْقَلَقُ وَالانْزِعَاجُ -. أَشَارَ إِلَى ذٰلِكَ الْقَاضِي عِيَاضٌ.

وَمِنْ عَلامَاتِ مَحَبَّتِهِ ﷺ: كَثْرَةُ الشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ، وَقَدْ كَانَتِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِذَا اشْتَدَّ بِهِمُ الشَّوْقُ وَأَزْعَجَتْهُمْ لَوَاعِجُ الْمَحَبَّةِ[2] قَصَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتَشْفَوْا[3] بِمُشَاهَدَتِهِ، وَتَلَذَّذُوا بِالْجُلُوسِ مَعَهُ وَالنَّظَرِ إِلَيْهِ وَالتَّبَرُّكِ بِهِ ﷺ.

وعَنْ عَبْدَةَ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ - وَهُوَ مِنَ التَّابِعِينَ - قَالَتْ: مَا كَانَ خَالِدٌ يَأْوِي إِلَى فِرَاشٍ إِلاَّ وَهُوَ يَذْكُرُ مِنْ شَوْقِهِ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَإِلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، يُسَمِّيهِمْ وَيَقُولُ: هُمْ أَصْلِي وَفَصْلِي، وَإِلَيْهِمْ يَحِنُّ قَلْبِي، طَالَ شَوْقِي إِلَيْهِمْ، فَعَجِّلْ رَبِّ قَبْضِي إِلَيْكَ، حَتَّى يَغْلِبَهُ النَّوْمُ.

وَلَمَّا احْتُضِرَ بِلالٌ نَادَتِ امْرَأَتُهُ: وَاحَرَبَاهُ[4]، فَقَالَ: وَاطَرَبَاهُ، غداً أَلْقَى الأَحِبَّةَ، مُحَمَّداً وَصَحْبَهُ.

وَمِنْ عَلامَاتِ مَحَبَّتِهِ ﷺ: حُبُّ الْقُرْآنِ الَّذِي أَتَى بِهِ وَهَدَى بِهِ وَاهْتَدَى بِهِ وَتَخَلَّقَ بِهِ، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَا عِنْدَكَ وَعِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ مَحَبَّةِ اللّهِ وَرَسُولِهِ فَانْظُرْ مَحَبَّةَ الْقُرْآنِ مِنْ قَلْبِكَ، وَالْتِذَاذَكَ بِسَمَاعِهِ، هَلْ هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْتِذَاذِ أَصْحَابِ الْمَلاَهِي وَالْغِنَى الْمُطْرِبِ بِسَمَاعِهِمْ.

وَيُرْوَى أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قَالَ: لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُنَا لَمَا شَبِعَتْ مِنْ كَلاَمِ اللّهِ.

---

(١) وهو البكاء مع الصوت.

(٢) استحرارها.

(٣) في المواهب: واشتفوا.

(٤) وفي رواية: واحزناه.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ**»، قَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! فَقَالَ: «**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**»، فَاسْتَفْتَحَ، وَقَرَأَ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا** ﴿٤١﴾﴾[1] قَالَ: «**حَسْبُكَ**»، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ مِنَ الْبُكَاءِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَهَٰذَا يَجِدُهُ مَنْ سَمِعَ الْكِتَابَ الْعَزِيزَ بِأُذُنِ قَلْبِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ**﴾[2].

وَقَدْ كَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رُبَّمَا مَرَّ بِآيَةٍ فِي وِرْدِهِ فَتَخْنُقُهُ الْعَبْرَةُ، وَيَسْقُطُ، وَيَلْزَمُ الْبَيْتَ الْيَوْمَ وَالْيَوْمَيْنِ حَتَّى يُعَادَ وَيُحْسَبَ مَرِيضاً.

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ ذَوْقَهُ وَوَجْدَهُ وَطَرَبَهُ وَنَشْأَتَهُ[3] فِي سَمَاعِ الأَبْيَاتِ دُونَ سَمَاعِ الآيَاتِ؛ وَفِي سَمَاعِ الأَلْحَانِ دُونَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ هَٰذَا مِنْ أَقْوَى الأَدِلَّةِ عَلَى فَرَاغِ قَلْبِهِ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، رَزَقَنَا اللَّهُ حَلاَوَةَ مَحَبَّتِهِ بِمَنِّهِ وَرَحْمَتِهِ.

وَمِنْ عَلامَاتِ مَحَبَّتِهِ ﷺ: مَحَبَّةُ سُنَّتِهِ، وَقِرَاءَةُ حَدِيثِهِ، فَإِنَّ مَنْ دَخَلَتْ حَلاَوَةُ الإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ إِذَا سَمِعَ كَلِمَةً مِنْ كَلاَمِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِهِ ﷺ تَشَرَّبَتْهَا رُوحُهُ وَقَلْبُهُ وَنَفْسُهُ.

وَمِنْ عَلامَاتِ مَحَبَّتِهِ ﷺ: أَنْ يَلْتَذَّ مُحِبُّهُ بِذِكْرِهِ الشَّرِيفِ، وَيَطْرَبَ عِنْدَ سَمَاعِ اسْمِهِ الْمُنِيفِ[4]، وَقَدْ يُوجِبُ لَهُ ذَٰلِكَ سُكْراً يَسْتَغْرِقُ قَلْبَهُ وَرُوحَهُ وَسَمْعَهُ.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤١.

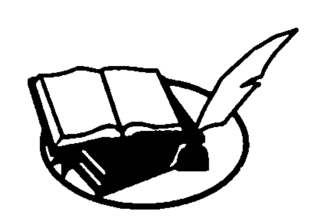
(٢) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

(٣) زيادته في الطَّرَب.

(٤) الرفيع.

فَمَنِ اتَّصَفَ بِهٰذِهِ الْعلاَمَاتِ فَهُوَ كَامِلُ الْمَحَبَّةِ لِلّٰهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ خَالَفَ بَعْضَهَا فَهُوَ نَاقِصُ الْمَحَبَّةِ وَلاَ يَخْرُجُ عَنِ اسْمِهَا، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِلَّذِي حَدَّهُ فِي الْخَمْرِ لَمَّا لَعَنَهُ بَعْضُهُمْ وَقَالَ: مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؛ فَقَالَ ﷺ: **«لاَ تَلْعَنْهُ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ»**[1]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُحِبُّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ مَعَ وُجُودِ مَا صَدَرَ مِنْهُ.

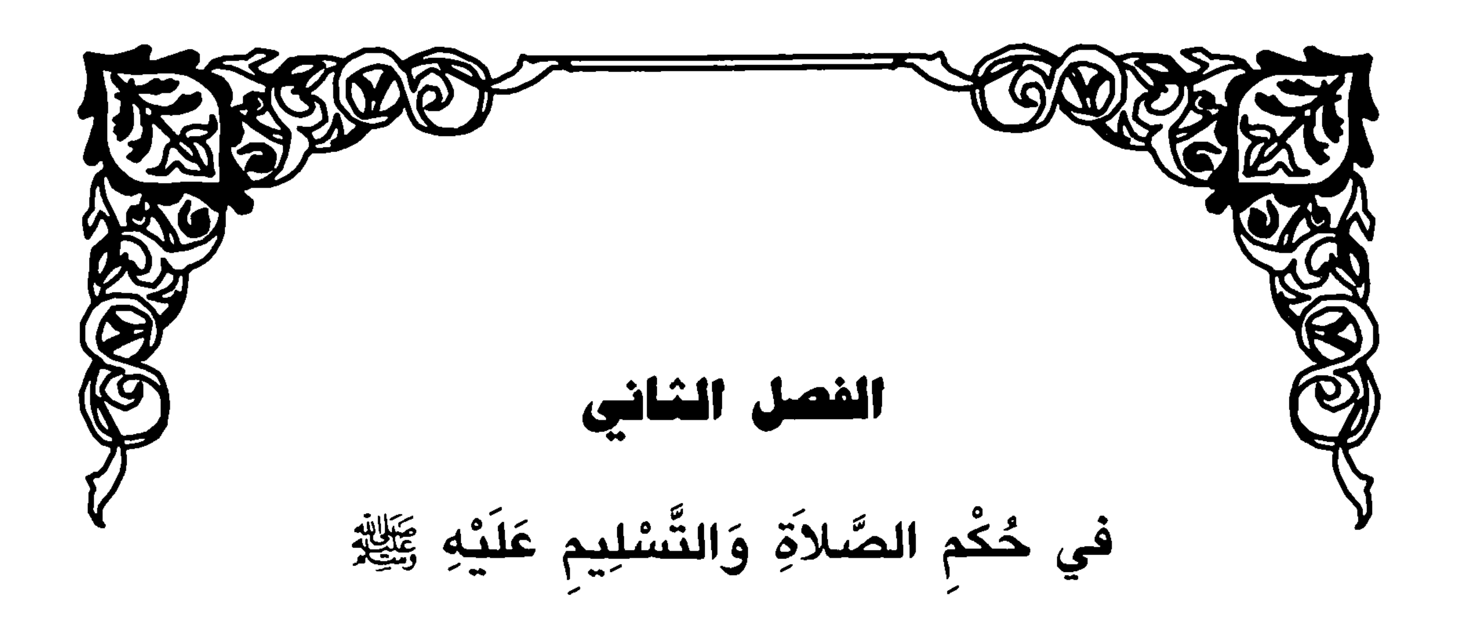
تَنْبِيهٌ: الْمَحَبَّةُ أَرْفَعُ مِنَ الْخُلَّةِ[2]، وَقِيلَ بِالْعَكْسِ، وَقِيلَ: هُمَا سَوَاءٌ. وَنَبِيُّنَا ﷺ هُوَ حَبِيبُ اللّٰهِ وَخَلِيلُهُ؛ وَإِنِ اشْتَهَرَ هُوَ بِالْحَبِيبِ وَإِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِالْخَلِيلِ، وَقَدْ وَقَعَ الإِجْمَاعُ عَلَى فَضْلِهِ ﷺ عَلَى جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ، بَلْ هُوَ أَفْضَلُ خَلْقِ اللّٰهِ تَعَالَى عَلَى الإِطْلاَقِ.



---

(١) رواه البخاري.

(٢) وهي المودّة التي تتخلّل القلب.



الفصل الثاني

في حُكْمِ الصَّلاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ ﷺ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[1] قِيلَ: نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ، وَلِذٰلِكَ يُقَالُ لَهُ شَهْرُ الصَّلاَةِ عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ.

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: مَعْنَى صَلاَةِ اللّٰهِ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ مَلاَئِكَتِهِ، وَمَعْنَى صَلاَةِ الْمَلاَئِكَةِ عَلَيْهِ: الْدُّعَاءُ، قَالَ فِي فَتْحِ الْبَارِي: وَهٰذَا أَوْلَى الأَقْوَالِ، فَيَكُونُ مَعْنَى صَلاَةِ اللّٰهِ تَعَالَى عَلَيْهِ: ثَنَاءَهُ وَتَعْظِيمَهُ، وَصَلاَةُ الْمَلاَئِكَةِ وَغَيْرِهِمْ: طَلَبُ ذٰلِكَ لَهُ مِنَ اللّٰهِ تَعَالَى، وَالْمُرَادُ: طَلَبُ الزِّيَادَةِ لاَ طَلَبُ أَصْلِ الْصَّلاَةِ.

وَحَكَى الْقَاضِي عِيَاضٌ عَنْ بَكْرِ الْقُشَيْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: الصَّلاَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ اللّٰهِ تَشْرِيفٌ وَزِيَادَةُ تَكْرِمَةٍ، وَعَلَى مَنْ دُونَ النَّبِيِّ رَحْمَةٌ، وَبِهٰذَا يَظْهَرُ الْفَرْقُ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ، حَيْثُ قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الأَحْزَابِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾، وَقَالَ قَبْلَ ذٰلِكَ فِي

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

السُّورَةِ الْمَذْكُورَةِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾[1]، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْقَدْرَ الَّذِي يَلِيقُ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ ذٰلِكَ أَرْفَعُ مِمَّا يَلِيقُ بِغَيْرِهِ، وَالإِجْمَاعُ مُنْعَقِدٌ عَلَى أَنَّ فِي هٰذِهِ الآيَةِ مِنْ تَعْظِيمِ النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّنْوِيهِ بِهِ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهَا.

وَقَالَ الْحُلَيْمِيُّ: مَعْنَى الصَّلاَةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: تَعْظِيمُهُ، فَمَعْنَى قَوْلِنَا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ: عَظِّمْ مُحَمَّداً، وَالْمُرَادُ: تَعْظِيمُهُ فِي الدُّنْيَا بِإِعْلاَءِ ذِكْرِهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ وَإِبْقَاءِ شَرِيعَتِهِ، وَفِي الآخِرَةِ بِإِجْزَالِ مَثُوبَتِهِ وَتَشْفِيعِهِ فِي أُمَّتِهِ وَإِبْدَاءِ فَضِيلَتِهِ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَعَلَى هٰذَا فَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾: ادْعُوا رَبَّكُمْ بِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ، وَالْمَقْصُودُ بِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ ﷺ: التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ تَعَالَى، وَقَضَاءِ بَعْضِ حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْنَا.

قَالَ ابْنَ عَبْدِالسَّلاَمِ[2]: لَيْسَتْ صَلاَتُنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ شَفَاعَةً لَهُ، فَإِنَّ مِثْلَنَا لاَ يَشْفَعُ لِمِثْلِهِ، وَلٰكِنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِمُكَافَأَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا، فَإِنْ عَجَزْنَا عَنْهَا كَافَأْنَاهُ بِالدُّعَاءِ، فَأَرْشَدَنَا اللَّهُ لَمَّا عَلِمَ عَجزْنَا عَنْ مُكَافَأَةِ نَبِيِّنَا إِلَى الصَّلاَةِ عَلَيْهِ.

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ[3]: فَائِدَةُ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ تَرْجِعُ إِلَى الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْهِ، لِدَلاَلَةِ ذٰلِكَ عَلَى نُصُوحِ الْعَقِيدَةِ، وَخُلُوصِ النِّيَّةِ، وَإِظْهَارِ الْمَحَبَّةِ، وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَاحْتِرَامِ الْوَاسِطَةِ الْكَرِيمَةِ ﷺ.

وَاخْتُلِفَ فِي حُكْمِ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ ﷺ عَلَى أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: تَجِبُ فِي الْقُعودِ آخِرَ الصَّلاَةِ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَسَلاَمِ التَّحَلُّلِ، قَالَهُ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ تَبِعَهُ.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣.

(٢) في شجرة المعارف.

(٣) وهو القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله المالكي. أما ابن عربي: فهو محيي الدين محمد بن علي الحاتمي الطائي.

الثَّانِي: أَنَّهَا تَجِبُ فِي الْجُمْلَةِ بِغَيْرِ حَصْرٍ، لٰكِنْ أَقَلُّ مَا يَحْصُلُ بِهِ الإِجْزَاءُ مَرَّةً.

الثَّالِثُ: يَجِبُ الإِكْثَارُ مِنْهَا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِعَدَدٍ، قَالَهُ أَبُو بَكْرِ ابْنُ بُكَيْرٍ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ.

الرَّابِعُ: تَجِبُ كُلَّمَا ذُكِرَ، وَهُوَ قَوْلُ كَثِيرِينَ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ، وَاسْتَدَلُّوا بِحَدِيثِ: «**مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللّٰهُ**»[1]، وَحَدِيثِ: «**رَغِمَ أَنْفُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**»[2]، وَحَدِيثِ: «**شَقِيَ عَبْدٌ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**»[3].

الْخَامِسُ: فِي كُلِّ مَجْلِسٍ مَرَّةً، وَلَوْ تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ ﷺ.

السَّادِسُ: فِي كُلِّ دُعَاءٍ، حَكَاهُمَا الزَّمَخْشَرِيُّ.

السَّابِعُ: أَنَّهَا مِنَ الْمُسْتَحَبَّاتِ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ.

الثَّامِنُ: تَجِبُ فِي الْعُمْرِ مَرَّةً فِي الصَّلاَةِ أَوْ غَيْرِهَا، قَالَهُ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ.

التَّاسِعُ: تَجِبُ فِي الصَّلاَةِ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينِ الْمَحَلِّ، وَنُقِلَ ذٰلِكَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ.

الْعَاشِرُ: تَجِبُ فِي التَّشَهُّدِ الأَوَّلِ وَالأَخِيرِ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّعْبِيِّ وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ.

وَأَمَّا صِفَةُ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ ﷺ: فَعَنْ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى قَالَ: لَقِيَنِي

---

(١) رواه ابن حبان.

(٢) رواه الترمذي، وصححه الحاكم.

(٣) رواه الطبراني.

كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ فَقَالَ: أَلاَ أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: **«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»** رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ.

وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِلَفْظِ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[1] قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَكَيْفَ الصَّلاَةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: **«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»**.

وَعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: **«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ[2]، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»** رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللَّهُ أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ،**

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) نصُّ الإمام أحمد في المسند: كما صلّيت على آل إبراهيم.

وَبارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ»[1] رَوَاهُ مَالِكٌ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَوْقِعُ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، مَعَ أَنَّ الْمُقَرَّرَ أَنَّ الْمُشَبَّهَ دُونَ الْمُشَبَّهِ بِهِ، وَالْوَاقِعُ هُنَا عَكْسُهُ؛ لأَنَّ مُحَمَّداً ﷺ وَحْدَهُ أَفْضَلُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَمِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَلاَ سِيَّمَا وَقَدْ أُضِيفَ إِلَيْهِ آلُ مُحَمَّدٍ، وَقَضِيَّةُ كَوْنِهِ أَفْضَلَ أَنْ تَكُونَ الصَّلاَةُ الْمَطْلُوبَةُ لَهُ أَفْضَلَ مِنْ كُلِّ صَلاَةٍ حَصَلَتْ أَوْ تَحْصُلُ لِغَيْرِهِ.

فَقَدْ أَجَابَ الْعُلَمَاءُ عَنْهُ بِأَجْوِبَةٍ كَثِيرَةٍ.

مِنْهَا: أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ مَقْطُوعٌ عَنِ التَّشْبِيهِ»، فَيَكُونُ التَّشْبِيهُ مُتَعَلِّقاً بِقَوْلِهِ: وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ[2]، وَنُقِلَ هٰذَا عَنِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِنْهَا: أَنَّ كَوْنَ الْمُشَبَّهِ دُونَ الْمُشَبَّهِ بِهِ لَيْسَ مُطَّرِداً، بَلْ قَدْ يَكُونُ التَّشْبِيهُ بِالْمِثْلِ بَلْ بِالدُّونِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾[3]، وَأَيْنَ يَقَعُ نُورُ الْمِشْكَاةِ مِنْ نُورِهِ تَعَالَى.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: أَحْسَنُ الأَجْوِبَةِ مَا نُسِبَ إِلَى الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ التَّشْبِيهَ لأَصْلِ الصَّلاَةِ بِأَصْلِ الصَّلاَةِ، أَوْ لِلْمَجْمُوعِ بِالْمَجْمُوعِ.

وَمِمَّا يُعْزَى لِلْعَارِفِ الرَّبَّانِيِّ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمَرْجَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ: وَسِرُّ قَوْلِهِ ﷺ: «كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَكَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ» وَلَمْ يَقُلْ

---

(١) أي: في التشهُّد.
(٢) أي: اللهم صلِّ على آل محمد كما صلّيت على سيدنا إبراهيم.
(٣) سورة النور، الآية: ٣٥.

كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى مُوسَى، لأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ التَّجَلِّي لَهُ بِالْجَلاَلِ، فَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً، وَالْخَلِيلُ إِبْرَاهِيمُ كَانَ التَّجَلِّي لَهُ بِالْجَمَالِ، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ وَالْخُلَّةَ مِنْ آثَارِ التَّجَلِّي بِالْجَمَالِ، فَلِهٰذَا أَمَرَهُمْ صَلَوَاتُ اللّٰهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ أَنْ يُصَلُّوا عَلَيْهِ كَمَا صَلَّى عَلَى إِبْرَاهِيمَ، لِيَسْأَلُوا لَهُ التَّجَلِّيَ بِالْجَمَالِ، وَهٰذَا لاَ يَقْتَضِي التَّسْوِيَةَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلِيلِ صَلَوَاتُ اللّٰهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِمَا، لأَنَّهُ إِنَّمَا أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْأَلُوا لَهُ التَّجَلِّيَ بِالْوَصْفِ الَّذِي تَجَلَّى بِهِ لِلْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَالَّذِي يَقْتَضِيهِ الْحَدِيثُ الْمُشَارَكَةُ فِي الْوَصْفِ الَّذِي هُوَ التَّجَلِّي بِالْجَمَالِ، وَلاَ يَقْتَضِي التَّسْوِيَةَ فِي الْمَقَامَيْنِ وَلاَ فِي الرُّتْبَتَيْنِ، فَإِنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ يَتَجَلَّى بِالْجَمَالِ لِشَخْصَيْنِ بِحَسَبِ مَقَامَيْهِمَا وَإِنِ اشْتَرَكَا فِي وَصْفِ التَّجَلِّي بِالْجَمَالِ، فَيَتَجَلَّى لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِحَسَبِ مَقَامِهِ عِنْدَهُ وَرُتْبَتِهِ مِنْهُ وَمَكَانَتِهِ، فَيَتَجَلَّى لِلْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِالْجَمَالِ بِحَسَبِ مَقَامِهِ، وَيَتَجَلَّى لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْجَمَالِ بِحَسَبِ مَقَامِهِ، فَعَلَى هٰذَا يُفْهَمُ الْحَدِيثُ. انتهى.

وَالْمُرَادُ بِآلِ مُحَمَّدٍ فِي هٰذَا الْحَدِيثِ: «**مَنْ حَرُمَتْ عَلَيهِمْ الصَّدَقَةُ**» كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ وَاخْتَارَهُ الْجُمْهُورُ، وَقِيلَ: أَزْوَاجُهُ ﷺ وَذُرِّيَّتُهُ، وَقِيلَ: جَمِيعُ الأُمَّةِ أُمَّةِ الإِجَابَةِ. وَقِيلَ: الأَتْقِيَاءُ مِنْهُمْ.

وَهٰذِهِ أَفْضَلُ كَيْفِيَّاتِ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ ﷺ، لأَنَّهُ لاَ يَخْتَارُ لِنَفْسِهِ إِلاَّ الأَشْرَفَ الأَفْضَلَ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَى ذٰلِكَ أَنَّهُ لَوْ حَلَفَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَفْضَلَ الصَّلاَةِ فَطَرِيقُ الْبِرِّ أَنْ يَأْتِيَ بِذٰلِكَ، هٰكَذَا صَوَّبَهُ النَّوَوِيُّ[1]. وَقِيلَ: يَبَرُّ إِذَا قَالَ: كُلَّمَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ، وَكُلَّمَا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ، لِذِكْرِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ هٰذِهِ الْكَيْفِيَّةِ فِي خُطْبَةِ الرِّسَالَةِ لَهُ. وَقَالَ الْقَاضِي حُسَيْنٌ فِي

---

(١) في الروضة.

طَرِيقِ الْبِرِّ[1] أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَيَسْتَحِقُّهُ، وَلَوْ جَمَعَ بَيْنَهَا فَقَالَ مَا فِي الْحَدِيثِ وَأَضَافَ إِلَيْهِ أَثَرَ الشَّافِعِيِّ وَمَا قَالَهُ الْقَاضِي لَكَانَ أَشْمَلَ، وَلَوْ قِيلَ: إِنَّهُ يَعْمِدُ إِلَى جَمِيعِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الرِّوَايَاتُ الثَّابِتَةُ فَيَسْتَعْمِلُ مِنْهَا ذِكْراً يَحْصُلُ بِهِ الْبِرُّ لَكَانَ حَسَناً.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاَةِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَارْحَمْ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**» رَوَاهُ الْحَاكِمُ.

وَعَنْ سَلاَمَةَ الْكِنْدِيِّ: أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُعَلِّمُ النَّاسَ الصَّلاَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ وَبَارِىءَ الْمَسْمُوكَاتِ اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ وَرَأْفَةَ تَحَنُّنِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَالدَّامِغِ لِجَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ بِأَمْرِكَ بِطَاعَتِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ، مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ، حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسِ آلاءِ اللَّهِ تَصِلُ بِأَهْلِهِ أَسْبَابُهُ، بِهِ هُدِيَتِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالإِثْمِ، وَأَبْهَجَ مُوضِحَاتِ الأَعْلاَمِ وَنَائِرَاتِ الأَحْكَامِ وَمُنِيرَاتِ الإِسْلاَمِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً، وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً، اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ فِي عَدْنِكَ[2]، وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ، مُهَنَّئَاتٍ لَهُ غَيْرَ مُكَدَّرَاتٍ مِنْ فَوْزِ ثَوَابِكَ الْمَحْلُولِ، وَجَزِيلِ عَطَائِكَ الْمَعْلُولِ، اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ النَّاسِ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ مَثْوَاهُ لَدَيْكَ وَنُزُلَهُ، وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، وَاجْزِهِ مِنِ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ**

---

(١) بيمينه.

(٢) أي: في جَنّة عدنك.

وَمَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، وَخُطَّةِ فَصْلٍ وَبُرْهَانٍ عَظِيمٍ».

وَمَعْنَى دَاحِي: بَاسِطٌ، وَالْمَدْحُوَّاتُ الأَرَضُونَ.

وَبَارِىءِ: خَالِقُ، وَالْمَسْمُوكَاتُ، أَيِ: الْمَرْفُوعَاتُ ـ يَعْنِي السَّمٰوَاتِ ـ.

وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ: زَوَائِدُهَا.

وَالْفَاتِحُ لِمَا أُغْلِقَ: أَيْ: مِنَ الشَّرَائِعِ، وَالخَاتِمُ لِمَا سَبَقَ: أَيْ: مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ.

وَالدَّامِغُ: الدَّافِعُ وَالْمُزِيلُ، وَجَيْشَاتُ الأَبَاطِيلِ: ارْتِفَاعَاتُهَا، وَاضْطَلَعَ: قَوِيَ، وَالْمُسْتَوْفِزُ: الْمُسْتَعْجِلُ.

وَأَوْرَى: أَنَارَ، وَالْقَبَسُ: أَصْلُهُ الشُّعْلَةُ مِنَ النَّارِ، وَالْقَابِسُ: طَالِبُ الاقْتِبَاسِ، وَالْمُرَادُ هُنَا: طَالِبُ نُورِ الْحَقِّ وَالْهِدَايَةِ، وَآلاَءُ اللّهِ: نِعَمُهُ.

وَأَبْهَجَ: أَنَارَ، وَالأَعْلاَمُ: الْعَلاَمَاتُ الَّتِي يُهْتَدَى بِهَا، وَالنَّائِرَاتُ: الْمُضِيئَاتُ.

وَالْمَحْلُولُ: الَّذِي يُحَلُّ فِيهِ وَهُوَ الْجَنَّةُ، وَالْمَعْلُولُ: مِنَ الْعَلَلِ، وَهُوَ الشُّرْبُ بَعْدَ الشُّرْبِ.

وَمَثْوَاهُ: مُقَامُهُ، وَالنُّزُلُ: مَا يُعَدُّ لإِكْرَامِ الضَّيْفِ إِذَا نَزَلَ.

وَالْخُطَّةُ: الأَمْرُ وَالشَّأْنُ الْجَزْلُ، وَالْفَصْلُ: الْفَاصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

وَعَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَأَحْسِنُوا الصَّلاَةَ عَلَيْهِ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ لَعَلَّ ذٰلِكَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ، فَقَالُوا لَهُ: عَلِّمْنَا؟ قَالَ: «**قُولُوا اللّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَخَاتِمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ عَبدِكَ وَرَسُولِكَ إِمَامِ الْخَيرِ وَرَسُولِ الرَّحمَةِ، اللّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً يَغْبِطُهُ فِيهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيتَ عَلَى**

إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

وَعَنْ رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْزِلْهُ الْمَقْعَدَ الصِّدْقَ الْمُقَرَّبَ عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ[1].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الأَوْفَى إِذَا صَلَّى عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وَأَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَعَنْ طَاوُسٍ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ الْكُبْرَى، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ الْعُلْيَا، وَأَعْطِهِ سُؤْلَهُ فِي الآخِرَةِ وَالأُولَى، كَمَا آتَيْتَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى.

وَأَمَّا الْمَوَاطِنُ الَّتِي تُشْرَعُ فِيهَا الصَّلاةُ عَلَيْهِ ﷺ:

فَمِنْهَا: التَّشَهُّدُ الأَخِيرُ، وَهِيَ وَاجِبَةٌ فِيهِ.

وَمِنْهَا: التَّشَهُّدُ الأَوَّلُ؛ وَهِيَ سُنَّةٌ فِيهِ، وَأَقَلُّهَا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ.

وَمِنْهَا: خُطْبَتَا الْجُمُعَةِ وَغَيْرِهَا، فَلاَ تَصِحُّ خُطْبَتَا الْجُمُعَةِ إِلاَّ بِهَا.

وَمِنْهَا: عَقِبَ إِجَابَةِ الْمُؤَذِّنِ؛ لِمَا رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ**

---

(١) وإسناده حسن، كما قال ابن كثير.

عِبَادِ اللّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ اللّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ[1]. وَقَوْلُهُ: «حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ» أَيْ: وَجَبَتْ، وَقِيلَ: غَشِيَتْهُ وَنَزَلَتْ بِهِ[2].

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ جَابِرٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ؛ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَمِنْهَا: أَوَّلُ الدُّعَاءِ وَأَوْسَطُهُ وَآخِرُهُ، لِمَا رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ الرَّاكِبِ[3] يَمْلأُ قَدَحَهُ ثُمَّ يَضَعُهُ وَيَرْفَعُ مَتَاعَهُ، فَإِنِ احْتَاجَ إِلَى شَرَابٍ شَرِبَهُ أَوِ الْوَضُوءِ تَوَضَّأَ وَإِلاَّ أَهْرَاقَهُ[4]، وَلٰكِنِ اجْعَلُونِي فِي أَوَّلِ الدُّعَاءِ وَأَوْسَطِهِ وَآخِرِهِ».

وَمِنْهَا: ـ وَهُوَ مِنْ آكَدِهَا ـ: عَقِبَ دُعَاءِ الْقُنُوتِ، لِمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[5] عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوَتْرِ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلاَ يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ، وَصَلَّى اللّهُ عَلَى النَّبِيِّ».

وَمِنْهَا: أَثْنَاءَ تَكْبِيرَاتِ الْعِيدَيْنِ، رُوِيَ ذٰلِكَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ.

---

(١) كأصحاب السنن.

(٢) وروىٰ مسلم: «مَن قال حين يسمع المؤذِّن: وأنا أشهد ألاّ إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، رضيتُ بالله ربًا، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً؛ غُفر له».

(٣) وهو إناؤه الذي يشرب فيه.

(٤) صَبَّه.

(٥) كأهل السنن.

وَمِنْهَا: عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالْخُرُوجِ مِنْهُ، لِمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ[1] عَنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**»، وَإِذَا خَرَجَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ**».

وَمِنْهَا: فِي صَلاَةِ الْجَنَازَةِ، فَإِنَّ السُّنَّةَ أَنْ يَقْرَأَ الْفَاتِحَةَ بَعْدَ إِحْدَى التَّكْبِيرَاتِ، وَبَعْدَ الأُولَى أَوْلَى، وَأَنْ يُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ الثَّانِيَةِ، وَيَدْعُو لِلْمَيِّتِ بَعْدَ الثَّالِثَةِ، وَيَقُولَ بَعْدَ الرَّابِعَةِ: اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلاَ تَفْتِنَّا بَعْدَهُ، وَفِي ذٰلِكَ حَدِيثٌ رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ وَالنَّسَائِيُّ.

وَمِنْهَا: عِنْدَ التَّلْبِيَةِ، أَيْ: بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهَا.

وَمِنْهَا: عِنْدَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ.

وَمِنْهَا: عِنْدَ الاجْتِمَاعِ وَالتَّفَرُّقِ، لِمَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ**». (وَالتِّرَةُ: النَّقْصُ أَوِ التَّبِعَةُ أَوِ الْحَسْرَةُ). وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: مَا مِنْ قَوْمٍ يَقْعُدُونَ ثُمَّ يَقُومُونَ وَلاَ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ، لِمَا يَرَوْنَ مِنَ الثَّوَابِ لِمَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ[2].

وَمِنْهَا: عِنْدَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، لِمَا رَوَى الطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْراً وَحِينَ يُمْسِي عَشْراً أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

---

(١) وأصحاب السنن.

(٢) رواه النسائي.

وَمِنْهَا: عِنْدَ الْوُضُوءِ، لِحَدِيثِ ابْنِ مَاجَهْ[1] عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**لاَ وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ**».

وَمِنْهَا: عِنْدَ نِسْيَانِ الشَّيْءِ، لِحَدِيثِ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِذَا نَسِيتُمْ شَيْئاً فَصَلُّوا عَلَيَّ تَذْكُرُوهُ إِنْ شَاءَ اللّهُ تَعَالَى**» رَوَاهُ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ[2].

وَمِنْهَا: بَعْدَ الْعُطَاسِ. كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ وَجَمَاعَةٌ.

وَمِنْهَا: عِنْدَ زِيَارَةِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ ﷺ، لِحَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ اللّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ**». وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ**».

وَوَرَدَ الأَمْرُ بِالإِكْثَارِ مِنْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَتَهَا، فَعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خَلَقَ اللّهُ آدَمَ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاَةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ! وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاَتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ؟ ـ أَيْ: بَلِيتَ ـ، قَالَ: «**إِنَّ اللّهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ**» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[3] وَصَحَّحَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَغَيْرُهُ[4].

وَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الأَمْرَ بِالإِكْثَارِ مِنَ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْحِكْمَةُ فِي خُصُوصِيَّةِ الإِكْثَارِ مِنَ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَتَها؟

---

(١) بسند ضعيف، كما في الفتح.

(٢) بسند فيه ضَعف.

(٣) كأصحاب السنن.

(٤) كابن حبان والدارقطني.

أَجابَ ابْنُ الْقَيِّمِ: بِأَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ سَيِّدُ الأَنَامِ، وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الأَيَّامِ، فَلِلصَّلاَةِ عَلَيْهِ فِيهِ مَزِيَّةٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ، مَعَ حِكْمَةٍ أُخْرَى وَهِيَ: أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ نَالَتْهُ أُمَّتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَإِنَّمَا نَالَتْهُ عَلَى يَدِهِ ﷺ، فَجَمَعَ اللّهُ لأُمَّتِهِ بَيْنَ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَعْظَمُ كَرَامَةٍ تَحْصُلُ لَهُمْ إِنَّمَا تَحْصُلُ لَهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فَإِنَّ فِيهِ بَعْثَهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَقُصُورِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ يَوْمُ الْمَزِيدِ لَهُمْ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ، وَهُوَ يَوْمُ عِيدِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَوْمٌ فِيهِ يُسْعِفُهُمُ اللّهُ تَعَالَى بِطَلِبَاتِهِمْ[1] وَحَوَائِجِهِمْ وَلاَ يَرُدُّ سَائِلَهُمْ، وَهٰذَا كُلُّهُ إِنَّمَا عَرَفُوهُ وَحَصَلَ لَهُمْ بِسَبَبِهِ وَعَلَى يَدِهِ ﷺ، فَمِنْ شُكْرِهِ وَحَمْدِهِ وَأَدَاءِ الْقَلِيلِ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُكْثِرُوا مِنَ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ فِي هٰذَا الْيَوْمِ وَلَيْلَتِهِ ﷺ.

وَأَمَّا فَضِيلَةُ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ ﷺ: فَقَدْ وَرَدَ التَّصْرِيحُ بِهَا فِي أَحَادِيثَ قَوِيَّةٍ، أَمْثَلُهَا مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّىٰ اللّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً**».

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي، فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ وَاحِدَةً صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَرَفَعَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالسُّرُورُ يُرَى فِي وَجْهِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّا لَنَرَى السُّرُورَ فِي وَجْهِكَ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ أَتَانِي الْمَلَكُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: إِنَّهُ لاَ يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلاَّ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْراً، وَلاَ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلاَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْراً؟**» قَالَ: «**بَلَى**» رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[2].

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً**

---

(١) بحاجاتهم.

(٢) كالنسائي واللفظ له.

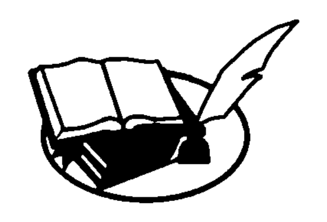
لَمْ تَزَلِ الْمَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقْلِلْ عَبْدٌ مِنْ ذٰلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ» رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[1].

وَعَنْ عَبْدِاللّٰهِ بْنِ عَمْرو بْنِ الْعَاصِ: مَنْ صَلَّى عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ صَلاَةً صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَمَلاَئِكَتُهُ بِهَا سَبْعِينَ صَلاَةً، فَلْيُقْلِلْ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ. رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ[2]، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي[3]؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ**»، قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: فَالنِّصْفُ؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ**»، قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: «**إِذاً تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ ذَنْبُكَ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[4].

قَالَ النَّوَوِيُّ: وَيُكْرَهُ إِفْرَادُ الصَّلاَةِ عَنِ السَّلاَمِ، وَاسْتَدَلَّ بِوُرُودِ الأَمْرِ بِهِمَا مَعاً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[5].

وَقَالَ فِي فَتْحِ الْبَارِي: إِنَّهُ يُكْرَهُ أَنْ يُفْرِدَ الصَّلاَةَ وَلاَ يُسَلِّمَ أَصْلاً، أَمَّا لَوْ صَلَّى فِي وَقْتٍ وَسَلَّمَ فِي وَقْتٍ آخَرَ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُمْتَثِلاً.



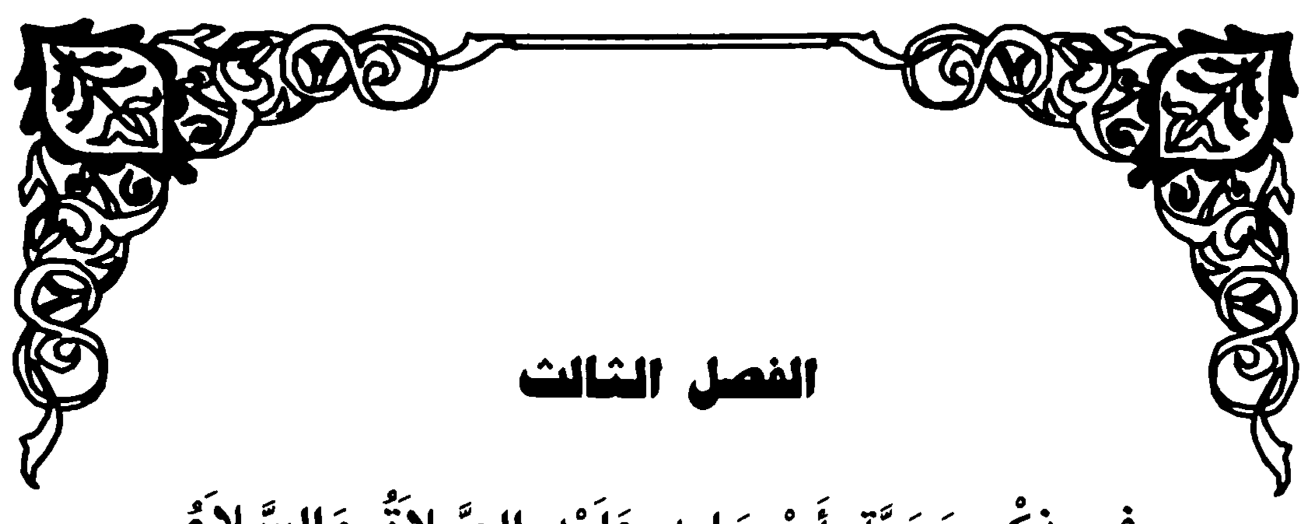
(١) كابن ماجه.

(٢) أي: عليك.

(٣) أي: دعائي.

(٤) بسند حسن.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.



الفصل الثالث

فِي ذِكْرِ مَحَبَّةِ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَآلِهِ وَقَرَابَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ

قَالَ الطَّبَرَانِيُّ: اعْلَمْ أَنَّ اللّهَ تَعَالَى لَمَّا اصْطَفَى نَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ عَلَى جَمِيعِ مَنْ سِوَاهُ، وَخَصَّهُ بِمَا عَمَّهُ بِهِ مِنْ فَضْلِهِ الْبَاهِرِ وَحَبَاهُ، أَعْلَى بِبَرَكَتِهِ مَنِ انْتَمَى إِلَيْهِ نَسَباً أو نِسْبَةً، وَرَفَعَ مَنِ انطَوَى عَلَيْهِ نُصْرَةً وَصُحْبَةً، وَأَلْزَمَ مَوَدَّةَ قُرْبَاهُ كَافَّةَ بَرِيَّتِهِ، وَفَرَضَ مَحَبَّةَ جُمْلَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ الْمُعَظَّمِ وَذُرِّيَّتِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(١)، وَيُرْوَى أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ! مَنْ قَرَابَتُكَ هٰؤُلاَءِ؟ قَالَ: «**عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا**»(٢). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٣).

---

(١) سورة الشورىٰ، الآية: ٢٣.

(٢) قال الولي العراقي: في إسناده حسين الأشقر شيعي مختلف فيه.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣ .قال ابن كثير: هذه الآية نصٌّ في دخول أزواجه ﷺ، لأنهنّ سببُ نزول هذه الآية، ولهذا قال بعدها: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾.

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي الْمُرَادِ بِأَهْلِ الْبَيْتِ فِي هٰذِهِ الآيَة: فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عِكْرِمَةَ[١].

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ كَانَ فِي بَيْتِهِ[٢] إِذْ جَاءَتْ فَاطِمَةُ بِبُرْمَةٍ فِيهَا خَزِيرَةٌ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ بِهَا فَقَالَ: **«ادْعِي زَوْجَكِ وَابْنَيْكِ»**، قَالَتْ: فَجَاءَ عَلِيٌّ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تِلْكَ الْخَزِيرَةِ، وَتَحْتَهُ كِسَاءٌ، قَالَتْ: وَأَنَا فِي الْحُجْرَةِ أُصَلِّي، فَأَنْزَلَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ هٰذِهِ الآيَةَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، قَالَتْ: فَأَخَذَ فَضْلَ الْكِسَاءِ[٣] وَغَشَّاهُمْ بِهِ[٤]، ثُمَّ أَخْرَجَ يَدَهُ فَأَلْوَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: **«اللَّهُمَّ هٰؤُلاَءِ أَهْلُ بَيْتِي وَحَامَّتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً»** قَالَتْ: فَأَدْخَلْتُ رَأْسِي مِنَ الْبَيْتِ فَقُلْتُ: وَأَنَا مَعَكُمْ يَا رَسُولَ اللّٰهِ! فَقَالَ: **«إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ، إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ»** رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ.

(وَالْخَزِيرَةُ: لَحْمٌ يُقْطَعُ صِغَاراً وَيُصَبُّ عَلَيْهِ مَاءٌ كَثِيرٌ، فَإِذَا نَضِجَ ذُرَّ عَلَيْهِ الدَّقِيقُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لَحْمٌ فَهِيَ عَصِيدَةٌ. وَالْكِسَاءُ: مِرْطٌ مِنْ شَعْرٍ، وَالْمِرْطُ: هُوَ كُلُّ ثَوْبٍ غَيْرِ مَخِيطٍ. وَحَامَّتِي: أَيْ خَاصَّتِي).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: **«نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ فِي خَمْسَةٍ: فِيَّ، وَفِي عَلِيٍّ، وَحَسَنٍ، وَحُسَيْنٍ، وَفَاطِمَةَ»**،

---

(١) عن ابن عباس: قال عكرمة: مَن شاء باهلْتُه (أي: لاعَنْتُه بأن يجعل اللّٰهُ اللعنةَ على الكاذب) أنها نزلت في نساء النبي ﷺ.

(٢) الصواب: في بيتها، كما في المواهب والشفا.

(٣) الزائدَ منه.

(٤) غطّاهم.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ خَطِيباً، فَحَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **«أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَأُجِيبَهُ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَخُذُوا بِهِ»**، وَحَثَّ فِيهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: **«وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»** (ثَلاَثَ مَرَّاتٍ) فَقِيلَ لِزَيْدٍ: مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: بَلَى إِنَّ نِسَاءَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلٰكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ، قِيلَ: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: آلُ عَلِيٍّ[2]، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ الْعَبَّاسِ، قِيلَ: كُلُّ هٰؤُلاَءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ. (وَالثَّقَلُ: كُلُّ شَيْءٍ نَفِيسٍ مَصُونٍ).

وَلاَ يَشُكُّ مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ أَنَّ نِسَاءَ النَّبِيِّ ﷺ دَاخِلاَتٌ فِي الآيَةِ الْكَرِيمَةِ، فَإِنَّ سِيَاقَ الْكَلاَمِ مَعَهُنَّ، وَهٰذَا اخْتِيَارُ ابْنِ عَطِيَّةَ بَعْدَ نَقْلِ أَنَّ الْجُمْهُورَ عَلَى أَنَّهُمْ: عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ.

وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«إِنِّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللّهِ، وَعِتْرَتِي، كِتَابُ اللّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَعِتْرَتِي: أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَانْظُرُوا بِمَاذَا تَخْلُفُونِي فِيهِمَا»**[3]. (وَعِتْرَةُ الرَّجُلِ: أَهْلُهُ وَأَقَارِبُهُ).

---

(١) رواه ابن جرير وأحمد والطبراني.

(٢) وهم: الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم، وكلهم من فاطمة رضي الله عنها.

(٣) رواه أحمد والترمذي وحسّنه. وروىٰ الحاكم في المستدرَك: **«تركت فيكم شيئين لن تضِلُّوا بعدهما: كتابَ الله وسنّتي، ولن يتفرّقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض»**.

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! ارْقُبُوا مُحَمَّداً فِي أَهْلِ بَيْتِهِ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. (وَالْمُرَاقَبَةُ لِلشَّيْءِ: الْمُحَافَظَةُ عَلَيْهِ، يَقُولُ: احْفَظُوهُمْ وَلاَ تُؤْذُوهُمْ).

وَقَالَ أَيْضاً: لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي[1].

وَقَالَ ﷺ: «**أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ، وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي بِحُبِّي**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَفِي الْمَنَاقِبِ لأَحْمَدَ: مَنْ أَبْغَضَ أَهْلَ الْبَيْتِ فَهُوَ مُنَافِقٌ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ[2] مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ: «**أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي**»، وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟**». وَلَمَّا كَانَ هَارُونَ إِنَّمَا كَانَ خَلِيفَةً فِي حَيَاةِ مُوسَى[3] دَلَّ ذٰلِكَ عَلَى تَخْصِيصِ خِلاَفَةِ عَلِيٍّ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِحَيَاتِهِ، وَأَمَّا حَدِيثُ التِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ**» فَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَعْنِي بِذٰلِكَ وَلاَءَ الإِسْلاَمِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾[4].

وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**مَنْ آذَى عَلِيًا فَقَدْ آذَانِي**» أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَأَخْرَجَ الْمُخَلِّصُ الذَّهَبِيُّ: «**مَنْ أَحَبَّ عَلِيًا فَقَدْ أَحَبَّنِي**».

وَقَدْ ذَكَرَ النَّقَّاشُ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾[5] نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) ومسلم.

(٣) حتى إنه مات قبله.

(٤) سورة محمد، الآية: ١١.

(٥) سورة مريم، الآية: ٩٦.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ: لاَ تَجِدُ مُؤْمِناً إلاَّ وَهُوَ يُحِبُّ عَلِيًّا وَأَهْلَ بَيْتِهِ.

وَقَالَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَتْ فَاطِمَةُ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَزَوْجُهَا أَحَبَّ الرِّجَالِ إِلَيْهِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: «**إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي**». (وَالْبَضْعَةُ: قِطْعَةُ اللَّحْمِ)، وَاسْتَدَلَّ بِهِ السُّهَيْلِيُّ[1] عَلَى أَنَّ مَنْ سَبَّهَا يَكْفُرُ.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ[2] مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي حَسَنٍ وَحُسَيْنٍ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا، فَأَحِبَّهُمَا، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا**».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الْحَافِظِ السِّلَفِيِّ قَالَ: مَا رَأَيْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ قَطُّ إِلاَّ فَاضَتْ عَيْنَايَ دُمُوعاً، وَذٰلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يَوْماً وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ، فَأَخَذَ بِيَدِي، وَاتَّكَأَ عَلَيَّ حَتَّى جِئْنَا سُوقَ قَيْنُقَاعَ، فَنَظَرَ فِيهِ، ثُمَّ رَجَعَ حَتَّى جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ قَالَ: «**ادْعُ ابْنِي**»، قَالَ: فَأَتَى الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَشْتَدُّ حَتَّى وَقَعَ فِي حِجْرِهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَفْتَحُ فَمَهُ ثُمَّ يُدْخِلُ فَمَهُ فِي فَمِهِ وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ**» (ثَلاَثَ مَرَّاتٍ).

وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هٰذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» رَوَاهُ أَحْمَدُ. وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْمَعِيَّةِ هُنَا الْمَعِيَّةَ مِنْ حَيْثُ الْمَقَامِ، بَلْ مِنْ جِهَةِ رَفْعِ الْحِجَابِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ**﴾[3].

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ حَمَلَ الْحَسَنَ وَهُوَ يَقُولُ: بِأَبِي[4]، شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ لَيْسَ شَبِيهاً بِعَلِيٍّ، وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ[5].

---

(١) صاحب الروض الأُنُف في شرح غريب السِّيَر، وهو شرح لسيرة ابن هشام.

(٢) بسند حسن غريب.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٤) أي: أفديك بأبي.

(٥) رواه البخاري.

وَقَالَ ﷺ لِلْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ»**، ثُمَّ قَالَ: **«أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ آذَى عَمِّي فَقَدْ آذَانِي، فَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ»** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[1] وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ: أَصْلُ الصِّنْوِ أَنْ تَطْلُعَ نَخْلَتَانِ مِنْ عِرْقٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ: أَنَّ أَصْلَ الْعَبَّاسِ وَأَصْلَ أَبِي وَاحِدٌ.

وَجَلَّلَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَبَنِيهِ بِكِسَاءٍ ثُمَّ قَالَ: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْعَبَّاسِ وَوَلَدِهِ مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، لاَ تُغَادِرُ ذَنْباً إِلاَّ سَتَرَتْهُ[2]، اللَّهُمَّ احْفَظْهُ فِي وَلَدِهِ»** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[3]، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ السَّرِيِّ: غَطَّاهُمْ بِشَمْلَةٍ لَهُ سَوْدَاءَ مُخَطَّطَةٍ بِحُمْرَةٍ[4]، وَقَالَ: **«اللَّهُمَّ إِنَّ هٰؤُلاَءِ أَهْلُ بَيْتِي وَعِتْرَتِي، فَاسْتُرْهُمْ مِنَ النَّارِ كَسَتْرِهِمْ بِهٰذِهِ الشَّمْلَةِ»**، قَالَ: فَلَمْ يَبْقَ فِي الْبَيْتِ مَدَرَةٌ وَلاَ بَابٌ إِلاَّ أَمَّنَ[5].

(وَالْمَدَرَةُ: التُّرَابُ. وَأَمَّنَ: قَالَ: آمِينَ مُعْجِزَةً لَهُ ﷺ. وَالشَّمْلَةُ: الْكِسَاءُ، سُمِّيَ شَمْلَةً لأَنَّهُ يُشْتَمَلُ بِهِ).

وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ لِعَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: **«إِنِّي أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ: حُبًّا لِقَرَابَتِكَ مِنِّي، وَحُبًّا لِمَا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي لَكَ»**[6].

وَقَالَ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ: **«أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ مِنْ خَيْرِ أَهْلِي»**[7].

---

(١) وابن ماجه.

(٢) لفظ: «إلا سترته» لا يوجد في الترمذي، ولا في المواهب.

(٣) وقال: حسن غريب.

(٤) وكانوا ستةً: الفضل، وعبدالله، وعبيدالله، وقُثَم، ومَعبَد، وعبدالرحمٰن.

(٥) رواه البيهقي وابن ماجه.

(٦) رواه البغوي.

(٧) رواه الدارقطني.

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ يُبْغِضُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَحَدٌ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللّهُ النَّارَ**».

وَاعْلَمْ أَنَّ الأَلْفَاظَ الأَرْبَعَةَ: آلُهُ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَعِتْرَتَهُ، وَذَوِي الْقُرْبَى، مَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ. وَقَدْ وَقَعَ الاصْطِلاَحُ عَلَى اخْتِصَاصِهِمْ مِنْ بَيْنِ ذَوِي الشَّرَفِ بِالشُّطْفَةِ الْخَضْرَاءِ[1] أَيَّامَ الْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيِّ، ثُمَّ انْقَطَعَ إِلَى أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ، فَأَمَرَ السُّلْطَانُ الأَشْرَفُ سَنَةَ ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِ مِئَةٍ أَنْ يَمْتَازُوا عَنِ النَّاسِ بِعَصَائِبَ خُضْرٍ عَلَى الْعَمَائِمِ، فَفُعِلَ ذٰلِكَ بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَغَيْرِهِمَا.

وَأَمَّا الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللّهِ عَلَيْهِمْ: فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾[2] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً ﷺ رَسُولُهُ حَقًّا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلاَ رَيْبٍ فَقَالَ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾، ثُمَّ ثَنَّى بِالثَّنَاءِ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[3]، فَوَصَفَهُمْ بِالشِّدَّةِ عَلَى الْكُفَّارِ، وَالرَّحْمَةِ بِالأَخْيَارِ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِمْ بِكَثْرَةِ الأَعْمَالِ مَعَ الإِخْلاَصِ التَّامِّ[4]، فَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهِمْ أَعْجَبَهُ سَمْتُهُمْ وَهَدْيُهُمْ لِخُلُوصِ نِيَّاتِهِمْ وَحُسْنِ أَعْمَالِهِمْ، ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ أَيْ: أَفْرَاخَهُ ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أَيْ: شَدَّهُ وَقَوَّاهُ ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ شَبَّ فَطَالَ ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ قُوَّتُهُ وَغِلَظُهُ وَحُسْنُ مَنْظَرِهِ، فَكَذٰلِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، آزَرُوهُ وَأَيَّدُوهُ وَنَصَرُوهُ، فَهُمْ مَعَهُ كَالشَّطْءِ مَعَ الزَّرْعِ

---

(١) وهي قطعة خضراء توضع على العمامة.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٤) بقوله تعالى: ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾.

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[1]. وَمِنْ هٰذِهِ الآيَةِ انْتَزَعَ الإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللّهُ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ تَكْفِيرَ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يَبْغُضُونَ الصَّحَابَةَ، قَالَ: لأَنَّهُمْ يَغِيظُونَهُمْ، وَمَنْ غَاظَهُ الصَّحَابَةُ فَهُوَ كَافِرٌ، وَقَدْ وَافَقَهُ عَلَى ذٰلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

وَالأَحَادِيثُ فِي فَضْلِ الصَّحَابَةِ كَثِيرَةٌ، وَيَكْفِي ثَنَاءُ اللّهِ عَلَيْهِمْ، وَرِضَاهُ عَنْهُمْ، وَقَدْ وَعَدَهُمْ اللّهُ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً، وَوَعْدُ اللّهِ حَقٌّ وَصِدْقٌ، لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

قَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: بَلَغَنِي أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا إِذَا رَأَوْا الصَحَابَةَ الَّذِينَ فَتَحُوا الشَّامَ يَقُولُونَ: وَاللّهِ لَهٰؤُلاَءِ خَيْرٌ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ فِيمَا بَلَغَنَا، وَصَدَقُوا، فَإِنَّ هٰذِهِ الأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ خُصُوصاً الصَحَابَةَ لَمْ يَزَلْ ذِكْرُهُمْ مُعَظَّماً فِي الْكُتُبِ الإِلٰهِيَّةِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ الآيَةَ.

وَالْصَحَابِيُّ: مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ أَوْ رَآهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَوْ سَاعَةً وَمَاتَ عَلَى ذٰلِكَ.

وَقَدْ أَجْمَعَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ عَلَى أَنَّ أَصْحَابَهُ ﷺ خَيْرُ خَلْقِ اللّهِ، وَأَفْضَلُهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَخَوَاصِّ الْمَلاَئِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، لِمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِاللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

قَالَ فِي فَتْحِ الْبَارِي: وَالْقَرْنُ: أَهْلُ زَمَانٍ وَاحِدٍ مُتَقَارِبٍ اشْتَرَكُوا فِي أَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ الْمَقْصُودَةِ، وَيُطْلَقُ عَلَى مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ اخْتَلَفُوا فِي تَحْدِيدِهَا مِنْ عَشَرَةِ أَعْوَامٍ إِلَى مِئَةٍ وَعِشْرِينَ.

وَالْمُرَادُ بِقَرْنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هٰذَا الْحَدِيثِ: الْصَحَابَةُ.

---

(١) تمام الآية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾.

وَآخِرُ مَنْ مَاتَ مِنهُمْ بِلاَ خِلاَفٍ «أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ اللَّيْثِيُّ»، وَكَانَ مَوْتُهُ سَنَةَ مِئَةٍ عَلَى الصَّحِيحِ.

وَأَمَّا عِدَّةُ أَصْحَابِهِ ﷺ فَلاَ يَعْلَمُهَا إلاَّ اللَّهُ تَعَالَى لِكَثْرَةِ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَوَّلِ الْبِعْثَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ ﷺ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ قُبِضَ عَنْ مِئَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفاً.

وَأَفْضَلُهُمْ عَلَى الإِطْلاَقِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ إِجْمَاعاً: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، وَذَهَبَ بَعْضُ السَّلَفِ إِلَى تَقْدِيمِ عَلِيٍّ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا (وَمِمَّنْ قَالَ بِهِ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ)، وَالْجَمْهُورُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، وَعَنْ مَالِكٍ الْوَقْفُ ـ أَيْ: لاَ يُفَضَّلُ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ ـ.

قَالَ الإِمَامُ أَبُو مَنْصُورٍ الْبَغْدَادِيُّ: أَصْحَابُنَا مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَهُمُ الْخُلَفَاءُ الأَرْبَعَةُ، ثُمَّ السِّتَّةُ تَمَامُ الْعَشَرَةِ (يَعْنِي: طَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرَ، وَسَعْداً، وَسَعِيداً، وَعَبْدَالرَّحْمٰنِ بْنَ عَوْفٍ، وَأَبَا عُبَيْدَةَ عَامِرَ بْنَ الْجَرَّاحِ)، وَهُمُ الَّذِينَ بَشَّرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْجَنَّةِ فِي أَحَادِيثَ.

وَقَدْ رَوَى الطَّبَرِيُّ فِي الرِّيَاضِ[1]: عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعاً[2] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، كَمَا افْتَرَضَ الصَّلاَةَ وَالزَّكَاةَ وَالصَّوْمَ وَالْحَجَّ، فَمَنْ أَنْكَرَ فَضْلَهُمْ فَلاَ تُقْبَلُ مِنْهُ الصَّلاَةُ وَالزَّكَاةُ وَلاَ الصَّوْمُ وَلاَ الْحَجُّ»**.

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضاً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«حُبُّ أَبِي بَكْرٍ وَاجِبٌ عَلَى أُمَّتِي»**[3].

وَأَخْرَجَ الأَنْصَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«يَا أَبَا بَكْرٍ! لَيْتَ**

---

(١) الرياض النَّضِرة في مناقب العَشَرة.

(٢) وابن عساكر عن ابن عمر.

(٣) رواه الحافظ السِّلَفيّ في مشيخته، والحاكم في تاريخه، وأبو نُعيم في فضائل الصحابة، والخطيب، والديلمي، وقال الذهبي في الميزان: منكر جداً.

أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللّهِ! نَحْنُ إِخْوَانُكَ، قَالَ: «لاَ، أَنْتُمْ أَصْحَابِي، إِخْوَانِي الَّذِينَ لَمْ يَرَوْنِي، وَصَدَّقُوا بِي وَأَحَبُّونِي، حَتَّى إِنِّي لأَحَبُّ إِلَى أَحَدِهِمْ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَمَا نَحْنُ إِخْوَانُكَ؟ قَالَ: «لاَ، أَنْتُمْ أَصْحَابِي، أَلاَ تُحِبُّ يَا أَبَا بَكْرٍ قَوْماً أَحَبُّوكَ بِحُبِّي إِيَّاكَ؟» قَالَ: «فَأَحِبَّهُمْ مَا أَحَبُّوكَ بِحُبِّي إِيَّاكَ».

فَمَحَبَّةُ مَنْ أَحَبَّهُ الرَّسُولُ ﷺ كَآلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ عَلاَمَةٌ عَلَى مَحَبَّةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، كَمَا أَنَّ مَحَبَّتَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلاَمَةٌ عَلَى مَحَبَّةِ اللّهِ تَعَالَى، وَكَذٰلِكَ عَدَاوَةُ مَنْ عَادَاهُمْ وَبُغْضُ مَنْ أَبْغَضَهُمْ وَسَبَّهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَحَبَّ مَنْ يحِبُّهُ وَأَبْغَضَ مَنْ يُبْغِضُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[1] فَحُبُّ آلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَأَصْحَابِهِ وَأَوْلاَدِهِ وَأَزْوَاجِهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الْمُتَعَيِّنَاتِ، وَبُغْضُهُمْ مِنَ الْمُوبِقَاتِ الْمُهْلِكَاتِ.

وَمِنْ مَحَبَّتِهِمْ وُجُوبُ تَوْقِيرِهِمْ وَبِرِّهِمْ وَالْقِيَام بِحُقُوقِهِمْ وَالاقْتِدَاءِ بِهِمْ (بِأَنْ يَمْشِيَ عَلَى سَنَنِهِمْ وَآدَابِهِمْ وَأَخْلاَقِهِمْ)، وَالْعَمَلِ بِأَقْوَالِهِمْ مِمَّا لَيْسَ لِلْعَقْلِ فِيهِ مَجَالٌ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يُذْكَرُوا بِأَوْصَافِهِمُ الْجَمِيلَةِ عَلَى قَصْدِ التَّعْظِيم، فَقَدْ أَثْنَى اللّهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ، وَمَنْ أَثْنَى اللّهُ عَلَيْهِ فَهُوَ وَاجِبُ الثَّنَاءِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ وَلِيُّ الدِّينِ الْعِرَاقِيُّ: مَنِ اعْتَرَفَ بِأَنَّ أَفْضَلَ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ لٰكِنَّهُ أَحَبَّ عَلِيًّا أَكْثَرَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ مَثَلاً: فَإِنْ كَانَتِ الْمَحَبَّةُ الْمَذْكُورَةُ مَحَبَّةً دِينِيَّةً فَلاَ مَعْنَى لِذٰلِكَ، إِذِ الْمَحَبَّةُ لاَزِمَةٌ لِلأَفْضَلِيَّةِ، وَهٰذَا لَمْ يَعْتَرِفْ بِأَفْضَلِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ إِلاَّ بِلِسَانِهِ، وَأَمَّا بِقَلْبِهِ فَهُوَ

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

مُفَضِّلٌ لِعَلِيٍّ لِكَوْنِهِ أَحَبَّهُ مَحَبَّةً دِينِيَّةً زَائِدَةً عَلَى مَحَبَّةِ أَبِي بَكْرٍ، وَهٰذَا لاَ يَجُوزُ، وَإِنْ كَانَتِ الْمَحَبَّةُ الْمَذْكُورَةُ مَحَبَّةً دُنْيَوِيَّةً لِكَوْنِهِ مِنْ ذُرِّيَّةِ عَلِيٍّ أَوْ لِغَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الْمَعَانِي فَلاَ امْتِنَاعَ فِيهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ التُّسْتَرِيُّ: لَمْ يُؤْمِنْ بِالرَّسُولِ ﷺ مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ أَصْحَابَهُ وَلَمْ يُعِزَّ أَوَامِرَهُ.

وَمِمَّا يَجِبُ أَيْضاً الإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ـ أَيْ: وَقَعَ بَيْنَهُمْ مِنَ الاخْتِلاَفِ ـ وَالإِضْرَابُ عَنْ أَخْبَارِ الْمُؤَرِّخِينَ وَجَهَلَةِ الرُّوَاةِ وَضُلاَّلِ الشِّيعَةِ وَالْمُبْتَدِعِينَ الْقَادِحَةِ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ[1]، قَالَ ﷺ: «**إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا**»[2].

وَأَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ فِيمَا نُقِلَ مِنْ ذٰلِكَ فِيمَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفِتَنِ أَحْسَنُ التَّأْوِيلاَتِ، وَيُخْرَجَ لَهُمْ أَصْوَبُ الْمَخَارِجِ، إِذْ هُمْ أَهْلُ ذٰلِكَ، كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ فِي مَنَاقِبِهِمْ وَمَعْدُودٌ مِنْ مَآثِرِهِمْ مِمَّا يَطُولُ إِيرَادُ بَعْضِهِ.

وَمَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْمُنَازَعَاتِ وَالْمُحَارَبَاتِ فَلَهُ مَحَامِلُ وَتَأْوِيلاَتٌ،

---

(١) ولمعرفة ذلك عليك بقراءة كتاب (الإنصاف فيما وقع في العصر الراشدي من الخلاف) لمحمد حامد خليفة، فإنه كتاب نفيس.

(٢) رواه الطبراني. وروىٰ مسلم عنه ﷺ: «**لا تسبُّوا أصحابي، فلو أنفق أحدُكم مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**» والمُد: مكيال مكعبٌ طول ضلعه ٩,٢ سانتي متراً.

وروىٰ الديلمي وأبو نُعيم في الحلية: «**مَن سبَّ أصحابي فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً**» أي: نفلاً ولا فرضاً.

وروىٰ البزار والديلمي: «**إن الله اختار أصحابي علىٰ جميع العالمين سوىٰ النبيين والمرسلين، واختار لي منهم أربعة: أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، فجعلهم خير أصحابي، وفي أصحابي كلهم خير**».

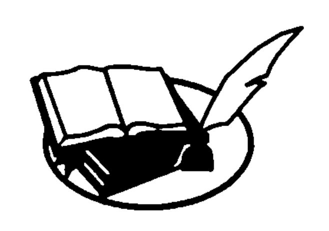
وروىٰ الطبراني في الأوسط بسند حسن: «**مَن أحبَّ عمر فقد أحبّني، ومَن أبغض عمر فقد أبغضني**».

فَسَبُّهُمْ وَالطَّعْنُ فِيهِمْ إِذَا كَانَ مِمَّا يُخَالِفُ الأَدِلَّةَ الْقَطْعِيَّةَ كُفْرٌ (كَقَذْفِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) وَإِلاَّ فَبِدْعَةٌ وَفِسْقٌ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! احْفَظُونِي فِي أَخْتَانِي**[١] **وَأَصْهَارِي وَأَصْحَابِي، لاَ يُطَالِبَنَّكُمُ اللَّهُ بِمَظْلَمَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مِمَّا يوهَبُ**» رَوَاهُ الْخِلَعِيُّ[٢].

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضاً**[٣] **مِنْ بَعْدِي، مَنْ أَحَبَّهُمْ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، فَيُوشِكُ أَنْ يُؤَاخِذَهُ**»[٤] رَوَاهُ الْمُخَلِّصُ الذَّهَبِيُّ[٥].

وَهٰذَا الْحَدِيثُ خُرِّجَ مَخْرَجَ الْوَصِيَّةِ بِأَصْحَابِهِ ﷺ عَلَى طَرِيقِ التَّأْكِيدِ وَالتَّرْغِيبِ فِي حُبِّهِمْ، وَالتَّرْهِيبِ عَنْ بُغْضِهِمْ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ حُبَّهُمْ مِنَ الإِيمَانِ وَبُغْضَهُمْ كُفْرٌ، لأَنَّهُ إِذَا كَانَ بُغْضُهُمْ بُغْضاً لَهُ كَانَ كُفْراً بِلاَ نِزَاعٍ لِلْحَدِيثِ السَّابِقِ: «**لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ**»، وَهٰذَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ قُرْبِهِمْ مِنْهُ بِتَنْزِيلِهِمْ مَنْزِلَةَ نَفْسِهِ، حَتَّى كَأَنَّ أَذَاهُمْ وَاقِعٌ عَلَيْهِ وَوَاصِلٌ إِلَيْهِ ﷺ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «**مَنْ سَبَّ أَحَداً مِنْ أَصْحَابِي فَاجْلِدُوهُ**»[٦]. ا هـ



---

(١) وهم أزواج بناته ﷺ.

(٢) والطبراني في الكبير.

(٣) هدفاً يرمىٰ إليه.

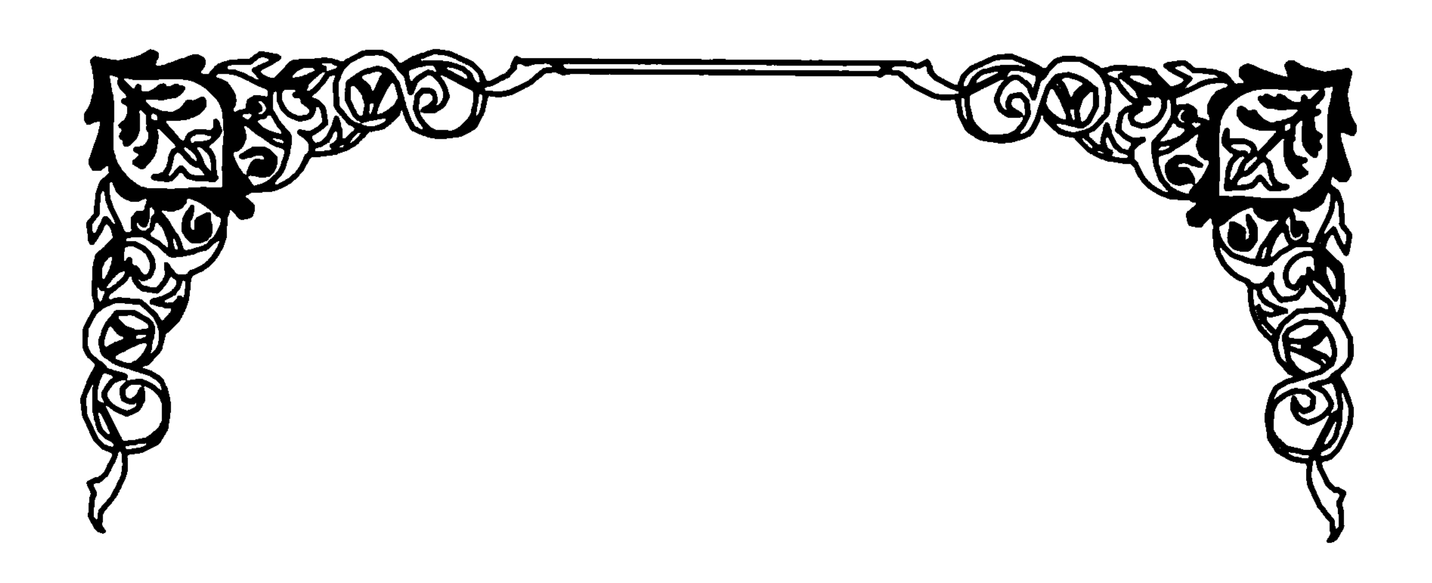
(٤) الصواب: «**ومَن آذىٰ الله فيوشك أن يأخذه الله**» كما في المواهب والترمذي.

(٥) والترمذي.

(٦) رواه تمّام في فوائده، والطبراني في معاجمه الثلاثة مرفوعاً.

المقصِد الثامن

فِي طِبِّهِ ﷺ لِذَوِي الأَمْرَاضِ وَالْعَاهَاتِ، وَتَعْبِيرِهِ الرُّؤْيَا، وَإِنْبَائِهِ بِالأَنْبَاءِ الْمُغَيَّبَاتِ



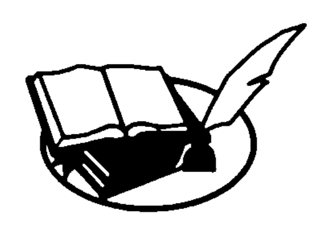
اعْلَمْ أَنَّهُ لاَ سَبِيلَ لأَحَدٍ إِلَى الإِحَاطَةِ بِنُقْطَةٍ مِنْ بِحَارِ مَعَارِفِهِ أَو قَطْرَةٍ مِمَّا أَفَاضَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ سَحَائِبِ عَوَارِفِهِ ﷺ، وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ مَا مَنَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَخَصَّهُ بِهِ مِنْ بَدَائِعِ الْحِكَمِ، وَحُسْنِ سَيْرِهِ، وَحِكَمِ حَدِيثِهِ، وَإِنْبَائِهِ بِأَنْبَاءِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ وَالأُمَمِ الْبَائِدَةِ وَالشَّرَائِعِ الدَّائِرَةِ (كَقِصَصِ الأَنْبِيَاءِ مَعَ قَوْمِهِمْ، وَخَبَرِ مُوسَى مَعَ الْخَضِرِ، وَيُوسُفَ مَعَ إِخْوَتِهِ، وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَذِي الْقَرْنَيْنِ، وَبَدْءِ الْخَلْقِ، وَأَخْبَارِ الدَّارِ الآخِرَةِ، وَمَا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، وَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى)، وَإِظْهَارِ أَحْوَالِ الأَنْبِيَاءِ وَأُمَمِهِمْ وَأَسْرَارِ عُلُومِهِمْ، وَإِعْلاَمِهِ بِمَكْتُومِ شَرَائِعِهِمْ وَمُضَمَّنَاتِ كُتُبِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا صَدَّقَهُ فِيهِ الْعُلَمَاءُ بِهَا، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى تَكْذِيبِ مَا ذَكَرَ مِنْهَا، فَضْلاً عَمَّا أَفَاضَهُ مِنَ الْعِلْمِ، وَمَحَاسِنِ الأَدَبِ وَالشِّيَمِ، وَالْمَوَاعِظِ وَالْحِكَمِ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى طُرُقِ الْحُجَجِ الْعَقْلِيَّاتِ، وَالرَّدِّ عَلَى فِرَقِ الأُمَمِ بِبَرَاهِينِ الأَدِلَّةِ الْوَاضِحَاتِ، وَالإِشَارَةِ إِلَى فُنُونِ الْعُلُومِ الَّتِي اتَّخَذَ أَهْلُهَا كَلاَمَهُ فِيهَا قُدْوَةً (كَعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ، وَقَوَانِينِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالسِّيَاسَاتِ الْعَقْلِيَّةِ، وَمَعَارِفِ عَوَارِفِ الْحَقَائِقِ الْقَلْبِيَّةِ) إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ضُرُوبِ الْعُلُومِ وَفُنُونِ الْمَعَارِفِ الشَّامِلَةِ لِمَصَالِحِ أُمَّتِهِ (كَالطِّبِّ، وَعَبْرِ الرُّؤْيَا، وَالْحِسَابِ) وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لاَ يُعَدُّ وَلاَ يُحَدُّ؛ قَضَيْتَ[1] بِأَنَّ مَجَالَ

---

(١) جواب قوله في أول البحث: (وأنت إذا تأملت...).

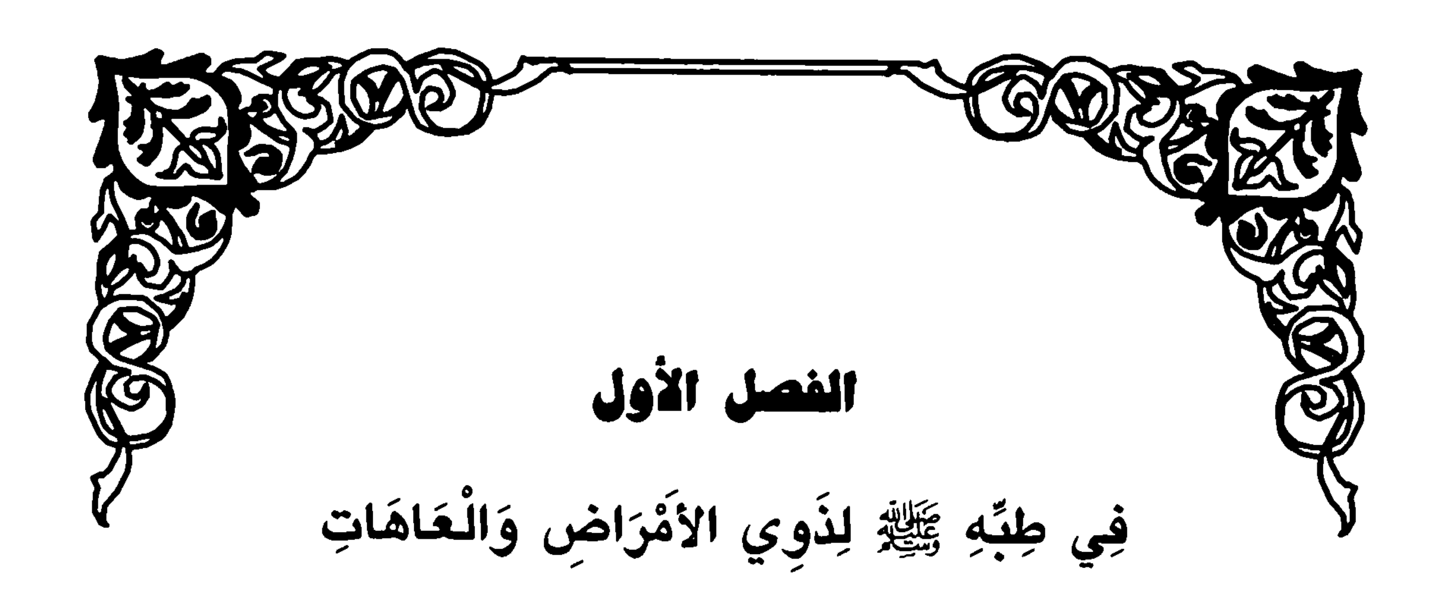
هٰذَا الْبَابِ فِي حَقِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مُمْتَدٌّ تَنْقَطِعُ دُونَ نَفَاذِهِ الأَدِلاَّءُ[1]، وَأَنَّ بَحْرَ عِلْمِهِ وَمَعَارِفِهِ زَاخِرٌ لاَ تُكَدِّرُهُ الدِّلاَءُ، وَأَنَّ ذٰلِكَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَشَرٍ دُونَ أَنْ يَكُونَ اسْتِمْدَادُهُ مِنْ بِحَارِ الْقُدْرَةِ الإِلٰهِيَّةِ وَمَوَاهِبِهَا اللَّدُنِّيَّةِ.

وَهٰذَا الْمَقْصِدُ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَلاَثَةِ فُصُولٍ.



---

(١) أي: الأدلة.



الفصل الأول

فِي طِبِّهِ ﷺ لِذَوِي الأَمْرَاضِ وَالْعَاهَاتِ

اعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَعُودُ مَنْ مَرِضَ مِنْ أَصْحَابِهِ، حَتَّى إِنَّهُ لَقَدْ عَادَ غُلاماً كَانَ يَخْدِمُهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ وَعَادَ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ وَهُوَ مُشْرِكٌ؛ وَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الإِسْلاَمَ، فَأَسْلَمَ الأَوَّلُ وَكَانَ يَهُودِيًّا.

وَكَانَ ﷺ يَدْنُو مِنَ الْمَرِيضِ، وَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَيَسْأَلُ عَنْ حَالِهِ وَيَقُولُ: «**كَيفَ تَجِدُكَ؟**».

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرِضْتُ، فَأَتَانِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَعُودُنِي وَأَبُو بَكْرٍ وَهُمَا مَاشِيَانِ، فَوَجَدَانِي أُغْمِيَ عَلَيَّ، فَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ صَبَّ وَضُوْءَهُ عَلَيَّ، فَأَفَقْتُ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ[1].

وَلَمْ يَكُنْ ﷺ يَخُصَّ يَوْماً مِنَ الأَيَّامِ بِعِيَادَةِ الْمَرِيْضِ، وَلا وَقْتاً مِنَ الأَوْقَاتِ، فَتَرْكُ الْعِيَادَةِ يَوْمَ السَّبْتِ مُخَالِفٌ لِلسُّنَّةِ ابْتَدَعَهُ يَهُودِيٌّ طَبِيبٌ[2]،

---

(١) مسلم وأبو داود والترمذي.

(٢) لملِك قد مرض وألزمه بملازمته، فأراد يوم الجمعة أن يمضي لسبته فمنعه، فخاف علىٰ استحلال سبته ومِن سفكِ دمه فقال: إن المريض لا يُدخَل عليه يوم السبت، فتركه الملك، ثم أشيع ذلك، وصار كثير من الناس يعتمده.

وَيَنْبَغِي اجْتِنَابُ التَّطْبِيبِ بِأَعْدَاءِ الدِّينِ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَحْوِهِ، لاَ سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْمَرِيضُ كَبِيراً فِي دِينِهِ أَوْ عِلْمِهِ.

وَمِمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَيَأْمُرُ بِهِ: تَطْيِيبُ نُفُوسِ الْمَرْضَى وَتَقْوِيَةُ قُلُوبِهِمْ، فَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: **«إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى الْمَرِيضِ فَنَفِّسُوا فِي أَجَلِهِ[1]، فَإِنَّ ذٰلِكَ يُطَيِّبُ نَفْسَهُ»**[2]، وَفِي هٰذَا الْحَدِيثِ نَوْعٌ شَرِيفٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِلاَجِ، وَهُوَ الإِرْشَادُ إِلَى مَا يُطَيِّبُ نَفْسَ الْعَلِيلِ مِنَ الْكَلاَمِ الَّذِي تَقْوَى بِهِ الطَّبِيعَةُ وَتَنْتَعِشُ بِهِ الْقُوَّةُ، وَفِي تَفْرِيحِ نَفْسِ الْمَرِيضِ وَتَطْيِيبِ قَلْبِهِ وَإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَيْهِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي شِفَاءِ عِلَّتِهِ وَخِفَّتِهَا.

قَالَ فِي الْهَدْيِ[3]: وَكَانَ ﷺ يَسْأَلُ الْمَرِيضَ عَنْ شَكْوَاهُ وَكَيْفَ يَجِدُ وَعَمَّا يَشْتَهِيهِ، فَإِنِ اشْتَهَى شَيْئاً وَعَلِمَ أَنَّهُ لاَ يَضُرُّهُ أَمَرَ لَهُ بِهِ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، وَرُبَّمَا وَضَعَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ وَيَدْعُو لَهُ، وَيَصِفُ لَهُ مَا يَنْفَعُهُ فِي عِلَّتِهِ، وَرُبَّمَا تَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَى الْمَرِيضِ مِنْ وَضُوئِهِ، وَرُبَّمَا كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ: **«لاَ بَأْسَ عَلَيْكَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ»**، وَرُبَّمَا كَانَ يَقُولُ: **«كَفَّارَةٌ وَطَهُورٌ»**.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ إِذَا عَادَ مَرِيضاً يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَأْلَمُ ثُمَّ يَقُولُ: **«بِسْمِ اللّٰهِ»**[4].

وَقَالَ ﷺ: **«تَمَامُ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ أَنْ يَضَعَ أَحَدُكُمْ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ فَيَسْأَلُهُ كَيْفَ هُوَ»** أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَفِي رِوَايَةٍ[5]: **«كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ وَكَيْفَ أَمْسَيْتَ»**.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: **«مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ**

---

(١) أي: وسّعوا له، وأطمِعوه في طول الحياة.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه بسند ضعيف.

(٣) أي: النبوي.

(٤) رواه أبو يعلىٰ بسند حسن.

(٥) لابن السنّي.

دَاءَ **إِلاَّ وَأَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»** رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَرَوَىٰ أَصْحَابُ السُّنَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: **«تَدَاوُوا يَا عِبَادَ اللَّهِ! فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلاَّ وَضَعَ لَهُ شِفَاءً إِلاَّ دَاءً وَاحِداً، وَهُوَ الْهَرَمُ»** وَفِي لَفْظٍ: **«إِلاَّ السَّامَ»** وَهُوَ الْمَوْتُ، يَعْنِي: إِلاَّ دَاءَ الْمَوْتِ ـ أَيْ: الْمَرَضَ الَّذِي قُدِّرَ عَلَى صَاحِبِهِ الْمَوْتُ فِيهِ ـ.

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَتَدَاوُوا، وَلاَ تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ»** رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: **«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ»**. فَلاَ يَجُوزُ التَّدَاوِي بِالْحَرَامِ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى»**.

وَفِي هٰذِهِ الأَحَادِيثِ الإِشَارَةُ إِلَى إِثْبَاتِ الأَسْبَابِ، وَأَنَّ ذٰلِكَ لاَ يُنَافِي التَّوَكُّلَ، كَمَا لاَ يُنَافِيهِ دَفْعُ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ بِالأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَكَذٰلِكَ تَجَنُّبُ الْمُهْلِكَاتِ، وَالدُّعَاءُ بِطَلَبِ الشِّفَاءِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ، وَغَيْرُ ذٰلِكَ.

وَوَرَدَ فِي خَبَرٍ إِسْرَائِيلِيٍّ[1]: أَنَّ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَالَ: يَا رَبِّ مِمَّنِ الدَّاءُ؟ قَالَ: مِنِّي، قَالَ: فَمِمَّنِ الدَّوَاءُ؟ قَالَ: مِنِّي، قَالَ: فَمَا بَالُ الطَّبِيبِ؟ قَالَ: رَجُلٌ أُرْسِلُ الدَّوَاءَ عَلَى يَدَيْهِ.

وَأَيْنَ يَقَعُ طِبُّ حُذَّاقِ الأَطِبَّاءِ الَّذِي غَايَتُهُ أَنْ يَكُونَ مَأْخُوذاً مِنْ قِيَاسٍ وَحَدْسٍ[2] وَتَجْرِبَةٍ مِنَ الْوَحْيِ الَّذِي يُوحِيهِ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى رَسُولِهِ ﷺ بِمَا يَنْفَعُ وَيَضُرُّ، فَنِسْبَةُ مَا عِنْدَ حُذَّاقِ الأَطِبَّاءِ مِنَ الطِّبِّ إِلَى هٰذَا الْوَحْيِ كَنِسْبَةِ مَا

---

(١) حكاه ابن القيّم.

(٢) تخمين.

عِنْدَهُمْ مِنَ الْعُلُومِ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ ﷺ، بَلْ هٰهُنَا مِنَ الأَدْوِيَةِ الَّتِي تَشْفِي مِنَ الأَمْرَاضِ مَا لَمْ تَهْتَدِ إِلَيْهَا عُقُولُ أَكَابِرِ الأَطِبَّاءِ، وَلَمْ تَصِلْ إِلَيْهَا عُلُومُهُمْ وَتَجْرِبَتُهُمْ وَأَقْيِسَتُهُمْ مِنَ الأَدْوِيَةِ الْقَلْبِيَّةِ وَالرُّوحَانِيَّةِ، وَقُوَّةِ الْقَلْبِ وَاعْتِمَادِهِ عَلَى اللّٰهِ تَعَالَى وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالانْكِسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالصَّدقَةِ وَالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ، وَالتَّفْرِيجِ عَنِ الْمَكْرُوبِ، فَإِنَّ هٰذِهِ الأَدْوِيَةَ قَدْ جَرَّبَتْهَا الأُمَمُ عَلَى اخْتِلاَفِ أَدْيَانِهَا وَمِلَلِهَا، فَوَجَدُوا لَهَا مِنَ التَّأْثِيرِ فِي الشِّفَاءِ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ عِلْمُ أَعْلَمِ الأَطِبَّاءِ.

قَالَ فِي الأَصْلِ[1]: وَقَدْ جَرَّبْتُ ذٰلِكَ وَاللّٰهِ مَرَّاتٍ فَوَجَدْتُهُ يَفْعَلُ مَا لَمْ تَفْعَلْهُ الأَدْوِيَةُ الْحِسِّيَّةُ.

وَلاَ رَيْبَ أَنَّ طِبَّ النَّبِيِّ ﷺ مُتَيَقَّنُ الْبُرْءِ لِصُدُورِهِ عَنِ الْوَحْيِ وَمِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ، وَطِبُّ غَيْرِهِ أَكْثَرُهُ حَدْسٌ وَتَجْرِبَةٌ، وَقَدْ يَتَخَلَّفُ الشِّفَاءُ عَنْ بَعْضِ مَنْ يَسْتَعْمِلُ طِبَّ النُّبُوَّةِ وَذٰلِكَ لِمَانِعٍ قَامَ بِالْمُسْتَعْمِلِ مِنْ ضَعْفِ اعْتِقَادِ الشِّفَاءِ بِهِ وَتَلَقِّيهِ بِالْقَبُولِ، وَأَظْهَرُ الأَمْثِلَةِ فِي ذٰلِكَ الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ لاَ يَحْصُلُ لِبَعْضِ النَّاسِ شِفَاءُ صَدْرِهِ بِهِ لِقُصُورِهِ فِي الاعْتِقَادِ وَالتَّلَقِّي بِالْقَبُولِ، بَلْ لا يَزِيدُ الْمُنَافِقَ إِلاَّ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِ وَمَرَضاً إِلَى مَرَضِهِ، فَطِبُّ النُّبُوَّةِ لاَ يُنَاسِبُ إِلاَّ الأَبْدَانَ الطَّيِّبَةَ، كَمَا أَنَّ شِفَاءَ الْقُرْآنِ لاَ يُنَاسِبُ إِلاَّ الأَرْوَاحَ الطَّيِّبَةَ وَالْقُلُوبَ الْحَيَّةَ، فَإِعْرَاضُ النَّاسِ عَنْ طِبِّ النُّبُوَّةِ كَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الاسْتِشْفَاءِ بِالْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ الشِّفَاءُ النَّافِعُ.

وَكَانَ عِلاَجُهُ ﷺ لِلْمَرْضَى عَلَى ثَلاَثَةِ أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا: بِالأَدْوِيَةِ الإِلٰهِيَّةِ الرُّوحَانِيَّةِ.

وَالثَّانِي: بِالأَدْوِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ.

وَالثَّالِثُ: بِالْمُرَكَّبِ مِنَ الأَمْرَيْنِ.

---

(١) وهو المواهب اللدنيّة.

النوع الأول
فِي طِبِّهِ ﷺ بِالأَدْوِيَةِ الإِلٰهِيَّةِ

اعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ تَعَالَى لَمْ يُنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ شِفَاءً قَطُّ أَعَمَّ وَلاَ أَنفَعَ وَلاَ أَعْظَمَ وَلاَ أَنْجَعَ[١] فِي إِزَالَةِ الدَّاءِ مِنَ الْقُرْآنِ؛ فَهُوَ لِلدَّاءِ شِفَاءٌ، وَلِصَدَا الْقُلُوبِ جِلاَءٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، وَمِنْ: لِلْجِنْسِ لاَ لِلتَّبْعِيضِ، فَالْقُرْآنُ شِفَاءٌ مِنَ الأَمْرَاضِ الرُّوحَانِيَّةِ (كَالاعْتِقَادَاتِ الْبَاطِلَةِ، وَالأَخْلاَقِ الْمَذْمُومَةِ)، وَشِفَاءٌ مِنَ الأَمْرَاضِ الْجِسْمَانِيَّةِ، لأَنَّ التَّبَرُّكَ بِقِرَاءَتِهِ يَنْفَعُ كَثِيراً مِنَ الأَمْرَاضِ، قَالَ ﷺ: **«مَنْ لَمْ يَسْتَشْفِ بِالْقُرْآنِ فَلاَ شَفَاهُ اللّٰهُ»**[٣].

وَنُقِلَ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيِّ رَحِمَهُ اللّٰهُ: أَنَّ وَلَدَهُ مَرِضَ مَرَضاً شَدِيداً حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الأَمْرُ، قَالَ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَام، فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ مَا بِوَلَدِي، فَقَالَ: أَيْنَ أَنْتَ مِنْ آيَاتِ الشِّفَاءِ؟ فَانْتَبَهْتُ فَأَفْكَرْتُ فِيهَا[٤]، فَإِذَا هِيَ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِ اللّٰهِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾[٥]، ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾[٦]، ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾[٧]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٨]، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

---

(١) أنفع وأظهر أثراً.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.
(٣) رواه الدارقطني.
(٤) أي: فكّرت.
(٥) سورة التوبة، الآية: ١٤.
(٦) سورة يونس، الآية: ٧٧.
(٧) سورة النحل، الآية: ٦٠.
(٨) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾[1]، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[2]. قَالَ: فَكَتَبْتُهَا، ثُمَّ حَلَلْتُهَا بِالْمَاءِ، وَسَقَيْتُهُ إِيَّاهَا، فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ. (قَوْلُهُ نُشِطَ: أَيْ حُلَّ، وَالعِقَالُ: الحَبْلُ الَّذِي يُعْقَلُ بِهِ البَعِيرُ).

وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي بَعْضِ أَدْعِيَتِهِ: «**وَأَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَجِلاَءَ حُزْنِي، وَشِفَاءَ صَدْرِي**»[3].

وَرَوَى عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**خَيْرُ الدَّوَاءِ الْقُرْآنُ**»[4].

وَهٰهُنَا أَمْرٌ يَنْبَغِي أَنْ يُتَفَطَّنَ لَهُ، نَبَّهَ عَلَيْهِ ابْنُ الْقَيِّمِ، وَهُوَ: أَنَّ الآيَاتَ وَالأَذْكَارَ وَالأَدْعِيَةَ الَّتِي يُسْتَشْفَى بِهَا وَيُرْقَى بِهَا هِيَ فِي نَفْسِهَا نَافِعَةٌ شَافِيَةٌ، وَلَكِنْ تَسْتَدْعِي قَبُولَ الْمَحَلِّ، وَقُوَّةَ هِمَّةِ الْفَاعِلِ وَتَأْثِيرِهِ، فَمَتَى تَخَلَّفَ الشِّفَاءُ كَانَ لِضَعْفِ تَأْثِيرِ الْفَاعِلِ، أَوْ لِعَدَمِ قَبُولِ الْمَحَلِّ الْمُنْفَعِلِ، أَوْ لِمَانِعٍ قَوِيٍّ فِيهِ يَمْنَعُ أَنْ يَنْجَعَ فِيهِ الدَّوَاءُ، كَمَا يَكُونُ ذٰلِكَ فِي الأَدْوِيَةِ وَالأَدْوَاءِ[5] الْحِسِّيَّةِ.

وَمِنْ أَنْفَعِ الأَدْوِيَةِ الدُّعَاءُ، وَهُوَ عَدُوُّ الْبَلاَءِ، يُدَافِعُهُ وَيُعَالِجُهُ وَيَمْنَعُ نُزُولَهُ، وَيَرْفَعُهُ أَوْ يُخَفِّفُهُ إِذَا نَزَلَ، وَهُوَ سِلاَحُ الْمُؤْمِنِ، وَإِذَا جُمِعَ مَعَ الدُّعَاءِ حُضُورُ الْقَلْبِ، وَصَادَفَ وَقْتاً مِنْ أَوْقَاتِ الإِجَابَةِ (كَثُلُثِ اللَّيْلِ الأَخِيرِ)، مَعَ الْخُضُوعِ وَالانْكِسَارِ وَالذُّلِّ، وَاسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ، وَالطَّهَارَةِ، وَرَفْعِ الْيَدَيْنِ، وَالْبُدَاءَةِ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ عَلَى اللّٰهِ تَعَالَى وَالصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ وَالصَّدَقَةِ، وَأَلَحَّ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَأَكْثَرَ

(١) سورة الشعراء، الآية: ٨٠.
(٢) سورة فصّلت، الآية: ٤٤.
(٣) رواه أحمد.
(٤) رواه ابن ماجه بسند ضعيف.
(٥) جمع داء.

التَّمَلُّقَ[1] وَالدُّعَاءَ وَالتَّوَسُّلَ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِنَبِيِّهِ ﷺ؛ فَإِنَّ هٰذَا الدُّعَاءَ لاَ يَكَادُ يُرَدُّ أَبداً، لاَ سِيَّمَا إِنْ دَعَا بِالأَدْعِيَةِ الَّتِي أَخْبَرَ ﷺ أَنَّهَا مَظِنَّةُ الإِجَابَةِ، أَوْ أَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِلاسْمِ الأَعْظَمِ.

وَأَمَّا الرُّقَى: فَاعْلَمْ أَنَّ الرُّقْيَ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَسْمَاءِ اللّٰهِ تَعَالَى هُوَ الطِّبُّ الرُّوحَانِيُّ، فَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ[2] عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ (وَهِيَ: الْفَلَقُ، وَالنَّاسُ، وَالإِخْلاَصُ).

وَمِنَ الطِّبِّ الرُّوحَانِيِّ: كُلُّ مَا وَرَدَ مِنَ التَّعْوِيذِ فِي الْقُرْآنِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾[3].

وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى جَوَازِ الرُّقَى عِنْدَ اجْتِمَاعِ ثَلاثَةِ شُرُوطٍ: أَنْ تَكُونَ بِكَلاَمِ اللّٰهِ تَعَالَى أَوْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَبِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ أَوْ بِمَا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ الرُّقْيَةَ لاَ تُؤَثِّرُ بِذَاتِهَا بَلْ بِتَقْدِيرِ اللّٰهِ تَعَالَى.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ: كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! كَيْفَ تَرَى فِي ذٰلِكَ؟ فَقَالَ: «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لاَ بَأْسَ بِالرُّقَى إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ**».

وَرَوَى مُسْلِمٌ أَيْضاً مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ: نَهَى رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ عَنِ الرُّقَى، فَجَاءَ آلُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! إِنَّهُ كَانَتْ عِنْدَنَا رُقْيَةٌ نَرْقِي بِهَا مِنَ الْعَقْرَبِ، قَالَ: «**اعْرِضُوهَا عَلَيَّ**»، قَالَ: فَعَرَضُوا عَلَيْهِ، قَالَ: «**مَا أَرَى بَأْساً، مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ**».

---

(١) التضرُّع.

(٢) ينفخ.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩٧.

وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: رَخَّصَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ **فِي الرُّقَى مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَةِ**[١] **وَالنَّمْلَةِ**[٢]، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: وَالأُذُنِ - أَيْ: وَجَعِهَا -، وَزَادَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَنَسٍ: وَالدَّمِ.

رُقْيَةُ الَّذِي يُصَابُ بِالْعَيْنِ:

رَوَى مُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ لَسَبَقَتْهُ الْعَيْنُ»**، أَيْ: الإِصَابَةُ بِالْعَيْنِ شَيْءٌ ثَابِتٌ مَوْجُودٌ، وَالتَّأْثِيرُ إِنَّمَا هُوَ بِإِرَادَةِ اللّهِ تَعَالَى وَخَلْقِهِ.

وَالْعِلاَجُ النَّبَوِيُّ لِهٰذِهِ الْعِلَّةِ: الإِكْثَارُ مِنْ قِرَاءَةِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ وَالْفَاتِحَةِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ وَالتَّعَوُّذَاتِ النَّبَوِيَّةِ، نَحْو: **«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللّهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ**[٣]**، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ»**[٤] أَيْ: مُصِيبَةٍ بِسُوءٍ، وَنَحْوُ: **«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لاَ يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلاَ فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ**[٥]**، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، إِلاَّ طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمٰنُ»**[٦].

وَإِذَا كَانَ يَخْشَى ضَرَرَ عَيْنِهِ وَإِصَابَتَهَا لِلْمَعِينَ فَلْيَدْفَعْ شَرَّهَا بِقَوْلِهِ: اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَيْهِ. وَمِمَّا يَدْفَعُ بِهِ إِصَابَةَ الْعَيْنِ قَوْلُ: مَا شَاءَ اللّهُ، لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ.

وَمِنْهَا: رُقْيَةُ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ: **«بِسْمِ اللّهِ أَرْقِيكَ مِنْ**

---

(١) السُّم.

(٢) القروح.

(٣) كل ذات سُمّ يقتل كالحيّة.

(٤) رواه البخاري.

(٥) ذرأ وبرأ معناهما: خلق.

(٦) رواه الطبراني في الصغير.

كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ».

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ: أَنَّ أَبَاهُ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ حَدَّثَهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ وَسَارُوا مَعَهُ نَحْوَ مَاءٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِشِعْبِ[1] الْخَرَّارِ مِنَ الْجُحْفَةِ اغْتَسَلَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَكَانَ أَبْيَضَ حَسَنَ الْجِسْمِ وَالْجِلْدِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلاَ جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ[2]، فَلُبِطَ سَهْلٌ - أَيْ: صُرِعَ - وَسَقَطَ إِلَى الأَرْضِ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**هَلْ تَتَّهِمُونَ مِنْ أَحَدٍ؟**» قَالُوا: عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ، فَدَعَا عَامِراً، فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ[3] فَقَالَ: «**عَلاَمَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ هَلاَّ إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَّكْتَ**[4]»، ثُمَّ قَالَ: «**اغْتَسِلْ لَهُ**»، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ صَبَّ ذٰلِكَ الْمَاءَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَظَهْرِهِ، ثُمَّ كُفِئَ[5] الْقَدَحُ، فَفَعَلَ ذٰلِكَ، فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ. (قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَالْمُرَادُ بِدَاخِلَةِ الإِزَارِ: مَا يَلِي جَسَدَهُ مِنَ الإِزَارِ).

ذِكْرُ رُقْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَ يَرْقِي بِهَا لاَ فِي دَاءٍ بِعَيْنِهِ:

عَنْ عَبْدِالْعَزِيزِ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَثَابِتٌ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، فَقَالَ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمْزَةَ! اشْتَكَيْتُ[6]، فَقَالَ أَنَسٌ: أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: بَلَى! قَالَ: قُلْ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ مُذْهِبَ الْبَأْسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي،**

---

(١) الشِّعب: الطريق بين الجبلين.
(٢) عذراء.
(٣) أظهر غضبه عليه.
(٤) قلتَ: اللهم بارك فيه.
(٥) قُلِب.
(٦) توجعتُ.

لاَ شَافِيَ إِلاَّ أَنْتَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَماً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. (وَمَعْنَى لاَ يُغَادِرُ: لاَ يَتْرُكُ).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ: أَنَّهُ شَكَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعاً يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ ثَلاَثاً، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ[1]»**.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ الْفَزَعِ وَالأَرَقِ الْمَانِعِ مِنَ النَّوْمِ:

عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: شَكَا خَالِدٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَنَامُ اللَّيْلَ مِنَ الأَرَقِ، فَقَالَ ﷺ: **«إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقَلَّتْ[2]، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ، كُنْ لِي جَاراً مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعاً أَنْ يَفْرُطَ[3] عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ يَبْغِيَ عَلَيَّ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلاَ إِلٰهَ غَيْرُكَ»** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[4].

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنْ حَرِّ الْمُصِيبَةِ بِبَرْدِ الرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى:

رَوَى مُسْلِمٌ وَمَالِكٌ وَأَحْمَدُ[5] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«مَا مِنْ أَحَدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا؛ إِلاَّ أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْراً مِنْهَا»**. اهـ

---

(١) أحترز منه.

(٢) حملت.

(٣) يعتدي.

(٤) وقال: ليس إسناده بالقوي.

(٥) وأصحاب السنن.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنْ دَاءِ الْهَمِّ وَالْكَرْبِ بِدَوَاءِ التَّوَجُّهِ إِلَى الرَّبِّ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «**لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبُّ الأَرَضِينَ**[1]**، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[2].

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَهَمَّهُ أَمْرٌ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**»، وَإِذَا اجْتَهَدَ فِي الدُّعَاءِ قَالَ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ**».

وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ - أَيْ: غَلَبَهُ - أَمْرٌ قَالَ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ! بِكَ أَسْتَغِيثُ**»[3].

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ**».

وَفِي مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا أَصَابَ عَبْداً هَمٌّ وَلاَ حُزْنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ؛ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلاَءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي؛ إِلاَّ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحاً**».

---

(١) لفظ البخاري ومسلم: «الأرض» كما أن لفظ «السبع» لا وجود لها في الصحيحين.

(٢) البخاري ٦٣٤٦، ومسلم ٢٧٣٠.

(٣) رواه الترمذي.

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو أُمَامَةَ، فَقَالَ: **«يَا أَبَا أُمَامَةَ! مَا لِي أَرَاكَ فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلاَةِ؟»** فَقَالَ: هُمُومٌ لَزِمَتْنِي وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: **«أَفَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلاَماً إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ؟»** قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: **«قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ»**، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذٰلِكَ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ هَمِّي، وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«مَنْ كَثُرَتْ هُمُومُهُ فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ»**[1]، وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: **«أَنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ»**، وَفِي التِّرْمِذِيِّ: **«أَنَّهَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ»**.

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«مَا كَرَبَنِي أَمْرٌ إِلاَّ تَمَثَّلَ لِي جِبْرِيلُ فَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ! قُلْ: تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ، وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً»**.

وَفِي كِتَابِ ابْنِ السُّنِّيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ الْكَرْبِ أَغَاثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»**.

وَفِيهِ: مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قَالَ ﷺ: **«إِنِّي لأَعْلَمُ**

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط بلفظ: **«مَن كثرت همومه فليستغفر الله، ومَن أبطأ عليه رزقه فليُكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله»**.

كَلِمَةَ لاَ يَقُولُهَا مَكْرُوبٌ إلاَّ فَرَّجَ اللَّهُ عَنهُ، كَلِمَةُ أَخِي يُونُسَ: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾»[1].

وَرَوَى الدَّيْلَمِيُّ فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ـ يَعْنِي: الصَّادِقَ ـ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي: أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ[2] دَعَا بِهٰذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لاَ تَنَامُ، وَاكْنُفْنِي[3] بِرُكْنِكَ الَّذِي لاَ يُرَامُ[4]، وَارْحَمْنِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ، فَلاَ أَهْلِكُ وَأَنْتَ رَجَائِي، فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ قَلَّ لَكَ بِهَا شُكْرِي، وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَنِي بِهَا قَلَّ لَكَ بِهَا صَبْرِي، فَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ نِعْمَتِهِ شُكْرِي فَلَمْ يَحْرِمْنِي، وَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ بَلِيَّتِهِ صَبْرِي فَلَمْ يَخْذُلْنِي، وَيَا مَنْ رَآنِي عَلَى الْخَطَايَا فَلَمْ يَفْضَحْنِي، يَا ذَا الْمَعْرُوفِ الَّذِي لاَ يَنْقَضِي أَبَداً، وَيَا ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي لاَ تُحْصَى عَدَداً، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبِكَ أَدْرَأُ فِي نُحُورِ الأَعْدَاءِ وَالْجَبَّارِينَ، اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى دِينِي بِالدُّنْيَا، وَعَلَى آخِرَتِي بِالتَّقْوَى، وَاحْفَظْنِي فِيمَا غِبْتُ عَنْهُ، وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي فِيمَا حَضَرْتُهُ، يَا مَنْ لاَ تَضُرُّهُ الذُّنُوبُ، وَلاَ يَنْقُصُهُ الْعَفْوُ، هَبْ لِي مَا لاَ يَنْقُصُكَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لاَ يَضُرُّكَ، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ، أَسْأَلُكَ فَرَجاً قَرِيباً، وَصَبْراً جَمِيلاً، وَرِزْقاً وَاسِعاً، وَالْعَافِيَةَ مِنَ الْبَلاَيَا، وَأَسْأَلُكَ تَمَامَ الْعَافِيَةِ، وَأَسْأَلُكَ دَوَامَ الْعَافِيَةِ، وَأَسْأَلُكَ الشُّكْرَ عَلَى الْعَافِيَةِ، وَأَسْأَلُكَ الْغِنَى عَنِ النَّاسِ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ».

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنْ دَاءِ الْفَقْرِ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ الدُّنْيَا

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٢) اشتد عليه.

(٣) واحفظني.

(٤) لا يُطلَب بسوء.

أَدبَرَتْ عَنِّي وَتَوَلَّتْ، قَالَ لَهُ: «**فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ صَلاةِ الْمَلائِكَةِ، وَتَسْبِيحِ الْخَلائِقِ، وَبِهِ يُرزَقُونَ؟ قُلْ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ: سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللّهِ الْعَظِيمِ، أَسْتَغْفِرُ اللّهَ، مِئَةَ مَرَّةٍ، تَأْتِيكَ الدُّنْيَا صَاغِرَةً**»، فَوَلَّى الرَّجُلُ، فَمَكَثَ ثُمَّ عَادَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! لَقَدْ أَقْبَلَتْ عَلَيَّ الدُّنْيَا، فَمَا أَدْرِي أَيْنَ أَضَعُهَا؟ رَوَاهُ الْخَطِيبُ.

[وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ مِئَةَ مَرَّةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ لَمْ يُصِبْهُ فَقْرٌ أَبَداً**» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ مِئَةَ مَرَّةٍ كَانَ لَهُ أَمَاناً مِنَ الْفَقْرِ، وَأُنْساً مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ، وَاسْتَفْتَحَ بِهِ بَابَ الْغِنَى، وَاسْتَقْرَعَ بِهِ بَابَ الْجَنَّةِ**» ذَكَرَهُ عَبْدُالْحَقِّ فِي كِتَابِ الطِّبِّ النَّبَوِيِّ][1].

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنْ دَاءِ الْحَرِيقِ:

عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الْحَرِيقَ فَكَبِّرُوا، فَإِنَّ التَّكْبِيرَ يُطْفِئُهُ**»[2]، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: وَقَدْ جَرَّبْنَا نَحْنُ وَغَيْرُنَا هٰذَا فَوَجَدْنَاهُ كَذٰلِكَ. قَالَ فِي الأَصْلِ[3]: وَقَدْ جَرَّبْتُ ذٰلِكَ بِطَيْبَةَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَمَانِ مِئَةٍ فَوَجَدْتُ لَهُ أَثَراً عَظِيماً لَمْ أَجِدْهُ لِغَيْرِهِ.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنْ دَاءِ الصَّرْعِ:

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي طِبِّ الْمَصْرُوعِ بِالأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ مِنَ الْجِنِّ: «**اخْرُجْ عَدُوَّ اللّهِ، أَنَا رَسُولُ اللّهِ**»، يَعْنِي: فَيَخْرُجُ وَيَبْرَأُ الْمَصْرُوعُ.

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من الشيخ النبهاني لا توجد في المواهب اللدنيّة.

(٢) رواه ابن السنّي، وابن عدي، وابن عساكر، وسنده ضعيف.

(٣) أي: في المواهب اللدنيّة.

قَالَ فِي الأَصْلِ[1]: وَقَدْ جَرَّبْتُ الإِقْسَامَ بِالنَّبِيِّ ﷺ[2] مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ إِلَى آخِرِ سُورَةِ الْفَتْحِ فِي ابْنَتَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ صُرِعَتَا فَشُفِيَتَا. قَالَ: وَمِنَ الْغَرِيبِ قِصَّةُ غَزَالَ الْحَبَشِيَّةِ خَادِمَتِنَا لَمَّا صُرِعَتْ بِدَرْبِ الْحِجَازِ الشَّرِيفِ بِطَرِيقِ مَكَّةَ بَعْدَ رُجُوعِي مِنَ الزِّيَارَةِ الشَّرِيفَةِ لِقَصْدِ مِصْرَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَمَانِ مِئَةٍ، وَاسْتَمَرَّ بِهَا الصَّرْعُ أَيَّاماً، وَاسْتَغَثْتُ بِهِ ﷺ فِي ذٰلِكَ، فَجِيءَ إِلَيَّ بِصَارِعِهَا فِي الْمَنَامِ بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَبَّخْتُهُ، وَأَقْسَمَ أَنْ لاَ يَعُودَ إِلَيْهَا، فَاسْتَيْقَظْتُ وَمَا بِهَا قَلَبَةٌ - أَيْ: وَجَعٌ - وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعُدْ إِلَيْهَا، فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ، وَلاَ زَالَتْ فِي عَافِيَةٍ مِنْ ذٰلِكَ حَتَّى فَارَقْتُهَا بِمَكَّةَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ[3].

ذِكْرُ دَوَائِهِ ﷺ مِنْ دَاءِ السِّحْرِ:

قَدْ ثَبَتَ فِي الْبُخَارِيِّ[4] مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ سُحِرَ، حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ - يَعْنِي مِنْ بَعْضِ أُمُورِ الدُّنْيَا - حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ عِنْدَ عَائِشَةَ دَعَا وَدَعَا - أَيْ: كَرَّرَ الدُّعَاءَ - ثُمَّ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ! أَشَعَرْتِ أَنَّ اللّٰهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؛ أَتَانِي رَجُلاَنِ[5] فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ[6]، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ** - أَيْ: مَسْحُورٌ -، **قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ**

---

(١) أي: في المواهب اللدنيّة.

(٢) لكنّ القَسَم بغير الله مكروه، ولا ينعقد؛ لقوله ﷺ: «**مَن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**» رواه الشيخان. أما إذا أقسَمَ بغير الله معتقداً أنه يستحق أن يُقسَم به كما يُقسَم بالله فقد كفر، وعليه يحمل قوله ﷺ: «**مَن حلف بغير الله فقد كفر**» وفي رواية: «**فقد أشرك**» رواه أبو داود والترمذي وحسّنه.

(٣) أي: وثمان مئة.

(٤) ومسلم.

(٥) وسمّاهما ابن سعد: جبريل وميكائيل.

(٦) جبريل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، كما في السيرة للدمياطي.

الأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ[1] وَجُفِّ[2] طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ[3]، قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ»[4]، فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ! كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ[5]، وَكَأَنَّ رُؤُوسَ نَخْلِهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلاَ اسْتَخْرَجْتَهُ[6]؟ قَالَ: «قَدْ عَافَانِي اللَّهِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا»[7] فَأَمَرَ بِهَا[8] فَدُفِنَتْ.

وَقَدْ سَلَكَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هٰذِهِ الْقِصَّةِ مَسْلَكَي التَّفْوِيضِ وَتَعَاطِي الأَسْبَابِ، فَفِي أَوَّلِ الأَمْرِ فَوَّضَ وَسَلَّمَ لأَمْرِ رَبِّهِ وَاحْتَسَبَ الأَجْرَ فِي صَبْرِهِ، ثُمَّ لَمَّا تَمَادَى ذٰلِكَ وَخَشِيَ مِنْ تَمَادِيهِ أَنْ يُضْعِفَهُ عَنْ عِبَادَتِهِ جَنَحَ إِلَى التَّدَاوِي، فَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ مِنْ مُرْسَلِ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: احْتَجَمَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَأْسِهِ ـ يَعْنِي: حِينَ طُبَّ، أَيْ: سُحِرَ ـ ثُمَّ جَنَحَ إِلَى الدُّعَاءِ، وَكُلٌّ مِنَ الْمَقَامَيْنِ غَايَةٌ فِي الْكَمَالِ.

ذِكْرُ رُقْيَةٍ تَنْفَعُ لِكُلِّ شَكْوَى:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنِ اشْتَكَى مِنكُمْ

---

(١) وهي الشعر الساقط عند التسريح.

(٢) وعاء.

(٣) ووضع في الطلعة تمثالاً من شمع لرسول الله ﷺ وإبراً مغروزة فيه، وعقد عليه إحدىٰ عشرة عقدة، فلما نزل جبريل عليه الصلاة والسلام بالمعوِّذتين كان رسول الله ﷺ كلما قرأ آية انحلّت عقدةٌ، وكلّما نزع إبرة وجد لها ألماً، ثم يجد بعدها راحة.

(٤) تحت راعوفة (وهي حَجَر أسفل البئر، لا يُستطاع قلعه، يقوم عليه المستقي).

(٥) يعني: أحمر.

(٦) تعني: السحر، ووقع في رواية أنه أخرجه، والجمع في ذلك: أن الإخراج الواقع كان لأصل السحر، والاستخراجَ المنفيّ كان لأجزاء السِّحر وتفاصيله.

(٧) أحرّكهم علىٰ تعلُّم السحر.

(٨) أي: بالبئر.

شَيْئاً فَلْيَقُلْ: **رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ فَاجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، وَاغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هٰذَا الوَجَعِ، فَيَبْرَأُ بِإِذْنِ اللّٰهِ»** رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. (وَالْحُوبُ: الذَّنْبُ الْعَظِيمُ).

وَقَدْ وَصَفَ هٰذِهِ الرُّقْيَةَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لِعُسْرِ الْبَوْلِ، كَمَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

رُقْيَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنَ الصُّدَاعِ:

رَوَى الْحُمَيْدِيُّ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ عَبْدِاللّٰهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الصُّدَاعِ: «**بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، بِسْمِ اللّٰهِ الْكَبِيرِ، وَأَعُوذُ بِاللّٰهِ الْعَظِيمِ مِنْ شَرِّ كُلِّ عِرْقٍ نَعَّارٍ، وَمِنْ شَرِّ حَرِّ النَّارِ**». (وَالنَّعَّارُ: الَّذِي فَارَ مِنْهُ الدَّمُ، أَوْ صَوَّتَ لِخُرُوجِ الدَّمِ).

وَأَصَابَ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا وَرَمٌ فِي رَأْسِهَا، فَوَضَعَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى ذٰلِكَ مِنْ فَوْقِ الثِّيَابِ، فَقَالَ: «**بِسْمِ اللّٰهِ، أَذْهِبْ عَنْهَا سُوءَهُ وَفُحْشَهُ بِدَعْوَةِ نَبِيِّكَ الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الْمَكِينِ عِنْدَكَ، بِسْمِ اللّٰهِ**»، صَنَعَ ذٰلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقُولَ ذٰلِكَ، فَقَالَتْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَذَهَبَ الْوَرَمُ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

رُقْيَتُهُ ﷺ مِنْ وَجَعِ الضِّرْسِ:

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ أَنَّ عَبْدَاللّٰهِ بْنِ رَوَاحَةَ شَكَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَجَعَ ضِرْسِهِ، فَوَضَعَ ﷺ يَدَهُ عَلَى خَدِّهِ الَّذِي فِيهِ الْوَجَعُ، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ سُوءَ مَا يَجِدُ وَفُحْشَهُ بِدَعْوَةِ نَبِيِّكَ الْمَكِينِ الْمُبَارَكِ عِنْدَكَ، سَبْعَ مَرَّاتٍ**»، فَشَفَاهُ اللّٰهُ قَبْلَ أَنْ يَبْرَحَ.

وَرَوَى الْحُمَيْدِيُّ أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا أَتَتْ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ تَشْكُو

مَا تَلْقَى مِنْ ضَرَبَانِ الضِّرْسِ، فَأَدْخَلَ سَبَّابَتَهُ الْيُمْنَى، فَوَضَعَهَا عَلَى السِّنِّ الَّذِي تَأَلَّمَ فَقَالَ: «**بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ، أَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ وَجَلالِكَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِنَّ مَرْيَمَ لَمْ تَلِدْ غَيْرَ عِيسَى مِنْ رُوحِكَ وَكَلِمَتِكَ**[1]؛ **أَنْ تَكْشِفَ مَا تَلْقَى فَاطِمَةُ بِنْتُ خَدِيجَةَ مِنَ الضُّرِّ كُلِّهِ**»، فَسَكَنَ مَا بِهَا.

رُقْيَةُ الحُمَّى:

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ مَوْعُوكَةٌ وَهِيَ تَسُبُّ الحُمَّى، فَقَالَ: «**لاَ تَسُبِّيهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَلٰكِنْ إِنْ شِئْتِ عَلَّمْتُكِ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتِهِنَّ أَذْهَبَهَا اللهُ عَنْكِ**» قَالَتْ: فَعَلِّمْنِي، قَالَ: «**قُولِي: اللَّهُمَّ ارْحَمْ جِلْدِي الرَّقِيقَ وَعَظْمِي الدَّقِيقَ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِيقِ، يَا أُمَّ مِلْدَمٍ**[2] **إِنْ كُنْتِ آمَنْتِ بِاللهِ الْعَظِيمِ فَلاَ تَصْدَعِي الرَّأْسَ، وَلاَ تُنْتِنِي الْفَمَ، وَلاَ تَأْكُلِي اللَّحْمَ، وَلاَ تَشْرَبِي الدَّمَ، وَتَحَوَّلِي عَنِّي إِلَى مَنِ اتَّخَذَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ**»، قَالَ: فَقَالَتْهَا، فَذَهَبَتْ عَنْهَا. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ. وَفِي رِوَايَةٍ زِيَادَةٌ: «**فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**».

ذِكْرُ مَا يَقِي مِنْ كُلِّ بَلاَءٍ:

عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ حِينَ يُمْسِي، لَمْ تُصِبْهُ فُجْأَةُ بَلاَءٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ لَمْ تُصِبْهُ فُجْأَةُ بَلاَءٍ حَتَّى يُمْسِيَ**»، قَالَ: فَأَصَابَ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ الْفَالِجُ، فَجَعَلَ الَّذِي يَسْمَعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ؟ فَوَاللهِ مَا كَذَبْتُ عَلَى عُثْمَانَ،

---

(١) أي: إنك قادر على كل شيء، ومن ذلك: وجود عيسىٰ عليه الصلاة والسلام من غير أب، وكلمتك: أي قولك: كن.

(٢) وهي كنية الحُمّىٰ. والمِلْدَم: الأحمق الثقيل.

وَلاَ كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَلٰكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي أَصَابَنِي فِيهِ مَا أَصَابَنِي غَضِبْتُ فَنَسِيتُ أَنْ أَقُولَهَا. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

ذِكْرُ مَا يُسْتَجْلَبُ بِهِ الْمُعَافَاةُ مِنْ سَبْعِينَ بَلاَءً:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، بَرِىءَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَعُوفِيَ مِنْ سَبْعِينَ بَلاَءً مِنْ بَلاَيَا الدُّنْيَا، مِنْهَا الْجُنُونُ وَالْجُذَامُ وَالْبَرَصُ وَالرِّيحُ**»(١).

ذِكْرُ دَوَاءِ دَاءِ الطَّعَامِ:

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: مَنْ قَالَ حِينَ يُوضَعُ الطَّعَامُ: بِسْمِ اللّهِ خَيْرِ الأَسْمَاءِ فِي الأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ، لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ دَاءٌ، اجْعَلْ فِيهِ رَحْمَةً وَشِفَاءً؛ لَمْ يَضُرَّهُ مَا كَانَ.

ذِكْرُ دَوَاءِ أُمِّ الصِّبْيَانِ:

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى، وَأَقَامَ فِي الْيُسْرَى؛ لَمْ تَضُرَّهُ أُمُّ الصِّبْيَانِ**» رَوَاهُ ابْنُ السُّنِّيِّ(٢). (وَأُمُّ الصِّبْيَانِ: هِيَ الرِّيحُ(٣) الَّتِي تَعْرِضُ لَهُمْ، فَرُبَّمَا يُخْشَى عَلَيْهِمْ مِنْهَا، قَالَهُ بَعْضُهُمْ).

---

(١) أي: الجن كما سيأتي. ذكره عبدالله بن محمد المالكي الإفريقي في كتابه (أخبار إفريقية).

(٢) وأبو يعلىٰ، وعبدالحق الإشبيلي في كتاب (الطب النبوي) وسنده ضعيف.
وقد أذّن رسول الله ﷺ في أذن الحسين حين ولدته فاطمة رضي الله عنها. رواه أبو داود والحاكم، وصححه الترمذي.
وأذّن في اليمنىٰ وأقام في اليسرىٰ عمر بن عبدالعزيز في أولاده. رواه ابن المنذر.

(٣) أي: التابعة من الجن.

النوع الثاني
فِي طِبِّهِ ﷺ بِالأَدْوِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ

ذِكْرُ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يُعَالِجُ بِهِ الصُّدَاعَ وَالشَّقِيقَةَ:

أَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ رُبَّمَا أَخَذَتْهُ الشَّقِيقَةُ، فَيَمْكُثُ الْيَوْمَ وَالْيَوْمَيْنِ لاَ يَخْرُجُ. (وَالشَّقِيقَةُ: وَجَعُ أَحَدِ جَانِبَي الرَّأْسِ).

وَفِي الصَّحِيحِ[1]: أَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ: «**وَارَأْسَاهُ**».

وَأَنَّهُ خَطَبَ وَقَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ[2]. فَعَصْبُ الرَّأْسِ يَنْفَعُ فِي الشَّقِيقَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَوْجَاعِ الرَّأْسِ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: احْتَجَمَ ﷺ وَهُوَ مُحْرِمٌ فِي رَأْسِهِ مِنْ شَقِيقَةٍ كَانَتْ بِهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: فِي وَسْطِ رَأْسِهِ. وَقَدْ قَالَ الأَطِبَّاءُ: إِنَّهَا نَافِعَةٌ جِدًّا.

وَوَرَدَ أَنَّهُ ﷺ احْتَجَمَ أَيْضاً فِي الأَخْدَعَيْنِ وَالْكَاهِلِ. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ[3] وَغَيْرُهُ[4]، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ. (وَالأَخْدَعَانِ: عِرْقَانِ فِي سَالِفَتَي الْعُنُقِ. وَالْكَاهِلُ: مَا بَيْنَ الْكَتِفَيْنِ).

وَقَدْ قَالَ الأَطِبَّاءُ: الْحِجَامَةُ عَلَى الأَخْدَعَيْنِ تَنْفَعُ مِنْ أَمْرَاضِ الرَّأْسِ وَالْوَجْهِ وَالأُذُنَيْنِ وَالْعَيْنَيْنِ وَالأَسْنَانِ وَالأَنْفِ.

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) وقد أخذَتْه الشقيقة. رواه البخاري.

(٣) وحسّنه.

(٤) كأبي داود، وابن ماجه.

وَرَوَى ابْنُ مَاجَهْ فِي سُنَنِهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا صُدِعَ غَلَّفَ رَأْسَهُ بِالْحِنَّاءِ، وَيَقُولُ: «**إِنَّهُ نَافِعٌ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنَ الصُّدَاعِ**»[١] - أَيْ: إِذَا كَانَ الصُّدَاعُ مِنْ حَرَارَةٍ مُلْتَهِبَةٍ وَلَمْ يَكُنْ عَنْ مَادَّةٍ يَجِبُ اسْتِفْرَاغُهَا، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ نَفَعَ فِيهِ الْحِنَّاءُ نَفْعاً ظَاهِراً -.

وَفِي تَارِيخِ الْبُخَارِيِّ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا شَكَا إِلَيْهِ أَحَدٌ وَجَعاً فِي رَأْسِهِ إِلاَّ قَالَ لَهُ: «**احْتَجِمْ**»، وَلاَ شَكَا وَجَعاً فِي رِجْلَيْهِ إِلاَّ قَالَ لَهُ: «**اخْتَضِبْ بِالْحِنَّاءِ**».

وَفِي التِّرْمِذِيِّ: عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِاللَّهِ عَنْ جَدَّتِهِ سَلْمَى[٢] زَوْجَةِ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: مَا كَانَ يَكُونُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُرْحَةٌ وَلاَ نُكْتَةٌ[٣] إِلاَّ أَمَرَنِي أَنْ أَضَعَ عَلَيْهَا الْحِنَّاءَ.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ لِلرَّمَدِ:

رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ يُعَالِجُ الرَّمَدَ بِالسُّكُونِ وَالدَّعَةِ[٤] وَتَرْكِ الْحَرَكَةِ.

وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ: عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ يَدَيْهِ خُبْزٌ وَتَمْرٌ، فَقَالَ: «**ادْنُ وَكُلْ**»، فَأَخَذْتُ تَمْراً فَأَكَلْتُ، فَقَالَ: «**تَأْكُلُ تَمْراً وَبِكَ رَمَدٌ؟**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْضَغُ مِنَ النَّاحِيَةِ الأُخْرَى، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ حَمَى عَلِيّاً مِنَ الرُّطَبِ لَمَّا أَصَابَهُ الرَّمَدُ.

---

(١) قال في الأصل: وفي صحته نظر.
(٢) وكانت تخدم النبي ﷺ.
(٣) أثر يسير.
(٤) الراحة.

وَفِي الْبُخَارِيِّ[1]: مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ**[2]**، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**». (وَالْكَمْأَةُ: نَبَاتٌ لاَ وَرَقَ لَهُ وَلاَ سَاقَ، يُوجَدُ فِي الأَرْضِ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ بِبِذْرٍ وَلاَ سَقْيٍ).

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ الْعُذْرَةِ: (وَهِيَ وَجَعٌ فِي الْحَلْقِ، يَعْتَرِي الصِّبْيَانَ غَالِباً).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللّهِ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا وَعِنْدَهَا صَبِيٌّ يَسِيلُ مَنْخِرَاهُ دَماً، فَقَالَ: «**مَا هٰذَا؟**» فَقَالُوا: بِهِ الْعُذْرَةُ أَوْ وَجَعٌ فِي رَأْسِهِ، فَقَالَ: «**وَيْلَكُنَّ لاَ تَقْتُلْنَ أَوْلاَدَكُنَّ، أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَ وَلَدَهَا عُذْرَةٌ أَوْ وَجَعٌ فِي رَأْسِهِ، فَلْتَأْخُذْ قُسْطاً**[3] **هِنْدِيًا، فَلْتَحِلَّهُ بِمَاءٍ، ثُمَّ تُسْعِطُهُ إِيَّاهُ**»[4] فَأَمَرَتْ عَائِشَةُ، فَصُنِعَ ذٰلِكَ لِلصَّبِيِّ، فَبَرَأَ. أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[5].

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ لِدَاءِ اسْتِطْلاَقِ الْبَطْنِ:

فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ، وَفِي رِوَايَةٍ: اسْتَطْلَقَ بَطْنُهُ، فَقَالَ: «**اسْقِهِ عَسَلاً**»، فَسَقَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَقَيْتُهُ فَلَمْ يَزِدْهُ إِلاَّ اسْتِطْلاَقاً، فَقَالَ: «**صَدَقَ اللّهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ**»، وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ فَقَالَ فِي الرَّابِعَةِ: «**اسْقِهِ عَسَلاً**»، قَالَ: فَأَظُنُّهُ قَالَ: فَسَقَاهُ فَبَرَأَ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**صَدَقَ اللّهُ،**

---

(١) ومسلم.

(٢) يَنبت من غير تكلُّف، كالمنّ الذي أَنزل الله علىٰ بني إسرائيل، والمَنّ: هو الطلّ الذي يسقط علىٰ الشجر ويجف جفاف الصمغ، فيُجمع ويؤكل حلواً.

(٣) عُوداً.

(٤) أي: تضعه في أنفه.

(٥) كأصحاب السنن.

وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ». قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: إِنَّ حَمْلَ الآيَةِ[1] عَلَى عُمُومِهَا فِي الشِّفَاءِ أَوْلَى، وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءَيْنِ: الْعَسَلِ، وَالْقُرْآنِ**»[2].

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنْ يُبْسِ الطَّبِيعَةِ بِمَا يُمَشِّيهِ وَيُلَيِّنُهُ:

رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ[3] عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ[4] قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**بِمَاذَا كُنْتِ تَسْتَمْشِينَ؟**» قَالَتْ: بِالشُّبْرُمِ، قَالَ: «**حَارٌّ حَارٌّ**»، ثُمَّ قَالَتْ: اسْتَمْشَيْتُ بِالسَّنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ أَنَّ شَيْئاً كَانَ فِيهِ شِفَاءٌ مِنَ الْمَوْتِ لَكَانَ فِي السَّنَا**».

وَشَرِبَ ﷺ السَّنَا بِالتَّمْرِ، ذَكَرَهُ الْمُحَاسِبِيُّ[5].

وَعَنْهُ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالسَّنَا وَالسَّنُّوتِ، فَإِنَّ فِيهِمَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ، إِلاَّ السَّامَ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا السَّامُ؟ قَالَ: «**الْمَوْتُ**»[6].

قَالُوا: وَالشُّبْرُمُ: قِشْرُ عِرْقِ شَجَرَةٍ. وَأَمَّا السَّنَا: فَهُوَ نَبْتٌ حِجَازِيٌّ أَفْضَلُهُ الْمَكِّيُّ، وَهُوَ دَوَاءٌ شَرِيفٌ مَأْمُونُ الْغَائِلَةِ[7]، وَالشُّرْبَةُ مِنْهُ مِنْ أَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ إِلَى سَبْعَةِ دَرَاهِمَ[8]. وَأَمَّا السَّنُّوتُ: فَهُوَ الْعَسَلُ الَّذِي يَكُونُ فِي زِقَاقِ السَّمْنِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَنْ يُخْلَطَ السَّنَا مَدْقُوقاً بِالْعَسَلِ الْمُخَالِطِ لِلسَّمْنِ، ثُمَّ يُلْعَقَ، فَيَكُونُ أَصْلَحَ مِنِ اسْتِعْمَالِهِ مُفْرَداً؛ لِمَا فِي الْعَسَلِ وَالسَّمْنِ مِنْ إِصْلاَحِ السَّنَا وَإِعَانَتِهِ عَلَى الإِسْهَالِ.

---

(١) ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].
(٢) رواه ابن ماجه والحاكم مرفوعاً، ورواه ابن أبي شيبة والحاكم موقوفاً.
(٣) كابن ماجه.
(٤) امرأة جعفر بن أبي طالب، وأخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث لأمها.
(٥) في كتابه (القصد إلى الله).
(٦) رواه ابن ماجه.
(٧) الفساد والشر.
(٨) والدرهم ٢,٨ غراماً.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ لِلْمَفْؤُودِ: (وَهُوَ الَّذِي أُصِيبَ فُؤَادُهُ، أَيْ: قَلْبُهُ بِمَرَضٍ)[1].

رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ سَعْدٍ قَالَ: مَرِضْتُ مَرَضاً، فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُنِي، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا عَلَى فُؤَادِي، وَقَالَ لِي: **«إِنَّكَ رَجُلٌ مَفْؤُودٌ، فَأْتِ الْحَارِثَ بْنَ كَلَدَةَ مِنْ ثَقِيفٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ مُتَطَبِّبٌ[2]، فَلْيَأْخُذْ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ فَلْيَجَأْهُنَّ بِنَوَاهُنَّ، ثُمَّ لِيَلُدَّ بِهِنَّ الْفُؤَادَ»**. (وَمَعْنَى: فَلْيَجَأْهُنَّ، أَيْ: فَلْيَدُقَّهُنَّ. وَاللَّدُودُ: مَا يُسْقَاهُ الإِنْسَانُ مِنْ أَحَدِ جَانِبَيِ الْفَمِ، أَوْ أُدْخِلَ مِنْ هُنَاكَ بِإِصْبَعٍ).

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ لِدَاءِ ذَاتِ الْجَنْبِ:

فِي الْبُخَارِيِّ[3] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْعُودِ الْهِنْدِيِّ، فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ، مِنْهَا ذَاتُ الْجَنْبِ»**.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: قَالَ ﷺ: **«تَدَاوُوا مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ بِالْقُسْطِ الْبَحْرِيِّ وَالزَّيْتِ»**، وَالْمُرَادُ بِذَاتِ الْجَنْبِ هُنَا: مَا يَعْرِضُ فِي نَوَاحِي الْجَنْبِ مِنْ رِيَاحٍ غَلِيظَةٍ تُحْدِثُ وَجَعاً. (وَالْقُسْطُ الْبَحْرِيُّ: هُوَ الْعُودُ الْهِنْدِيُّ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُلَدَّ بِهِ الْمَرِيضُ، أَيْ: يُصَبُّ الدَّوَاءُ فِي أَحَدِ شِقَّيْ فَمِهِ).

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ لِدَاءِ الاسْتِسْقَاءِ:

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ عُرَيْنَةَ وَعُكْلٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ ـ أَيْ: أَصَابَهُمُ الْجَوَى، وَهُوَ دَاءُ الْجَوْفِ ـ، وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ:

---

(١) فهو يشتكيه كالمبطون، لأن الفؤاد كلُّ ما يتعلق بالمريء من كبد ورئة وقلب.

(٢) يتعاطىٰ علم الطِّب.

(٣) ومسلم.

فَعَظُمَتْ بُطُونُهُمْ، فَشَكَوْا ذٰلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَشَرِبْتُمْ مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنْ دَاءِ عِرْقِ النَّسَا: (وَهٰذَا الْعِرْقُ مُمْتَدٌّ مِنْ مَفْصِلِ الْوَرِكِ وَيَنْتَهِي إِلَى آخِرِ الْقَدَمِ وَرَاءَ الْكَعْبِ).

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**دَوَاءُ عِرْقِ النَّسَا أَلْيَةُ شَاةٍ أَعْرَابِيَّةٍ، تُذَابُ، ثُمَّ تُجَزَّأُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، ثُمَّ يُشْرَبُ عَلَى الرِّيقِ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُزْءٌ**» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ.

وَهٰذَا الدَّوَاءُ خَاصٌّ بِالْعَرَبِ وَأَهْلِ الْحِجَازِ وَمَنْ جَاوَرَهُمْ.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ الأَوْرَامِ:

يُذْكَرُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ عَلَى رَجُلٍ يَعُودُهُ بِظَهْرِهِ وَرَمٌ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! بِهٰذِهِ مِدَّةٌ، فَقَالَ: «**بُطُّوا عَنْهُ**»، قَالَ عَلِيٌّ: فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى بُطَّتْ[1]، وَالنَّبِيُّ ﷺ شَاهِدٌ[2]. (وَالْمِدَّةُ: قَيْحٌ غَلِيظٌ).

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ بِقَطْعِ الْعُرُوقِ وَالْكَيِّ:

فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ إِلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ طَبِيباً، فَقَطَعَ لَهُ عِرْقاً، وَكَوَاهُ عَلَيْهِ ـ أَيْ: فَصَدَهُ وَكَوَاهُ ـ.

وَفِي مُسْلِمٍ: عَنْ جَابِرٍ لَمَّا رُمِيَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي أَكْحَلِهِ[3]، حَسَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ ـ أَيْ: قَطَعَ دَمَهُ بِالْكَيِّ ـ.

---

(١) شُقّت.

(٢) رواه أبو يعلىٰ بسند ضعيف.

(٣) الأكحَل: وريد في وسْط الذراع.

وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: أَنَّهُ ﷺ كَوَى أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ مِنَ الشَّوْكَةِ - وَهِيَ: حُمْرَةٌ تَعْلُو الْوَجْهَ -.

وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ الْكَيُّ فِي الْخَلْطِ الْبَاغِي[1] الَّذِي لاَ تُحْسَمُ مَادَّتُهُ إلاَّ بِهِ، وَلِهٰذَا وَصَفَهُ ﷺ ثُمَّ نَهَى عَنْهُ[2]، وَإِنَّمَا كَرِهَهُ لِمَا فِيهِ مِنَ الأَلَمِ الشَّدِيدِ، وَالْخَطَرِ الْعَظِيمِ، فالنَّهْيُ عَنْهُ مَحْمُولٌ عَلَى الْكَرَاهَةِ أَوْ عَلَى خِلاَفِ الأَوْلَى[3]، قَالَ فِي فَتْحِ الْبَارِي: وَلَمْ أَرَ فِي أَثَرٍ صَحِيحٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اكْتَوَى.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ الدُّخُولِ عَلَى الطَّاعُونِ فِي أَرْضِهِ وَالْخُرُوجِ مِنْهَا فِرَاراً مِنْهُ:

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: أَصْلُ الطَّاعُونِ: الْقُرُوحُ الْخَارِجَةُ فِي الْجَسَدِ. وَالْوَبَاءُ: عُمُومُ الأَمْرَاضِ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: «**الطَّاعُونُ رِجْزٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَاراً مِنْهُ**».

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ السِّلْعَةِ:

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ عَنْ شُرَحْبِيلِ الْجُعْفِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَبِكَفِّي سِلْعَةٌ[4]، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! قَدْ آذَتْنِي، تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ قَائِمِ

---

(١) الزائد.

(٢) في قوله ﷺ: «**الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار. وأنهىٰ أمتي عن الكي**» رواه البخاري.

(٣) لما يقتضيه مجموع الأحاديث.

(٤) قطعة لحم متدلّية.

السَّيْفِ أَنْ أَقْبِضَ عَلَيْهِ وَعِنَانِ الدَّابَّةِ، فَنَفَثَ فِي كَفِّي، وَوَضَعَ كَفَّهُ عَلَى السِّلْعَةِ، فَمَا زَالَ يَطْحَنُهَا[1] بِكَفِّهِ حَتَّى رَفَعَهَا عَنْهَا، وَمَا أَرَى أَثَرَهَا.

وَمَسَحَ ﷺ وَجْهَ أَبْيَضَ بْنِ حَمَّالٍ وَكَانَ بِهِ الْقُوبَاءُ[2]، فَلَمْ يُمْسِ مِنْ ذٰلِكَ الْيَوْمِ وَمِنْهَا أَثَرٌ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ الْحُمَّى:

رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَأَطْفِؤُوهَا بِالْمَاءِ**» وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَهْ «**بِالْمَاءِ الْبَارِدِ**»، أَرَادَ ﷺ الاغْتِسَالَ عَلَى كَيْفِيَّةٍ مَخْصُوصَةٍ، وَأَوْلَى مَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ كَيْفِيَّةُ تَبْرِيدِ الْحُمَّى بِالْمَاءِ مَا صَنَعَتْهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَإِنَّهَا كَانَتْ تَرُشُّ عَلَى بَدَنِ الْمَحْمُومِ شَيْئاً مِنَ الْمَاءِ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ وَثَوْبِهِ، فَيَكُونُ ذٰلِكَ مِنْ بَابِ النُّشْرَةِ[3] الْمَأْذُونِ فِيهَا.

وَجَعَلَ ابْنُ الْقَيِّمِ خِطَابَهُ ﷺ فِي هٰذَا الْحَدِيثِ خَاصًّا لأَهْلِ الْحِجَازِ وَمَا وَالاَهُ[4].

وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ اسْتِعْمَالُهُ ﷺ الْمَاءَ الْبَارِدَ فِي عِلَّتِهِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «**صُبُّوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ**»[5].

وَكَانَ ﷺ إِذَا حُمَّ دَعَا بِقِرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَأَفْرَغَهَا عَلَى رَأْسِهِ فَاغْتَسَلَ.

---

(١) يدلُكها.

(٢) داء يتقشّر منه الجلد، وينجرد منه الشعر.

(٣) الرُّقْيَة.

(٤) في الأصل: وما والاهم.

(٥) رواه ابن خزيمة في صحيحه.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ ﷺ: «**إِذَا حُمَّ أَحَدُكُمْ فَلْيَشِنَّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ مِنَ السَّحَرِ ثَلاَثَ لَيَالٍ**» أَخْرَجَهُ الطَّحَاوِيُّ وَغَيْرُهُ[1]. (وَالأَوْكِيَةُ: جَمْعُ وِكَاءٍ، وَهُوَ الْخَيْطُ الَّذِي يُرْبَطُ بِهِ فَمُ الْقِرْبَةِ. وَالشَّنُّ: الصَّبُّ الْمُتَقَطِّعُ).

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ عَنْهُ ﷺ: «**الْحُمَّى رَائِدُ الْمَوْتِ، وَهِيَ سِجْنُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ، فَبَرِّدُوا لَهَا الْمَاءَ فِي الشِّنَانِ**[2]**، وَصُبُّوهُ عَلَيْكُمْ فِيمَا بَيْنَ الأَذَانَيْنِ: الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ**» قَالَ: فَفَعَلُوا، فَذَهَبَ عَنْهُمْ.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ[3] مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمُ الْحُمَّى** ـ وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ ـ **فَلْيُطْفِئْهَا عَنْهُ بِالْمَاءِ، يَسْتَنْقِعُ فِي نَهرٍ جَارٍ، وَيَسْتَقْبِلُ جِرْيَتَهُ، وَلْيَقُلْ: «بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ، وَصَدِّقْ رَسُولَكَ، بَعْدَ صَلاَةِ الصُّبْحِ وَقَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَلْيَنْغَمِسْ فِيهِ ثَلاَثَ غَمَسَاتٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ لَمْ يَبْرَأْ فَخَمْسٌ، وَإِلاَّ فَسَبْعٌ، وَإِلاَّ فَتِسْعٌ، فَإِنَّهَا لاَ تَكَادُ تُجَاوِزُ تِسْعاً بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى**».

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ الْحِكَّةِ وَمَا يُولِّدُ الْقَمْلَ:

رَخَّصَ ﷺ لِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَعَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ فِي لُبْسِ الْحَرِيرِ لِحِكَّةٍ كَانَتْ بِهِمَا. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ السُّمِّ الَّذِي أَصَابَهُ بِخَيْبَرَ:

قَدِ احْتَجَمَ النَّبِيُّ ﷺ ثَلاَثاً عَلَى كَاهِلِهِ[4] لَمَّا أَكَلَ مِنَ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ بِخَيْبَرَ. وَالْقِصَّةُ تَقَدَّمَتْ فِي غَزْوَتِهَا.

❋ ❋ ❋

---

(١) كأبي نُعيم.

(٢) جمع شَنّ، وهو القِربة البالية، إذ يكون الماء فيها أبرد من غيرها.

(٣) بسند غريب.

(٤) ما بين كتفيه.

النوع الثالث
فِي طِبِّهِ ﷺ بالأَدْوِيَةِ المُرَكَّبَةِ مِنَ الإلٰهِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ الْقُرْحَةِ وَالْجُرْحِ وَكُلِّ شَكْوَى:

رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي الرُّقْيَةِ: «**بِسْمِ اللّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا**[1]**، وَرِيقَةُ بَعْضِنَا، يَشْفِي سَقِيمَنَا**[2]**، بِإِذْنِ رَبِّنَا**»، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: كَانَ إِذَا اشْتَكَى الإِنْسَانُ[3] أَوْ كَانَتْ بِهِ قُرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ قَالَ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا، وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ، الْحَدِيثَ. قَالَ النَّوَوِيُّ: مَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنَّهُ أَخَذَ مِنْ رِيقِ نَفْسِهِ عَلَى إِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، ثُمَّ وَضَعَهَا عَلَى التُّرَابِ، فَعَلِقَ بِهَا شَيْءٌ مِنْهُ، ثُمَّ مَسَحَ بِهِ الْمَوْضِعَ الْعَلِيلَ[4] أَوِ الْجُرْحَ قَائِلاً الْكَلاَمَ الْمَذْكُورَ فِي حَالَةِ الْمَسْحِ.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنْ لَدْغَةِ الْعَقْرَبِ:

عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُصَلِّي إِذْ سَجَدَ فَلَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ فِي إِصْبَعِهِ، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَقَالَ: «**لَعَنَ اللّهُ الْعَقْرَبَ، مَا تَدَعُ نَبِيًّا وَلاَ غَيْرَهُ**»، ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ وَمِلْحٌ، فَجَعَلَ يَضَعُ مَوْضِعَ اللَّدْغَةِ فِي الْمَاءِ وَالْمِلْحِ وَيَقْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، حَتَّى سَكَنَتْ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ.

---

(١) أي: هذه تربة أرضنا.

(٢) أو: يُشفىٰ سقيمُنا.

(٣) أي: توجّع.

(٤) أي: المريض.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ النَّمْلَةِ: (وَهِيَ قُرُوحٌ تَخْرُجُ فِي الْجَنْبِ، يَحُسُّ صَاحِبُهَا كَأَنَّ نَمْلَةً تَدِبُّ عَلَيْهِ وَتَعَضُّهُ).

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ ﷺ رَخَّصَ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ الْحُمَةِ وَالْعَيْنِ وَالنَّمْلَةِ. وَالْحُمَةُ: تَكُونُ لِذَوَاتِ السُّمُومِ.

وَرَوَى الْخَلاَّلُ: أَنَّ الشِّفَاءَ بِنْتَ عَبْدِاللّهِ كَانَتْ تَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ النَّمْلَةِ، فَلَمَّا هَاجَرَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَتْ قَدْ بَايَعَتْهُ بِمَكَّةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنِّي كُنْتُ أَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ النَّمْلَةِ، وَأُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَهَا عَلَيْكَ، فَعَرَضَتْهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللهِ، ضَلَّتْ حَتَّى تَعُودَ مِنْ أَفْوَاهِهَا وَلاَ تَضُرَّ أَحداً، اللَّهُمَّ اكْشِفِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، قَالَ ـ أَيْ: الرَّاوِي ـ: تَرْقِي بِهَا عَلَى عُودٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَتَقْصِدُ مَكَاناً نَظِيفاً، وَتَدْلُكُهُ عَلَى حَجَرٍ بِخَلٍّ خَمْرٍ حَاذِقٍ[1]، وَتَطْلِيهِ عَلَى النَّمْلَةِ[2].

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ الْبَثْرَةِ[3]:

رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ[4] ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَهَا: «**عِنْدَكِ ذَرِيرَةٌ؟**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَدَعَا بِهَا، فَوَضَعَهَا عَلَى بَثْرَةٍ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رِجْلِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ مُطْفِىءَ الْكَبِيرِ وَمُكَبِّرَ الصَّغِيرِ أَطْفِئْهَا**» فَطُفِئَتْ. (وَالذَّرِيرَةُ: نَوْعٌ مِنَ الطِّيبِ).

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنْ حَرْقِ النَّارِ:

رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ قَالَ: تَنَاوَلْتُ قِدْراً، فَأَصَابَ كَفِّي

---

(١) لاذع شديد الحموضة.

(٢) رواه أبو نُعيم.

(٣) وهي انتفاخ في الجلد مملوءٌ ماء.

(٤) وهي عائشة رضي الله عنها.

مِنْ مَائِهَا، فَاحْتَرَقَ ظَهْرُ كَفِّي، فَانْطَلَقَتْ بِي أُمِّي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**أَذْهِبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ**» وَأَحْسِبُهُ قَالَ: «**وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي**» وَتَفَلَ.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ بِالْحِمْيَةِ:

عَنْ أُمِّ الْمُنْذِرِ بِنْتِ قَيْسٍ الأَنْصَارِيَّةِ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَهُوَ نَاقِهٌ مِنْ مَرَضٍ[١]، وَلَنَا دَوَالٍ[٢] مُعَلَّقَةٌ، فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَعَلِيٌّ يَأْكُلاَنِ مِنْهَا، فَطَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لِعَلِيٍّ: «**إِنَّكَ نَاقِهٌ**»، حَتَّى كَفَّ، قَالَتْ: وَصَنَعْتُ شَعِيراً وَسِلْقاً، فَجِئْتُ بِهِ، فَقَالَ ﷺ لِعَلِيٍّ: «**مِنْ هٰذَا أَصِبْ، فَإِنَّهُ أَنْفَعُ لَكَ**» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ[٣].

ذِكْرُ حِمْيَةِ الْمَرِيضِ مِنَ الْمَاءِ:

عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَحَبَّ اللّهُ الْعَبْدَ حَمَاهُ الدُّنْيَا، كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَهُ[٤] الْمَاءَ**»[٥] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[٦].

وَرَوَى الْحُمَيْدِيُّ مَرْفُوعاً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَوْ أَنَّ النَّاسَ أَقَلُّوا مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ لاَسْتَقَامَتْ أَبْدَانُهُمْ**».

وَلِلطَّبَرَانِيِّ[٧] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ شَرِبَ الْمَاءَ عَلَى الرِّيقِ انْتَقَصَتْ قُوَّتُهُ**».

---

(١) أي: برىء من مرضه، ولا يزال به ضعف.
(٢) أشجار عنب.
(٣) وأبو داود والترمذي.
(٤) مريضه.
(٥) إذا كان يضرُّه.
(٦) وقال: حسن غريب.
(٧) في الأوسط بسند ضعيف.

ذِكْرُ أَمْرِهِ ﷺ بِالْحِمْيَةِ مِنَ الْمَاءِ الْمُشَمَّسِ خَوْفَ الْبَرَصِ:

رَوَى الشَّافِعِيُّ وَالدَّارَقُطْنِيُّ[١]: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لاَ تَغْتَسِلُوا بِالْمَاءِ الْمُشَمَّسِ، فَإِنَّهُ يُورِثُ الْبَرَصَ.

وَرَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ هٰذَا الْمَعْنَى مِنْ حَدِيثِ عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[٢]، وَأَخْرَجَهُ الْعُقَيْلِيُّ عَنْ أَنَسٍ.

ذِكْرُ الْحِمْيَةِ مِنْ طَعَامِ الْبُخَلاَءِ:

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**طَعَامُ الْبَخِيلِ دَاءٌ، وَطَعَامُ الأَسْخِيَاءِ شِفَاءٌ**» رَوَاهُ التِّنِّيسِيُّ عَنْ مَالِكٍ فِي غَيْرِ الْمُوَطَّأ[٣].

ذِكْرُ الْحِمْيَةِ مِنَ النَّوْمِ فِي الشَّمْسِ: (فَإِنَّهُ يُورِثُ دَاءَ الْكَسَلِ، وَيُثِيرُ الدَّاءَ الدَّفِينَ).

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي الْمَرَاسِيلِ عَنْ يُونُسَ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِالرَّحْمٰنِ: أَنَّهُ رَآهُ مُضْطَجِعاً فِي الشَّمْسِ، قَالَ يُونُسُ: فَنَهَانِي وَقَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهَا تُورِثُ الْكَسَلَ، وَتُثِيرُ الدَّاءَ الدَّفِينَ**».

ذِكْرُ الْحِمْيَةِ مِنَ الْجِمَاعِ مَعَ احْتِبَاسِ الْبَوْلِ، فَإِنَّ مِنْهُ دَاءَ الْبَوَاسِيرِ:

عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لاَ يُجَامِعَنَّ أَحَدُكُمْ وَبِهِ حَقْنُ خَلاَءٍ، فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنْهُ الْبَوَاسِيرُ**» رَوَاهُ الْحَاكِمُ[٤]. (وَحَقْنُ الْخَلاَءِ: احْتِبَاسُ الْبَوْلِ).

---

(١) بسند صحيح.

(٢) وهو ضعيف.

(٣) ورواه الحاكم والديلمي وابن عدي والدارقطني. قال في الميزان ومختصره اللسان: لا يثبت، فيه ضعفاء ومجاهيل.

(٤) وفي سنده سهل الديباجي، وهو كذاب رافضي. انظر كنز العمال **٤٥٨٩٢**.

ذِكْرُ حِمَايَةِ الشَّرَابِ مِنْ سُمِّ أَحَدِ جَنَاحَي الذُّبَابِ بِإِغْمَاسِ الثَّانِي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ، ثُمَّ لِيَطْرَحْهُ، فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ، شِفَاءً، وَفِي الآخَرِ دَاءً»**[1].

ذِكْرُ أَمْرِهِ ﷺ بِالْحِمْيَةِ مِنَ الْوَبَاءِ النَّازِلِ فِي الإِنَاءِ بِاللَّيْلِ بِتَغْطِيَتِهِ:

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«غَطُّوا الإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لاَ يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ إِلاَّ يَنْزِلُ فِيهِ مِنْ ذٰلِكَ الْوَبَاءِ»** رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ. قِيلَ: وَذٰلِكَ فِي أَوَاخِرِ[2] شُهُورِ السَّنَةِ الرُّومِيَّةِ فِي كَانُونِ الأَوَّلِ. (وَالْوِكَاءُ: هُوَ الْخَيْطُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ فَمُ الْقِرْبَةِ).

ذِكْرُ حِمْيَةِ الْوَلَدِ مِنْ إِرْضَاعِ الْحَمْقَى:

رَوَى أَبُو دَاوُدَ[3] بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُسْتَرْضَعَ الْحَمْقَى[4]، فَإِنَّ اللَّبَنَ يُشَبِّهُ ـ أَيْ: يُورِثُ شَبَهاً بَيْنَ الرَّضِيعِ وَالْمُرْضِعَةِ ـ، وَفِي رِوَايَةٍ: «يُعْدِي».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«الرَّضَاعُ يُغَيِّرُ الطِّبَاعَ»**[5].

وَعِنْدَ ابْنِ حَبِيبٍ مَرْفُوعاً: أَنَّهُ ﷺ نَهَى عَنِ اسْتِرْضَاعِ الْفَاجِرَةِ ـ أَيْ: الْفَاسِقَةِ ـ.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) في الأصل: آخر.

(٣) في المراسيل.

(٤) في الأصل: أن نسترضع الحمقاء.

(٥) رواه القضاعي بسند ضعيف. انظر كنز العمال **١٥٦٥٣**.

وَأَمَّا الْحِمْيَةُ مِنَ الْبَرْدِ:

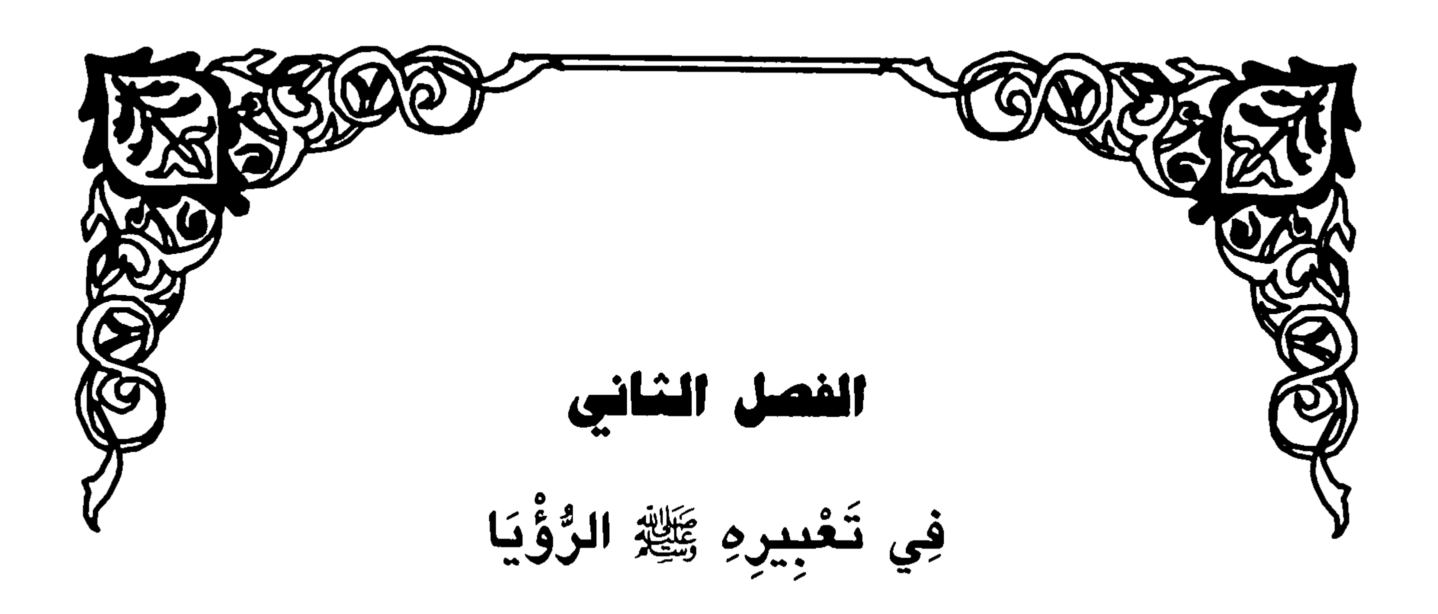
فَقَدْ أَوْرَدَ فِيهَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«اسْتَدْفِئُوا مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ»**[1].

وَأَوْرَدَ الْمُسْتَغْفِرِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَوْلَهُ ﷺ: **«إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَفْرَحُ بِارْتِفَاعِ الْبَرْدِ عَنْ أُمَّتِي»**[2].

❋ ❋ ❋

(١) وسنده ضعيف.

(٢) وسنده ضعيف.



الفصل الثاني

فِي تَعْبِيرِهِ ﷺ الرُّؤْيَا

رَوَى الدَّارِمِيُّ[١] عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَهَا زَوْجٌ تَاجِرٌ يَخْتَلِفُ[٢] فِي التِّجَارَةِ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ زَوْجِي غَائِبٌ وَتَرَكَنِي حَامِلاً، فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنَّ سَارِيَةَ بَيْتِي انْكَسَرَتْ، وَأَنِّي وَلَدْتُ غُلَاماً أَعْوَرَ؟ فَقَالَ: «**خَيْرٌ، يَرْجِعُ زَوْجُكِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى صَالِحاً، وَتَلِدِينَ غُلَاماً بَرّاً**» فَذَكَرَتْ ذٰلِكَ ثَلَاثاً[٣]، فَجَاءَتْ ـ أَيْ: مَرَّةً أُخْرَى ـ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَائِبٌ، فَسَأَلْتُهَا[٤] فَأَخْبَرَتْنِي بِالْمَنَامِ، فَقُلْتُ لَهَا: لَئِنْ صَدَقَتْ رُؤْيَاكِ لَيَمُوتَنَّ زَوْجُكِ، وَتَلِدِينَ غُلَاماً فَاجِراً، فَقَعَدَتْ تَبْكِي، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَهْ يَا عَائِشَةُ! إِذَا عَبَّرْتُمْ لِلْمُسْلِمِ الرُّؤْيَا فَاعْبُرُوهَا عَلَى خَيْرٍ، فَإِنَّ الرُّؤْيَا تَكُونُ عَلَى مَا يُعَبِّرُهَا صَاحِبُهَا**»، وَالْمُرَادُ بِصَاحِبِهَا: مَنْ يُعَبِّرُهَا. وَسَارِيَةُ الْبَيْتِ: عَمُودُهُ.

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

---

(١) بسند حسن.

(٢) يتردّد.

(٣) لتتأكّد وتطمئن.

(٤) أي: سألَتْها عائشة عن سبب تعدد مجيئها.

فَقَالَتْ: إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ جَائِزَةَ بَيْتِي (أَيْ: سَارِيَتَهُ) انْكَسَرَتْ (وَكَانَ زَوْجُهَا غَائِباً)، فَقَالَ: **«رَدَّ اللّهُ عَلَيْكِ زَوْجَكِ سَالِماً»**[1].

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ[2] أَنَّ ابْنَ زِمْلٍ لَمَّا قَصَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رُؤْيَاهُ قَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: **«خَيْرٌ نَلْقَاهُ، وَشَرٌّ نَتَوَقَّاهُ، وَخَيْرٌ لَنَا، وَشَرٌّ عَلَى أَعْدَائِنَا، وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اقْصُصْ عَلَيَّ رُؤْيَاكَ»**.

نُبْذَةٌ مِنْ مَرَائِيهِ ﷺ مَعَ تَعْبِيرِهَا:

اعْلَمْ أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ هِيَ رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَقَدْ تَقَعُ لِغَيْرِهِمْ بِنُدُورٍ، وَهِيَ الَّتِي تَقَعُ فِي الْيَقَظَةِ عَلَى وَفْقِ مَا وَقَعَتْ فِي النَّوْمِ، وَقَدْ وَقَعَ لِنَبِيِّنَا ﷺ مِنَ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةِ الَّتِي كَفَلَقِ الصُّبْحِ مَا لاَ يُعَدُّ وَلاَ يُحَدُّ. قَالَتْ عَائِشَةُ: أَوَّلُ مَا بُدِىءَ بِهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَرُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهَا صَادِقَةٌ، وَقَدْ تَكُونُ صَالِحَةً ـ وَهُوَ الأَكْثَرُ ـ وَغَيْرُ صَالِحَةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الدُّنْيَا، كَمَا وَقَعَ فِي الرُّؤْيَا يَوْمَ أُحُدٍ، فَإِنَّهُ ﷺ رَأَى نَفْسَهُ فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، وَرَأَى بَقَراً تُذْبَحُ، وَرَأَى فِي سَيْفِهِ ثَلْماً، فَأَوَّلَ الدِّرْعَ بِالْمَدِينَةِ، وَالْبَقَرَ مَا أَصَابَ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُحُدٍ مِنِ اسْتِشْهَادِ سَبْعِينَ، وَالثَّلْمَ الَّذِي كَانَ فِي سَيْفِهِ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يُقْتَلُ، فَكَانَ حَمْزَةَ سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، ثُمَّ كَانَتِ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: **«بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي**

---

(١) في الأصل: فرجع سالماً. رواه سعيد بن منصور.

(٢) بسند ضعيف جداً.

لأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي[1]**، فَأَعْطَيْتُ فضلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ**»، قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**الْعِلْمَ**».

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ، وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذٰلِكَ، وَمَرَّ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ**» قَالُوا: مَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**الدِّينَ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: ذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ أَنَّهُ وُضِعَ فِي يَدَيَّ سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَطَعْتُهُمَا**[2] **وَكَرِهْتُهُمَا، فَأُذِنَ لِي فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ**»، قَالَ عُبَيْدُاللَّهِ الرَّاوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَحَدُهُمَا: الْعَنْسِيُّ الَّذِي قَتَلَهُ فَيْرُوزُ بِالْيَمَنِ، وَالآخَرُ: مُسَيْلِمَةُ. وَفِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أُوتِيتُ خَزَائِنَ الأَرْضِ، فَوُضِعَ فِي يَدَيَّ سِوَارَانِ**» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَالْمُرَادُ بِخَزَائِنِ الأَرْضِ: مَا فُتِحَ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الْغَنَائِمِ وَذَخَائِرِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَغَيْرِهِمَا.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**رَأَيْتُ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى قَامَتْ بِمَهْيَعَةَ**[3] - وَهِيَ الْجُحْفَةُ -، **فَأَوَّلْتُ ذٰلِكَ أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ نُقِلَ إِلَيْهَا**».

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهْلِي** - أَيْ:

---

(١) أي: على أظفاري.

(٢) أي: اشتدّ عليّ أمرهما.

(٣) وهو الطريق الواسع الواضح.

وَهمِي - **إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ**[1] **أَوْ هَجَرُ**[2]، **فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ».**

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: **«رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ، فَأُتِينَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ**[3]**، فَأَوَّلْتُهُ أَنَّ الرِّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا وَالْعَاقِبَةَ فِي الآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ».**

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: **«بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ، وَعَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللّهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، فَنَزَعَ مِنْهَا ذَنُوباً أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْباً، فَأَخَذَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ ابْنِ الْخَطَّابِ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ»**[4]. (الْقَلِيبُ: الْبِئْرُ، وَالذَّنُوبُ: الدَّلْوُ الْمُمْتَلِىءُ، وَالْغَرْبُ: الدَّلْوُ الْعَظِيمَةُ، وَعَبْقَرِيُّ الْقَوْمِ: سَيِّدُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ وَقَوِيُّهُمْ، وَالْعَطَنُ لِلإِبِلِ كَالْوَطَنِ لِلنَّاسِ، لٰكِنْ غُلِّبَ عَلَى مَبْرَكِهَا حَوْلَ الْحَوْضِ، وَيُقَالُ: ضَرَبَتِ الإِبِلُ بِعَطَنٍ: إِذَا رَوِيَتْ ثُمَّ بَرَكَتْ حَوْلَ الْمَاءِ).

وَهٰذَا الْمَنَامُ مِثَالٌ لِمَا جَرَى لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلِلْخَلِيفَتَيْنِ بَعْدَهُ.

وَقَوْلُهُ: **«وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ»**: فَهُوَ إِخْبَارٌ عَنْ حَالِهِ فِي قِصَرِ مُدَّةِ وِلاَيَتِهِ، وَلَيْسَ فِي قَوْلِهِ: **«وَاللّهُ يَغْفِرُ لَهُ»** نَقْصٌ، وَلاَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ ذَنْبٌ، وَإِنَّمَا هِيَ كَلِمَةٌ كَانُوا يَقُولُونَهَا، وَأَمَّا وِلاَيَةُ عُمَرَ: فَإِنَّهَا لَمَّا طَالَتْ كَثُرَ انْتِفَاعُ النَّاسِ بِهَا، وَاتَّسَعَتْ دَائِرَةُ الإِسْلاَمِ بِكَثْرَةِ الْفُتُوحِ وَتَمْصِيرِ الأَمْصَارِ وَتَدْوِينِ الدَّوَاوِينِ.

---

(١) وهي قاعدة البحرين، أكثر نخلاً من سائر الحجاز.

(٢) بلد باليمن.

(٣) رجل من أهل المدينة.

(٤) أي: رَوِيَتْ إبلُهم.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! رَأَيْتُ كَأَنَّ دَلْواً دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيْهَا فَشَرِبَ شُرْباً ضَعِيفاً، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيْهَا فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيْهَا فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَانْتُشِطَتْ، وَانْتُضِحَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ. (وَالْعَرَاقِي: جَمْعُ عَرْقُوَةٍ، وَهِيَ الْخَشَبَةُ الْمَعْرُوضَةُ عَلَى فَمِ الدَّلْوِ، وَهُمَا عَرْقُوَتَانِ كَالصَّلِيبِ. وَانْتُشِطَتْ: جُذِبَتْ وَرُفِعَتْ).

ذِكْرُ تَعْبِيرِهِ ﷺ لِمَا رَآهُ غَيْرُهُ:

كَانَ ﷺ إِذَا انْفَتَلَ مِنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَيَقُولُ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا فَلْيَقُصَّهَا عَلَيَّ أُعَبِّرْهَا لَهُ**»، فَيَقُصُّ النَّاسُ عَلَيْهِ مَرَائِيَهُمْ، ثُمَّ تَرَكَ السُّؤَالَ إِيثَاراً لِسَتْرِ الْعَوَاقِبِ، فَكَانَ يُعَبِّرُ لِمَنْ قَصَّ مُتَبَرِّعاً.

فَمِنْ غَرِيبِ مَا نُقِلَ عَنْهُ ﷺ مِنَ التَّعْبِيرِ: أَنَّ زُرَارَةَ بْنَ عَمْرٍو النَّخَعِيَّ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فِي وَفْدِ النَّخَعِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنِّي رَأَيْتُ فِي طَرِيقِي هٰذَا رُؤْيَا؛ رَأَيْتُ أَتَاناً تَرَكْتُهَا فِي الْحَيِّ وَلَدَتْ جَدْياً أَسْفَعَ أَحْوَى، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**هَلْ لَكَ مِنِ امْرَأَةٍ تَرَكْتَهَا مُصِرَّةً**[1] **حَمْلاً؟**» قَالَ: نَعَمْ، تَرَكْتُ أَمَةً أَظُنُّهَا قَدْ حَمَلَتْ، قَالَ: «**فَقَدْ وَلَدَتْ غُلاَماً، وَهُوَ ابْنُكَ**»، قَالَ: فَمَا بَالُهُ أَسْفَعَ أَحْوَى؟ قَالَ: «**ادْنُ مِنِّي**»، فَدَنَا مِنْهُ، قَالَ: «**هَلْ بِكَ بَرَصٌ تَكْتُمُهُ؟**» قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَآهُ مَخْلُوقٌ وَلاَ عَلِمَ بِهِ أَحَدٌ، قَالَ: «**فَهُوَ ذَاكَ**»، قَالَ: وَرَأَيْتُ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ وَعَلَيْهِ قُرْطَانِ وَدُمْلُجَانِ وَمَسْكَتَانِ، قَالَ: «**ذٰلِكَ مُلْكُ الْعَرَبِ، رَجَعَ إِلَى أَحْسَنِ زِيِّهِ وَبَهْجَتِهِ**»، قَالَ: وَرَأَيْتُ عَجُوزاً شَمْطَاءَ تَخْرُجُ مِنَ الأَرْضِ، قَالَ: «**تِلْكَ بَقِيَّةُ**

(١) حاملاً.

الدُّنيا»، قَالَ: وَرَأَيْتُ ناراً خَرَجَتْ مِنَ الأَرْضِ فَحَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ ابنٍ لِي يُقَالُ لَهُ عَمروٌ، وَرَأَيْتُهَا تَقُولُ: لَظَى لَظَى، بَصِيرٌ وَأَعْمَى، آكُلُكُمْ آكُلُكُمْ أَهْلَكُمْ وَمَالَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تِلْكَ فِتْنَةٌ تَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ**»، قَالَ: وَمَا الْفِتْنَةُ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: «**يَفتِكُ النَّاسُ بِإِمَامِهِمْ، ثُمَّ يَشْتَجِرُونَ اشْتِجَارَ أَطْبَاقِ الرَّأْسِ**» وَخَالَفَ[1] ﷺ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، يَحْسِبُ الْمُسِيءُ أَنَّهُ مُحْسِنٌ، وَدَمُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ أَحْلَى مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ الْبَارِدِ.

(الأَتَانُ: أُنْثَى الْحَمِيرِ، وَالْجَدْيُ: الذَّكَرُ مِنْ أَوْلَادِ الْمَعْزِ، وَالأَسْفَعُ: الَّذِي أَصَابَ جَسَدَهُ لَوْنٌ آخَرُ، وَالأَحْوَى: الأَسْوَدُ الَّذِي لَيْسَ بِالشَّدِيدِ، وَالْقُرْطُ: مَا يُعَلَّقُ فِي شَحْمَتَيِ الأُذُنِ، وَالدُّمْلُجُ: شَيْءٌ يُشْبِهُ السِّوَارَ، وَالْمَسَكَتَانِ: السِّوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ، وَالشَّمْطَاءُ: الَّتِي شَعْرُ رَأْسِهَا أَبْيَضُ، وَأَطْبَاقُ الرَّأْسِ: عِظَامُهُ، وَاشْتِجَارُ: الاخْتِلَافُ وَالاشْتِبَاكُ).

وَمِنْ ذٰلِكَ: مَا رُوِيَ عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ: كُنْتُ فِي حَلْقَةٍ فِيهَا سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ وَابْنُ عُمَرَ، فَمَرَّ عَبْدُاللّهِ بْنُ سَلَامٍ، فَقَالُوا: هٰذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ قَالُوا كَذَا وَكَذَا، قَالَ: سُبْحَانَ اللّهِ، مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّمَا رَأَيْتُ كَأَنَّمَا عَمُودٌ وُضِعَ فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فَنُصِبَ فِيهَا، وَفِي رَأْسِهَا عُرْوَةٌ، وَفِي أَسْفَلِهَا مِنْصَفٌ (وَالْمِنْصَفُ: الْوَصِيفُ)[2] فَقَالَ: ارْقَهْ، فَرَقِيتُهُ حَتَّى أَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَقَالَ: «**يَمُوتُ عَبْدُاللّهِ وَهُوَ آخِذٌ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْهُ: بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي: قُمْ، فَأَخَذَ

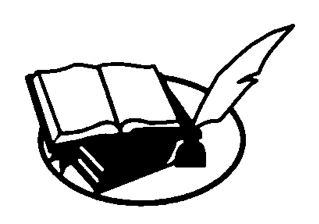
---

(١) شبّك.

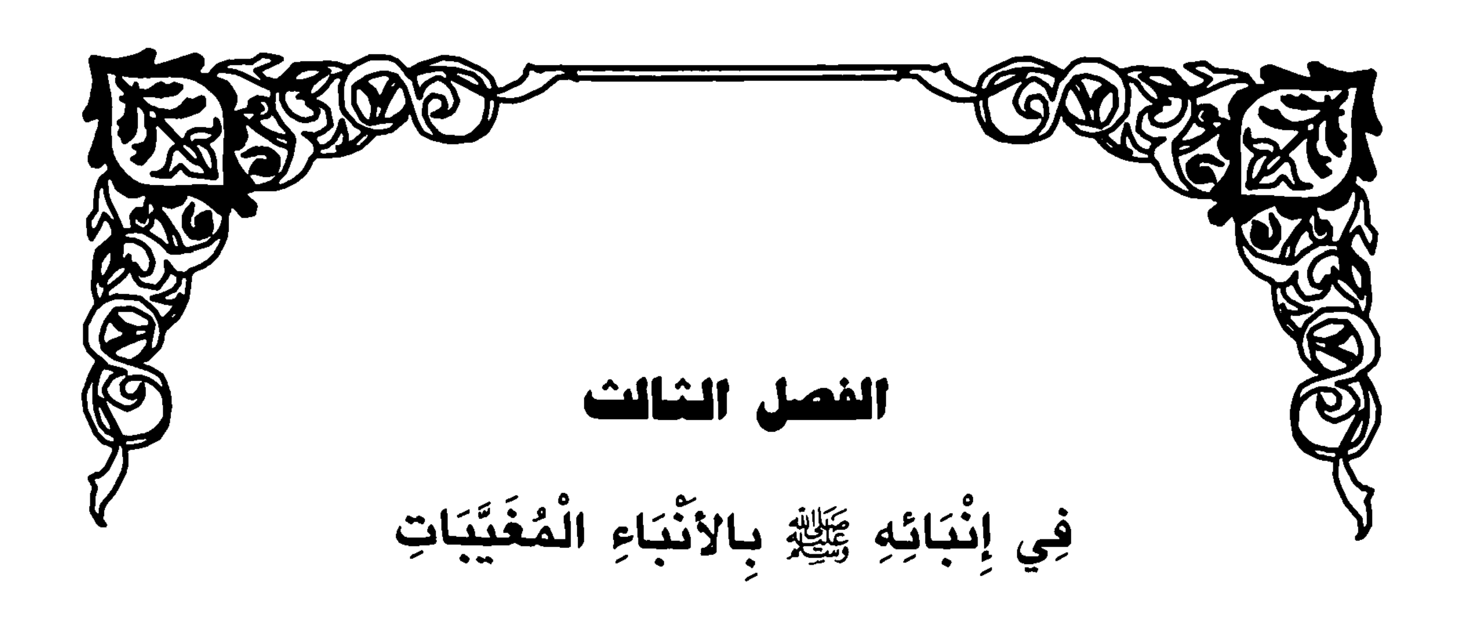
(٢) وهو الخادم.

بِيَدِي، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَإِذَا أَنَا بِجَوَادّ (جَمْعُ: جَادَّةٍ، وَهِيَ الطَّرِيقُ الْمَسْلُوكُ عَنْ شِمَالِي)، قَالَ: فَأَخَذْتُ لآخُذَ فِيهَا ـ أَيْ: أَسيرَ ـ فَقَالَ: لاَ تَأْخُذْ فِيهَا، فَإِنَّهَا طَرِيقُ أَصْحَابِ الشِّمَالِ، فَإِذَا مَنْهَجٌ[1] عَنْ يَمِينِي، فَقَالَ لِي: خُذْ هٰهُنَا، فَأَتَى بِي جَبلاً، فَقَالَ لِي: اصْعَدْ، فَجَعَلْتُ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَصْعَدَ خَرَرْتُ، حَتَّى فَعَلْتُ ذٰلِكَ مِرَاراً. وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ وَابْنِ مَاجَه: قَالَ ﷺ: «**رَأَيْتَ خَيْراً، أَمَّا الْمَنْهَجُ: فَالْمَحْشَرُ، وَأَمَّا الْجَبَلُ: فَهُوَ مَنْزِلُ الشُّهَدَاءِ، وَلَنْ تَنَالَهُ**». وَهٰذَا عَلَمٌ مِنْ أَعْلاَمِ نُبُوَّتِهِ ﷺ، فَإِنَّ عَبْدَاللّهِ بْنَ سَلاَمٍ لَمْ يَمُتْ شَهِيداً، وَإِنَّمَا مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ فِي أَوَّلِ خِلاَفَةِ مُعَاوِيَةَ بِالْمَدِينَةِ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أُمِّ الْعَلاَءِ قَالَتْ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ، وَأُرِيتُ لِعُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي النَّوْمِ عَيْناً تَجْرِي، فَجِئْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «**ذٰلِكَ عَمَلُهُ يَجْرِي لَهُ**».



(١) طريق واضح.



الفصل الثالث

فِي إِنْبَائِهِ ﷺ بِالأَنْبَاءِ الْمُغَيَّبَاتِ

اعْلَمْ أَنَّ عِلْمَ الْغَيْبِ يَخْتَصُّ بِهِ تَعَالَى، وَمَا وَقَعَ مِنْهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ وَغَيْرِهِ، فَمِنَ اللّهِ تَعَالَى، إِمَّا بِوَحْيٍ أَوْ بِإِلْهَامٍ، لإِثْبَاتِ نُبُوَّتِهِ ﷺ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**وَاللّهِ إِنِّي لاَ أَعْلَمُ إِلاَّ مَا عَلَّمَنِي رَبِّي**»[1]. وَقَدِ اشْتَهَرَ وَانْتَشَرَ أَمْرُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِالاطِّلاَعِ عَلَى الْغُيُوبِ، حَتَّى كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: اسْكُتْ فَوَاللّهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَنْ يُخْبِرُهُ لأَخْبَرَتْهُ حِجَارَةُ الْبَطْحَاءِ[2]، وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُ عَبْدِاللّهِ بْنِ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ:

وَفِينَا رَسُولُ اللّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ ... إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَّ الصُّبْحِ سَاطِعُ
أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا ... بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ

وَقَوْلُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ:

نَبِيٌّ يَرَى مَا لاَ يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ ... وَيَتْلُو كِتَابَ اللّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
فَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةَ غَائِبٍ ... فَتَصْدِيقُهَا فِي ضَحْوَةِ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ

وَهٰذَا الْفَصْلُ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ:

---

(١) رواه الطبراني بلفظ: «**إني فيما لم يوح إليّ كأحدكم**».

(٢) مكة.

القسم الأول
فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مِمَّا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ

فَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾[1]، فَقَوْلُهُ: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ إِخْبَارٌ عَنْ غَيْبٍ تَقْضِي الْعَادَةُ بِخِلافِهِ، لأَنَّهُمْ كَانُوا غَايَةً فِي الْبَلاغَةِ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ الآيَة[2]، وَالطَّائِفَتَانِ: هُمَا الْعِيرُ وَالنَّفِيرُ، فَأَخْبَرَ اللّهُ تَعالَى عَمَّا فِي ضَمَائِرِهِمْ، وَأَنْجَزَ لَهُمْ مَا وَعَدَ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ الْوَعْدَ كَانَ قَبْلَ اللِّقَاءِ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾[3] يَعْنِي كُفَّارَ قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدْ كَانَ عَدَدُهُمْ مَا بَيْنَ التِّسْعِ مِئَةِ إِلَى الأَلْفِ، وَكَانُوا مُسْتَعِدِّينَ بِالْمَالِ وَالسِّلاَحِ، وَكَانَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَهَزَمَ اللّهُ الْمُشْرِكِينَ، وَمَكَّنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَتْلِ أَبْطَالِهِمْ، وَاغْتِنَامِ أَمْوَالِهِمْ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى فِي كُفَّارِ قُرَيْشٍ: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾[4] يُرِيدُ مَا قَذَفَ اللّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْخَوْفِ يَوْمَ أُحُدٍ، حَتَّى تَرَكُوا الْقِتَالَ وَرَجَعُوا مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧.

(٣) سورة القمر، الآية: ٤٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥١.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾[١]، سَبَبُ نُزُولِ هٰذِهِ الآيَةِ: أَنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ تَقَاتَلاَ، فَغَلَبَ كِسْرَى قَيْصَرَ، فَسَاءَ الْمُسْلِمِينَ ذٰلِكَ؛ لأَنَّ الرُّومَ أَهْلُ كِتَابٍ، وَلِتَعْظِيمِ قَيْصَرَ كِتَابَ النَّبِيِّ ﷺ وَتَمْزِيقِ كِسْرَى كِتَابَهُ[٢]، وَفَرِحَ الْمُشْرِكُونَ، فَأَخْبَرَ اللّٰهُ تَعَالَى بِأَنَّ الرُّومَ بَعْدَ أَنْ غُلِبُوا سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ. (وَالْبِضْعُ: مَا بَيْنَ الثَّلاَثَةِ إِلَى الْعَشَرَةِ)، فَغَلَبَتِ الرُّومُ أَهْلَ فَارِسَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ[٣]، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ بِلاَدِهِمْ، وَذٰلِكَ بَعْدَ سَبْعِ سِنِينَ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾[٤]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لاَ يَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ بِالْقَلْبِ وَلاَ بِالنُّطْقِ بِاللِّسَانِ مَعَ قُدْرَتِهِمْ عَلَيْهِ، فَلَوْ لَمْ يَعْلَمُوا مَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْمَوْتِ[٥] لَسَارَعُوا إِلَى تَكْذِيبِهِ بِالتَّمَنِّي، وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَوْ تَمَنَّوُا الْمَوْتَ لَغَصَّ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ بِرِيقِهِ فَمَاتَ مَكَانَهُ، وَمَا بَقِيَ يَهُودِيٌّ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ**»[٦].

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الآيَةَ[٧]، هٰذَا وَعْدٌ

---

(١) سورة الروم، الآيات: ١ ـ ٦.

(٢) لكن مكاتبة الملوك كانت في العام السابع من الهجرة وما بعده، وآية الروم مكية، لذا فموقف كسرىٰ وقيصر ليس علّةً في الموضوع، كما ذكر ذلك صالح الشامي في تحقيقه على المواهب.

(٣) أو يومَ بدر على خلاف فيه بين المفسّرين.

(٤) سورة البقرة، الآيتان: ٩٤، ٩٥.

(٥) بتكذيبه.

(٦) هذه الرواية من قول ابن عباس، كما في (الدر المنثور) للسيوطي، لكن روىٰ الشيخان والترمذي والنسائي عنه ﷺ: «**لو أن اليهود تمنَّوا الموت لماتوا، ولرأوا مقاعدهم من النار**».

(٧) سورة النور، الآية: ٥٥.

مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ بِأَنَّهُ سَيَجْعَلُ أُمَّتَهُ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَئِمَّةَ النَّاسِ وَالْوُلاَةَ عَلَيْهِمْ، وَبِهِمْ تَصْلُحُ الْبِلاَدُ وَتَخْضَعُ لَهُمُ الْعِبَادُ، وَقَدْ فَعَلَ تَعَالَى ذٰلِكَ فِيهِمْ وَلِلّهِ الْحَمْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَمُتْ ﷺ حَتَّى فَتَحَ اللّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَخَيْبَرَ وَالْبَحْرَيْنِ وَسَائِرَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَأَرْضَ الْيَمَنِ بِكَمَالِهَا، وَأَخَذَ الْجِزْيَةِ مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ وَمِنْ بَعْضِ أَطْرَافِ الشَّامِ، وَهَادَاهُ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ وَصَاحِبُ مِصْرَ وَالإِسْكَنْدَرِيَّةِ ـ وَهُوَ الْمُقَوْقِسُ ـ وَمُلُوكُ عُمَانَ، وَالنَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ الَّذِي تَمَلَّكَ بَعْدَ أَصْحَمَةَ رَحِمَهُ اللّهُ[1].

ثُمَّ لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ قَامَ بِالأَمْرِ بَعْدَهُ خَلِيفَتُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، فَلَمَّ شَعَثَ مَا وَهَى، وَمَهَّدَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ، وَبَعَثَ الْجُيُوشَ الإِسْلاَمِيَّةَ إِلَى بِلاَدِ فَارِسَ فَفَتَحُوا طَرَفاً مِنْهَا، وَجَيْشاً آخَرَ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ، وَجَيْشاً ثَالِثاً إِلَى بَلاَدِ مِصْرَ، فَفَتَحَ اللّهُ لِلْجَيْشِ الشَّامِيِّ فِي أَيَّامِهِ بُصْرَى وَدِمَشْقَ وَنَوَاحِيَهُمَا مِنْ بِلاَدِ حَوْرَانَ وَمَا وَالاَهَا، وَتَوَفَّاهُ اللّهُ تَعَالَى وَقَدِ اسْتَخْلَفَ عُمَرَ الْفَارُوقَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، فَقَامَ فِي الأَمْرِ بَعْدَهُ قِيَاماً تَامًّا، لَمْ يَدُرِ الْفَلَكُ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ عَلَى مِثْلِهِ، وَتَمَّ فِي أَيَّامِهِ فَتْحُ الْبِلاَدِ الشَّامِيَّةِ بِكَمَالِهَا وَدِيَارِ مِصْرَ إِلَى آخِرِهَا وَأَكْثَرِ إِقْلِيمِ فَارِسَ، ثُمَّ فِي أَيَّامِ الْخَلِيفَةِ الثَّالِثِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ امْتَدَّتِ الْمَمَالِكُ الإِسْلاَمِيَّةُ إِلَى أَقْصَى مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَجِيءَ بِالْخَرَاجِ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، ثُمَّ زَادَتِ الْفُتُوحَاتُ، وَاتَّسَعَتِ الْمَمَالِكُ الإِسْلاَمِيَّةُ، وَهَا نَحْنُ نَتَقَلَّبُ فِيمَا وَعَدَنَا اللّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ وَصَدَقَ اللّهُ وَرَسُولُهُ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾[2]، فَالْيَهُودُ أَذَلُّ الْكُفَّارِ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ كَمَا أَخْبَرَ.

---

(١) والصُّحْمَة: سواد إلىٰ صفرة، أو غُبْرة إلىٰ سواد قليل، أو حُمرة في بياض.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦١.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1]، وَهٰذَا ظَاهِرٌ فِي الْعِيَانِ بِأَنَّ دِينَ الإِسْلاَمِ كَمَا أَخْبَرَ عَالٍ عَلَى سَائِرِ الأَدْيَانِ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾﴾ إِلَى آخِرِهَا[2]، فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ، دَخَلَ النَّاسُ فِي الإِسْلاَمِ أَفْوَاجاً، فَمَا مَاتَ ﷺ وَفِي بِلاَدِ الْعَرَبِ كُلِّهَا مَوْضِعٌ لَمْ يَدْخُلْهُ الإِسْلاَمُ، إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا يَطُولُ اسْتِقْصَاؤُهُ.

القِسْمُ الثَّاني
فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْغُيُوبِ سِوَى مَا فِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ، فَكَانَ كَما أَخْبَرَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ ﷺ

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[3] عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «**إِنَّ اللّٰهَ قَدْ رَفَعَ لِي الدُّنْيَا، فَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا هُوَ كَائِنٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى كَفِّي هٰذِهِ**».

وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ مَقَاماً، فَمَا تَرَكَ شَيْئاً فِي مَقَامِهِ ذٰلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هٰؤُلاَءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَعْرِفُهُ، فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ،

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

(٢) آخر سورة النصر.

(٣) بسند ضعيف، كما في كنز العمال ٣١٨١٠.

ثُمَّ قَالَ حُذَيْفَةُ: مَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَصْحَابِي أَمْ تَنَاسَوْهُ؟ وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَائِدِ فِتْنَةٍ إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ الْدُّنْيَا يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثَلاَثَ مِئَةٍ فَصَاعِداً إِلاَّ قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَقَبِيلَتِهِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي الدَّجَّالِ: فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً[١]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنِّي لأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ**»، فَوَضَحَ أَنَّهُ ﷺ عَرَّفَهُمْ بِمَا يَقَعُ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ.

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلاَّ ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْماً[٢].

فَمِنْ ذٰلِكَ: مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ لِلنَّاسِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ، وَصَلَّى عَلَيْهِ، وَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ.

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالْبُخَارِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَعِدَ أُحُداً وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ، فَضَرَبَهُ ﷺ بِرِجْلِهِ وَقَالَ لَهُ: «**أُثْبُتْ أُحُدُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ**» فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلاَ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلاَ قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ: لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**». قَالَ النَّوَوِيُّ: قَالَ الشَّافِعِيُّ وَسَائِرُ الْعُلَمَاءِ: مَعْنَاهُ: لاَ يَكُونُ كِسْرَى بِالْعِرَاقِ وَلاَ قَيْصَرُ بِالشَّامِ كَمَا كَانَ

---

(١) أي: يَبعث المسلمون طليعةً للدجّال.

(٢) رواه أحمد والطبراني.

فِي زَمَنِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَأَعْلَمَنَا ﷺ بِانْقِطَاعِ مُلْكِهِمَا مِنْ هٰذَيْنِ الإِقْلِيمَيْنِ، وَكَانَ كَمَا قَالَ ﷺ.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِسُرَاقَةَ: «**كَيفَ بِكَ إِذَا لَبِسْتَ سِوَارَيْ كِسْرَى؟**» فَلَمَّا أُتِيَ بِهِمَا عُمَرُ أَلْبَسَهُمَا إِيَّاهُ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي سَلَبَهُمَا كِسْرَى وَأَلْبَسَهُمَا سُرَاقَةَ. (وَهُوَ أَعْرَابِيٌّ بَدَوِيٌّ مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ).

وَمِنْ ذٰلِكَ: إِخْبَارُهُ ﷺ بِالْمَالِ الَّذِي تَرَكَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ بَعْدَ أَنْ كَتَمَهُ[1]، فَقَالَ: مَا عَلِمَهُ غَيْرِي وَغَيْرُهَا، وَأَسْلَمَ.

وَإِخْبَارُهُ بِشَأْنِ كِتَابِ حَاطِبٍ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ.

وَبِمَوْضِعِ نَاقَتِهِ حِينَ ضَلَّتْ، وَكَيْفَ تَعَلَّقَتْ بِخِطَامِهَا فِي الشَّجَرَةِ.

وَلَمَّا رَجَعَ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ الأَحْزَابِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا**»، فَلَمْ يُغْزَ ﷺ بَعْدَهَا.

وَبَعَثَ ﷺ جَيْشاً إِلَى مُؤْتَةَ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ثُمَّ قَالَ: «**فَإِنْ أُصِيبَ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنْ أُصِيبَ فَعَبْدُاللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ**»، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ بِمُؤْتَةَ جَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَكُشِفَ لَهُ حَتَّى نَظَرَ إِلَى مُعْتَرَكِهِمْ فَقَالَ: «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ**»، فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لَهُ**»، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى اسْتُشْهِدَ، فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ جَعْفَرٍ**»، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُاللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَاسْتُشْهِدَ، فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ**»، فَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِقَتْلِهِمْ فِي السَّاعَةِ الَّتِي قُتِلُوا فِيهَا. (وَمُؤْتَةُ دُونَ دِمَشْقَ بِأَرْضِ الْبَلْقَاءِ).

---

(١) وذلك عندما أُخذ أسيراً في بدر، وطُلب منه الفداء، فقال للرسول ﷺ: لقد تركتني فقير قريش ما بقيتُ، فقال له ﷺ: «**كيف وقد تركتَ لأمّ الفضل أموالاً وقلتَ لها: إن متُّ فقد تركتك غنية؟**».

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ صَبِيحَةَ الْيَوْمِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ فَقَالَ: «**يَا أَسْمَاءُ! أَيْنَ بَنُو جَعْفَرٍ؟**» فَجِئْتُ بِهِمْ، فَضَمَّهُمْ وَشَمَّهُمْ، ثُمَّ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوعِ، فَبَكَى، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَبَلَغَكَ عَنْ جَعْفَرٍ شَيْءٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، قُتِلَ الْيَوْمَ**» رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**زُوِيَتْ[1] لِيَ الأَرْضُ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**» فَكَانَ كَذٰلِكَ، امْتَدَّتْ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ مَا بَيْنَ أَقْصَى الْهِنْدِ إِلَى أَقْصَى الْمَشْرِقِ إِلَى بَحْرِ طَنْجَةَ[2].

وَمِنْ ذٰلِكَ: إِعْلاَمُهُ قُرَيْشاً بِأَكْلِ الأَرَضَةِ مَا فِي صَحِيفَتِهِمْ الَّتِي تَظَاهَرُوا بِهَا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَقَطَعُوا بِهَا رَحِمَهُمْ، وَأَنَّهَا أَبْقَتْ فِيهَا كُلَّ اسْمٍ لِلّهِ، فَوَجَدُوهَا كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: مَا رَوَاهُ الْبَزَّارُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنْتُ جَالِساً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسْجِدِ مِنًى، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَرَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ، فَسَلَّمَا ثُمَّ قَالاَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! جِئْنَا نَسْأَلُكَ، فَقَالَ: «**إِنْ شِئْتُمَا أَنْ أُخْبِرَكُمَا بِمَا جِئْتُمَا تَسْأَلاَنِي عَنْهُ فَعَلْتُ؟ وَإِنْ شِئْتُمَا أَنْ أُمْسِكَ وَتَسْأَلاَنِي فَعَلْتُ؟**» فَقَالاَ: أَخْبِرْنَا يَا رَسُولَ اللّهِ! فَقَالَ الثَّقَفِيُّ لِلأَنْصَارِيِّ: سَلْ، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللّهِ! فَقَالَ: «**جِئْتَنِي تَسْأَلُنِي عَنْ مَخْرَجِكَ مِنْ بَيْتِكَ تَؤُمُّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ وَمَا لَكَ فِيهِ، وَعَنْ رَكْعَتَيْكَ بَعْدَ الطَّوَافِ وَمَا لَكَ فِيهِمَا، وَعَنْ سَعْيِكَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَمَا لَكَ فِيهِ، وَعَنْ وُقُوفِكَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ وَمَا لَكَ فِيهِ، وَعَنْ رَمْيِكَ الْجِمَارَ وَمَا لَكَ فِيهِ، وَعَنْ نَحْرِكَ وَمَا لَكَ فِيهِ، وَعَنْ حِلاَقِكَ رَأْسَكَ**

---

(١) جُمعَت وطُويَت.

(٢) في أقصىٰ المغرب.

وَمَا لَكَ فِيهِ مَعَ الإِفَاضَةِ»، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَعَنْ هٰذَا جِئْتُ أَسْأَلُكَ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: مَا رُوِيَ عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يُحَدِّثُهُمْ، فَجَلَسْتُ وَسْطَ الْحَلْقَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَا وَاثِلَةُ! قُمْ عَنْ هٰذَا الْمَجْلِسِ فَقَدْ نُهِينَا عَنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «**دَعُونِي وَإِيَّاهُ، فَإِنِّي أَعْلَمُ مَا الَّذِي أَخْرَجَهُ مِنْ مَنْزِلِهِ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي؟ قَالَ: «**أَخْرَجَكَ مِنْ مَنْزِلِكَ لِتَسْأَلَنِي عَنِ الْبِرِّ وَعَنِ الشَّكِّ**»، قَالَ: قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَخْرَجَنِي غَيْرُهُ، فَقَالَ ﷺ: «**الْبِرُّ مَا اسْتَقَرَّ فِي الصَّدْرِ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالشَّكُّ مَا لَمْ يَسْتَقِرَّ فِي الصَّدْرِ، فَدَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ**».

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا فِي مَرَضِهِ: «**إِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقاً بِي**»[١] فَعَاشَتْ بَعْدَهُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ: سِتَّةَ أَشْهُرٍ.

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِنِسَائِهِ: «**أَسْرَعُكُنَّ بِي لُحُوقاً أَطْوَلُكُنَّ يَداً**»[٢]، فَكَانَتْ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ؛ لأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدَيْهَا وَتَتَصَدَّقُ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِعَلِيٍّ: «**أَتَدْرِي مَنْ أَشْقَى الآخِرِينَ؟**» قُلْتُ: اللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**قَاتِلُكَ**» أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَقَالَ ﷺ لِمُعَاوِيَةَ: «**أَمَا إِنَّكَ سَتَلِي أَمْرَ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي، فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ فَاقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ**» رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ[٣].

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه مسلم والنسائي.

(٣) بسند ضعيف.

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَشْرَفَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ - أَيْ: حِصْنٍ مِنْ حُصُونِهَا - ثُمَّ قَالَ: **«هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي لأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ»**، فَوَقَعَتْ فِتْنَةُ قَتْلِ عُثْمَانَ، وَتَتَابَعَتِ الْفِتَنُ إِلَى فِتْنَةِ الْحَرَّةِ[1].

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لأَبِي مُوسَى وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى قُفِّ بِئْرِ أَرِيسٍ - أَيْ: حَافَتِهِ - لَمَّا طَرَقَ عُثْمَانُ الْبَابَ: **«ائْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ»**، إِشَارَةً إِلَى اسْتِشْهَادِهِ يَوْمَ الدَّارِ.

وَأَصْرَحُ مِنْهُ: مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِتْنَةً، فَمَرَّ رَجُلٌ فَقَالَ: يُقْتَلُ فِيهَا هٰذَا يَوْمَئِذٍ ظُلْماً، قَالَ: فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ. وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَأَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِوَقْعَةِ الْجَمَلِ وَصِفِّينَ، وَقِتَالِ عَائِشَةَ وَالزُّبَيْرِ عَلِيًّا. كَمَا أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ. وَقَالَ لِلزُّبَيْرِ: **«تُقَاتِلُهُ - يَعْنِي: عَلِيًّا - وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ»**. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ[2].

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: **«إِنَّ ابْنِي هٰذَا سَيِّدٌ، وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»** رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، فَكَانَ كَمَا قَالَ بِصُلْحِهِ لِمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَمِنْ ذٰلِكَ: إِعْلاَمُهُ ﷺ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ بِالطَّفِّ[3]، وَأَخْرَجَ بِيَدِهِ تُرْبَةً[4] وَقَالَ: **«فِيهَا مَضْجَعُهُ»** رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

---

(١) التي استُبيحت بها المدينة ثلاثة أيام على عهد يزيد بن معاوية عندما خلَع أهلُها بيعته، فأرسل لهم مسلم بن عقبة. (والحَرّة: شرقي المدينة).

(٢) فلما خرج يريد عليًا ذُكِّر بالحديث فمضى منصرفاً.

(٣) بكربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة.

(٤) أتاه بها الملَك.

وَقَالَ ﷺ لِعَمَّارٍ: «**تقتُلُكَ الفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**»[1]، فَكَانَ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: مَا رَوَاهُ ابْنُ عَبدِالْبَرِّ، أَنَّ عَبْدَاللّهِ بْنَ عُمَرَ رَأَىٰ رَجُلاً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَعْرِفْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَرَأَيْتَهُ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**ذٰلِكَ جِبْرِيلُ، أَمَا إِنَّكَ سَتَفْقِدُ بَصَرَكَ**»، فَعَمِيَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ ﷺ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ: «**تَعِيشُ حَمِيداً، وَتُقْتَلُ شَهِيداً**»[2]، فَقُتِلَ يَوْمَ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ بِالْيَمَامَةِ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ لِعَبْدِاللّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: «**وَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ، وَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ**»، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَعَ الْحَجَّاجِ مَا كَانَ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ هٰذَا الدِّينَ بَدَا نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ خِلاَفَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكاً عَضُوداً، ثُمَّ يَكُونُ سُلْطَاناً وَجَبْرِيَّةً**»[3].

وَقَوْلُهُ: «**مُلْكاً عَضُوداً**» ـ أَيْ: يُصِيبُ الرَّعِيَّةَ فِيهِ عَسْفٌ وَظُلْمٌ، كَأَنَّهُ يَعَضُّهَا عَضًّا ـ.

وَفِي حَدِيثِ سَفِينَةَ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**الْخِلاَفَةُ بَعْدِي فِي أُمَّتِي ثَلاَثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذٰلِكَ**» فَكَانَ الأَمْرُ كَذٰلِكَ[4]، وَتَتِمَّةُ الثَّلاَثِينَ سَنَةً: السِّتَّةُ أَشْهُرِ الَّتِي وَلِيَهَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الحاكم وصححه، والبيهقي، وأبو نُعيم.

(٣) رواه البزار والبيهقي.

(٤) إذ كانت خلافة أبي بكر سنتين وثلاثة أشهر وعشرَ ليال، وخلافة عمر عشرَ سنين وخمسةَ أشهر وأحداً وعشرين يوماً، وخلافة عثمان إحدىٰ عشر سنة وأحدَ عشر شهراً وثمانيةَ عشر يوماً، وخلافة علي أربعَ سنين وتسعةَ أشهر وأياماً (قد تكون ١١).

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ أُمَّ الْفَضْلِ[1] مَرَّتْ بِهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّكِ حَامِلٌ بِغُلاَمٍ، فَإِذَا وَلَدْتِيهِ فَائْتِينِي بِهِ**»، قَالَتْ: فَلَمَّا وَلَدْتُهُ أَتَيْتُهُ بِه، فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى، وَأَقَامَ فِي الْيُسْرَى، وَأَلْبَأَهُ[2] مِنْ رِيقِهِ، وَسَمَّاهُ عَبْدَاللّٰهِ، وَقَالَ: «**اذهَبِي بِأَبِي الْخُلَفَاءِ**» قَالَتْ: فَأَخْبَرْتُ الْعَبَّاسَ، فَأَتَاهُ فَذَكَرَ لَهُ ذٰلِكَ، فَقَالَ: «**هُوَ مَا أَخْبَرْتُكَ، هُوَ أَبُو الْخُلَفَاءِ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُمُ السَّفَّاحُ**[3]**، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُمُ الْمَهْدِيُّ**».

وَمِنْ ذٰلِكَ إِخْبَارُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِعَالِمِ الْمَدِينَةِ: أَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ[4] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «**يُوشِكُ النَّاسُ أَنْ يَضْرِبُوا أَكْبَادَ الإِبِلِ**[5]**، فَلاَ يَجِدُونَ عَالِماً أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ**»، قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ وَغَيْرُهُ: نَرَى هٰذَا الْعَالِمَ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ.

وَإِخْبَارُهُ ﷺ بِعَالِمِ قُرَيْشٍ: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا قُرَيْشاً، فَإِنَّ عَالِمَهَا يَمْلأُ طِبَاقَ الأَرْضِ عِلْماً**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ وَغَيْرُهُ[6]، قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ: هٰذَا الْعَالِمُ هُوَ الشَّافِعِيُّ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْتَشِرْ فِي طِبَاقِ الأَرْضِ مِنْ عِلْمِ عَالِمٍ قُرَشِيٍّ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ مَا انْتَشَرَ مِنْ عِلْمِ الشَّافِعِيِّ[7].

---

(١) زوجة العباس.

(٢) صبّ في فيه.

(٣) أولُ خلفاء بني العباس، واسمه أبو العباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس الملقّب بالسفّاح. روىٰ البيهقي عنه ﷺ: «**يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاعٍ من الزمان وظهورٍ من الفتن يقال له: السفّاح، يعطي المال حثياً**».

(٤) والترمذي وحسّنه، والنسائي.

(٥) أي: يرحلوا في طلب العلم.

(٦) بسند لا يخلو من ضَعف. وقد جمع الحافظ ابن حَجَر طرقه في كتاب سمّاه (لذة العيش في طرق حديث: الأئمة من قريش).

(٧) قال في المواهب: وما كان الإمام أحمد لِيَذكر حديثاً موضوعاً يَحتجّ أو يَستأنس به في أمر شيخه الشافعي.

وَأَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**بِأَنَّ طَائِفَةً مِنْ أُمَّتِهِ لاَ يَزَالُونَ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَأَخْبَرَ ﷺ: «**بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْعَثُ إِلَى هٰذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**» رَوَاهُ الْحَاكِمُ.

وَأَخْبَرَ ﷺ: بِذَهَابِ الأَمْثَلِ فَالأَمْثَلِ، أَي: الأَفْضَلِ فَالأَفْضَلِ. رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ بِلَفْظِ: «**تَذْهَبُونَ الْخَيِّرَ فَالْخَيِّرَ**».

وَأَخْبَرَ ﷺ بِالْخَوَارِجِ: رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ بِلَفْظِ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْماً، إِذْ أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! اعْدِلْ، فَقَالَ: «**وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ**»، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَاباً يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**(١)، **يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**(٢)، **آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ**»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هٰذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، وَأَمَرَ بِذٰلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَوُجِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي نَعَتَهُ.

وَأَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَيْضاً بِالرَّافِضَةِ: أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَكُونُ فِي أُمَّتِي قَوْمٌ يُسَمَّوْنَ الرَّافِضَةَ،**

---

(١) التَّرْقُوَة: عَظْمة مشرفة بين ثُغرة النحر والعاتق، وهما تَرْقُوَتان، والجمع تَراقٍ.

(٢) أي: يخرجون من الإسلام كما يخرج السهم من الصيد عندما يخترقه.

يَرْفُضُونَ الإِسْلاَمَ»[1].

وَأَخْبَرَ ﷺ بِالْقَدَرِيَّةِ وَالْمُرْجِئَةِ وَقَالَ: **«هُمْ مَجُوسُ هٰذِهِ الأُمَّةِ»** رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَنَسٍ.

(وَالْقَدَرِيَّةُ: سُمُّوا بِذَلِكَ لإِنْكَارِهِمُ الْقَدَرَ، وَإِسْنَادِهِمْ أَفْعَالَ الْعِبَادِ إِلَى قُدْرَتِهِمْ[2]، وَقَوْلِهِمْ: لَمْ يُقَدِّرِ اللّٰهُ الشَّرَّ، وَالْمُرْجِئَةُ: هُمُ الْقَائِلُونَ بِالإِرْجَاءِ[3]، وَهُوَ تَأْخِيرُ الْعَمَلِ عَنِ النِّيَّةِ وَالاعْتِقَادِ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: الإِيمَانُ قَوْلٌ وَلاَ عَمَلَ)[4].

وَقَدْ أَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَصْحَابَهُ بِأَشْيَاءَ بَيْنَ مَوْتِهِ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَحَذَّرَ مِنْ مُفَاجَأَتِهَا، وَأَنَّ السَّاعَةَ لاَ تَقُومُ حَتَّى تَظْهَرَ جُمْلَةٌ مِنَ الأَمَارَاتِ فِي الْعَالَمِ، كَمَا رُوِيَ مِنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ وَالْقُرْآنِ، وَاشْتِهَارِ الْخِيَانَةِ وَحَسَدِ الأَقْرَانِ، وَقِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسْوَانِ، إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا شَهِدَتْ بِصِحَّتِهِ الأَخْبَارُ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ: **«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ**[5]،

---

(١) تتمة الحديث: **«ويلفظونه، فاقتلوهم فإنهم مشركون»** رواه الطبراني والبزار، وإسناده حسن كما قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد، والحديث في مسند أحمد، قال علي رضي الله عنه: «سيكون بعدنا أقوام ينتحلون مودّتنا، يكونون علينا مارقة، وآية ذلك أنهم يسبُّون أبا بكر وعمر) كنز العمال **٣١٦٣٦**.

(٢) ونفي علم الله تعالىٰ بالأشياء قبل وقوعها.

(٣) وهو بعث الرجاء.

(٤) قال قائلهم:

كن مؤمناً ومن الذنوب فلا تَخَفْ ... حاشىٰ المهيمن أن يُري تنكيدا

لو رام أن يُصْليك نار جهنم ... ما كان ألهم قلبك التوحيدا

(٥) يريد فتنة معاوية وعلي رضي الله عنهما بصِفِّين.

وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيباً مِنْ ثَلاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ[1]**، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرَجُ ـ وَهُوَ الْقَتْلُ ـ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ الرَّجُلَ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لاَ أَرَبَ**[2]** لِي فِيهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذٰلِكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلاَنِ ثَوْبَهُمَا فَلاَ يَتَبَايَعَانِهِ وَلاَ يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ**[3]** **فَلاَ يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ** ـ أَيْ: يُصْلِحُهُ بِالطِّينِ ـ **فَلاَ يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلاَ يَطْعَمُهَا»**.

فَهٰذِهِ ثَلاثَ عَشْرَةَ عَلامَةً جَمَعَهَا أَبُو هُرَيْرَةَ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ[4]، وَقَدْ ظَهَرَ أَكْثَرُ هٰذِهِ الْعَلاَمَاتِ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنَ الْحِجَازِ تُضِيءُ لَهَا أَعْنَاقُ الإِبِلِ بِبُصْرَى»**، وَقَدْ خَرَجَتْ نَارٌ عَظِيمَةٌ عَلَى قُرْبِ مَرْحَلَةٍ[5] مِنَ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ بَدْؤُهَا زَلْزَلَةً عَظِيمَةً فِي لَيْلَةِ الأَرْبِعَاءِ بَعْدَ الْعِشَاءِ ثَالِثَ جُمَادَى الآخِرَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، وَفِي يَوْمِ الثُّلاثَاءِ اشْتَدَّتْ حَرَكَتُهَا، وَعَظُمَتْ رَجْفَتُهَا، وَتَتَابَعَتْ حِطْمَتُهَا[6]، وَارْتَجَّتِ

---

(١) حتىٰ تكون السَّنة كالشهر.

(٢) لا حاجة.

(٣) ناقته.

(٤) قال في المواهب: ولم يبقَ بعد هذا ما يُنظَر من صحيح العلامات والأشراط.

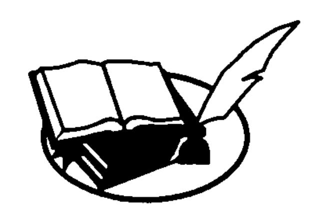
(٥) المرحلة: ٤١ كيلومتراً تقريباً.

(٦) كُسارتها وحُطامها.

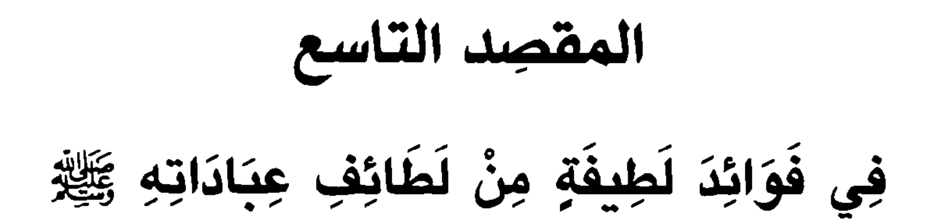
الأَرْضُ بِمَنْ عَلَيْهَا، حَتَّى أَيْقَنَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِوُقُوعِ الْهَلَكَةِ، وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً مِنْ وُقُوعِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ حَرَكَةً فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ دُونَ لَيْلَتِهِ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَكَانَ يَأْتِي الْمَدِينَةَ بِبَرَكَتِهِ ﷺ نَسِيمٌ بَارِدٌ، وَشُوهِدَ مِنْ هٰذِهِ النَّارِ غَلَيَانٌ كَغَلَيَانِ الْبَحْرِ، وَانْتَهَتْ إِلَى قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْيَمَنِ فَأَحْرَقَتْهَا، قَالَ: وَقَالَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا: لَقَدْ رَأَيْتُهَا صَاعِدَةً فِي الْهَوَاءِ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسَةِ أَيَّامٍ، قَالَ: وَسَمِعْتُ أَنَّهَا رُؤِيَتْ مِنْ مَكَّةَ وَمِنْ جِبَالِ بُصْرَى.

وَقَالَ الْقُطْبُ الْقَسْطَلاَّنِيُّ: أَقَامَتِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ يَوْماً، وَكَانَ انْطِفَاؤُهَا فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ بِهِ ﷺ[1].

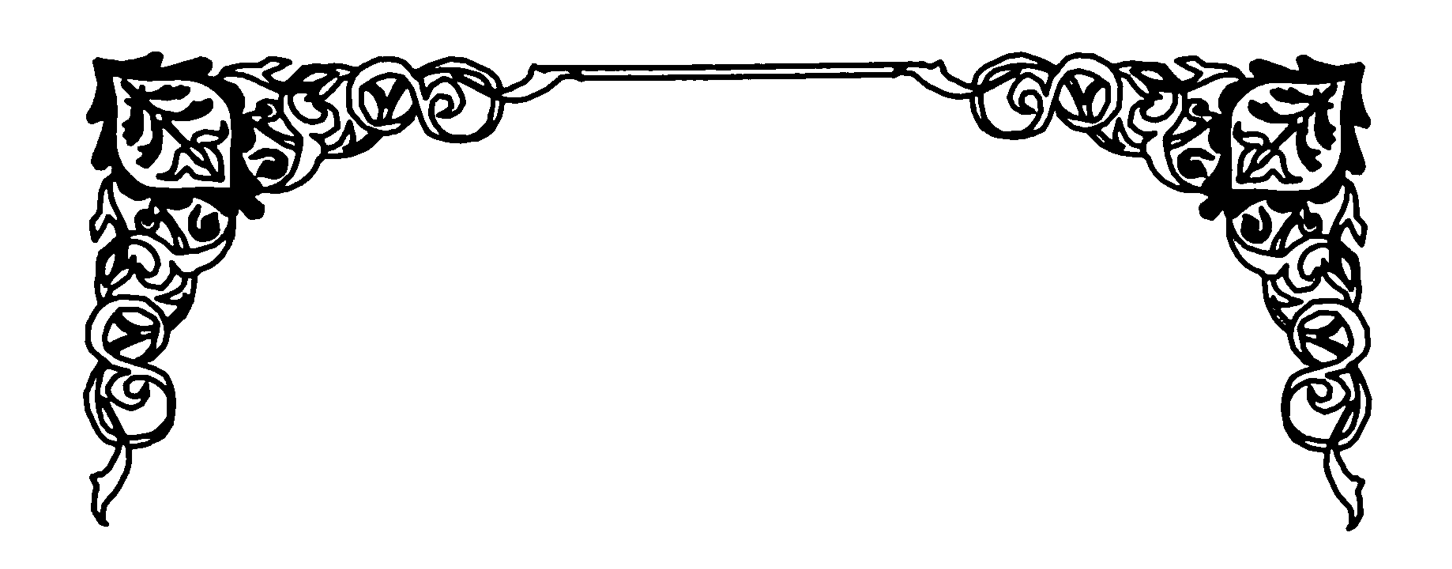


(1) قال في المواهب: وبالجملة: فاستيفاء الكلام علىٰ هذه النار يخرج عن المقصود، وقد نبّه عليه القرطبي في التذكرة، وأفردها بالتأليف قطب الدين القسطلاني في كتاب سمّاه (جُمَل الإيجاز في الإعجاز بنار الحجاز).



المقصِد التاسع

فِي فَوَائِدَ لَطِيفَةٍ مِنْ لَطَائِفِ عِبَادَاتِهِ ﷺ



قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى مُخَاطِباً لَهُ ﷺ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[1] (وَالْيَقِينُ: الْمَوْتُ).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾[2].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[3].

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَبلَ بِعْثَتِهِ مُتَعَبِّداً بِشَرْعِ مَنْ قَبْلَهُ أَمْ لاَ؟ فَقَالَ جَمَاعَةٌ: لَمْ يَكُنْ مُتَعَبِّداً بِشَيْءٍ، وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[4] فَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِاتِّبَاعِهِ فِي التَّوْحِيدِ.

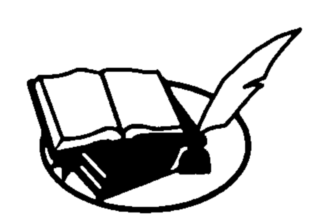
وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ الْبُلْقِينِيُّ فِي شَرْحِ الْبُخَارِيِّ: لَمْ تَجِىءْ فِي الأَحَادِيثِ الَّتِي وَقَفْنَا عَلَيْهَا كَيْفِيَّةُ تَعَبُّدِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، لٰكِنْ رَوَى ابْنُ

---

(١) سورة الحجر، الآيات: ٩٧ ـ ٩٩.
(٢) سورة مريم، الآية: ٦٥.
(٣) سورة هود، الآية: ١٢٣.
(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٣.

إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ: أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ يَخْرُجُ إِلَى حِرَاءَ فِي كُلِّ عَامٍ شَهْراً مِنَ السَّنَةِ يَتَنَسَّكُ فِيهِ[1]، حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ مِنْ مُجَاوَرَتِهِ لَمْ يَدْخُلْ بَيْتَهُ حَتَّى يَطوفَ بِالْكَعْبَةِ، وَحَمَلَ بَعْضُهُمُ التَّعَبُّدَ[2] عَلَى التَّفَكُّرِ.

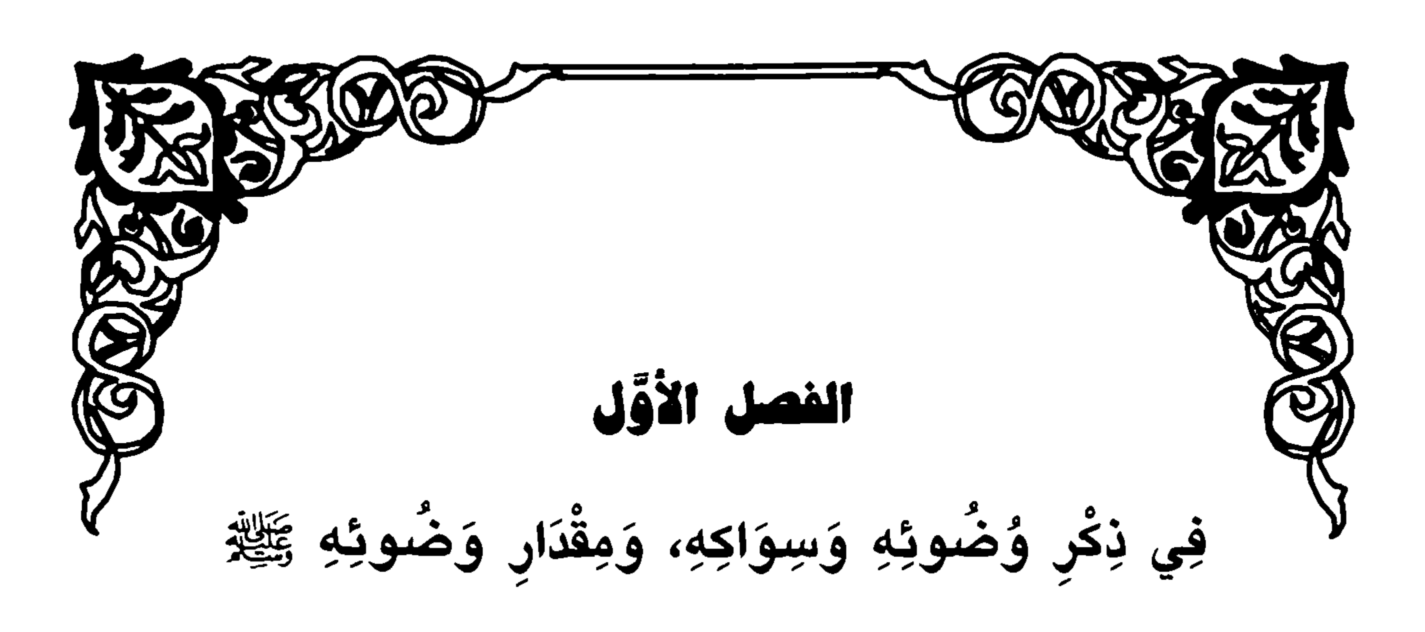
وَهٰذَا الْمَقْصِدُ يَشْتَمِلُ عَلَى سَبْعَةِ أَنْوَاعٍ.



(١) أي: يتعبّد.

(٢) في حراء.

النوع الأول
فِي الطَّهَارَةِ، وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ



الفصل الأوّل

فِي ذِكْرِ وُضُوئِهِ وَسِوَاكِهِ، وَمِقْدَارِ وَضُوئِهِ ﷺ

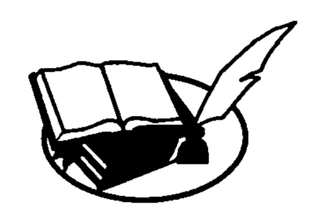
اعْلَمْ أَنَّ الْوُضُوءَ بِالضَّمِّ: الْفِعْلُ، وَبِالْفَتْحِ: الْمَاءُ الَّذِي يُتَوَضَّأُ بِهِ. وَنَقَلَ ابْنُ عَبْدِالْبَرِّ اتِّفَاقَ أَهْلِ السِّيَرِ عَلَى أَنَّ غُسْلَ الْجَنَابَةِ فُرِضَ عَلَيْهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ كَمَا افْتُرِضَتِ الصَّلاَةُ، وَأَنَّهُ لَمْ يُصَلِّ قَطُّ إِلاَّ بِوُضُوءٍ، قَالَ: وَهٰذَا مِمَّا لاَ يَجْهَلُهُ عَالِمٌ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ لِكُلِّ صَلاَةٍ، قِيلَ لَهُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالَ: يُجْزِي أَحَدَنَا الْوُضُوءُ مَا لَمْ يُحْدِثْ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

ورَوَى مُسْلِمٌ عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ لِكُلِّ صَلاَةٍ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ صَلَّى الصَّلَوَاتِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَعَلْتَ شَيْئاً لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ، فَقَالَ: «**عَمْداً فَعَلْتُهُ يَا عُمَرُ**»، يَعْنِي: لِبَيَانِ الْجَوَازِ.

وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ وَأَبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ الْغَسِيلِ: أَنَّهُ ﷺ أُمِرَ بِالْوُضُوءِ لِكُلِّ صَلاَةٍ طَاهِراً أَوْ غَيْرَ طَاهِرٍ، فَلَمَّا شَقَّ ذٰلِكَ عَلَيْهِ أُمِرَ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ، وَوُضِعَ عَنْهُ الْوُضُوءُ إِلاَّ مِنْ حَدَثٍ، وَعَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**ثَلاَثٌ هُنَّ عَلَيَّ فَرَائِضُ وَهُنَّ لَكُمْ سُنَّةٌ: الْوِتْرُ، وَالسِّوَاكُ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ**[1]» أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ[2].

وَأَمَّا مِقْدَارُ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَتَوَضَّأُ أَوْ يَغْتَسِلُ بِهِ مِنَ الْمَاءِ: فَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ ﷺ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ[3] إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَاد، وَيَتَوَضَّأُ بِالمدّ[4]. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَالْمُدُّ: رُبْعُ صَاعٍ، وَالصَّاعُ: خَمْسَةُ أَرْطَالٍ وَثُلُثٌ بِرِطْلِ بَغْدَادَ، وَهُوَ[5] عَلَى مَا قَالَهُ النَّوَوِيُّ: مِئَةٌ وَثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَماً[6].



(١) ثم نُسخ وجوب القيام وصار تطوُّعاً.

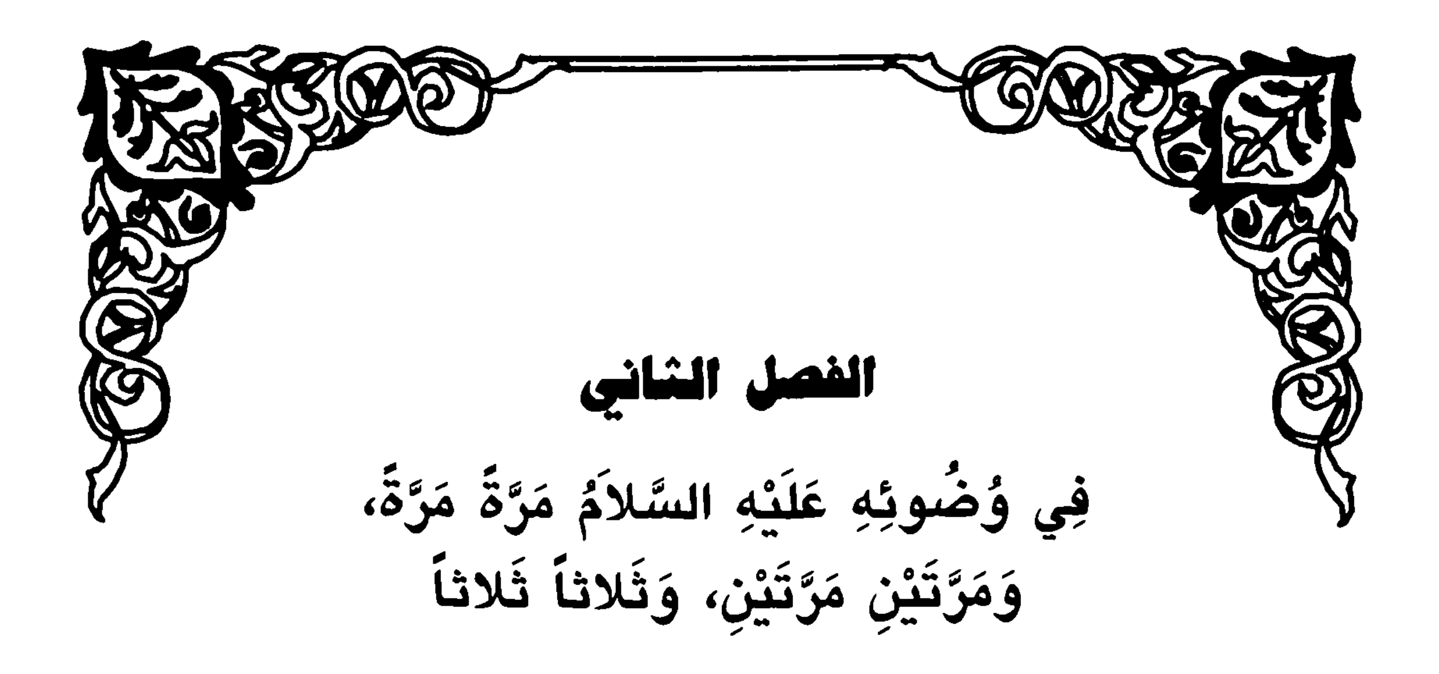
(٢) والبيهقي.

(٣) وهو مُكعب طول ضلعه ١٤,٦ سانتي متراً، وهو يعادل ٣١١٢ غراماً.

(٤) والمد مكعب طول ضلعه ٩,٢ سم، وهو يعادل ٧٧٨غ.

(٥) أي: رِطل بغداد.

(٦) وأربعةُ أسباع درهم.



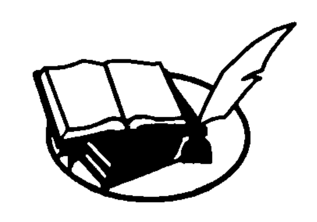
الفصل الثاني

فِي وُضُوئِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّةً مَرَّةً، وَمَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، وَثَلاثاً ثَلاثاً

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّةً مَرَّةً. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُمَا.

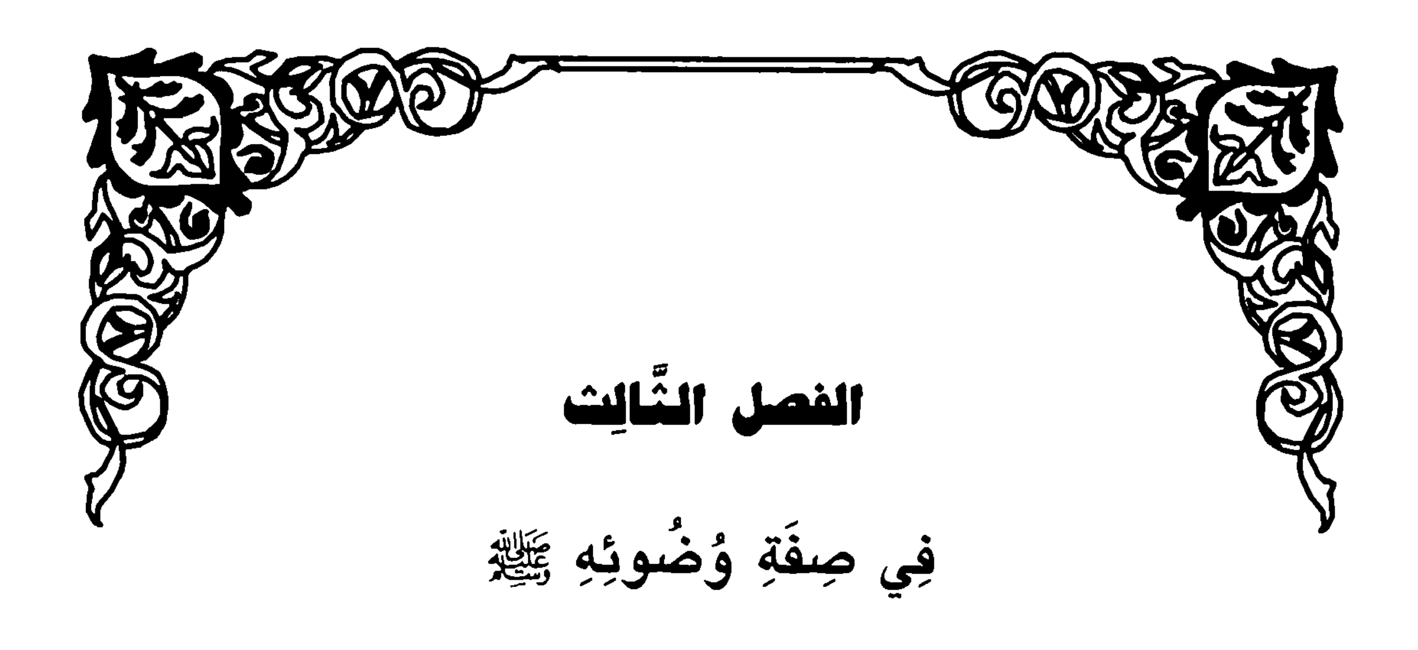
وَعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ زَيْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، وَقَالَ: «**هُوَ نورٌ عَلَى نُورٍ**» ذَكَرَهُ رُزَيْنٌ[١].

وَعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ ثَلَاثاً ثَلَاثاً. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ.



---

(١) وأصله في البخاري دون زيادة «نور على نور».



الفصل الثَّالِث

فِي صِفَةِ وُضُوئِهِ ﷺ

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ دَعَا بِإِنَاءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَغَسَلَهُمَا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الإِنَاءِ فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثاً، وَيَدَيْهِ ثَلاَثاً إِلَى الْمَرْفِقَيْنِ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هٰذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمِ الأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: تَوَضَّأْ لَنَا وُضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَا بِإِنَاءٍ، فَأَكْفَأَ مِنْهُ عَلَى يَدَيْهِ فَغَسَلَهُمَا ثَلاَثاً، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ مِنْ كَفٍّ وَاحِدٍ، فَفَعَلَ ذٰلِكَ ثَلاَثاً، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثاً، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَغَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَمَسَحَ بِرَأْسِهِ فَأَقْبَلَ بِيَدَيْهِ وَأَدْبَرَ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: هٰكَذَا كَانَ وُضُوءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَدْبَرَ، بَدَأَ بِمُقَدَّمِ رَأْسِهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِهِمَا إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ رَدَّهُمَا حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ. رَوَاهُ

الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا. وَفِي رِوَايَةٍ لأَبِي دَاوُدَ: ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ ظَاهِرِهِمَا وَبَاطِنِهِمَا، وَأَدْخَلَ أَصَابِعَهُ فِي صِمَاخَيْ أُذُنَيْهِ.

وَكَانَ ﷺ يَمْسَحُ الْمَاقَيْنِ[1]. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَعَنْ عُثْمَانَ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُخَلِّلُ لِحْيَتَهُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَعِنْدَهُ[2] مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا تَوَضَّأَ عَرَكَ عَارِضَيْهِ[3] بَعْضَ الْعَرْكِ، ثُمَّ شَبَّكَ لِحْيَتَهُ بِأَصَابِعِهِ مِنْ تَحْتِهَا.

وَعَنْ أَنَسٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَوَضَّأَ أَخَذَ كَفًّا مِنْ مَاءٍ، وَيُدْخِلُهُ تَحْتَ حَنَكِهِ، وَيُخَلِّلُ بِهِ لِحْيَتَهُ، وَيَقُولُ: **«بِهَذَا أَمَرَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ»** رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ: كَانَ ﷺ إِذَا تَوَضَّأَ حَرَّكَ خَاتَمَهُ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُ.

وَعَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ: كَانَ ﷺ إِذَا تَوَضَّأَ يَدْلُكُ أَصَابِعَ رِجْلَيْهِ بِخِنْصَرِهِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ[4].

وَعَنْ عَائِشَةَ: كَانَتْ يَدُهُ ﷺ الْيُمْنَى لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتِ الْيُسْرَى لِخَلاَئِهِ وَمَا كَانَ مِنْ أَذًى.

وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ: أَنَّهُ كَانَ مَعَهُ ﷺ فِي سَفَرٍ، وَأَنَّهُ ذَهَبَ لِحَاجَةٍ لَهُ، وَأَنَّ الْمُغِيرَةَ جَعَلَ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ. رَوَاهُ الْبُخَارِي وَمُسْلِمٌ.

---

(١) وهما طرفا العين الذي يلي الأنف، والمراد بهما هنا ما يشمل اللّحاظ (وهو الطرف الآخر).

(٢) أي: عند ابن ماجه.

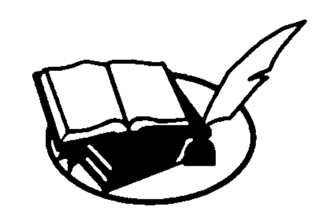
(٣) العارض: الشعر الذي بين اللحية والعِذار.

(٤) كأبي داود وابن ماجه.

وَعَنْ عَائِشَةَ: كَانَتْ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ خِرْقَةٌ يُنَشِّفُ بِهَا بَعْدَ الْوُضُوءِ[1].

وَكَانَ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ النَّوْمِ رُبَّمَا تَوَضَّأَ وَرُبَّمَا لَمْ يَتَوَضَّأْ، لأَنَّ عَيْنَهُ تَنَامُ وَلاَ يَنَامُ قَلْبُهُ. كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ.

وَإِنَّمَا مُنِعَ قَلْبُهُ النَّوْمَ لِيَعِيَ الْوَحْيَ الَّذِي يَأْتِيهِ فِي مَنَامِهِ ﷺ.



(١) قال الترمذي: هذا الحديث ليس بالقائم اهـ. والسنّة ترك التنشيف.

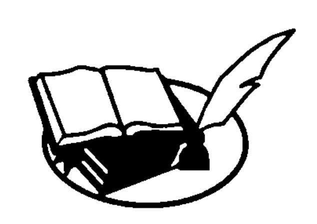


الفصل الرّابع

فِي مَسْحِهِ ﷺ عَلَى الْخُفَّيْنِ

عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ: أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَتَبَرَّزَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ قِبَلَ الْغَائِطِ[1]، فَحَمَلْتُ مَعَهُ إِدَاوَةً[2] قَبْلَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا رَجَعَ أَخَذْتُ أُهْرِيقُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الإِدَاوَةِ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، ذَهَبَ يَحْسُرُ ذِرَاعَيْهِ فَضَاقَ كُمُّ الْجُبَّةِ، فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ تَحْتِ الْجُبَّةِ، وَأَلْقَى الْجُبَّةَ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، وَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ، ثُمَّ مَسَحَ بِنَاصِيَتِهِ وَعَلَى الْعِمَامَةِ، ثُمَّ أَهْوَيْتُ لأَنْزِعَ خُفَّيْهِ فَقَالَ: **«دَعْهُمَا، فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ»**[3]، فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا، ثُمَّ رَكِبَ وَرَكِبْتُ. الْحَدِيثَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: وَجَعَلَ ﷺ الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمُسَافِرِ، وَيَوْماً وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.



---

(١) جهة المنخفض من الأرض.

(٢) إناء.

(٣) أي: بعد وضوء.



الفصل الخامس

فِي تَيَمُّمِهِ ﷺ

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «**فَضِلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاَثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلاَئِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِداً، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُوراً إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عَمَّارٍ: قَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أُصِبِ الْمَاءَ، فَقَالَ عَمَّارٌ لِعُمَرَ: أَمَا تَذْكُرُ أَنَّا كُنَّا فِي سَفَرٍ أَنَا وَأَنْتَ، فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ، وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَّكْتُ فَصَلَّيْتُ، فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هٰكَذَا**» وَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَفَّيْهِ الأَرْضَ، وَنَفَخَ فِيهِمَا، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ[1] إِلَى كُوعَيْهِ[2]. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي الْجُهَيْمِ قَالَ: مَرَرْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَبُولُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، حَتَّى قَامَ إِلَى جِدَارٍ، فَحَتَّهُ بِعَصَا كَانَتْ مَعَهُ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى الْجِدَارِ، فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيَّ. رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ[3].

---

(١) بضربة واحدة، وهو مذهب مالك وأحمد، وقال أبو حنيفة والشافعي: ضربتان، إحداهما للوجه، والثانية لليدين إلىٰ المرفقين.

(٢) وهو دليل مالك وأحمد. والكوع: ما يلي الإبهام، والكُرسوع: ما يلي الخِنصِر، وما بينهما يسمىٰ الرُسُغ.

(٣) في شرح السنّة، وقال: حديث حسن.



الفصل السّادِس

فِي غُسْلِهِ ﷺ

كَانَ ﷺ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ: طَافَ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى نِسَائِهِ يَغْتَسِلُ عِنْدَ هٰذِهِ وَعِنْدَ هٰذِهِ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَلاَ تَجْعَلُهُ غُسْلاً وَاحِداً آخِراً؟ قَالَ: «**هٰذَا أَزْكَى وَأَطْيَبُ وَأَطْهَرُ**» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[1].

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ بَدَأَ فَغَسَلَ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ يُدْخِلُ أَصَابِعَهُ فِي الْمَاءِ فَيُخَلِّلُ بِهَا أُصُولَ الشَّعْرِ، ثُمَّ يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ ثَلاَثَ غَرَفَاتٍ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ يُفِيضُ الْمَاءَ عَلَى جَسَدِهِ كُلِّهِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَقَالَتْ مَيْمُونَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: وَضَعْتُ لَهُ ﷺ مَاءً لِلْغُسْلِ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً، ثُمَّ أَفْرَغَ عَلَى شِمَالِهِ فَغَسَلَ مَذَاكِيرَهُ[2]، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ بِالأَرْضِ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ، وَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ أَفَاضَ عَلَى جَسَدِهِ، ثُمَّ تَحَوَّلَ عَنْ مَكَانِهِ فَغَسَلَ قَدَمَيْهِ[3].

---

(١) كأبي داود والنسائي.

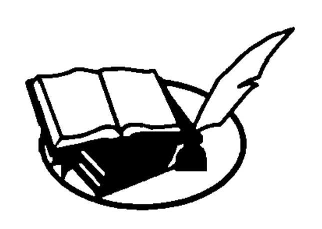
(٢) فرجه.

(٣) رواه البخاري.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ مَيْمُونَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: وَضَعْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ غُسْلاً (أَيْ: مَاءً) فَسَتَرْتُهُ (أَيْ: الْمَاءَ) بِثَوْبٍ، وَصَبَّ عَلَى يَدَيْهِ فَغَسَلَهُمَا، ثُمَّ صَبَّ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ فَغَسَلَ فَرْجَهُ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ الأَرْضَ فَمَسَحَهَا ثُمَّ غَسَلَهَا، فَتَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ، وَغَسَلَ وَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ، ثُمَّ صَبَّ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِهِ وَأَفَاضَ عَلَى جَسَدِهِ، ثُمَّ تَنَحَّى فَغَسَلَ قَدَمَيْهِ، فَنَاوَلْتُهُ ثَوْباً فَلَمْ يَأْخُذْهُ، فَانْطَلَقَ وَهُوَ يَنْفُضُ يَدَيْهِ[1].

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ وَهُوَ جُنُبٌ غَسَلَ فَرْجَهُ وَتَوَضَّأَ لِلصَّلاَةِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

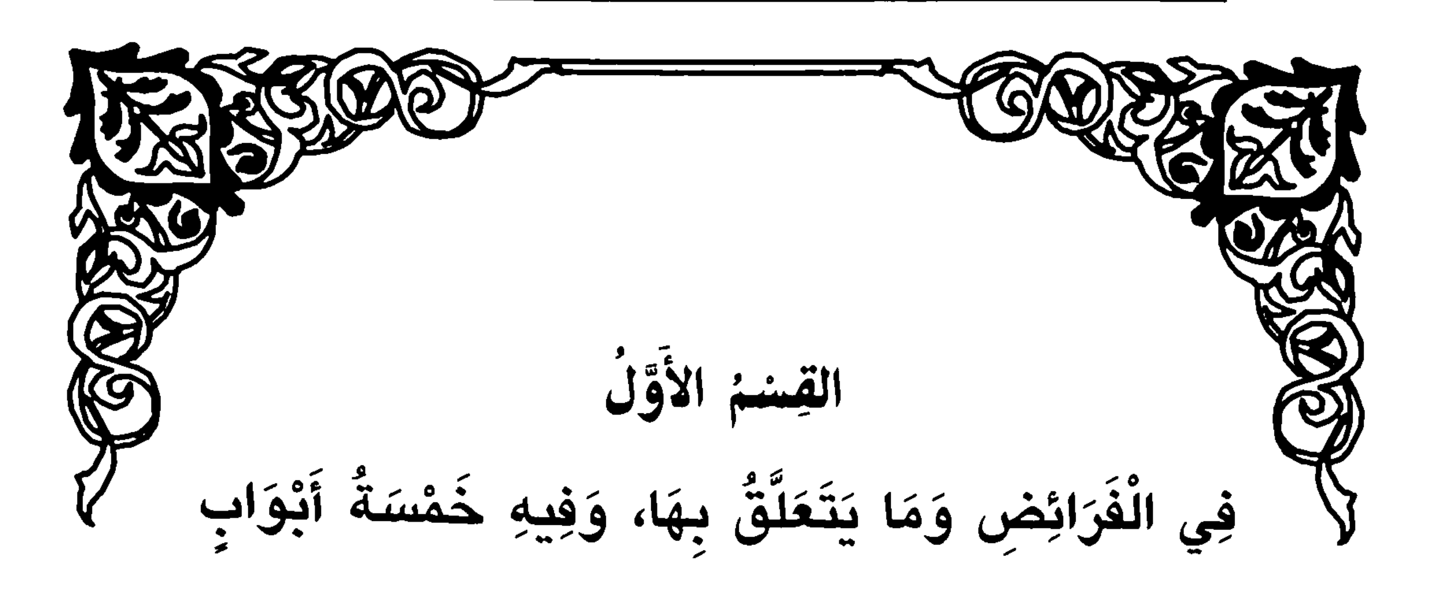
وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ[2] عَنْهَا: أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا أَجْنَبَ وَأَرَادَ أَنْ يَنَامَ تَوَضَّأَ أَوْ تَيَمَّمَ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ التَّيَمُّمُ هُنَا عِنْدَ عُسْرِ وُجُودِ الْمَاءِ.



(١) أما حديث: «لا تنفضوا أيديكم في الوضوء فإنها مراوح الشيطان» فضعيف، وقال ابن الصلاح: لم أجده، وتبعه النووي.

(٢) بإسناد حسن.

النوع الثاني
فِي ذِكْرِ صَلاَتِهِ ﷺ، وَفِيهِ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ

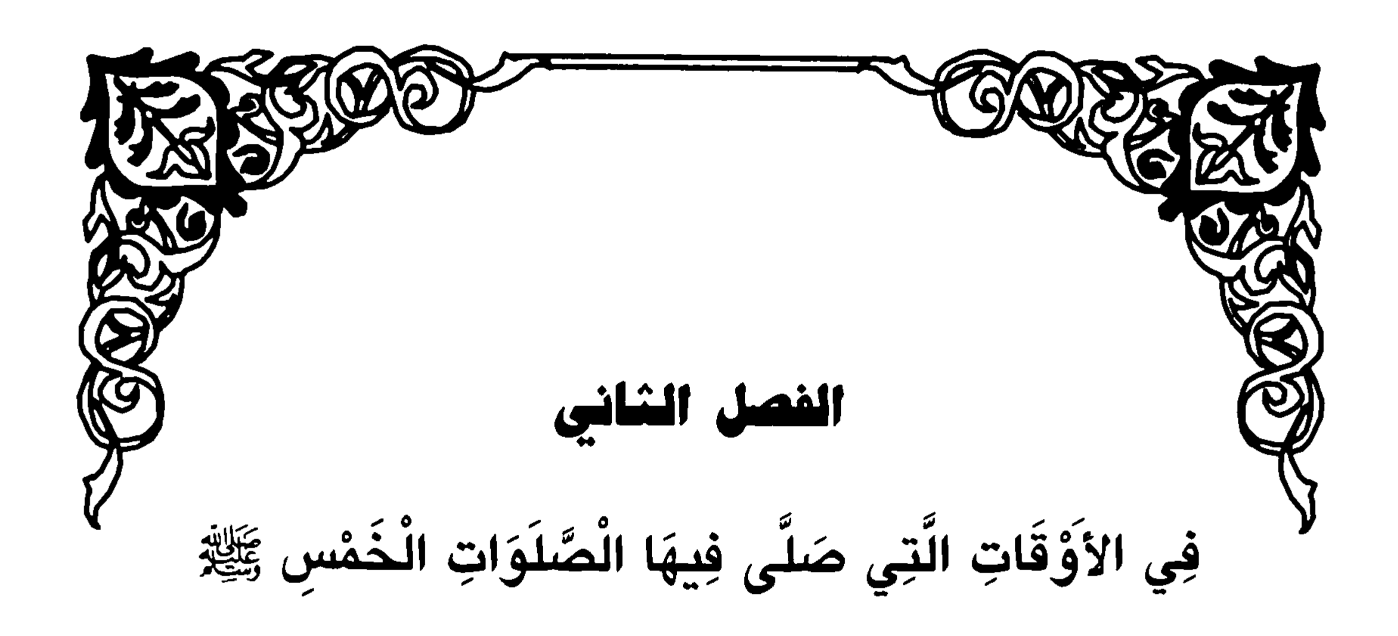


القِسْمُ الأَوَّلُ
فِي الْفَرَائِضِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا، وَفِيهِ خَمْسَةُ أَبْوَابٍ

البَابُ الأَوَّلُ
فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَفِيهِ خَمْسَةُ فَصُولٍ

الفصل الأَوَّلُ
فِي فُرُوضِهَا

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «**فُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ خَمْسُونَ صَلاَةً، ثُم نُقِصَتْ حَتَّى جُعِلَتْ خَمْساً، ثُمَّ نَادَى: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّهُ لاَ يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، وَإِنَّ لَكَ بِهَٰذِهِ الْخَمْسِ خَمْسِينَ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ هٰكَذَا مُخْتَصَراً، وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثٍ طَوِيلٍ تَقَدَّمَ فِي مَقْصِدِ الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ مُسْتَوْفًى، فَرَاجِعْهُ هُنَاكَ.



الفصل الثاني

فِي الأَوْقَاتِ الَّتِي صَلَّى فِيهَا الْصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ﷺ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَ ﷺ: «أَمَّنِي جِبْرِيلُ عِنْدَ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ، فَصَلَّى بِيَ الظُّهْرَ فِي الأُولَى حِينَ كَانَ الْفَيْءُ مِثْلَ الشِّرَاكِ[1]، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ حِينَ وَجَبَتِ الشَّمْسُ[2] وَأَفْطَرَ الصَّائِمُ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، ثُمَّ صَلَّى الْفَجْرَ حِينَ بَرَقَ الْفَجْرُ وَحَرُمَ الطَّعَامُ عَلَى الصَّائِمِ. وَصَلَّى الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ كَوَقْتِ الْعَصْرِ بِالأَمْسِ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَيْهِ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ كَوَقْتِ الأُولَى، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ الآخِرَةَ حِينَ ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، ثُمَّ صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ أَسْفَرَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! هٰذَا وَقْتُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ، وَالْوَقْتُ فِيمَا بَيْنَ هٰذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَقَوْلُهُ: «صَلَّى بِي الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ» أَيْ: فَرَغَ مِنْهَا حِينَئِذٍ كَمَا شَرَعَ فِي الْعَصْرِ فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ، وَحِينَئِذٍ فَلاَ اشْتِرَاكَ بَيْنَهُمَا فِي

(١) وهو أحد سيور النعل التي على وجهها.

(٢) غابت.

وَقْتٍ، وَيَدُلُّ لَهُ حَدِيثُ مُسْلِمٍ: «**وَقْتُ الظُّهرِ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ مَا لَمْ تَحْضُرِ الْعَصْرُ**».

وَقَدْ بَيَّنَ ابْنُ إِسْحٰقَ فِي الْمَغَازِي عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ وَغَيْرِهِ: أَنَّ صَلاَةَ جِبْرِيلَ بِهِ ﷺ كَانَتْ صَبِيحَةَ اللَّيْلَةِ الَّتِي فُرِضَتْ الصَّلاَةُ فِيهَا، وَهِيَ لَيْلَةُ الإِسْرَاءِ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُصَلِّي الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ حَيَّةٌ، فَيَذْهَبُ الذَّاهِبُ إِلَى الْعَوَالِي فَيَأْتِيهِمْ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ، وَبَعْضُ الْعَوَالِي مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ[١]. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَفِي ذٰلِكَ دَلِيلٌ عَلَى تَعْجِيلِهِ ﷺ بِصَلاَةِ الْعَصْرِ[٢].

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُصَلِّي الْمَغْرِبَ إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَتَوَارَتْ بِالْحِجَابِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ: كُنَّا نُصَلِّي الْمَغْرِبَ مَعَهُ ﷺ فَيَنْصَرِفُ أَحَدُنَا وَإِنَّهُ لَيَرَى مَوَاقِعَ نَبْلِهِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، أَيْ: يُبْصِرُ مَوَاقِعَ سِهَامِهِ إِذَا رَمَى بِهَا[٣].

وَكَانَ ﷺ إِذَا كَانَ الْحَرُّ أَبْرَدَ بِالصَّلاَةِ[٤]، وَإِذَا كَانَ الْبَرْدُ عَجَّلَ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

وَأَعْتَمَ ﷺ بِالْعِشَاءِ لَيْلَةً حَتَّى نَادَاهُ عُمَرُ: الصَّلاَةَ، نَامَ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَا يَنْتَظِرُهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ أَحَدٌ غَيْرُكُمْ**» وَفِي رِوَايَةٍ: فَخَرَجَ وَرَأْسُهُ تَقْطُرُ مَاءً يَقُولُ: «**لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي** ـ أَوْ عَلَى

---

(١) والميل ١٧١٩ متراً.

(٢) ووقت الاختيار في العصر إلىٰ ظل المثلَين، وفي الجواز بلا كراهة إلىٰ الاصفرار، ثم بها إلىٰ غروب الشمس.

(٣) ويدخل وقت الكراهة بعد مضي ٣٥ دقيقة من دخول وقتها.

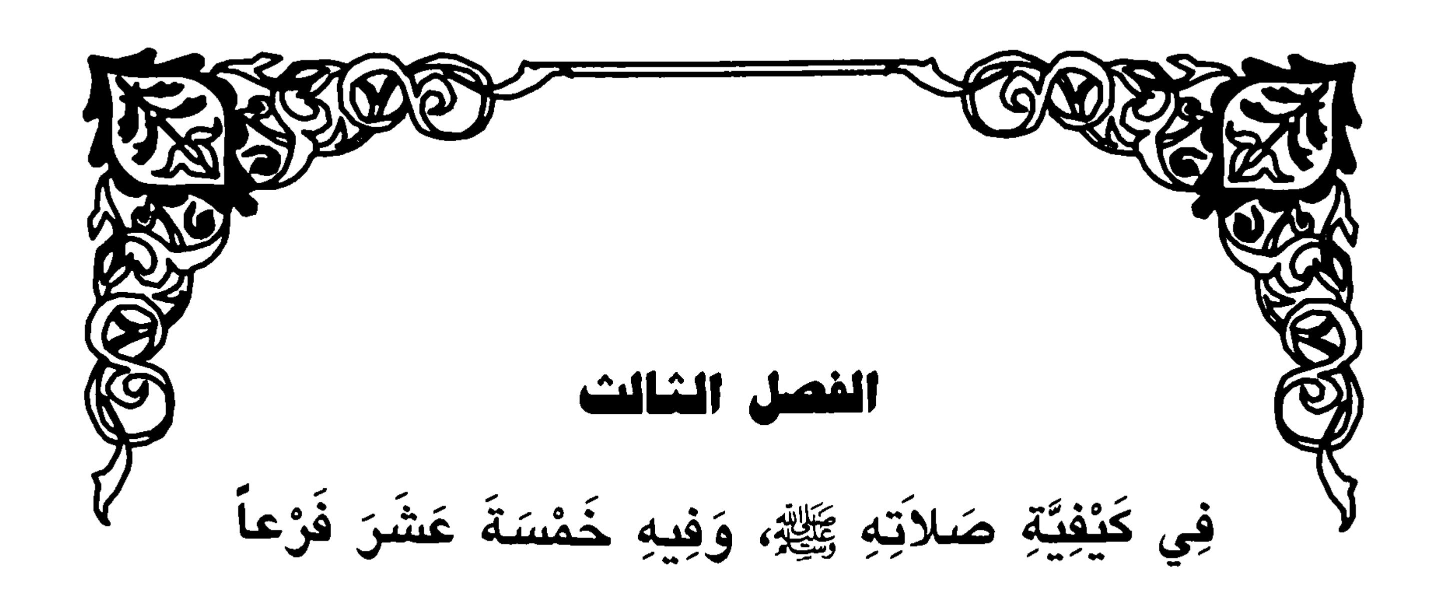
(٤) أي: صلاة الظهر.

النَّاسِ ـ **لأَمَرْتُهُمْ بِالصَّلاَةِ هٰذِهِ السَّاعَةَ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ: «**إِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرْتُمُ الصَّلاَةَ، وَلَوْلاَ ضَعْفُ الضَّعِيفِ وَسُقْمُ السَّقِيمِ لأَخَّرْتُ هٰذِهِ الصَّلاَةَ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ**».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «**لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُؤَخِّرُوا الْعِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفِهِ**» صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ[1].

---

(١) هذا ووقت الاختيار في العشاء إلىٰ ثلث الليل، وفي الجواز بلا كراهة إلىٰ الفجر الكاذب، ثم بها إلىٰ الفجر الصادق.



الفصل الثالث

فِي كَيْفِيَّةِ صَلاَتِهِ ﷺ، وَفِيهِ خَمْسَةَ عَشَرَ فَرْعاً

الْفَرْعُ الأَوَّلُ: فِي صِفَةِ افْتِتَاحِهِ ﷺ:

رَوَى أَبُو دَاوُدَ: أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ سَمِعَ بِلاَلاً يُقِيمُ الصَّلاَةَ، فَلَمَّا قَالَ: قَدْ قَامَتِ الصَّلاَةُ، قَالَ: «**أَقَامَهَا اللَّهُ وَأَدَامَهَا**».

وَكَانَ ﷺ يَفْتَتِحُ الصَّلاَةَ بِالتَّكْبِيرِ(١).

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ قَالَ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ**» رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَلَمْ يَخْتَلِفْ أَحَدٌ فِي إِيجَابِ النِّيَّةِ فِي الصَّلاَةِ.

وَكَانَ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يَكُونَا حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ فَعَلَ مِثْلَ ذٰلِكَ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فَعَلَ مِثْلَ ذٰلِكَ وَقَالَ: «**سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ؛ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**»، وَلاَ يَفْعَلُ ذٰلِكَ حِينَ يَسْجُدُ، وَلاَ حِينَ يَرْفَعُ مِنَ السُّجُودِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ(٢).

---

(١) رواه عبدالرزاق.

(٢) وعندهما أيضاً: «**وإذا قام من الركعتين رفع يديه**».

وَكَانَ ﷺ يُكَبِّرُ فِي كُلِّ خَفْضٍ وَرَفْعٍ. رَوَاهُ مَالِكٌ.

وَكَانَ ﷺ يَضَعُ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً، فَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا تَقُولُ فِي سَكْتَتِكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ؟ قَالَ: «**أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرْدِ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ كَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً**[1] **وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَبِذٰلِكَ أُمِرْتُ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعاً، لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ، لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ**[2]**، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**» الْحَدِيثَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عَائِشَةَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا افْتَتَحَ الصَّلاَةَ قَالَ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ**[3]**، وَلاَ إِلٰهَ غَيْرُكَ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ.

---

(١) مستقيماً.

(٢) لبّيك: أقمتُ على إجابتك وطاعتك. وسعدَيْك: مساعدةً لأمرك بعد مساعدة، ومتابعة لدينك بعد متابعة.

(٣) أي: تعالت عظمتُك.

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِم: أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللّهِ ﷺ يُصَلِّي صَلاَةً قَالَ: «اللّهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، وَالْحَمْدُ لِلّهِ كَثِيراً، وَسُبْحَانَ اللّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً، أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الْشَّيطَانِ مِنْ نَفخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ»[1].

الْفَرْعُ الثَّانِي: فِي ذِكْرِ قِرَاءَتِهِ ﷺ الْبَسْمَلَةَ فِي أَوَّلِ الْفَاتِحَةِ:

اخْتَلَفَتْ رِوَايَاتُ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ فِي أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَفْتَتِحُ الصَّلاَةَ بِبِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، أَوْ لاَ يَفْتَتِحُهَا بِهَا، قَالَ الْحَافِظُ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابْنُ حَجَرٍ: وَطَرِيقُ الْجَمْعِ بَيْنَ هٰذِهِ الرِّوَايَاتِ مُمْكِنٌ، بِحَمْلِ نَفْيِ الْقِرَاءَةِ عَلَى نَفْيِ الْسَّمَاعِ، وَنَفْيِ الْسَّمَاعِ عَلَى نَفْيِ الْجَهْرِ، وَبِهٰذَا الْجَمْعِ زَالَتْ دَعْوَى الاضْطِرَابِ.

الْفَرْعُ الثَّالِثُ: فِي ذِكْرِ قِرَاءَتِهِ ﷺ الْفَاتِحَةَ، وَقَوْلِهِ: آمِينَ بَعْدَهَا:

كَانَ ﷺ إِذَا قَرَأَ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قَالَ: «آمِين» وَمَدَّ بِهَا صَوْتَهُ. وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ: وَخَفَضَ[2]. وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ[3]: وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ.

الْفَرْعُ الرَّابِعُ: فِي ذِكْرِ قِرَاءَتِهِ ﷺ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ:

رَوَى النَّسَائِيُّ[4] عَنْ أَبِي بَرْزَةَ: كَانَ ﷺ يَقْرَأُ فِي صَلاَةِ الْغَدَاةِ مَا بَيْنَ الْسِّتِّينَ إِلَى الْمِئَةِ، أَيْ مِنَ الآيَاتِ. وَرَوَى أَيْضاً: أَنَّهُ ﷺ قَرَأَ فِي الْفَجْرِ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾.

---

(١) رواه أبو داود. (من نفخه: أي نفخه الكِبْر. ونفثه: سِحرِه. وهمزِه: وسوسته).
(٢) خطّأ البخاري رواية (خفض بها صوته).
(٣) بإسناد صحيح.
(٤) والشيخان.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: كَانَ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ بِـ ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ وَنَحْوِهَا، وَكَانَتْ قِرَاءَتُهُ بَعْدُ تَخْفِيفاً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَرَأَ فِي الصُّبْحِ ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ﴾ فِي الرَّكْعَتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَكَانَ ﷺ يَقْرَأُ فِي صُبْحِ الْجُمُعَةِ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السَّجْدَةَ و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَإِنَّمَا كَانَ يَقْرَؤُهُمَا كَامِلَتَيْنِ، وَقِرَاءَةُ بَعْضِهِمَا خِلاَفُ السُّنَّةِ.

وَعَنْ عَلِيٍّ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ[1]: أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ سَجَدَ فِي الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السَّجْدَةِ.

الْفَرْعُ الْخَامِسُ: فِي ذِكْرِ قِرَاءَتِهِ ﷺ فِي صَلاَتَي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ:

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ بِأُمِّ الْكِتَابِ وَسُورَتَيْنِ، وَفِي الرَّكْعَتَيْنِ الأُخْرَيَيْنِ بِأُمِّ الْكِتَابِ، وَيُسْمِعُنَا الآيَةَ أَحْيَاناً[2]، وَيُطَوِّلُ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى مَا لاَ يُطَوِّلُ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، وَهٰكَذَا فِي الْعَصْرِ، وَهٰكَذَا فِي الصُّبْحِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كُنَّا نَحْزِرُ، أَيْ: نُقَدِّرُ قِيَامَ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، فَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ قَدْرَ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السَّجْدَةِ، وَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الأُخْرَيَيْنِ قَدْرَ النِّصْفِ مِنْ ذٰلِكَ، وَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ مِنَ الْعَصْرِ عَلَى قَدْرِ قِيَامِهِ فِي الأُخْرَيَيْنِ

---

(١) في الأوسط.

(٢) واستُدلّ به على جواز الجهر في السرّيّة، أو أنه كان يفعل ذلك بغير قصد؛ للاستغراق في التدبُّر.

مِنَ الظُّهْرِ، وَفِي الأُخْرَيَيْنِ مِنَ الْعَصْرِ عَلَى النِّصْفِ مِنْ ذٰلِكَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَرَوَى عَنْ جَابِرٍ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ بـ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝﴾ وَفِي رِوَايَةٍ بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝﴾، وَفِي الْعَصْرِ بِنَحْوِ ذٰلِكَ.

وَعَنْهُ: كَانَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ بـ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝﴾ و﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝﴾ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(١).

وَعَنْ أَنَسٍ: قَرَأَ ﷺ فِي الظُّهْرِ بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝﴾ و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝﴾ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

الْفَرْعُ السَّادِسُ: فِي ذِكْرِ قِرَاءَتِهِ ﷺ فِي صَلاَةِ الْمَغْرِبِ:

عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ بِنْتِ الْحَارِثِ قَالَتْ: سَمِعْتُهُ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالْمُرْسَلاَتِ عُرْفاً، وَإِنَّهَا لآخِرُ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَعَنِ ابْنِ شِهَابٍ: أَنَّهَا آخِرُ صَلاَتِهِ ﷺ(٢).

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقْرَأُ بِالْمَغْرِبِ بِالطُّورِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ: أَنَّهُ ﷺ صَلَّى الْمَغْرِبَ بِسُورَةِ الأَعْرَافِ فَرَّقَهَا فِي رَكْعَتَيْنِ، وَرَوَى(٣) عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ عُتْبَةَ: قَرَأَ ﷺ فِي صَلاَةِ الْمَغْرِبِ حٰمٓ الدُّخَانَ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَشْبَهَ صَلاَةً بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ مِنْ فُلاَنٍ، وَكَانَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ يَقْرَأُ فِي الصُّبْحِ بِطِوَالِ الْمُفَصَّلِ، وَفِي الْمَغْرِبِ

---

(١) والترمذي.

(٢) ثم قبضه الله تعالىٰ.

(٣) أي: النسائي.

بِقِصَارِ الْمُفَصَّلِ[1]. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ. (وَالْمُفَصَّلُ: مِنَ الْحُجُرَاتِ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ).

الْفَرْعُ السَّابِعُ: فِي ذِكْرِ مَا كَانَ ﷺ يَقْرَؤُهُ فِي صَلاةِ الْعِشَاءِ:

وَيَتْبَعُ ذَلِكَ جُمْلَةُ أَحَادِيثَ تَتَعَلَّقُ بِقِرَاءَتِهِ فِي الصَّلاَةِ مُطْلَقاً:

عَنِ الْبَرَاءِ: كَانَ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١﴾، فَمَا سَمِعْتُ أَحَداً أَحْسَنَ صَوْتاً أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ ﷺ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَكَانَ ﷺ إِذَا أَتَى عَلَى آيَةِ عَذَابٍ وَقَفَ وَتَعَوَّذَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ[2].

وَكَانَ إِذَا قَرَأَ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ قَالَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ مِنْكُمْ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١﴾ فَانْتَهَى إِلَى ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ فَلْيَقُلْ: بَلَى، وَأَنَا عَلَى ذَٰلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ**[3]، **وَمَنْ قَرَأَ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١﴾ فَانْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِيَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾ فَلْيَقُلْ: بَلَى، وَمَنْ قَرَأَ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ فَبَلَغَ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ فَلْيَقُلْ: آمَنَّا بِاللَّهِ**».

---

(١) طوال المفصل: من الحُجرات إلىٰ النبأ، وأوساطه: من النبأ إلىٰ الضحىٰ، وقصاره: من الضحىٰ إلىٰ الناس.
وطريق الجمع بين هذه الأحاديث: أنه ﷺ كان أحياناً يطيل القراءة في المغرب إما لبيان الجواز، وإما لعلمه بعدم المشقة علىٰ المأمومين.
قال ابن خزيمة في صحيحه: هذا من الاختلاف المباح، فجائز للمصلّي أن يقرأ في الصلوات كلها بما أحبّ، إلا أنه إذا كان إماماً استُحِبّ له أن يخفف القراءة.

(٢) وهو في مسلم والسنن الأربعة.

(٣) رواه أبو داود والترمذي.

وَكَانَ ﷺ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً، وَيَسْكُتُ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ، وَيَسْكُتُ ثَالِثَةً بَعْدَ قِرَاءَةِ السُّورَةِ، وَهِيَ سَكْتَةٌ لَطِيفَةٌ جِداً، حَتَّى يَتَرَادَّ إِلَيْهِ النَّفَسُ، وَلَمْ يَكُنْ يَصِلُ الْقِرَاءَةَ بِالرُّكُوعِ.

وَأَمَّا السَّكْتَةُ الأُولَى[1]: فَإِنَّهُ كَانَ يَجْعَلُهَا بِقَدْرِ الاسْتِفْتَاحِ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ: فَلأَجْلِ قِرَاءَةِ الْمَأْمُومِ الْفَاتِحَةَ، فَيَنْبَغِي تَطْوِيلُهَا بِقَدْرِهَا.

الْفَرْعُ الثَّامِنُ: فِي ذِكْرِ رُكُوعِهِ ﷺ:

عَنْ أَبِي حَمِيدٍ السَّاعِدِيِّ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَاذِيَ بِهِمَا مَنْكِبَيْهِ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ: «**ثُمَّ يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَاذِيَ بِهِمَا مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ يَرْكَعُ وَيَضَعُ رَاحَتَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَعْتَدِلُ[2] فَلاَ يُصَوِّبُ رَأْسَهُ وَلاَ يُقْنِعُ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالدَّارِمِيُّ. (وَقَوْلُهُ: «يُصَوِّبُ» أَيْ: يَخْفِضُ، «وَلاَ يُقْنِعُ» أَيْ: لاَ يَرْفَعُ ﷺ رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ أَعْلَى مِنْ ظَهْرِهِ).

الْفَرْعُ التَّاسِعُ: فِي ذِكْرِ مِقْدَارِ رُكُوعِهِ ﷺ:

عَنِ ابْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَحَدٍ مِنَ التَّابِعِينَ بَعْدَ رَسُولِ اللّهِ أَشْبَهَ صَلاَةً بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ مِنْ هٰذَا الْفَتَى (يَعْنِي: عُمَرَ بْنَ عَبْدِالْعَزِيزِ)، قَالَ: فَحَزَرْنَا رُكُوعَهُ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ، وَسُجُودَهُ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَعَنِ الْبَرَاءِ: كَانَ رُكُوعُ النَّبِيِّ ﷺ وَسُجُودُهُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ وَإِذَا رَفَعَ مِنَ

---

(١) التي بعد تكبيرة الإحرام.

(٢) في ركوعه.

الرُّكُوعِ مَا خَلاَ الْقِيَامَ وَالْقُعُودَ قَرِيباً مِنَ السَّوَاءِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. قَالَ النَّوَوِيُّ: ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ تَطْوِيلُ قِيَامِهِ ﷺ.

الْفَرْعُ الْعَاشِرُ: فِيمَا كَانَ ﷺ يَقُولُهُ فِي الرُّكُوعِ وَالرَّفْعِ مِنْهُ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرِ لِي**» يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. (وَمَعْنَى يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ: يَعْمَلُ بِمَا أَمَرَ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى[1]: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ فَكَانَ ﷺ يَقُولُ هٰذَا الْكَلاَمَ الْبَدِيعَ فِي الْجَزَالَةِ الْمُسْتَوْفِيَ مَا أُمِرَ بِهِ فِي الآيَةِ).

وَعَنْهَا: كَانَ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»، وَفِي سُجُودِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**»[2].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: «**اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمٰوَاتِ، وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ؛ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. (وَالْجَدُّ: الْحَظُّ[3]).

---

(١) في سورة النصر.

(٢) رواه مسلم.

(٣) والغنى.

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: كَانَ ﷺ يَقُولُ بَعْدَ قَوْلِهِ: «**مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**»: «**اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ**»(١).

الْفَرْعُ الْحَادِي عَشَرَ: فِي ذِكْرِ صِفَةِ سُجُودِهِ ﷺ وَمَا يَقُولُ فِيهِ:

كَانَ ﷺ إِذَا انْتَهَى مِنْ ذِكْرِ قِيَامِهِ عَنِ الرُّكُوعِ يُكَبِّرُ وَيَخِرُّ سَاجِداً، وَلاَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ(٢). وَقَدْ رُوِيَ: أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ أَيْضاً. وَصَحَّحَهُ بَعْضُ الْحُفَّاظِ(٣).

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَضَعُ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(٤)، ثُمَّ جَبْهَتَهُ وَأَنْفَهُ، وَقَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ: الْجَبْهَةِ، وَالْيَدَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ**»(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا سَجَدَ فَرَّجَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى يَبْدُوَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ،**

---

(١) استعارة للمبالغة في الطهارة. وتمام الحديث: «**اللهم طهِّرني من الذنوب والخطايا كما ينقَّىٰ الثوب الأبيض من الوسخ**».

(٢) كما في الصحيحين.

(٣) كابن حزم، والذي غرّه أن الراوي غلط من قوله: (كان يكبّر في كل خفض ورفع) إلىٰ قوله: (كان يرفع يديه في كل خفض ورفع) ولم يفطن لسبب غلطه، ووهِم فصحّحه. نبّه عليه ابن القيم في زاد المعاد.

(٤) وجاء في السنن عن وائل بن حُجْر قال: رأيت النبي ﷺ إذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه» ولذا قال النووي: لا يظهر ترجيح أحد المذهبين علىٰ الآخر من حيث السنّة.

(٥) بأن يجعل قدميه قائمتين علىٰ بطون أصابعهما وعَقِباه مرتفعتان، فيستقبل بظهور قدميه القبلة. وقد ورد هذا في حديث أبي حُميد في صفة السجود: «واستقبل بأطراف أصابع رجليه القبلة» رواه البخاري.

أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، عَلاَنِيَتَهُ وَسِرَّهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ. (وَقَوْلُهُ: «دِقَّهُ وَجِلَّهُ» أَيْ: قَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْسُّجُودِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَكَانَ ﷺ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنَ الْسُّجُودِ مُكَبِّراً غَيْرَ رَافِعٍ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَجْلِسُ عَلَى رِجْلِهِ الْيُسْرَى، وَيَنْصِبُ الْيُمْنَى.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَجْلِسُ لِلاسْتِرَاحَةِ جَلْسَةً لَطِيفَةً بِحَيْثُ تَسْكُنُ جَوَارِحُهُ سُكُوناً بَيِّناً، ثُمَّ يَقُومُ إِلَى الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ. كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَقُولُ بَيْنَ الْسَّجْدَتَيْنِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالدَّارِمِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا.

الْفَرْعُ الثَّانِي عَشَرَ: فِي ذِكْرِ جُلُوسِهِ ﷺ لِلتَّشَهُّدِ:

كَانَ ﷺ إِذَا جَلَسَ لِلتَّشَهُّدِ[1] يَفْرُشُ رِجْلَهُ الْيُسْرَى، وَيَنْصِبُ الْيُمْنَى. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ الْسَّاعِدِيُّ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ﷺ: أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِصَلاَةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، قَالُوا: فَاعْرِضْ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ: حَتَّى

(١) الأول.

إِذَا كَانَتِ السَّجْدَةُ الَّتِي فِيهَا التَّسْلِيمُ أَخْرَجَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى، وَقَعَدَ مُتَوَرِّكاً عَلَى شِقِّهِ الأَيْسَرِ، ثُمَّ سَلَّمَ، قَالُوا: صَدَقْتَ، هٰكَذَا كَانَ يُصَلِّي[1].

وَكَانَ ﷺ إِذَا قَعَدَ فِي التَّشَهُّدِ وَضَعَ يَدَهُ[2] عَلَى رُكْبَتِهِ، وَرَفَعَ إِصْبَعَهُ الَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ، وَيَدْعُو بِهَا[3]، وَيَدُهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ بَاسِطَهَا عَلَيْهَا[4].

وَكَانَ ﷺ يَسْتَقْبِلُ بِأَصَابِعِهِ الْقِبْلَةَ فِي رَفْعِ يَدَيْهِ وَرُكُوعِهِ وَفِي سُجُودِهِ وَفِي التَّشَهُّدِ، وَيَسْتَقْبِلُ بِأَصَابِعِ رِجْلَيْهِ الْقِبْلَةَ فِي سُجُودِهِ ﷺ.

الْفَرْعُ الثَّالِثَ عَشَرَ: فِي ذِكْرِ تَشَهُّدِهِ ﷺ:

كَانَ ﷺ يَتَشَهَّدُ دَائِماً فِي هٰذِهِ الْجِلْسَةِ الأَخِيرَةِ، وَيُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ أَنْ يَقُولُوا: «**التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلّٰهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللّٰهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَقَدْ كَانَ ﷺ يَدْعُو فِي الصَّلاَةِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ**»[5]، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ، فَقَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ عَائِشَةَ، وَدُعَاؤُهُ ﷺ بِذٰلِكَ لِتَعْلِيمِ أُمَّتِهِ[6].

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) اليمنىٰ.

(٣) وفي رواية لمسلم: «وكان يشير بها ولا يحركها».

(٤) رواه مسلم.

(٥) المأثم: ارتكاب الإثم، والمغرم: ارتكاب غرامة ماليّة.

(٦) وإلا فهو مغفور له.

وَعَنْ عَلِيٍّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ مَا بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ.

الْفَرْعُ الرَّابِعَ عَشَرَ: فِي ذِكْرِ تَسْلِيمِهِ ﷺ مِنَ الصَّلاَةِ:

وَيَتْبَعُ ذٰلِكَ جُمْلَةُ أَحَادِيثَ تَتَعَلَّقُ بِحَالِ صَلاَتِهِ ﷺ:

عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: «كَانَ ﷺ يُسَلِّمُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللّهِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَزَادَ أَبُو دَاوُدَ: حَتَّى يُرَى بَيَاضُ خَدِّهِ.

وَكَانَ ﷺ إِذَا قَامَ فِي الصَّلاَةِ طَأْطَأَ رَأْسَهُ[1]. رَوَاهُ أَحْمَدُ.

وَكَانَ ﷺ لاَ يُجَاوِزُ بَصَرُهُ إِشَارَتَهُ ـ أَيْ: إِصْبَعَهُ الَّتِي يُشِيرُ بِهَا، وَهِيَ السَّبَّابَةُ[2] ـ.

وَكَانَ ﷺ قَدْ جَعَلَ اللّهُ قُرَّةَ عَيْنِهِ فِي الصَّلاَةِ كَمَا قَالَ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ**» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

وَلَمْ يَكُنْ يَشْغَلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَا هُوَ فِيهِ عَنْ مُرَاعَاةِ أَحْوَالِ الْمَأْمُومِينَ، مَعَ كَمَالِ إِقْبَالِهِ وَقُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ وَحُضُورِ قَلْبِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَكَانَ ﷺ يَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ فَيُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَيَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِهِ مَخَافَةَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ[3].

---

(١) أي: خَفَضَه ونظر موضع سجوده.

(٢) وذلك عند قوله في التشهُّد: إلا الله، ويديم نظره إليها إلىٰ القيام أو السلام.

(٣) كأبي داود والنسائي.

وَكَانَ ﷺ يَؤُمُّ النَّاسَ وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ بِنْتِهِ زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ.

وَكَانَ ﷺ يُصَلِّي فَيَجِيءُ الْحَسَنُ أَوِ الْحُسَيْنُ فَيَرْكَبُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيُطِيلُ السَّجْدَةَ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُلْقِيَهُ عَنْ ظَهْرِهِ.

وَكَانَ ﷺ يَرُدُّ السَّلاَمَ بِالإِشَارَةِ عَلَى مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الصَّلاَةِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالْبَيْهَقِيُّ.

وَكَانَ ﷺ يُصَلِّي وَعَائِشَةُ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَهَا بِيَدِهِ فَقَبَضَتْ رِجْلَيْهَا، وَإِذَا قَامَ بَسَطَتْهُمَا. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَرَوَى مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ (يَعْنِي: يَبْكِي) رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ. (وَالأَزِيزُ: الصَّوْتُ، وَالْمِرْجَلُ: قِدْرٌ مِنْ نُحَاسٍ).

وَلَمْ يَكُنْ ﷺ يُغَمِّضُ عَيْنَيْهِ فِي صَلاَتِهِ.

وَقَدْ كَانَتْ صَلاَتُهُ ﷺ مُتَوَسِّطَةً عَارِيَةً عَنِ الْغُلُوِّ، كَالْوَسْوَسَةِ فِي عَقْدِ النِّيَّةِ، وَالْجَهْرِ بِالأَذْكَارِ الَّتِي شُرِعَتْ سِرًّا، إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِمَّنِ ابْتُلِيَ بِدَاءِ الْوَسْوَسَةِ عَافَانَا اللّٰهُ مِنْهَا، وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ الْجُنُونِ، فَمَنْ أَرَادَ التَّخَلُّصَ مِنْ هٰذِهِ الْبَلِيَّةِ فَلْيَتَّبِعْ سُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ السَّوِيَّةَ.

الْفَرْعُ الْخَامِسَ عَشَرَ: فِي ذِكْرِ قُنُوتِهِ ﷺ ـ أَيْ: دُعَائِهِ فِي الصَّلاَةِ ـ:

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْعِينَ رَجُلاً يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ[١]، فَعَرَضَ لَهُمْ حَيَّانِ مِنْ سُلَيْمٍ: رِعْلٌ وَذَكْوَانُ عِنْدَ بِئْرٍ يُقَالُ لَهَا: بِئْرُ مَعُونَةَ، فَقَتَلُوهُمْ، فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ شَهْراً فِي صَلاَةِ الْغَدَاةِ ـ أَيْ: الصُّبْحِ ـ

(١) وذلك في السنة الرابعة من الهجرة.

وَذٰلِكَ بَدْءُ الْقُنُوتِ وَمَا كُنَّا نَقْنُتُ، وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ قَنَتَ قَبْلَ الرُّكُوعِ. وَفِي أُخْرَى: أَنَّهُ قَنَتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الأَخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلاَناً وَفُلاَناً وَفُلاَناً**» بَعْدَمَا يَقُولُ: «**سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**» فَأَنْزَلَ اللّهُ عَلَيْهِ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾(١) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: كَانَ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، وَالْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ**(٣)**، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ**» وَفِي رِوَايَةٍ: فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ. وَفِي رِوَايَةٍ: ثُمَّ بَلَغَنَا أَنَّهُ تَرَكَ ذٰلِكَ لَمَّا أَنْزَلَ اللّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَعَنِ الْبَرَاءِ: كَانَ ﷺ يَقْنُتُ فِي الصُّبْحِ وَالْمَغْرِبِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَلأَبِي دَاوُدَ: فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْمَغْرِبَ(٤).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ ﷺ يَقْنُتُ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ، وَفِي وِتْرِ اللَّيْلِ، بِهٰؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ**» أَخْرَجَهُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ،

---

(١) ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.
(٣) قريش.
(٤) وروىٰ أنس: ما زال رسول الله ﷺ يقنت في الفجر حتىٰ فارق الدنيا. رواه أحمد والحاكم وصححه. قال النووي في الخلاصة: صحيح رواه جماعات من الحفاظ وصححوه.

وَتَمَامُهَا: «**وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ**[1]**، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ**»[2] رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[3] مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ.

---

(١) زاد البيهقي: «**ولا يَعِزّ مَن عاديتَ**».

(٢) أما قوله: «**فلك الحمد على ما قضيتَ، أستغفرك وأتوب إليك**» فرواها البيهقي. ولا يسجد لتركه لسقوطه في أكثر الروايات.

وتُسَن الصلاة على رسول الله ﷺ في آخره لرواية النسائي من حديث الحسن.

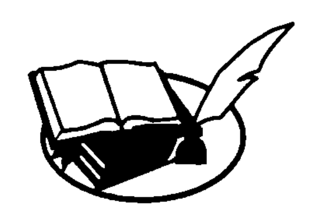
(٣) كالترمذي والنسائي، وإسنادهم صحيح.

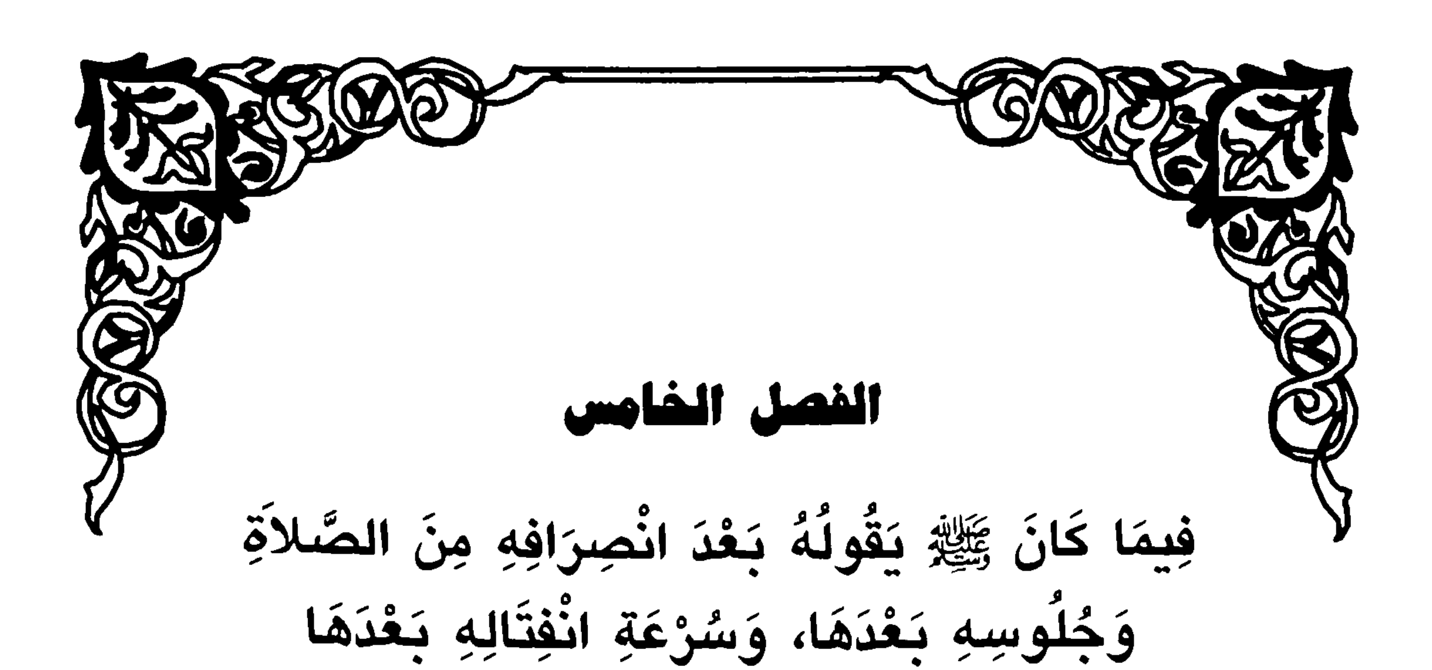


الفصل الرَّابِعُ

فِي سُجُودِهِ ﷺ لِلسَّهْوِ فِي الصَّلاَةِ

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ مِنْ بَعْضِ الصَّلَوَاتِ، ثُمَّ قَامَ فَلَمْ يَجْلِسْ، فَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، فَلَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ وَنَظَرْنَا ـ أَيْ: انْتَظَرْنَا ـ تَسْلِيمَهُ كَبَّرَ قَبْلَ التَّسْلِيمِ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ، ثُمَّ سَلَّمَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.





الفصل الخامس

فِيمَا كَانَ ﷺ يَقُولُهُ بَعْدَ انْصِرَافِهِ مِنَ الصَّلاَةِ وَجُلُوسِهِ بَعْدَهَا، وَسُرْعَةِ انْفِتَالِهِ بَعْدَهَا

عَنْ ثَوْبَانَ: كَانَ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاَتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاَثاً، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ، وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَدْ ثَبَتَ[1] أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَيُحْمَلُ مَا وَرَدَ مِنَ الدُّعَاءِ بَعْدَ الصَّلاَةِ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَقُولُهُ بَعْدَ أَنْ يُقْبِلَ عَلَى أَصْحَابِهِ بِوَجْهِهِ الشَّرِيفِ، فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يُسْرِعُ الانْفِتَالَ إِلَى الْمَأْمُومِينَ، وَكَانَ يَنْفَتِلُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، وَالأَكْثَرُ عَنْ يَمِينِهِ.

وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ إِذَا سَلَّمَ مَكَثَ فِي مَكَانِهِ يَسِيراً، قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَنَرَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ؛ لِكَيْ يَنْصَرِفَ النِّسَاءُ قَبْلَ الرِّجَالِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ إِذَا سَلَّمَ لاَ يَقْعُدُ إِلاَّ مِقْدَارَ مَا

---

(١) عند البخاري ومسلم.

يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَنتَ السَّلاَمُ، وَمِنكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنفَعُ ذَا الْجَدِّ[1] مِنْكَ الْجَدُّ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «**لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَلاَ نَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ، وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ الْجَمِيلُ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ.

وَعَنْ سَعْدٍ: أَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ بَنِيهِ هٰؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ بِهِنَّ دُبُرَ الصَّلَوَاتِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ: كَانَ ﷺ يَقُولُ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ: «**اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّكَ الرَّبُّ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ إِخْوَةٌ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، اجْعَلْنِي مُخْلِصاً لَكَ وَأَهْلِي فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، اسْمَعْ وَاسْتَجِبْ، اللَّهُ الأَكْبَرُ، اللَّهُ الأَكْبَرُ، اللَّهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ، اللَّهُ الأَكْبَرُ،**

---

(١) صاحب الحظ والغنى.

حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلِ، اللَّهُ الأَكْبَرُ، اللَّهُ الأَكْبَرُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَأَحْمَدُ[1].

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ إِذَا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلاَةِ: «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي**» أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ عَنْ صُهَيْبٍ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حِينَ تُقَامُ الصَّلاَةُ فِي الْمَسْجِدِ إِذَا رَآهُمْ قَلِيلاً جَلَسَ، وَإِذَا رَآهُمْ جَمَاعَةً صَلَّى. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

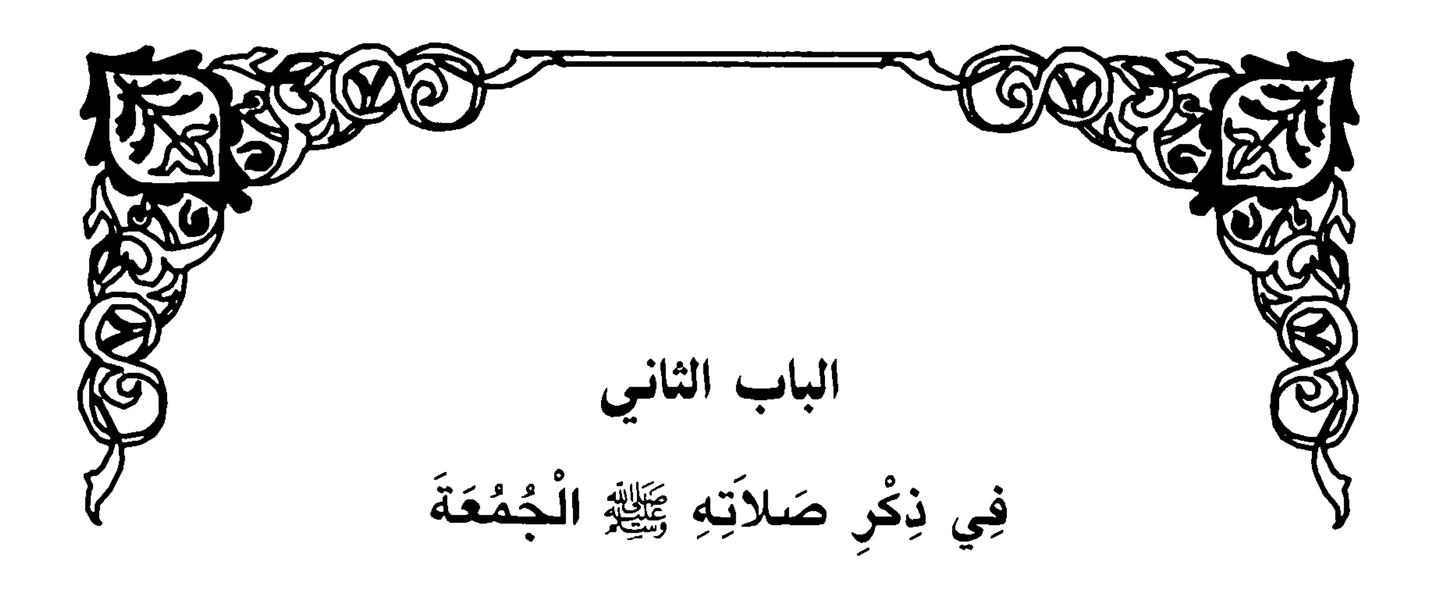
وَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ: كَانَ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلاَةِ وَيَقُولُ: «**اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى**[2]، **ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ يُعْدِلُنِي كَذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ إِلَى الشِّقِّ الأَيْمَنِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

---

(١) واللفظ له.

(٢) الأحلام والنُّهىٰ: العقول.



الباب الثاني

فِي ذِكْرِ صَلاَتِهِ ﷺ الْجُمُعَةَ

كَانَ ﷺ يُصَلِّي الْجُمُعَةَ حِينَ تَمِيلُ الشَّمْسُ[1]. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَلَمْ يَكُنْ يُؤَذَّنُ فِي زَمَانِهِ ﷺ عَلَى الْمَنَارِ[2] وَبَيْنَ يَدَيْهِ، وَإِنَّمَا كَانَ بِلاَلٌ يُؤَذِّنُ وَحْدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الْمَدِينَةَ أَقَامَ بِقُبَاءَ فِي بَنِي عَمرو بْنِ عَوْفٍ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الثُّلاثَاءِ وَيَوْمَ الأَرْبِعَاءِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، وَأَسَّسَ مَسْجِدَهُمْ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَدْرَكَتْهُ الْجُمُعَةُ فِي بَنِي سَالِمٍ، فَصَلاَّهَا فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي فِي بَطْنِ الْوَادِي، فَكَانَتْ أَوَّلَ جُمُعَةٍ صَلاَّهَا بِالْمَدِينَةِ، وَذٰلِكَ قَبْلَ تَأْسِيسِ مَسْجِدِهِ، وَخَطَبَ، وَهِيَ أَوَّلُ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ: «**اَلْحَمْدُ لِلّهِ أَحْمَدُهُ، وَأَسْتَعِينُهُ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَسْتَهْدِيهِ وَأُومِنُ بِهِ وَلاَ أَكْفُرُهُ، وَأُعَادِي مَنْ يَكْفُرُ بِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ وَالنُّورِ وَالْمَوْعِظَةِ وَالْحِكْمَةِ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَقِلَّةٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَضَلاَلَةٍ مِنَ النَّاسِ، وَانْقِطَاعٍ مِنَ الزَّمَانِ، وَدُنُوٍ مِنَ السَّاعَةِ، وَقُرْبٍ مِنَ الأَجَلِ، مَنْ**

---

(١) عن وسط السماء.

(٢) المئذنة.

يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَى وَفَرَّطَ وَضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً، أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللّهِ، فَإِنَّ خَيْرَ مَا أَوْصَى بِهِ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَحُضَّهُ عَلَى الآخِرَةِ وَأَنْ يَأْمُرَهُ بِتَقْوَى اللّهِ، وَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللّهُ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّ تَقْوَى اللّهِ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا عَلَى وَجَلٍ وَمَخَافَةٍ مِنْ رَبِّهِ عَوْنٌ وَصِدْقٌ عَلَى مَا تَبْتَغُونَ مِنَ الآخِرَةِ، وَمَنْ يَصِلِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللّهُ مِنْ أَمْرِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلاَنِيَةِ لاَ يَنْوِي بِهِ إِلاَّ وَجْهَ اللّهِ يَكُنْ لَهُ ذِكْراً فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ، وَذُخْراً فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ حِينَ يَفْتَقِرُ الْمَرْءُ إِلَى مَا قَدَّمَ، وَمَا كَانَ مِمَّا سِوَى ذٰلِكَ يَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً، وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ، وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ، هُوَ الَّذِي صَدَقَ قَوْلَهُ وَأَنْجَزَ وَعْدَهُ، لاَ خُلْفَ لِذٰلِكَ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾[1]، فَاتَّقُوا اللّهَ فِي عَاجِلِ أَمْرِكُمْ وَآجِلِهِ، فِي السِّرِّ وَالْعَلاَنِيَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً، وَمَنْ يَتَّقِ اللّهَ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً، وَإِنَّ تَقْوَى اللّهِ تُوَقِّي مَقْتَهُ[2]، وَتُوَقِّي عُقُوبَتَهُ وَسَخَطَهُ، وَإِنَّ تَقْوَى اللّهِ تُبَيِّضُ الْوَجْهَ، وَتُرْضِي الرَّبَّ، وَتَرْفَعُ الدَّرَجَةَ، فَخُذُوا بِحَظِّكُمْ، وَلاَ تُفَرِّطُوا فِي جَنْبِ اللّهِ[3]، فَقَدْ عَلَّمَكُمْ كِتَابَهُ، وَنَهَجَ لَكُمْ سَبِيلَهُ، لِيَعْلَمَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَيَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ، فَأَحْسِنُوا كَمَا أَحْسَنَ اللّهُ إِلَيْكُمْ، وَعَادُوا أَعْدَاءَهُ، وَجَاهِدُوا فِي اللّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَسَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ؛ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ، فَأَكْثِرُوا ذِكْرَ اللّهِ، وَاعْمَلُوا لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، فَإِنَّهُ مَنْ يُصْلِحْ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللّهِ يَكْفِهِ اللّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّهَ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ وَلاَ يَقْضُونَ عَلَيْهِ، وَيَمْلِكُ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ، اللّهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ».

---

(١) سورة قٓ، الآية: ٢٩.

(٢) أي: طاعةُ الله تُبعِد عن العبد بغضَ الله له.

(٣) أي: في حقه.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَخْطُبُ خُطْبَتَيْنِ، يَجْلِسُ إِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ، حَتَّى يَفْرُغَ الْمُؤَذِّنُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ، ثُمَّ يَجْلِسُ فَلاَ يَتَكَلَّمُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ[1].

وَكَانَ ﷺ: إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلاَ صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «**صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ**»، وَيَقُولُ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**» وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ**» ثُمَّ يَقُولُ: «**أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْ ضَيَاعاً فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[2] مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ. (وَمَعْنَى ضَيَاعاً: عِيَالاً عَالَةً وَأَطْفَالاً لاَ قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِمْ).

وَعَنْ أُمِّ هِشَامِ بِنْتِ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَتْ: مَا أَخَذْتُ ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ إِلاَّ عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَقْرَؤُهَا كُلَّ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ إِذَا خَطَبَ النَّاسَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنِ الْحَكَمِ بْنِ حَزْنٍ قَالَ: قَدِمْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سَابِعَ سَبْعَةٍ، أَوْ تَاسِعَ تِسْعَةٍ، فَلَبِثْنَا عِنْدَهِ أَيَّامَاً شَهِدْنَا فِيهَا الْجُمُعَةَ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَكِّئاً عَلَى قَوْسٍ (أَوْ قَالَ: عَلَى عَصاً)، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، كَلِمَاتٍ خَفِيفَاتٍ طَيِّبَاتٍ مُبَارَكَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّكُمْ لَنْ تَفْعَلُوا، أَوْ لَنْ تُطِيقُوا كُلَّ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَكِنْ سَدِّدُوا وَأَبْشِرُوا**» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ. (قَوْلُهُ: «سَدِّدُوا» أَيْ: لاَزِمُوا الصَّوَابَ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ).

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) الحديث ٨٦٧.

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: **«تُوبُوا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا، وَبَادِرُوا بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تَشْتَغِلُوا، وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ تَسْعَدُوا، وَأَكْثِرُوا الصَّدَقَةَ تُرْزَقُوا، وَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ تُخْصِبُوا، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ تُنْصَرُوا، أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَكْيَسَكُمْ[1] أَكْثَرُكُمْ ذِكْراً لِلْمَوْتِ، وَأَكْرَمَكُمْ أَحْسَنُكُمْ اسْتِعْدَاداً لَهُ، أَلاَ وَإِنَّ مِنْ عَلاَمَاتِ الْعَقْلِ التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ[2]، وَالإِنَابَةَ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّزَوُّدَ لِسُكْنَى الْقُبُورِ، وَالتَّأَهُّبَ لِيَوْمِ النُّشُورِ»** رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ.

وَفِي مَرَاسِيلِ أَبِي دَاوُدَ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: كَانَ صَدْرُ[3] خُطْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ، مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى[4]، نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يُطِيعُهُ وَيُطِيعُ رَسُولَهُ، وَيَتَّبِعُ رِضْوَانَهُ وَيَجْتَنِبُ سَخَطَهُ»**.

وَعِنْدَهُ أَيْضاً: عَنْهُ قَالَ: بَلَغَنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا خَطَبَ: **«كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، لاَ بُعْدَ لِمَا هُوَ آتٍ، يُرِيدُ اللَّهُ أَمْراً وَيُرِيدُ النَّاسُ أَمْراً، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَلَوْ كَرِهَ النَّاسُ، وَلاَ مُبْعِدَ لِمَا قَرَّبَ اللَّهُ، وَلاَ مُقَرِّبَ لِمَا أَبْعَدَ اللَّهُ، لاَ يَكُونُ شَيْءٌ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»**.

وَقَالَ جَابِرٌ: كَانَ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَقُولُ بَعْدَ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ

---

(١) أعقلكم.

(٢) التباعد عن دار الخديعة (وهي الدنيا).

(٣) مقدمة.

(٤) ضلّ.

وَيُصَلِّيَ عَلَى أَنْبِيَائِهِ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ لَكُمْ مَعَالِمَ**[1] **فَانْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ، إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ: بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لاَ يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ، وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لاَ يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ، فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لآخِرَتِهِ، وَمِنَ الشَّبِيبَةِ قَبْلَ الْكِبَرِ، وَمِنَ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ**[2]**، وَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلاَّ الْجَنَّةُ أَوِ النَّارُ، أَقُولُ قَوْلِي هٰذَا وأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ**»[3].

وَكَانَتْ صَلاَتُهُ ﷺ الْجُمُعَةَ قَصْداً بَيْنَ الطُّولِ وَالتَّخْفِيفِ، وَخُطْبَتُهُ قَصْداً، رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ، وَزَادَ أَبُو دَاوُدَ: يَقْرَأُ بِآيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيُذَكِّرُ النَّاسَ.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ: أَنَّهُ ﷺ خَطَبَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ قَدْ أَرْخَى طَرَفَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي الْهَدْيِ: وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ خَرَجَ إِلَيْهِمْ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ شَاوِيشٍ[4] يَصِيحُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلاَ لُبْسِ طَيْلَسانٍ، وَلاَ طَرْحَةٍ وَلاَ سَوَادٍ[5]، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ اسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِوَجْهِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَجْلِسُ وَيَأْخُذُ بِلاَلٌ فِي الأَذَانِ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْهُ قَامَ فَخَطَبَ مِنْ غَيْرِ فَصْلٍ بَيْنَ الأَذَانِ وَالْخُطْبَةِ، لاَ بِإِيرَادِ خَبَرٍ وَلاَ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَكُنْ ﷺ يَأْخُذُ بِيَدِهِ سَيْفاً وَلاَ غَيْرَهُ، وَإِنَّمَا كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى قَوْسٍ

---

(١) علامات تسترشدون بها.

(٢) تسترضيه وتطلب العفو منه، فقد فات الأوان.

(٣) رواه البيهقي في الشُّعَب.

(٤) حارس.

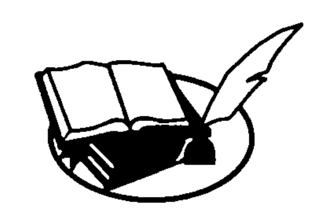
(٥) الطيلَسان: وشاح يُلبَس على الكتف، أو يحيط بالبدن من غير خياطة. والطرحة: غطاء للرأس والكتفين. والسواد: اللباس الرسمي.

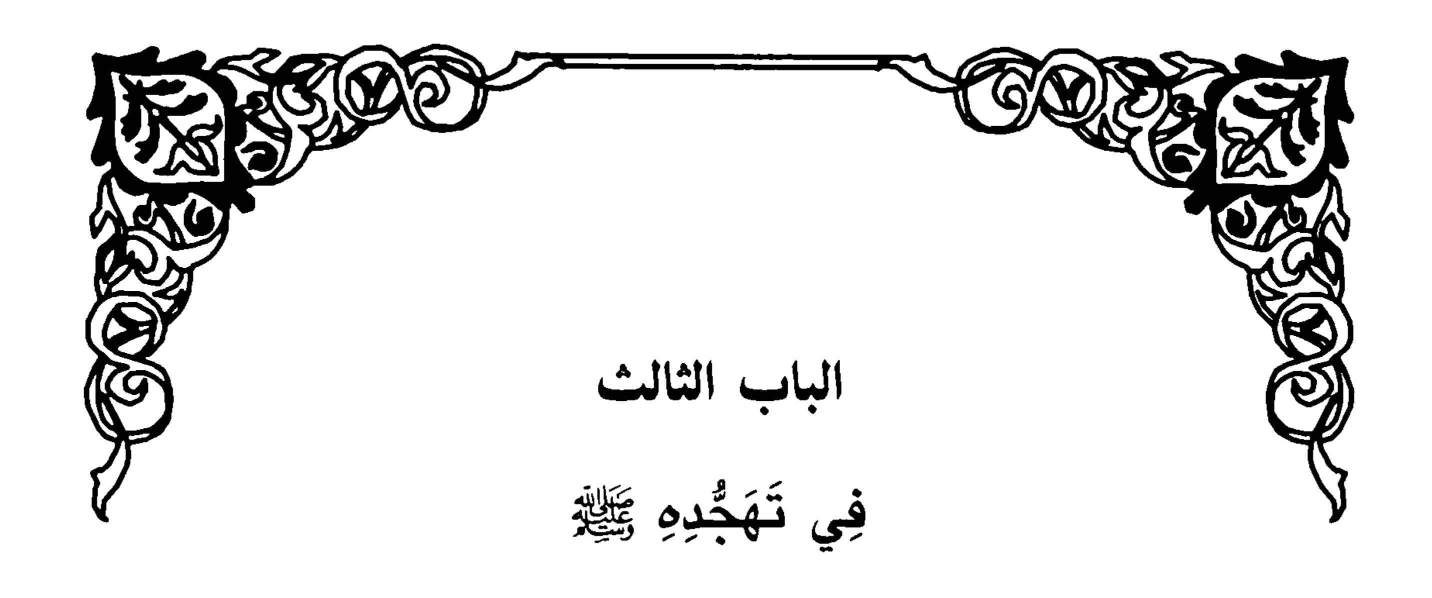
أَوْ عَصاً قَبْلَ أَنْ يُتَّخذَ الْمِنبَرُ، وَكَانَ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالدُّنُوِّ مِنْهُ، وَيَأْمُرُهُمْ بالإِنْصَاتِ.

وَكَانَ ﷺ يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْجُمُعَةِ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى، وَ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ بِالثَّانِيَةِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ: كَانَ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ وَفِي الْجُمُعَةِ بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ ﷺ جَمَّعَ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانُوا أَرْبَعِينَ رَجُلاً.





الباب الثالث

فِي تَهَجُّدِهِ ﷺ

التَّهَجُّدُ: الصَّلاَةُ بَعْدَ الْرُّقَادِ، ثُمَّ صَلاَةٌ أُخْرَى بَعْدَ رَقْدَةٍ، ثُمَّ صَلاَةٌ أُخْرَى بَعْدَ رَقْدَةٍ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: قَامَ ﷺ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هٰذَا يَا رَسُولَ اللّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «**أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً؟**» قَالَتْ: فَلَمَّا بَدَّنَ[1] وَكَثُرَ لَحْمُهُ[2] صَلَّى جَالِساً، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ. رَوَاهُ الْشَّيْخَانِ.

ذِكْرُ سِيَاقِ صَلاَتِهِ ﷺ بِاللَّيْلِ:

عَنْ شُرَيْحٍ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: مَا صَلَّى رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْعِشَاءَ قَطُّ فَدَخَلَ بَيْتِي إِلاَّ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، أَوْ سِتَّ رَكَعَاتٍ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

---

(١) أي كَبِر، أما بَدُن فمعناها: كثر لحمه.

(٢) كأن الراوي تأوّله على كثرة اللحم، وقد تعقّبه ابن الجوزي فقال: لم يَصِفْه أحد بالسِّمَن أصلاً. انظر فتح الباري، وتفسير القرطبي ٦٠/١٢. لكن سيأتي في ص٧٠٦ حديث مسلم وفيه: «فلما أسن ﷺ وأخذه اللحم...».

وَكَانَ ﷺ يَقُومُ إِذَا سَمِعَ الْصَّارِخَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ. (وَالصَّارِخُ: الدِّيكُ).

وَقَالَتْ: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ آخِرَهُ فَيُصَلِّي ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ وَثَبَ، فَإِنْ كَانَتْ بِهِ حَاجَةٌ اغْتَسَلَ، وَإِلاَّ تَوَضَّأَ وَخَرَجَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَقَالَتْ: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ رُبَّمَا اغْتَسَلَ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَرُبَّمَا اغْتَسَلَ فِي آخِرِهِ، وَرُبَّمَا أَوْتَرَ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَرُبَّمَا أَوْتَرَ فِي آخِرِهِ، وَرُبَّمَا جَهَرَ بِالْقِرَاءَةِ، وَرُبَّمَا خَفَتَ ـ أَيْ: أَسَرَّ بِهَا ـ.

وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: كَانَ ﷺ يُصَلِّي بِنَا، ثُمَّ يَنَامُ قَدْرَ مَا صَلَّى، ثُمَّ يُصَلِّي قَدْرَ مَا نَامَ، ثُمَّ يَنَامُ قَدْرَ مَا صَلَّى، حَتَّى يُصْبِحَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(١).

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَا كُنَّا نَشَاءُ أَنْ نَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي اللَّيْلِ مُصَلِّياً إِلاَّ رَأَيْنَاهُ، وَلاَ نَشَاءُ أَنْ نَرَاهُ نَائِماً إِلاَّ رَأَيْنَاهُ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

وَكَانَ ﷺ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: **«لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْماً، وَلاَ تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ»** رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

وَعَنْهَا: كَانَ إِذَا هَبَّ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ اللَّهَ عَشْراً، وَحَمِدَ اللَّهَ عَشْراً، وَقَالَ: **«سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»** عَشْراً، وَقَالَ: **«سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ»** عَشْراً، و**«أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ»** عَشْراً، وَهَلَّلَ(٢) عَشْراً، ثُمَّ قَالَ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا وَضِيقِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»** عَشْراً، ثُمَّ يَفْتَتِحُ الصَّلاَةَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

---

(١) والترمذي والنسائي.

(٢) قال: لا إله إلا الله.

وَكَانَ قِيَامُهُ ﷺ عَلَى أَنْوَاعٍ:

فَقَدْ رَوَى الشَّيْخَانِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً، وَالنَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهَا، فَتَحَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً، ثُمَّ رَقَدَ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ أَوْ نِصْفُهُ قَعَدَ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَرَأَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ[1]، ثُمَّ قَامَ إِلَى الْقِرْبَةِ فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا[2]، ثُمَّ صَبَّ فِي الْجَفْنَةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءاً حَسَناً بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ لَمْ يُكْثِرْ وَقَدْ أَبْلَغَ، فَقَامَ فَصَلَّى، فَقُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِأُذُنِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَتَامَّتْ صَلاَتُهُ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً[3]، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ، فَآذَنَهُ بِلاَلٌ بِالصَّلاَةِ، فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ[4]، وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً، وَفِي بَصَرِي نُوراً، وَفِي سَمْعِي نُوراً، وَعَنْ يَمِينِي نُوراً، وَعَنْ يَسَارِي نُوراً، وَفَوْقِي نُوراً، وَتَحْتِي نُوراً، وَأَمَامِي نُوراً، وَخَلْفِي نُوراً، وَاجْعَلْ لِي نُوراً**» وَزَادَ بَعْضُهُمْ: «**وَفِي لِسَانِي نُوراً**» وَذَكَرَ «**عَصَبِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَشَعَرِي وَبَشَرِي**».

وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَامَ فَصَلَّى ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، مِنْهَا رَكْعَتَا الْفَجْرِ، حَزَرْتُ قِيَامَهُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِقَدْرِ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١﴾.

وَفِي رِوَايَةٍ: فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ حَتَّى صَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ أَوْتَرَ بِخَمْسٍ لَمْ يَجْلِسْ فِيهِنَّ.

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: انْطَلَقْتُ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْتُ:

---

(١) سورة آل عمران.

(٢) خَيْط يُربَط به فمها.

(٣) منها ركعتا الفجر، كما سيأتي.

(٤) لأن من خصائصه ﷺ أن نومه مضطجعاً لا ينقض الوضوء، لأن عينيه تنامان ولا ينام قلبه.

يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! أَنبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنبِئِينِي عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، قَالَتْ: كُنَّا نُعِدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللّهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ، وَيَتَوَضَّأُ، وَيُصَلِّي تِسْعَ رَكَعَاتٍ، وَلاَ يَجْلِسُ فِيهَا إِلاَّ فِي الثَّامِنَةِ، فَيَذْكُرُ اللّهَ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ، ثُمَّ يَنْهَضُ وَلاَ يُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي التَّاسِعَةَ، ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَذْكُرُ اللّهَ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُو، ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيماً يُسْمِعُنَا، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ بَعْدَمَا يُسَلِّمُ[١] وَهُوَ قَاعِدٌ، فَتِلْكَ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يَا بُنَيَّ، فَلَمَّا أَسَنَّ ﷺ وَأَخَذَهُ اللَّحْمُ أَوْتَرَ بِسَبْعٍ، وَصَنَعَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ مِثْلَ صَنِيعِهِ الأَوَّلِ، فَتِلْكَ تِسْعٌ يَا بُنَيَّ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهَا لِلنَّسَائِيِّ: فَصَلَّى سِتَّ رَكَعَاتٍ، يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّهُ سَوَّى بَيْنَهُنَّ فِي الْقِرَاءَةِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، ثُمَّ يُوتِرُ بِرَكْعَةٍ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ، ثُمَّ يَضَعُ جَنْبَهُ.

وَعَنْهَا رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاَتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ.

وَعَنْهَا: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يُصَلِّي فِيمَا بَيْنَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلاَةِ الْعِشَاءِ إِلَى الْفَجْرِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، وَيُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ، فَيَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذٰلِكَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أَحَدُكُمْ خَمْسِينَ آيَةً قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ مِنْ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَتَبَيَّنَ لَهُ الْفَجْرُ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمُؤَذِّنُ لِلإِقَامَةِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

---

(١) لبيان جواز التنفُّل بعد الوتر، كما سيأتي.

وَعَنْهَا قَالَتْ: كَانَ ﷺ يُصَلِّي ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُوتِرُ مِنْ ذٰلِكَ بِخَمْسٍ، وَلاَ يَجْلِسُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ فِي آخِرِهَا. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: عَنْ مَسْرُوقٍ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ صَلاَةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالَتْ: سَبْعاً وَتِسْعاً وَإِحْدَى عَشْرَةَ سِوَى رَكْعَتَي الْفَجْرِ، وَأَشْكَلَت رِوَايَاتُ عَائِشَةَ عَلَى كَثِيرٍ، وَالصَّوَابُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ذَكَرَتْهُ مِنْ ذٰلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى أَوْقَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَأَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ بِحَسَبِ النَّشَاطِ، وَبَيَانِ الْجَوَازِ. قَالَهُ الْقُرْطُبِيُّ.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ أَنَّهُ قَالَ: لأَرْمُقَنَّ[١] صَلاَةَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ اللَّيْلَةَ، قَالَ: فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، ثُمَّ أَوْتَرَ، فَذٰلِكَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَكَانَ يَقُولُ[٢]: **«اللّهُ أَكْبَرُ - ثَلاَثاً - ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»**، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْواً مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: **«سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»**، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهِ مِنَ الرُّكُوعِ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْواً مِنْ رُكُوعِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: **«لِرَبِّي الْحَمْدُ»**، ثُمَّ سَجَدَ فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْواً مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: **«سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى»**، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ، وَكَانَ يَقْعُدُ فِيمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْواً مِنْ سُجُودِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: **«رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»**، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَرَأَ فِيهِنَّ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءَ وَالْمَائِدَةَ أَوِ الأَنْعَامَ، شَكَّ شُعْبَةُ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

---

(١) لأنظرنّ بتأمّل.

(٢) أي: بعد النيّة.

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ بِلَفْظِ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِئَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْواً مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**» (زَادَ فِي رِوَايَةٍ: «**رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ**»)، ثُمَّ قَامَ قِيَاماً طَوِيلاً قَرِيباً مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**» فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيباً مِنْ قِيَامِهِ. وَزَادَ النَّسَائِيُّ: لاَ يَمُرُّ بِآيَةِ تَخْوِيفٍ أَوْ تَعْظِيمٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ ذَكَرَهُ.

وَقَدْ كَانَتْ هَيْئَةُ صَلاَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ثَلاَثَةَ أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ كَانَ أَكْثَرُ صَلاَتِهِ قَائِماً. فَعَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُهُ ﷺ فِي سُبْحَتِهِ قَاعِداً، حَتَّى كَانَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِعَامٍ فَكَانَ يُصَلِّي فِي سُبْحَتِهِ قَاعِداً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ[١]. (وَالسُّبْحَةُ: النَّافِلَةُ).

الثَّانِي: كَانَ يُصَلِّي قَاعِداً، وَيَرْكَعُ قَاعِداً. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ[٢] مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

الثَّالِثُ: كَانَ يَقْرَأُ قَاعِداً، فَإِذَا بَقِيَ يَسِيرٌ مِنْ قِرَاءَتِهِ قَامَ فَرَكَعَ قَائِماً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ، وَلَفْظُهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي جَالِساً، وَيَقْرَأُ وَهُوَ جَالِسٌ، فَإِذَا بَقِيَ مِنْ قِرَاءَتِهِ قَدْرَ مَا يَكُونُ ثَلاَثِينَ آيَةً أَوْ أَرْبَعِينَ آيَةً، قَامَ وَقَرَأَ وَهُوَ قَائِمٌ، ثُمَّ رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ يَفْعَلُ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ ذٰلِكَ.

---

(١) النسائي والترمذي.

(٢) كمسلم.

وَعَنْ عَائِشَةَ: كَانَ يُصَلِّي مُتَرَبِّعاً. رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ.

وَرُوِيَ[1]: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْوِتْرِ جَالِساً؛ لِبَيَانِ الْجَوَازِ.

وَأَمَّا قِيَامُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ:

فَعَنْ عَائِشَةَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، فَأَطَالَ السُّجودَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ قُبِضَ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذٰلِكَ قُمْتُ حَتَّى حَرَّكْتُ إِبْهَامَهُ فَتَحَرَّكَ، فَرَجَعْتُ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ وَفَرَغَ مِنْ صَلاَتِهِ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ**» أَوْ «**يَا حُمَيْرَاءُ!**» أَظَنَنْتِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ خَاسَ بِكِ ـ أَيْ: غَدَرَ؟ ـ قُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلَكِنْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ قَدْ قُبِضْتَ لِطُولِ سُجُودِكَ، فَقَالَ: «**أَتَدْرِينَ أَيُّ لَيْلَةٍ هٰذِهِ؟**» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**هٰذِهِ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَطَّلِعُ عَلَى عِبَادِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ، وَيَرْحَمُ الْمُسْتَرْحِمِينَ، وَيُؤَخِّرُ أَهْلَ الْحِقْدِ كَمَا هُمْ**» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَقَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجْتُ، فَإِذَا هُوَ بِالْبَقِيعِ رَافِعٌ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «**أَكُنْتِ تَخَافِينَ أَنْ يَحِيفَ[2] اللَّهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ؟**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَتَيْتَ بَعْضَ نِسَائِكَ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَغْفِرُ لأَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ شَعَرِ غَنَمِ كَلْبٍ**»[3] رَوَاهُ أَحْمَدُ. (وَمَعْنَى «يَنْزِلُ» أَيْ: أَمْرُهُ أَوْ مَلَكُهُ).

وَأَمَّا قِيَامُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ: (وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى بِالتَّرَاوِيحِ).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أي: يجور.

(٣) وكانت قبيلة كلب مشهورة بكثرة مواشيها.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ[1]. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا[2]. وَلِمُسْلِمٍ قَالَتْ: كَانَ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي رَمَضَانَ مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ، وَفِي الْعَشْرِ الأَخِيرِ مِنْهُ مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ.

وَعَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ فَصَلَّى بِصَلاَتِهِ نَاسٌ، ثُمَّ صَلَّى مِنَ الْقَابِلَةِ فَكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: **«قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ، وَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ، إِلاَّ أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ»** وَذٰلِكَ فِي رَمَضَانَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا[3].

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قُمْنَا مَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَيْلَةَ ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ الأَوَّلِ، ثُمَّ قُمْنَا مَعَهُ لَيْلَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ قُمْنَا مَعَهُ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ لاَ نُدْرِكَ الْفَلاَحَ ـ أَيْ: السُّحُورَ ـ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

وَأَمَّا عَدَدُ الرَّكَعَاتِ الَّتِي كَانَ ﷺ يُصَلِّيهَا فِي رَمَضَانَ:

فَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ: كَيْفَ كَانَتْ صَلاَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ؟ قَالَتْ: مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً[4]، يُصَلِّي أَرْبَعاً فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعاً فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاَثاً. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا

---

(١) كناية عن اعتزال النسائي، أو الجِدّ في العبادة.

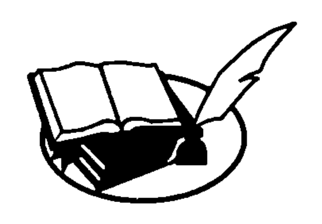
(٢) أبو داود والنسائي.

(٣) كأبي داود.

(٤) وقول عائشة ذلك لا ينافي أنه ﷺ صلّىٰ القيام أكثر من هذا ولم تره رضي الله عنها أو إن قولها محمول علىٰ صلاة الوتر.

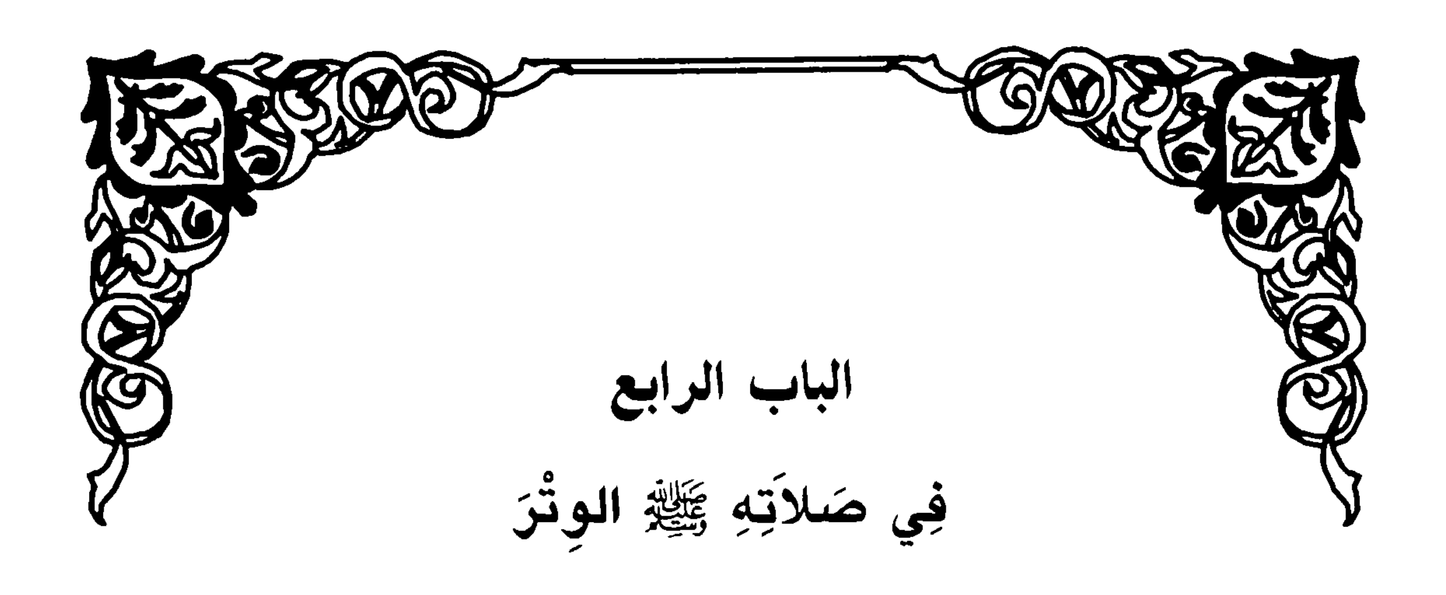
رَسُولَ اللّهِ! أَتَنَامَ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَقَدْ كَانَ ﷺ يُطِيلُ الْقِرَاءَةَ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ بِاللَّيْلِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ، وَقَدْ صَلَّى مَعَهُ حُذَيْفَةُ لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ، قَالَ: فَقَرَأَ بِالْبَقَرَةِ، ثُمَّ النِّسَاءِ، ثُمَّ آلِ عِمْرَانَ، لاَ يَمُرُّ بِآيَةِ تَخْوِيفٍ إِلاَّ وَقَفَ وَسَأَلَ، قَالَ: فَمَا صَلَّى الرَّكْعَتَيْنِ حَتَّى جَاءَهُ بِلاَلٌ فَآذَنَهُ[1] بِالصَّلاَةِ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ، وَعِنْدَهُ أَيْضاً: أَنَّهُ ﷺ مَا صَلَّى إِلاَّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ حَتَّى جَاءَهُ بِلاَلٌ يَدْعُوهُ إِلَى الْغَدَاةِ[2].



(١) أَعلَمه.

(٢) إلىٰ صلاة الفجر.



الباب الرابع

فِي صَلاَتِهِ ﷺ الوِتْرَ

قَدْ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ أَوْتَرَ بِخَمْسٍ وَلَمْ يَجْلِسْ إِلاَّ فِي آخِرِهِنَّ.

وَرَوَى الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ: أَنَّهُ كَانَ ﷺ يُوتِرُ بِثَلاَثٍ لاَ يَقْعُدُ إِلاَّ فِي آخِرِهِنَّ.

وَرَوَى الطَّحَاوِيُّ: مِنْ طَرِيقِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِاللّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ كَانَ يَفْصِلُ بَيْنَ شَفْعِهِ وَوَتْرِهِ بِتَسْلِيمَةٍ، وَأَخْبَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَفْعَلُهُ. وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ.

وَفِي مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنهَا: أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا نَامَ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ فَلَمْ يَقُمْ مِنَ اللَّيْلِ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً. أَيْ: لَمْ يَقْضِ الوِتْرَ، إِذْ لَوْ قَضَاهُ لَصَلَّى ثَلاَثَ عَشْرَةَ.

وَقَالَتْ رَضِيَ اللّهُ عَنهَا: أَوْتَرَ ﷺ مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ؛ مِنْ أَوَّلِهِ وَأَوْسَطِهِ وَآخِرِهِ، وَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا[1]. وَالْمُرَادُ بِأَوَّلِهِ: بَعْدَ صَلاَةِ الْعِشَاءِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ اخْتِلاَفُ وَقْتِ الْوِتْرِ بِاخْتِلاَفِ الأَحْوَالِ، فَحَيْثُ أَوْتَرَ أَوَّلَهُ لَعَلَّهُ كَانَ وَجِعاً، وَحَيْثُ أَوْتَرَ وَسَطَهُ لَعَلَّهُ كَانَ

---

(١) كأصحاب السنن.

مُسَافِراً، وَأَمَّا وِتْرُهُ فِي آخِرِهِ فَكَانَ غَالِبَ أَحْوَالِهِ، لِمَا عُرِفَ مِنْ مُوَاظَبَتِهِ ﷺ عَلَى الصَّلاَةِ آخِرَ اللَّيْلِ. (وَالسَّحَرُ: قُبَيْلَ الصُّبْحِ).

وَرَوَى أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذٍ، قَالَ ﷺ: «**زَادَنِي رَبِّي صَلاَةً وَهِيَ الْوِتْرُ، وَقْتُهَا مِنَ الْعِشَاءِ[1] إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ**».

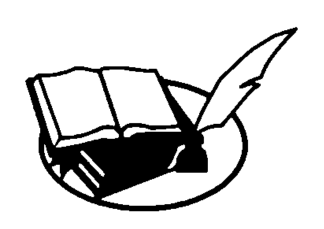
وَعَنْ عَلِيٍّ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوتِرُ بِثَلاَثٍ، يَقْرَأُ فِيهِنَّ بِتِسْعِ سُوَرٍ مِنَ الْمُفَصَّلِ[2]، يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِثَلاثِ سُوَرٍ، آخِرُهُنَّ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَعَنْ عَائِشَةَ: كَانَ ﷺ يَقْرَأُ فِي الأُولَى بِـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١﴾ وَفِي الثَّانِيَةِ بِـ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١﴾ وَفِي الثَّالِثَةِ بِـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَلأَبِي دَاوُدَ: كَانَ إِذَا سَلَّمَ قَالَ: «**سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ**» وَعِنْدَ النَّسَائِيِّ: ثَلاَثاً، يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالثَّالِثَةِ.

وَعَنْ عَلِيٍّ: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَقُولُ فِي آخِرِ وِتْرِهِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[3].

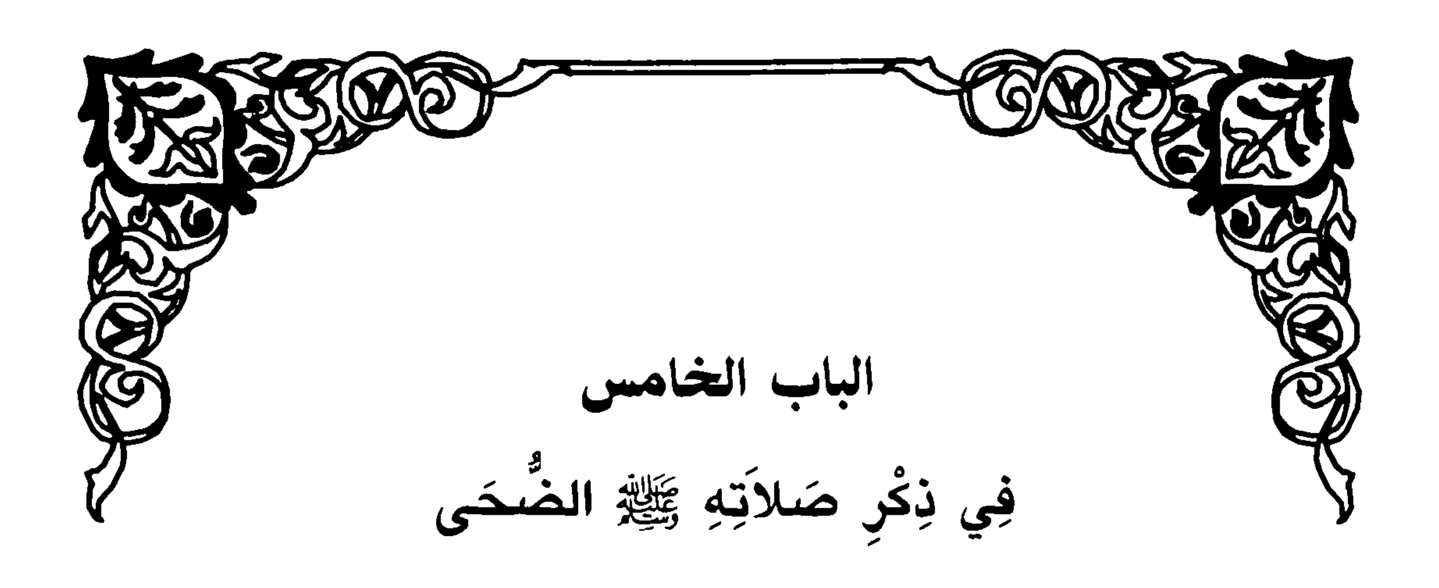
وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَقْرَأُ فِي سُنَّةِ الْفَجْرِ وَفِي الْوِتْرِ بِسُورَتَي الإِخْلاَصِ، وَهُمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١﴾.



(١) أي: من صلاتها.

(٢) أي: من قصاره.

(٣) كالترمذي والنسائي.



الباب الخامس

فِي ذِكْرِ صَلاَتِهِ ﷺ الضُّحَى

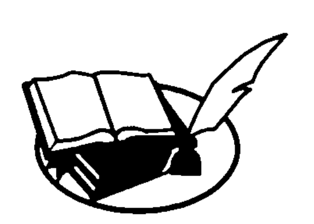
رَوَى عَبْدُاللّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى أَنَّهُ ﷺ صَلَّى الضُّحَى رَكْعَتَيْنِ(١).

وَرَوَتْ عَائِشَةُ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّيهَا أَرْبعاً، وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللّهُ(٢).

وَرَوَى جَابِرٌ وَمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ أَنَّهُ ﷺ صَلاَّهَا سِتَّ رَكَعَاتٍ(٣).

وَرَوَتْ أُمُّ هَانِىءٍ وَأَنَسٌ أَنَّهُ صَلاَّهَا ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ(٤).

وَرَوَتْ أُمُّ سَلَمَةَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُصَلِّيهَا ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً(٥).



---

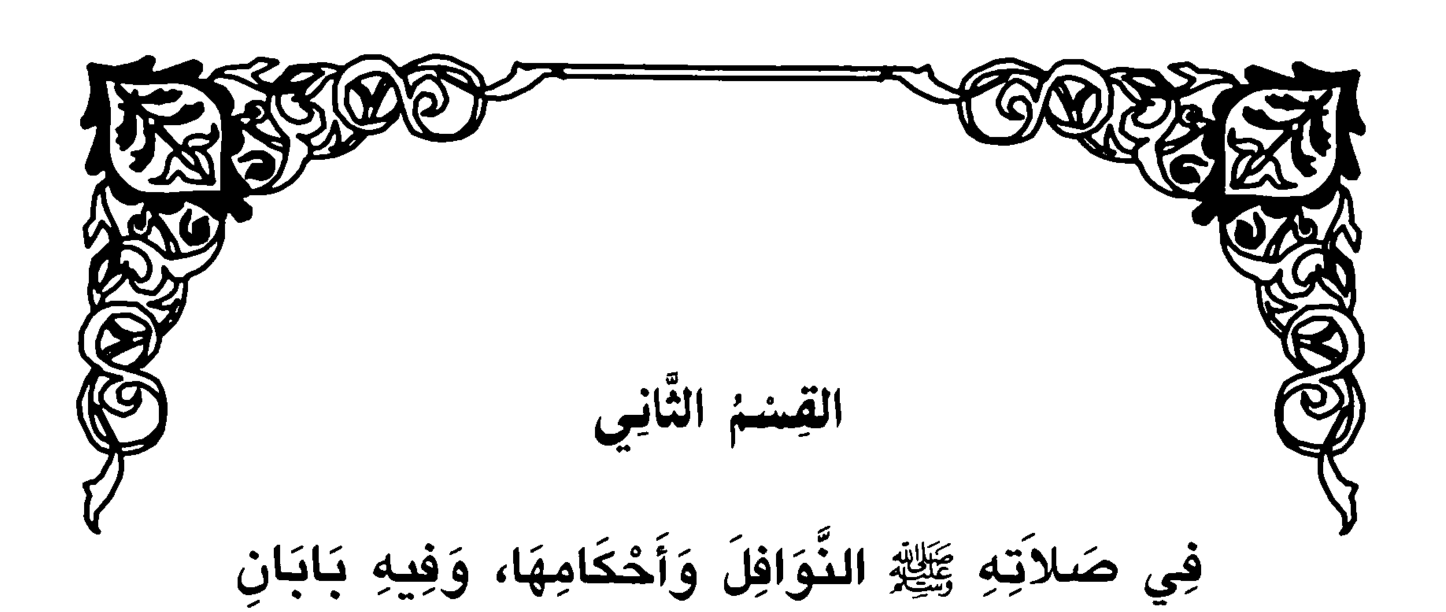
(١) رواه الحاكم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الحاكم.

(٤) رواه الشيخان.

(٥) رواه الحاكم.



القِسمُ الثّانِي

فِي صَلاَتِهِ ﷺ النَّوَافِلَ وَأَحْكَامِهَا، وَفِيهِ بَابَانِ

الباب الأول

فِي النَّوَافِلِ الْمَقْرُونَةِ بِالأَوْقَاتِ، وَفِيهِ فَصْلاَنِ

الفصل الأول

فِي رَوَاتِبِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجُمُعَةِ، وَفِيهِ سَبْعَةُ فُرُوعٍ

الْفَرْعُ الأَوَّل: فِي أَحَادِيثَ جَامِعَةٍ لِرَوَاتِبَ مُشْتَرَكَةٍ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ رَكْعَتَيْنِ، وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ، وَبَعْدَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ، وَبَعْدَ صَلاَةِ الْعِشَاءِ رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ لاَ يُصَلِّي بَعْدَ الْجُمُعَةِ حَتَّى يَنصَرِفَ، فَيُصَلِّي فِي بَيْتِهِ رَكْعَتَيْنِ. قَالَ: وَأَخْبَرَتْنِي

حَفْصَةُ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ إِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ مِنَ الأَذَانِ لِصَلاَةِ الصُّبْحِ وَبَدَا لَهُ الصُّبْحُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ تُقَامَ الصَّلاَةُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ يُصَلِّي فِي بَيْتِهِ قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبعاً، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ الظُّهْرَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. ثُمَّ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ، وَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. الْحَدِيثِ وَفِي آخِرِهِ: وَكَانَ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الْفَرْعُ الثَّانِي: فِي رَكْعَتَي الْفَجْرِ:

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: لَمْ يَكُنْ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ تَعَاهُداً مِنْهُ عَلَى رَكْعَتَيْ الْفَجْرِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا[1]. وَلِمُسْلِم: «**لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعاً**»، وَكَانَ يُصَلِّيهِمَا إِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ بَعْدَ أَنْ يَسْتَنِيرَ الْفَجْرَ، وَيُخَفِّفُهُمَا. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَهٰذَا لَفْظُ النَّسَائِيِّ.

وَكَانَ ﷺ كَثِيراً مَا يَقْرَأُ فِي الأُولَى مِنْهُمَا: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾[2] الآيَةَ، وَفِي الآخِرَةِ مِنْهُمَا: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[3]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[4] رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ[5] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

---

(١) أبو داود والترمذي.

(٢) ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

(٣) ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ . . .﴾.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٥) أبو داود والنسائي.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَرَأَ ﷺ فِي رَكْعَتَي الْفَجْرِ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۝١﴾ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَرَوَى ابْنُ مَاجَهْ[1] عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**نِعْمَ السُّورَتَانِ يُقْرَأُ بِهِمَا فِي رَكْعَتَي الْفَجْرِ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۝١﴾**».

وَكَانَ ﷺ إِذَا صَلَّى رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

الْفَرْعُ الثَّالِثُ: فِي رَاتِبَةِ الظُّهْرِ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَرَوَى[2] عَنْ عَائِشَةَ: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لاَ يَدَعُ أَرْبَعاً قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ[3]. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ: الأَرْبَعُ كَانَتْ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَحْوَالِهِ، وَالرَّكْعَتَانِ فِي قَلِيلِهَا.

وَرَوَى الْبَزَّارُ مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يُصَلِّي بَعْدَ نِصْفِ النَّهَارِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَرَاكَ تَسْتَحِبُّ الصَّلاَةَ هٰذِهِ السَّاعَةَ. قَالَ: «**تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَنْظُرُ اللّهُ تَعَالَى إِلَى خَلْقِهِ بِالرَّحْمَةِ، وَهِيَ صَلاَةٌ كَانَ يُحَافِظُ عَلَيْهَا آدَمُ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى**».

وَعَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ السَّائِبِ: كَانَ ﷺ يُصَلِّي أَرْبَعاً بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ

---

(١) بإسناد قوي.

(٢) أي: البخاري.

(٣) أي: الفجر.

قَبلَ الظُّهرِ، وَقَالَ: «**إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ**».

الْفَرْعُ الرَّابِعُ: فِي سُنَّةِ الْعَصْرِ:

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ ﷺ يُصَلِّي قَبْلَ الْعَصْرِ رَكْعَتَيْنِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(١).

وَعَنْهُ كَرَّمَ اللَّهِ وَجْهَهُ: كَانَ ﷺ يُصَلِّي قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ بِالتَّسْلِيمِ عَلَى الْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ(٢)، وَرَوَى أَيْضاً(٣) أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**رَحِمَ اللَّهُ امْرءاً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعاً**».

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ: مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنهَا: أَنَّهُ كَانَ ﷺ يُصَلِّي بَعْدَ الْعَصْرِ رَكْعَتَيْنِ، وَيَنْهَى عَنْهُمَا(٤).

الْفَرْعُ الْخَامِسُ: فِي رَاتِبَةِ الْمَغْرِبِ:

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: مَا أُحْصِي مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَفِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاةِ الْفَجْرِ بـ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ ﷺ يُطِيلُ الْقِرَاءَةَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ حَتَّى يَتَفَرَّقَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

---

(١) بإسناد صحيح.
(٢) والنسائي.
(٣) أي: الترمذي وحسّنه، وأحمد وأبو داود، وصححه ابن حبان.
(٤) تمام الحديث: «ويواصل وينهىٰ عن الوصال».

وَأَمَّا الرَّكْعَتَانِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ فَلَمْ يُصَلِّهِمَا، وَصَلاَّهُمَا أَصْحَابُهُ، فَأَقَرَّهُمْ عَلَيْهِمَا. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَنَسٍ(١).

الْفَرْعُ السَّادِسُ: فِي رَاتِبَةِ الْعِشَاءِ:

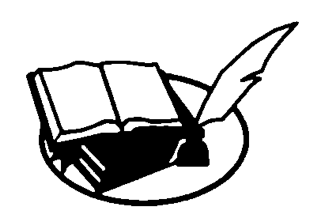
قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعِشَاءَ قَطُّ فَدَخَلَ بَيْتِي إِلاَّ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، أَوْ سِتَّ رَكَعَاتٍ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَفِي مُسْلِمٍ: قَالَتْ عَائِشَةُ: ثُمَّ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ، فَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. وَكَذَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ.

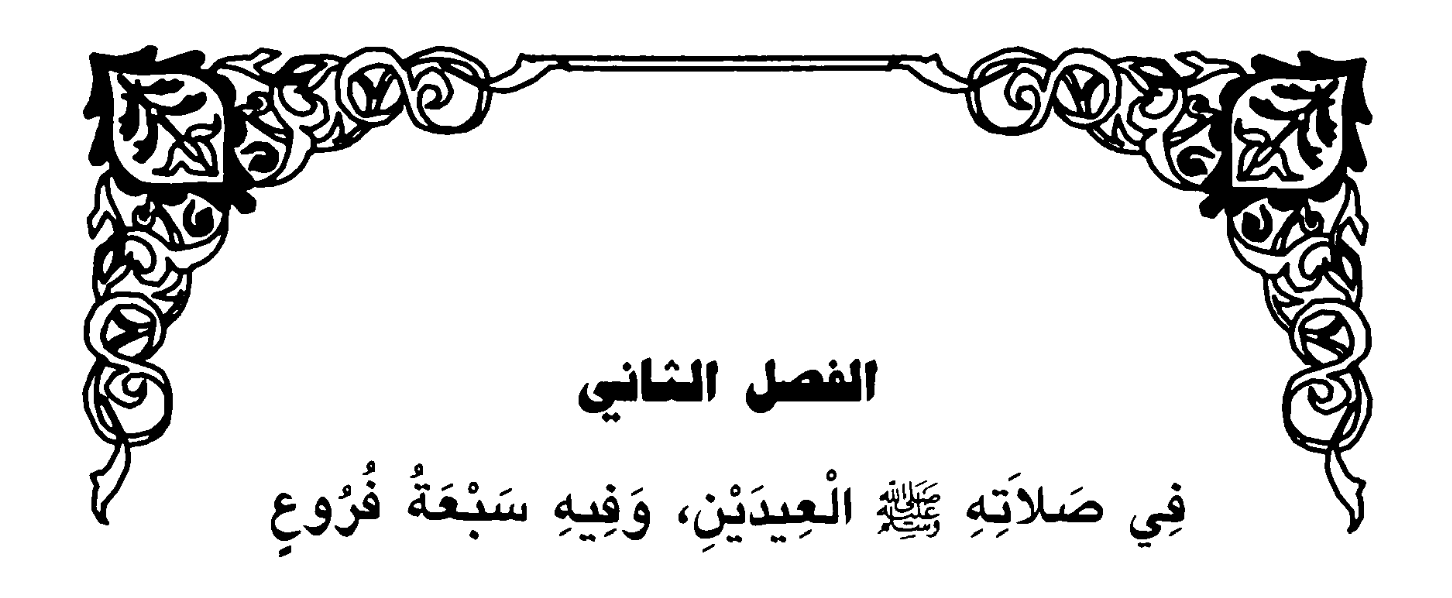
الْفَرْعُ السَّابِعُ: فِي رَاتِبَةِ الْجُمُعَةِ:

كَانَ ابْنُ عُمَرَ يُطِيلُ الصَّلاَةَ قَبْلَ الْجُمُعَةِ، وَيُصَلِّي بَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ، وَيُحَدِّثُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَفْعَلُ ذٰلِكَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حِبَّانَ.

وَدَخَلَ سُلَيْكٌ الْغَطَفَانِيُّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ ﷺ يَخْطُبُ، فَقَالَ لَهُ: «**صَلَّيْتَ؟**» قَالَ: لاَ، قَالَ: «**قُمْ فَارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.



(١) ولفظه: «رآنا ﷺ فلم يأمرنا ولم ينهنا».



الفصل الثاني

فِي صَلاَتِهِ ﷺ الْعِيدَيْنِ، وَفِيهِ سَبْعَةُ فُرُوعٍ

الْفَرْعُ الأَوَّلُ: فِي عَدَدِ الرَّكَعَاتِ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ عِيدٍ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُصَلِّ قَبْلَهُمَا وَلاَ بَعْدَهُمَا، ثُمَّ أَتَى إِلَى النِّسَاءِ - وَبِلاَلٌ مَعَهُ - فَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ، فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تَتَصَدَّقُ بِخُرْصِهَا وَسِخَابِهَا. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا. (وَالْخُرْصُ: حَلْقَةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ[1]. وَالسِّخَابُ: قِلاَدَةٌ مِنْ عَنْبَرٍ أَوْ قَرَنْفُلٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَلاَ يَكُونُ فِيهِ خَرَزٌ).

الْفَرْعُ الثَّانِي: فِي عَدَدِ التَّكْبِيرِ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ يُكَبِّرُ فِي الْفِطْرِ وَالأَضْحَى فِي الأُولَى: سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ، وَفِي الثَّانِيَةِ: خَمْسَ تَكْبِيرَاتٍ، سِوَى تَكْبِيرَتَي الإِحْرَامِ وَالرُّكُوعِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

الْفَرْعُ الثَّالِثُ: فِي الوَقْتِ وَالْمَكَانِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ

---

(١) تُعلَّق في شحمة الأذن.

وَالأَضْحَى إِلَى الْمُصَلَّى، فَأَوَّلُ شَيْءٍ يَبْدَأُ بِهِ الصَّلاَةُ. الْحَدِيثَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

الْفَرْعُ الرَّابِعُ: فِي الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ الْعِيدَيْنِ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلاَ مَرَّتَيْنِ بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلاَ إِقَامَةٍ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الْفَرْعُ الْخَامِسُ: فِي الْقِرَاءَةِ:

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الأَضْحَى وَالْفِطْرِ بِـ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ فِي الأُولَى، وَ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ فِي الثَّانِيَةِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ[1].

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ بِـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝١﴾، وَرُبَّمَا اجْتَمَعَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَقَرَأَ بِهِمَا. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الْفَرْعُ السَّادِسُ: فِي الْخُطْبَةِ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يُصَلُّونَ الْعِيدَيْنِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا[2].

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ الْعِيدَ، فَبَدَأَ بِالصَّلاَةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ بِلاَ أَذَانٍ وَلاَ إِقَامَةٍ، ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئاً عَلَى بِلاَلٍ، فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللّهِ،

---

(١) أبو داود والترمذي.

(٢) كالترمذي والنسائي.

وَحَثَّ عَلَى طَاعَتِهِ، وَوَعَظَ النَّاسَ وَذَكَّرَهُمْ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ، فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ، فَقَالَ: «**تَصَدَّقْنَ، فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ**»، فَقَامَتِ امْرَأَةٌ مِنْ وَسْطِ[1] النِّسَاءِ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ فَقَالَتْ: لِمَ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: «**لأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ**»، قَالَ: فَجَعَلْنَ يَتَصَدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ، وَيُلْقِينَ فِي ثَوْبِ بِلاَلٍ مِنْ أَقْرَاطِهِنَّ وَخَوَاتِمِهِنَّ[2]. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَلابْنِ خُزَيْمَةَ: خَطَبَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَوْمَ عِيدٍ عَلَى رِجْلَيْهِ. وَهٰذَا يُشْعِرُ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْمُصَلَّى فِي زَمَنِهِ ﷺ مِنْبَرٌ. (وَسَفْعَاءُ: أَيْ فِي خَدَّيْهَا سَوَادٌ. وَالْكُفْرُ هُنَا: سَتْرُ الْحَقِّ. وَالْعَشِيرُ: الزَّوْجُ. وَالأَقْرَاطُ: جَمْعُ قُرْطٍ، مَا يُعَلَّقُ فِي شَحْمَةِ الأُذُنِ).

الْفَرْعُ السَّابِعُ: فِي أَكْلِهِ ﷺ يَوْمَ الْفِطْرِ قَبْلَ خُرُوجِهِ إِلَى الصَّلاَةِ:

عَنْ أَنَسٍ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ لاَ يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمَرَاتٍ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَعَنْهُ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَأْكُلُهُنَّ وِتْراً. رَوَاهُ الْحَاكِمُ.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ لاَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَطْعَمَ، وَلاَ يَطْعَمُ يَوْمَ الأَضْحَى حَتَّى يُصَلِّيَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ[3].

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ فِي الأُمِّ: بَلَغَنَا عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: مَا رَكِبَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِي عِيدٍ وَلاَ جَنَازَةٍ قَطُّ.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْعِيدِ مَاشِياً.

---

(١) كل موضع يصلح فيه (بَيْنَ) فهو وسْط، وإن لم يصلح فيه (بَيْنَ) فهو وسَط.

(٢) في البخاري: وخواتيمهن، وهو الصواب.

(٣) كالحاكم والبزار والطبراني والدارقطني.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ يَوْمَ الْعِيدِ فِي طَرِيقٍ رَجَعَ فِي غَيْرِهِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يُخْرِجُ الْعَنَزَةَ يَوْمَ الْفِطْرِ وَالأَضْحَى، يَرْكُزُهَا فَيُصَلِّي إِلَيْهَا. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ. (وَالْعَنَزَةُ: الْعَصَا الصَّغِيرَةُ).

وَقَدْ ضَحَّى ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّى وَكَبَّرَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَس قَالَ: وَرَأَيْتُهُ وَاضِعاً قَدَمَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا[1] يَقُولُ: «**بِسْمِ اللّهِ، وَاللّهُ أَكْبَرُ**». (وَالأَمْلَحُ: هُوَ الَّذِي يُخَالِطُ سَوَادَهُ بَيَاضٌ، وَالْبَيَاضُ أَكْثَرُ. وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ: الأَغْبَرُ. وَقَالَ ابْنُ الأَعْرَابِيِّ: الأَبْيَضُ الْخَالِصُ).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: أَنَّهُ ﷺ أَمَرَ بِكَبْشٍ يَطَأُ فِي سَوَادٍ، وَيَبْرُكُ فِي سَوَادٍ، فَأُتِيَ بِهِ لِيُضَحِّيَ بِهِ، قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ هَلُمِّي الْمُدْيَةَ**»[2]، ثُمَّ قَالَ: «**اشْحَذِيهَا بِحَجَرٍ**»، فَفَعَلْتُ، ثُمَّ أَخَذَهَا وَأَخَذَ الْكَبْشَ فَأَضْجَعَهُ، ثُمَّ ذَبَحَهُ، قَالَ: «**بِسْمِ اللّهِ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ**»، ثُمَّ ضَحَّى بِهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

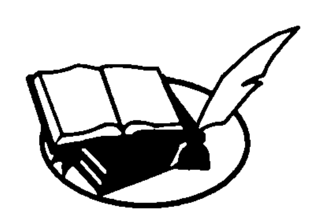
وَمَعْنَى «يَطَأُ فِي سَوَادٍ وَيَبْرُكُ فِي سَوَادٍ»: أَنَّ قَوَائِمَهُ سُودٌ، وَمَا يُلاَقِي مَحَلَّ بُرُوكِهِ مِنْ بَدَنِهِ أَسْوَدُ، وَفِي رِوَايَةٍ: وَيَنْظُرُ فِي سَوَادٍ، أَيْ مَحَاجِرُهُ سُودٌ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ هٰذَا هُوَ الْمُرَادُ بِالأَمْلَحِ.

وَعَنْ جَابِرٍ: ذَبَحَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ كَبْشَيْنِ أَقْرَنَيْنِ[3] أَمْلَحَيْنِ مَوْجُوءَيْنِ، فَلَمَّا وَجَّهَهُمَا قَالَ: «**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوَاتِ**

---

(١) جانب كل منهما.
(٢) أي: أعطني السكّين.
(٣) لهما قرون.

وَالأَرْضَ، عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً[1] وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي[2] وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَبِذٰلِكَ أُمِرْتُ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ، بِسْمِ اللّهِ، وَاللّهُ أَكْبَرُ»، ثُمَّ ذَبَحَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[3]. وَفِي رِوَايَةٍ لأَحْمَدَ وَالتِّرْمِذِيِّ: ذَبَحَ بِيَدِهِ وَقَالَ: «بِسْمِ اللّهِ، وَاللّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ هٰذَا عَنِّي وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحِّ مِنْ أُمَّتِي». (وَمَوْجُوءَيْنِ: مَخْصِيَّيْنِ).

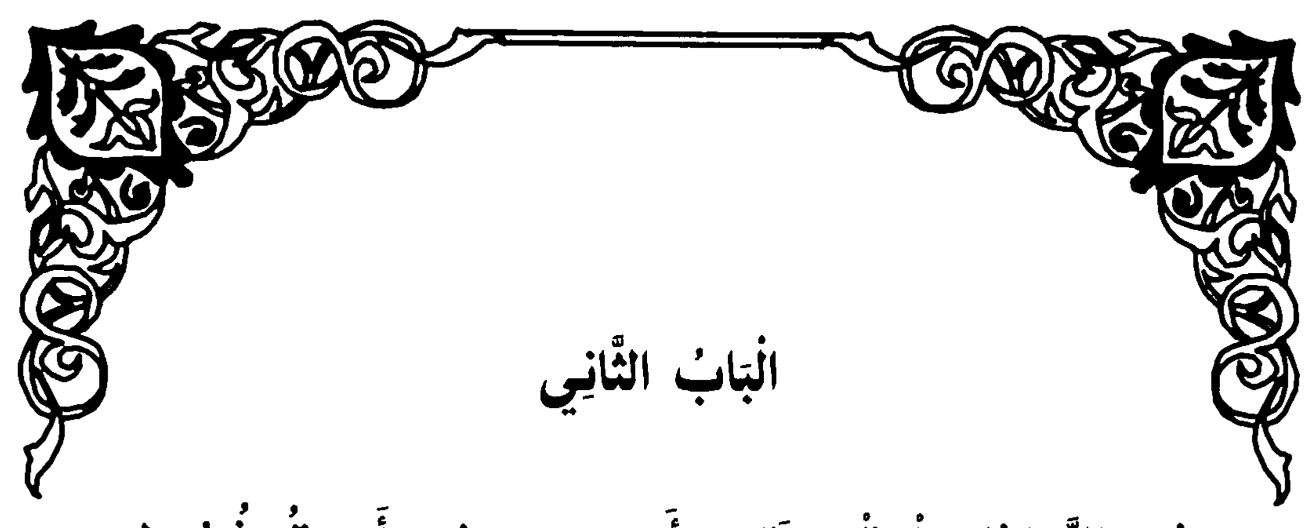


---

(١) مستقيماً.

(٢) ذبحي.

(٣) كابن ماجه والدارمي.



البَابُ الثَّانِي

فِي النَّوَافِلِ الْمَقْرُونَةِ بِالأَسْبَابِ، وَفِيهِ أَرْبَعَةُ فُصُولٍ

الفصل الأول

فِي صَلاَتِهِ ﷺ الْكُسُوفَ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَامَ قِيَاماً طَوِيلاً نَحْواً مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعاً طَوِيلاً، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَاماً طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعاً طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ قَامَ قِيَاماً طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الْقِيَامَ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعاً طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَاماً طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعاً طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ انْصَرَفَ، وَقَدِ انْجَلَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذٰلِكَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

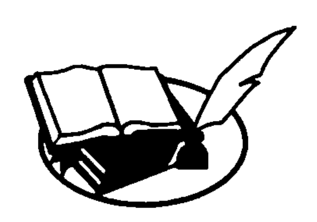
وَفِي حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ وَمَالِكٍ وَالنَّسَائِيِّ قَالَ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ كُنتُ لَمْ أَرَهُ إِلاَّ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هٰذَا، حَتَّى**

الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ، مِثْلَ أَوْ قَرِيباً - لاَ أَدْرِي أَيَّ ذٰلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - **مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، يُؤْتَى أَحَدُكُمْ فِي قَبْرِهِ فَيُقَالُ لَهُ: مَا عِلْمُكَ بِهٰذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُوقِنُ** - لاَ أَدْرِي أَيَّ ذٰلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - **فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا، هُوَ مُحَمَّدٌ** - ثَلاَثاً - **فَيُقَالُ: نَمْ صَالِحاً، قَدْ عَلِمْنَا أَنْ كُنْتَ لَمُوقِناً. وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوِ الْمُرْتَابُ** - لاَ أَدْرِي أَيَّ ذٰلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - **فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً فَقُلْتُهُ**».

وَعِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ: أَنَّهُ لَمَّا سَلَّمَ مِنْ صَلاَةِ الْكُسُوفِ حَمِدَ اللّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَشَهِدَ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ، وَشَهِدَ أَنَّهُ عَبْدُ اللّهِ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! أُنْشُدُكُمْ بِاللّهِ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي قَصَّرْتُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالاَتِ رَبِّي لَمَّا أَخْبَرْتُمُونِي ذٰلِكَ**»، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: «**نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ رِسَالاَتِ رَبِّكَ، وَنَصَحْتَ لأُمَّتِكَ، وَقَضَيْتَ الَّذِي عَلَيْكَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**وَايْمُ اللّهِ**[1] **لَقَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ قُمْتُ أُصَلِّي مَا أَنْتُمْ لاَقُوهُ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ، وَإِنَّهُ وَاللّهِ لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلاَثُونَ كَذَّاباً، آخِرُهُمُ الأَعْوَرُ الدَّجَّالُ، مَنْ تَبِعَهُ لَمْ يَنْفَعْهُ صَالِحٌ مِنْ عَمَلِهِ**».

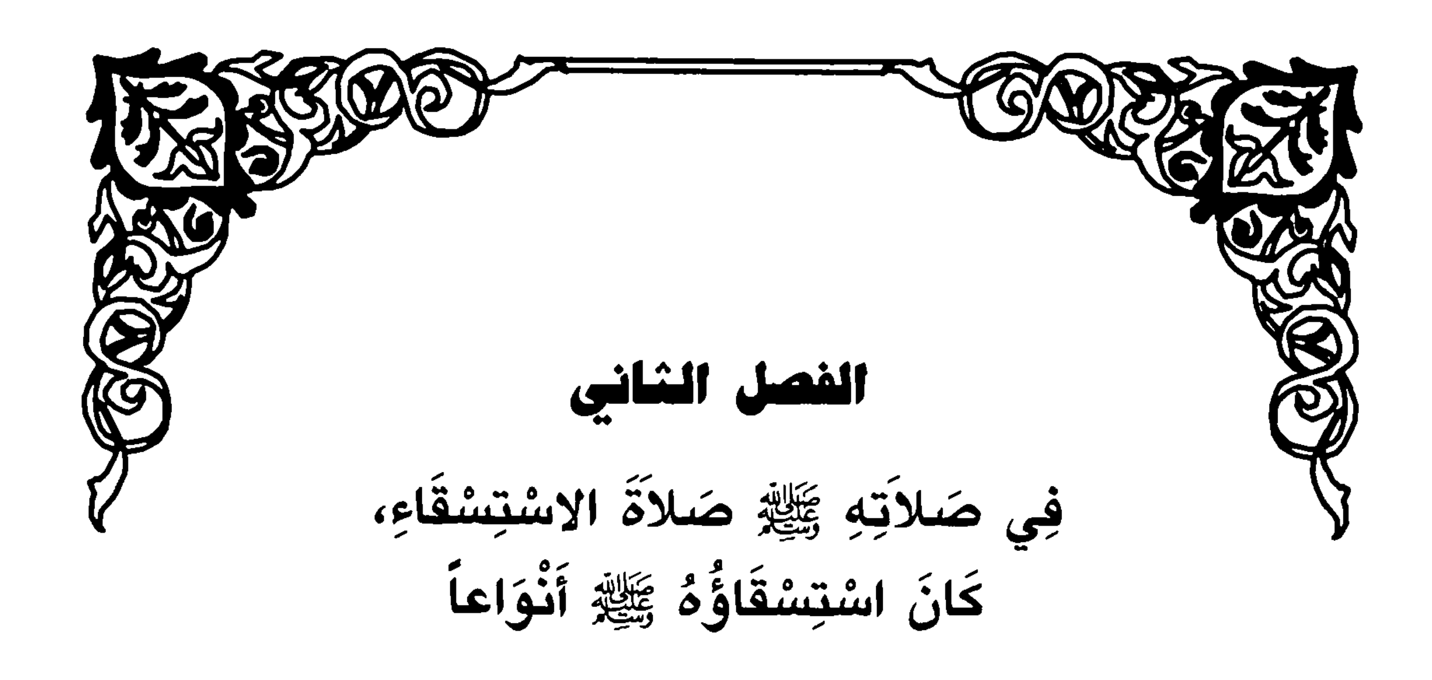
وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: لَمَّا كُسِفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ بَعَثَ مُنَادِياً فَنَادَى: الصَّلاَةُ جَامِعَةٌ[2].

وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ: أَنَّهُ ﷺ صَلَّى فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ رَكْعَتَيْنِ مِثْلَ صَلاَتِكُمْ.



(١) كلمة قَسَم، همزتها همزة وصل.

(٢) رواه الشيخان.



الفصل الثاني

فِي صَلاَتِهِ ﷺ صَلاَةَ الاسْتِسْقَاءِ، كَانَ اسْتِسْقَاؤُهُ ﷺ أَنْوَاعاً

النَّوْعُ الأَوَّلُ
الاسْتِسْقَاءُ بِصَلاَةِ رَكْعَتَيْنِ وَخُطْبَتَيْنِ

وَيَتَأَهَّبُ قَبْلَهُ بِصَدَقَةٍ وَصِيَامٍ وَتَوْبَةٍ، وَإِقْبَالٍ عَلَى الْخَيْرِ، وَمُجَانَبَةِ الشَّرِّ، وَنَحْوِ ذٰلِكَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حِبَّانَ: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: شَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَحْطَ الْمَطَرِ، فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّى، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْماً يَخْرُجُونَ فِيهِ، فَخَرَجَ حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَكَبَّرَ وَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ، وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ**»، ثُمَّ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، الَّذِي لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ، يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ الْغَنِيُّ، وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلاَغاً إِلَى حِينٍ**»، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَى

النَّاسِ ظَهرَهُ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَحَوَّلَ رِدَاءَهُ، وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، وَنَزَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ اللّهُ سَحَاباً، فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللّهِ، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَالَتِ السُّيُولُ، فَلَمَّا رَأَى ذٰلِكَ وَسُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكِنِّ[1] ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَقَالَ: «**أَشْهَدُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنِّي عَبْدُ اللّهِ وَرَسُولُهُ**». (وَالنَّوَاجِذُ: الأَنْيَابُ).

وَلِلشَّيْخَيْنِ عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ زَيْدٍ: أَنَّهُ ﷺ صَلَّى بِهِمْ رَكْعَتَيْنِ، جَهَرَ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ.

وَأَفَادَ ابْنُ حِبَّانَ: أَنَّ خُرُوجَهُ ﷺ إِلَى الْمُصَلَّى لِلاسْتِسْقَاءِ كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سِتٍّ مِنَ الْهِجْرَةِ.

وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَبَّادٍ: اسْتَسْقَى ﷺ وَعَلَيْهِ خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ، فَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ بِأَسْفَلِهَا فَيَجْعَلَهُ أَعْلاَهَا، فَلَمَّا ثَقُلَتْ عَلَيْهِ قَلَبَهَا عَلَى عَاتِقِهِ. (وَالْخَمِيصَةُ: كِسَاءٌ[2] مِنْ صُوفٍ).

النوع الثاني
اسْتِسْقَاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي هٰذَا الْمَعْنَى حَدِيثُ أَنَسٍ الصَّحِيحُ فِي الْفَصْلِ الأَوَّلِ مِنَ الْمَقْصِدِ الرَّابِعِ عِنْدَ الْكَلاَمِ عَلَى مُعْجِزَاتِهِ ﷺ.

---

(١) وهو ما وقى الحرّ والبرد من المساكن.

(٢) لباس.

النوع الثالث
اسْتِسْقَاؤُهُ ﷺ عَلَى مِنْبَرِ الْمَدِينَةِ

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلاَئِلِ[1] مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ عُبَيْدٍ السُّلَمِيِّ قَالَ: لَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَتَاهُ وَفْدٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، وَفِيهِمْ خَارِجَةُ بْنُ حِصْنٍ، وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسٍ ـ وَهُوَ أَصْغَرُهُمْ ـ فَنَزَلُوا فِي دَارِ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ مِنَ الأَنْصَارِ، وَقَدِمُوا عَلَى إِبِلٍ عِجَافٍ[2]، وَهُمْ مُسْنِتُونَ[3]، فَأَتَوْا مُقِرِّينَ بِالإِسْلاَمِ، فَسَأَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بِلاَدِهِمْ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَسْنَتَتْ بِلاَدُنَا، وَأَجْدَبَ جَنَابُنَا[4]، وَغَرِثَ عِيَالُنَا[5]، وَهَلَكَتْ مَوَاشِينَا، فَادْعُ رَبَّكَ أَنْ يُغِيثَنَا، وَتَشَفَّعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، وَيَشْفَعُ رَبُّكَ إِلَيْكَ، فَقَالَ ﷺ: **«سُبْحَانَ اللَّهِ، وَيْلَكَ أَنَا شَفَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ رَبُّنَا إِلَيْهِ؟ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ، وَهُوَ يَئِطُّ مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلاَلِهِ، كَمَا يَئِطُّ الرَّحْلُ الْجَدِيدُ»**[6]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ لَيَضْحَكُ مِنْ شَفَقِكُمْ[7]، وَقُرْبِ غِيَاثِكُمْ»**، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: أَوَيَضْحَكُ رَبُّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **«نَعَمْ»**، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: لَنْ نَعْدَمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْراً، فَضَحِكَ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ، فَقَامَ ﷺ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، وَتَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لاَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنَ الدُّعَاءِ إِلاَّ فِي الاسْتِسْقَاءِ، فَرَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُؤِيَ بَيَاضُ

---

(١) ٦/٣١٥.

(٢) هزيلة.

(٣) أصابتهم سَنَة مجدِبة.

(٤) ناحيتنا.

(٥) جاعوا.

(٦) الرَّحْل: ما يوضع على ظهر البعير للركوب.

(٧) خوفكم. وفي الدلائل: شعَثكم وأذاكم. والشعَث: اتساخ الشعر والبدن.

إِبْطَيْهِ، وَكَانَ مِمَّا حُفِظَ مِنْ دُعَائِهِ: «**اللَّهُمَّ اسْقِ بَلَدَكَ وَبَهِيمَتَكَ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ، وَأَحْيِ بَلَدَكَ الْمَيِّتَ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً مَرِيئاً مَرِيعاً طَبَقاً وَاسِعاً، عَاجِلاً غَيْرَ آجِلٍ، نَافِعاً غَيْرَ ضَارٍّ، اللَّهُمَّ سُقْيَا رَحْمَةٍ لاَ سُقْيَا عَذَابٍ وَلاَ هَدْمٍ وَلاَ غَرَقٍ وَلاَ مَحْقٍ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ، وَانْصُرْنَا عَلَى الأَعْدَاءِ**»، فَقَامَ أَبُو لُبَابَةَ بْنُ عَبْدِالْمُنْذِرِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ التمْرَ فِي الْمَرَابِدِ، فَقَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ اسْقِنَا**»، فَقَالَ أَبُو لُبَابَةَ: إِنَّ التَّمْرَ فِي الْمَرَابِدِ - ثَلاَثَ مَرَّاتٍ -، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**اللَّهُمَّ اسْقِنَا حَتَّى يَقُومَ أَبُو لُبَابَةَ عُرْيَاناً يَسُدُّ ثَعْلَبَ مِرْبَدِهِ بِإِزَارِهِ**»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا فِي السَّمَاءِ مِنْ قَزَعَةٍ[1] وَلاَ سَحَابٍ، وَمَا بَيْنَ الْمَسْجِدِ وَسَلْعٍ[2] مِنْ بِنَاءٍ وَلاَ دَارٍ، فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَاءِ سَلْعٍ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَت السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ وَهُمْ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَوا الشَّمْسَ سَبْتاً - أَيْ: أُسْبُوعاً -، وَقَامَ أَبُو لُبَابَةَ عُرْيَاناً يَسُدُّ ثَعْلَبَ مِرْبَدِهِ بِإِزَارِهِ، لِئَلاَّ يَخْرُجَ التَّمْرُ مِنْهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! يَعْنِي الَّذِي سَأَلَهُ أَنْ يَسْتَسْقِي لَهُمْ: هَلَكَتِ الأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ[3]، فَصَعِدَ ﷺ الْمِنْبَرَ، فَدَعَا وَرَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا حَتَّى رُؤِيَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الإِكَامِ وَالظِّرَابِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**»، فَانْجَابَتِ[4] السَّحَابَةُ عَنِ الْمَدِينَةِ كَانْجِيَابِ الثَّوْبِ.

وَقَوْلُهُ: «مَرِيئاً» أَي مَحْمُودَ الْعَاقِبَةِ لاَ ضَرَرَ فِيه، و«مَرِيعاً» مُخْصِباً.

وَالأَطِيطُ: صَوْتُ الأَقْتَابِ[5]، يَعْنِي: أَنَّ الْكُرْسِيَّ لَيَعْجَزُ عَنْ عَظَمَتِهِ

---

(١) قطعة سحاب.

(٢) اسم جبل.

(٣) الطُرُق.

(٤) انزاحت.

(٥) جمع قَتَب، وهو الرَّحْل الصغير على قدر سنام البعير.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إِذْ كَانَ مَعْلُوماً أَنَّ أَطِيطَ الرَّحْلِ إِنَّمَا يَكُونُ لِقُوَّةِ مَا فَوْقَهُ وَعَجْزِهِ عَنِ احْتِمَالِهِ، وَهٰذَا مَثَلٌ لِعَظَمَتِهِ تَعَالَى وَجَلالِهِ، وَلَمْ يَكُنْ جُلُوسٌ وَلاَ أَطِيطٌ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلاَمٌ لِبَيَانِ عَظَمَةِ اللّهِ تَعَالَى.

«وَطَبَقاً» أَيْ: مَالِئاً لِلأَرْضِ مُغَطِّياً لَهَا.

وَالْمِرْبَدُ: مَوْضِعٌ يُجَفَّفُ فِيهِ التَّمْرُ. وَثَعْلَبُهُ: ثُقْبُهُ الَّذِي يَسِيلُ مِنْهُ مَاءُ الْمَطَرِ.

و«الإِكَامُ» الرَّوَابِي، و«الظِّرَابُ» الْجِبَالُ الصَّغِيرَةُ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَتَيْنَاكَ وَمَا لَنَا صَبِيٌّ يَغِطُّ، وَلاَ بَعِيرٌ يَئِطُّ[1]، وَأَنْشَدَ شِعْراً وَصَفَ بِهِ ضِيقَ حَالِهِمْ مِنَ الْمَحْلِ، فَقَامَ ﷺ يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً مَرِيعاً غَدَقاً طَبَقاً، نَافِعاً غَيْرَ ضَارٍّ، عَاجِلاً غَيْرَ رَائِثٍ[2]، تَمْلأُ بِهِ الضَّرْعَ، وَتُنْبِتُ بِهِ الزَّرْعَ، وَتُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**»، قَالَ: فَمَا رَدَّ ﷺ يَدَيْهِ إِلَى نَحْرِهِ حَتَّى الْتَقَتِ السَّمَاءُ بِأَبْرَاقِهَا[3]، وَجَاءَ أَهْلُ الْبِطَانَةِ[4] يَضِجُّونَ: الْغَرَقَ الْغَرَقَ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا**»، فَانْجَابَتِ السَّحَابَةُ عَنِ الْمَدِينَةِ حَتَّى أَحْدَقَ حَوْلَهَا كَالإِكْلِيلِ، وَضَحِكَ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**لِلّهِ دَرُّ أَبِي طَالِبٍ لَوْ كَانَ حَيّاً لَقَرَّتْ عَيْنَاهُ، مَنْ يُنْشِدُنَا قَوْلَهُ؟**» فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللّهِ كَأَنَّكَ تُرِيدُ قَوْلَهُ:

---

(١) أي: ما لنا بعير أصلاً، لأن البعير لا بدّ أن يئط (يصوّت).

(٢) غير بطيء.

(٣) جمع برق، وهو ما يلمع من السحاب. وفي الدلائل: ألقت السماء بأبراقها (أي: بمطرها).

(٤) الساكنون خارج المدينة.

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى[1]، عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ
تُطِيفُ بِهِ الْهُلاَّكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتُ اللَّهِ يُبْزَى مُحَمَّدٌ وَلَمَّا نُطَاعِنْ حَوْلَهُ وَنُنَاضِلِ
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلاَئِلِ

فَقَالَ ﷺ: «**أَجَلْ**» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ[2].

(وَصَبِيٌّ يَغِطُّ: يُصَوِّتُ. وَيُبْزَى: يُقْهَرُ، أَيْ لاَ يُقْهَرُ مُحَمَّدٌ وَلاَ نُسْلِمُهُ، فَهُمَا عَلَى حَذْفِ حَرْفِ النَّفْيِ).

النوع الرابع
اسْتِسْقَاؤُهُ ﷺ بِالدُّعَاءِ مِنْ غَيْرِ صَلاَةٍ

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ قُرَيْشاً أَبْطَؤُوا عَنِ الإِسْلاَمِ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ[3] حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا، وَأَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْعِظَامَ، فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! جِئْتَ تَأْمُرُ بِصِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ هَلَكُوا، فَادْعُ اللَّهَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسُقُوا الْغَيْثَ، فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ سَبْعاً، وَشَكَا النَّاسُ كَثْرَةَ الْمَطَرِ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا**»، فَانْحَدَرَتِ السَّحَابَةُ عَنْ رَأْسِهِ، فَسُقُوا النَّاسُ[4] حَوْلَهُمْ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِذٰلِكَ بِالْمَدِينَةِ فِي الْقُنُوتِ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ.

---

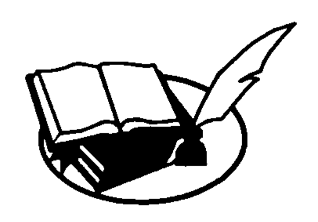
(١) ملجؤهم وغياثهم.
(٢) في دلائل النبوة.
(٣) مجدبة.
(٤) على لغة بني الحارث، كقوله ﷺ: «**يتعاقبون فيكم ملائكة**» وكقوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء: ٣].

النوع الخامس
اسْتِسْقَاؤُهُ ﷺ عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ[1] مِنَ الزَّوْرَاءِ (خَارِجَ بَابِ السَّلَامِ)

عَنْ عُمَيْرٍ مَوْلَى آبِي اللَّحْمِ[2]، أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ اسْتَسْقَى هُنَاكَ رَافِعاً يَدَيْهِ قِبَلَ وَجْهِهِ، لاَ يُجَاوِزُهُمَا رَأْسَهُ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[3].

النوع السادس
اسْتِسْقَاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ

لَمَّا سَبَقَهُ الْمُشْرِكُونَ إِلَى الْمَاءِ، فَأَصَابَ الْمُسْلِمِينَ الْعَطَشُ، فَشَكَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ: لَوْ كَانَ نَبِيًّا لاسْتَسْقَى لِقَوْمِهِ كَمَا اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ، فَبَلَغَ ذَٰلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**أَوَقَدْ قَالُوهَا؟ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَسْقِيَكُمْ**»، ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ وَدَعَا، فَمَا رَدَّ يَدَيْهِ مِنْ دُعَائِهِ حَتَّى أَظَلَّمَ السَّحَابُ وَأُمْطِرُوا إِلَى أَنْ سَالَ الْوَادِي، فَشَرِبَ النَّاسُ وَارْتَوَوْا.

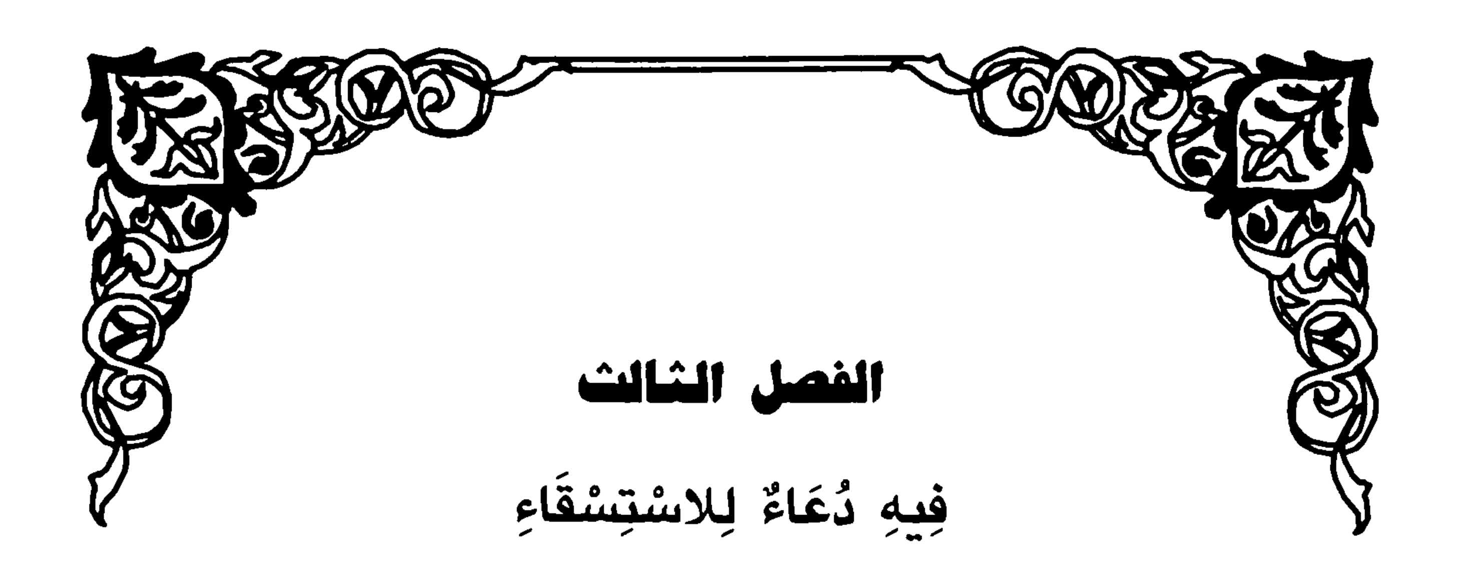


---

(١) سمّيت بذلك لسواد أحجارها، كأنها طُليت بالزيت.

(٢) صوابه: عمير مولىٰ آبي اللحم عن آبي اللحم، كما في أبي داود، سمّي بذلك لامتناعه من أكل اللحم، أو لحم ما ذبح علىٰ النُّصُب في الجاهلية.

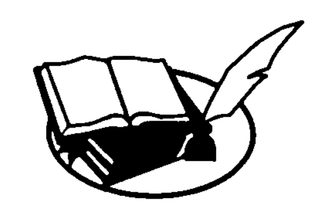
(٣) والترمذي.

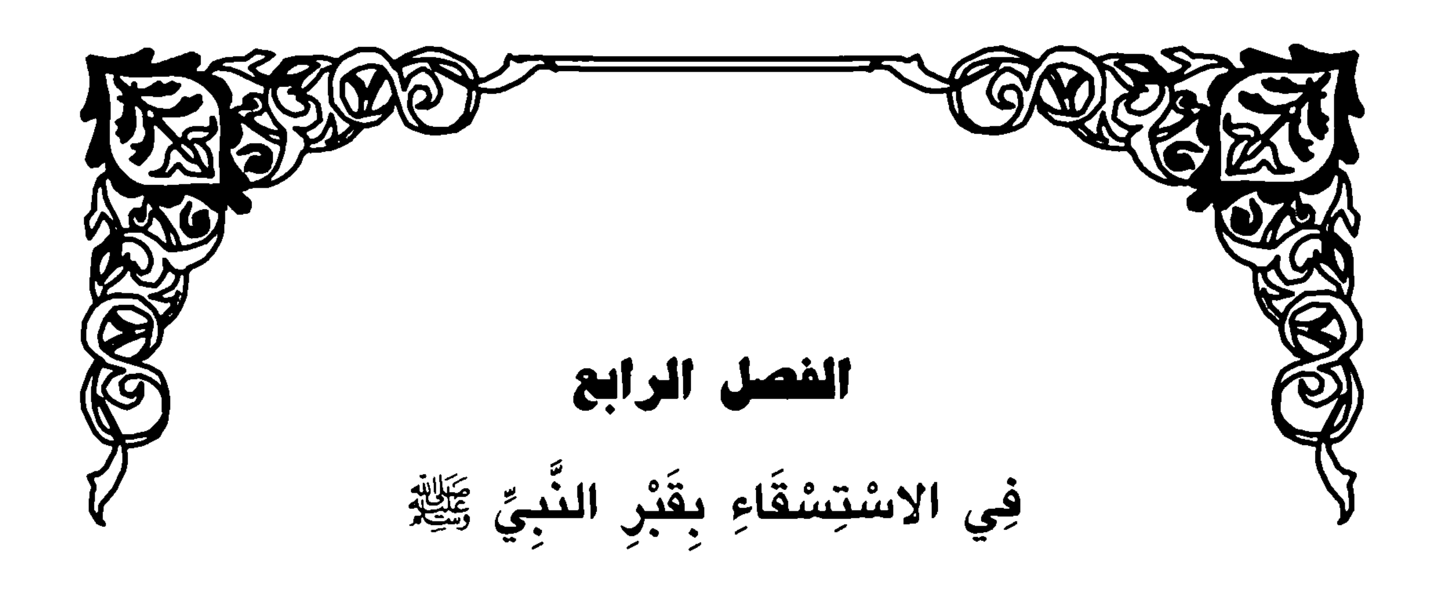


الفصل الثالث

فِيهِ دُعَاءٌ لِلاسْتِسْقَاءِ

عَنْ سَالِم بْنِ عَبْدِاللّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا اسْتَسْقَى قَالَ: «**اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ وَلاَ تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، اللَّهُمَّ إِنَّ بِالْعِبَادِ وَالْبِلاَدِ وَالْبَهَائِمِ وَالْخَلاَئِقِ مِنَ اللأْوَاءِ وَالْجَهْدِ وَالضَّنْكِ مَا لاَ نَشْكُوهُ إِلاَّ إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ أَنْبِتْ لَنَا الزَّرْعَ، وَأَدِرَّ لَنَا الضَّرْعَ، وَاسْقِنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَنْبِتْ لَنَا مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ، اللَّهُمَّ ارْفَعْ عَنَّا الْجَهْدَ وَالْجُوعَ وَالْعُرْيَ، وَاكْشِفْ عَنَّا مِنَ الْبَلاَءِ مَا لاَ يَكْشِفُهُ غَيْرُكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ إِنَّكَ كُنْتَ غَفَّاراً، فَأَرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا مِدْرَاراً**» رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ. (وَاللأْوَاءُ: الشِّدَّةُ. وَالْجَهْدُ: الْمَشَقَّةُ. وَالضَّنْكُ: الضِّيقُ).

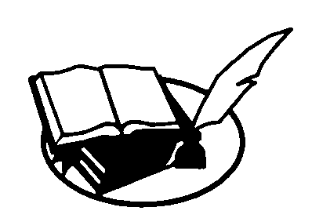




الفصل الرابع

فِي الاسْتِسْقَاءِ بِقَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ

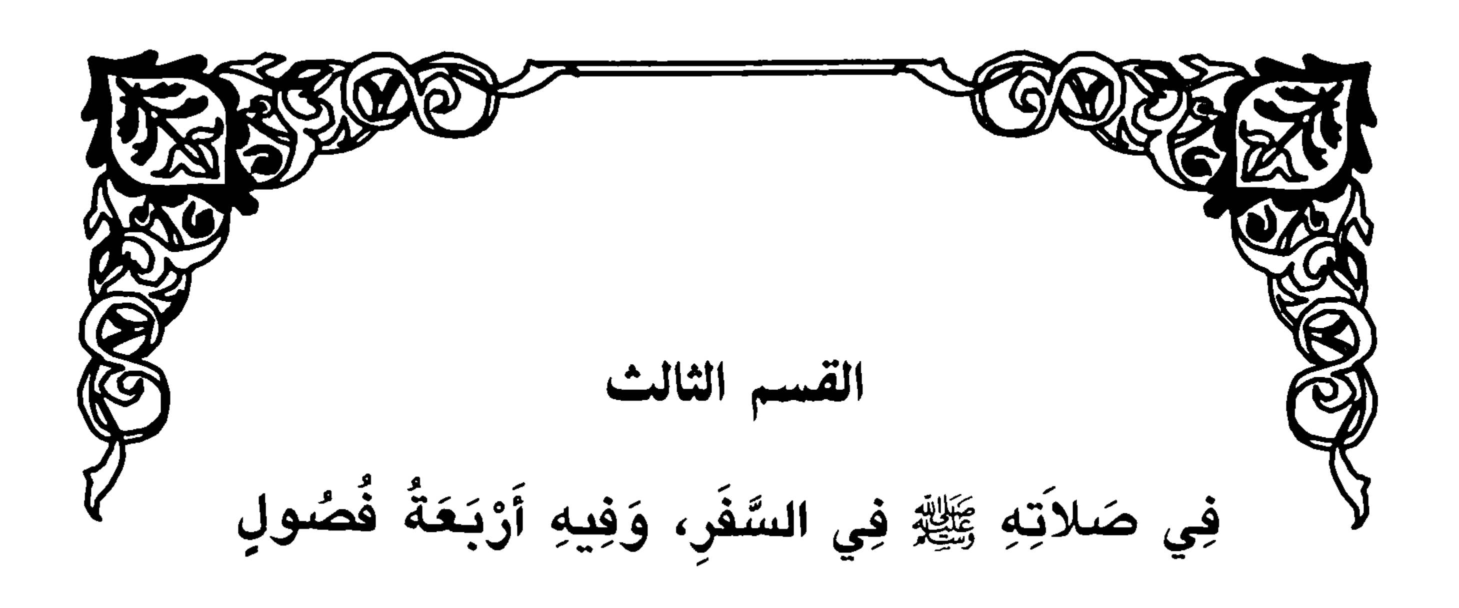
رَوَى أَبُو الْجَوْزَاءِ قَالَ: قَحِطَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَحْطاً شَدِيداً، فَشَكَوْا إِلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: انْظُرُوا قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ فَاجْعَلُوا مِنْهُ كُوَى إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى لاَ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ سَقْفٌ، فَفَعَلُوا، فَمُطِرُوا حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ، وَسَمِنَتِ الإِبِلُ حَتَّى تَفَتَّقَتْ مِنَ الشَّحْمِ، فَسُمِّيَ عَامَ الْفَتْقِ[١]. (وَالْكُوَى: الثُّقُوبُ فِي الْحَائِطِ)[٢].



---

(١) رواه الدارمي.

(٢) وأصاب الناسَ قحطٌ في زمن عمر رضي الله عنه فجاء رجل إلىٰ قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! استسقِ الله لأمّتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه الرسول ﷺ في المنام فقال: **«ائت عمر فأقرئه مني السلام، وأخبِرهم أنهم مُسقَون»** رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح كما في فتح الباري ٥٨٢/٣.



القسم الثالث

فِي صَلاَتِهِ ﷺ فِي السَّفَرِ، وَفِيهِ أَرْبَعَةُ فُصُولٍ

الفصل الأول

فِي قَصْرِهِ ﷺ الصَّلاَةَ فِيهِ، وَفِيهِ فَرْعَانِ

الْفَرْعُ الأَوَّلُ: فِي كَمْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَقْصُرُ الصَّلاَةَ؟

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: صَلَّيْتُ الظُّهْرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ أَرْبَعاً، وَخَرَجَ يُرِيدُ مَكَّةَ، فَصَلَّى بِذِي الْحُلَيْفَةِ[1] الْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَذُو الْحُلَيْفَةِ: بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سِتَّةُ أَمْيَالٍ[2].

وَقَالَ الْجُمْهُورُ: لاَ يَجُوزُ الْقَصْرُ إِلاَّ فِي سَفَرِ مَرْحَلَتَيْنِ[3]. وَأَبُو حَنِيفَةَ: إِلاَّ فِي ثَلاَثِ مَرَاحِلَ[4].

---

(١) وتسمّىٰ (آبار علي) وهي ميقات أهل المدينة.

(٢) والميل ١٧١٨,٧ متراً، والستّة تساوي ١٠ كيلومتراً تقريباً.

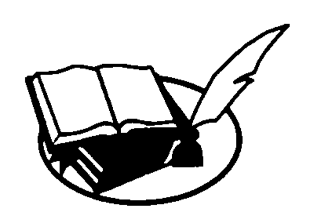
(٣) والمرحلة: سير الإبل المحمّلة ١١ ساعة (وهي أكثر النهار) تقطع في الساعة ٣٧٥٠ متراً، فالمرحلتان ٢٢ ساعة، وهي تعادل ٨٢,٥ كيلومتراً.

(٤) والمرحلة عنده سير ٧ ساعات (وهي من الفجر إلىٰ الزوال في أقصر أيام السنة)، تقطع في الساعة ٤ كيلومترات، فالثلاث ٢١ ساعة، وهي تعادل ٨٤ كيلومتراً.

الْفَرْعُ الثَّانِي: فِي الْقَصْرِ مَعَ الإِقَامَةِ:

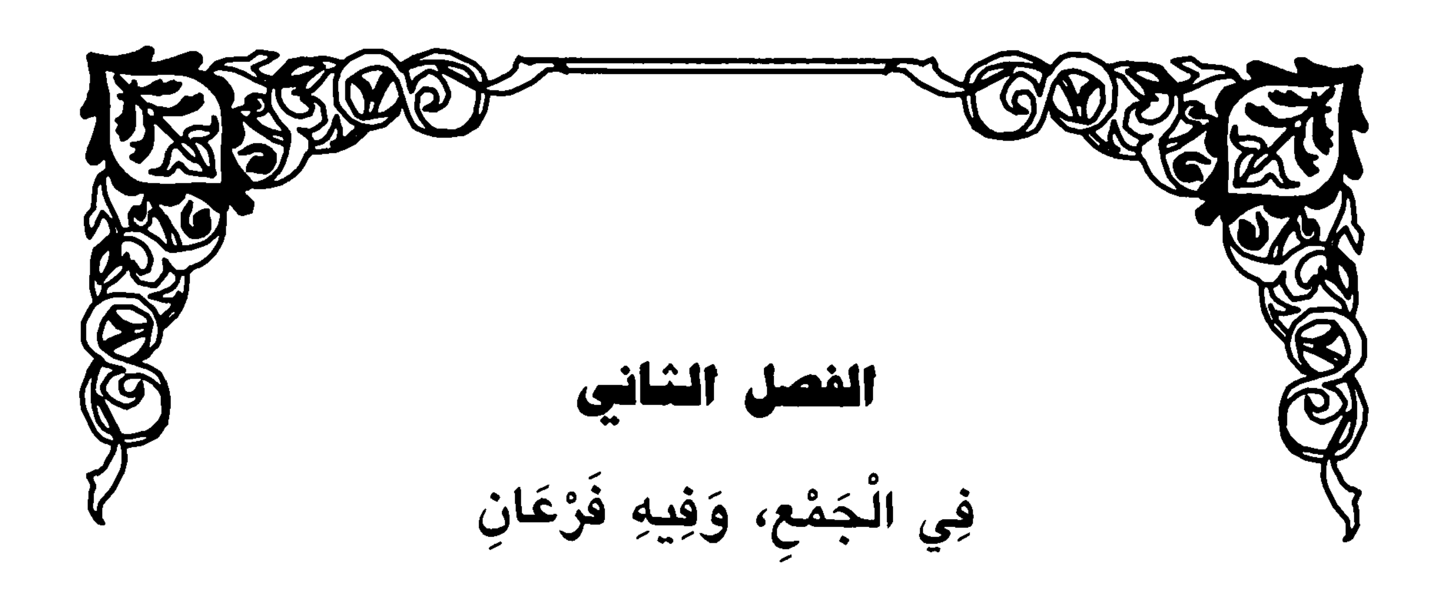
عَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، فَكَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، حَتَّى رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ، قِيلَ لَهُ: أَقَمْتُمْ بِمَكَّةَ شَيْئاً؟ قَالَ: «**أَقَمْنَا بِهَا عَشْراً**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّهُ ﷺ أَقَامَ تِسْعَةَ عَشَرَ يَقْصُرُ الصَّلاَةَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ عَنْهُ: سَبْعَةَ عَشَرَ بِمَكَّةَ. وَفِي رِوَايَتِهِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: ثَمَانِيَ عَشْرَةَ لَيْلَةً[1]. فَالْبَعْضُ عَدَّ يَوْمَي الدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ، وَالْبَعْضُ حَذَفَهُمَا.



---

(١) وهي رخصة لمن توقع انقضاء حاجته كل وقت، فيترخّص إلىٰ ثمانية عشر يوماً، فإن أزمع الإقامة في أول الحال علىٰ أربعة أيام أتمّ.



الفصل الثاني

فِي الْجَمْعِ، وَفِيهِ فَرْعَانِ

الْفَرْعُ الأَوَّلُ: فِي جَمْعِهِ ﷺ بَيْنَ الظُّهْرَيْنِ، وَبَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ:

رَوَى التِّرْمِذِيُّ[1] مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: كَانَ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَرْتَحِلَ جَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، فَإِنْ رَحَلَ قَبْلَ أَنْ تَزِيغَ الشَّمْسُ أَخَّرَ الظُّهْرَ حَتَّى يَنْزِلَ لِلْعَصْرِ. وَفِي الْمَغْرِبِ مِثْلُ ذَلِكَ: إِنْ غَابَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَرْتَحِلَ جَمَعَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَإِنِ ارْتَحَلَ قَبْلَ أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ أَخَّرَ الْمَغْرِبَ حَتَّى يَنْزِلَ لِلْعِشَاءِ، ثُمَّ يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا.

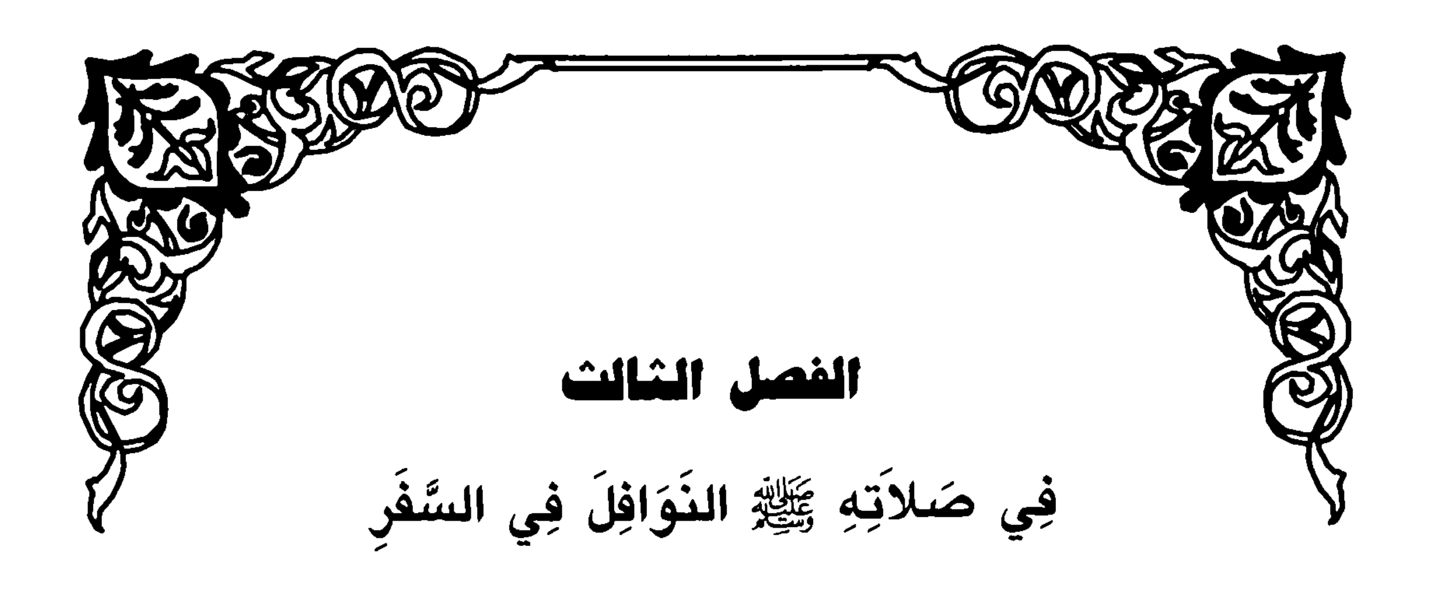
الْفَرْعُ الثَّانِي: فِي جَمْعِهِ ﷺ بِجَمْعٍ (أَيْ: بِمُزْدَلِفَةَ):

رَوَى مُسْلِمٌ عَنِ ابنِ عُمَرَ: أَنَّهُ ﷺ جَمَعَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بِجَمْعٍ، وَصَلَّى الْمَغْرِبَ ثَلاثَ رَكَعَاتٍ، وَصَلَّى الْعِشَاءَ رَكْعَتَيْنِ. وَفِي رِوَايَةِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ: صَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ بِعَرَفَةَ وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا[2]، وَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِجَمْعٍ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا ﷺ.

---

(١) وأبو داود.

(٢) أي: لم يُصَلِّ نافلة.



الفصل الثالث

فِي صَلاَتِهِ ﷺ النَوَافِلَ فِي السَّفَرِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَافَرْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، فَكَانُوا يُصَلُّونَ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، وَلاَ يُصَلَّى قَبْلَهُمَا وَلاَ بَعْدَهُمَا. وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَوْ كُنْتُ مُصَلِّياً قَبْلَهُمَا أَوْ بَعْدَهُمَا لأَتْمَمْتُهُمَا. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

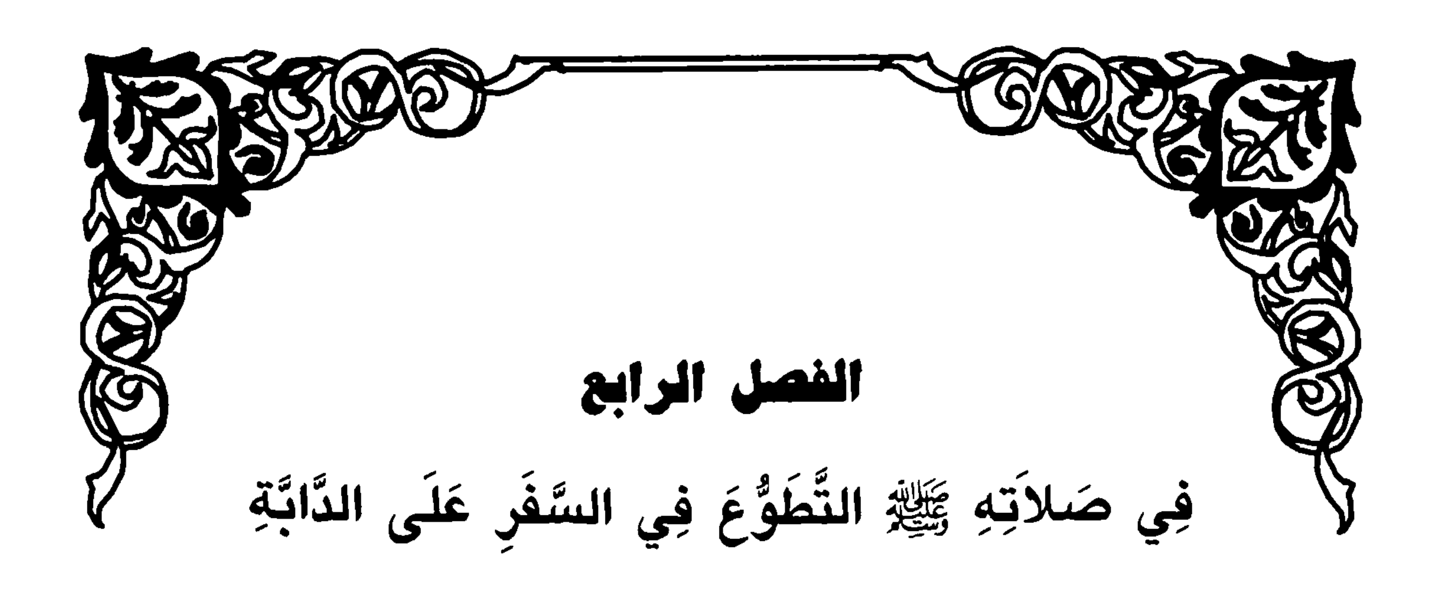
وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْهُ أَيْضاً قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَصَلَّيْتُ مَعَهُ فِي الْحَضَرِ الظُّهْرَ أَرْبَعاً، وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْتُ مَعَهُ فِي السَّفَرِ الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ، وَالْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَلَمْ يُصَلِّ بَعْدَهَا شَيْئاً، وَالْمَغْرِبَ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ سَوَاءً، ثَلاَثَ رَكَعَاتٍ، لاَ تَنْقُصُ فِي حَضَرٍ وَلاَ سَفَرٍ، وَهِيَ وِتْرُ النَّهَارِ، وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ.

وَفِي مُسْلِمٍ فِي قِصَّةِ النَّوْمِ عَنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ: أَنَّهُ ﷺ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الصُّبْحِ، ثُمَّ صَلَّى الصُّبْحَ كَمَا كَانَ يُصَلِّي.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ[1] مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ قَالَ: سَافَرْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ سَفَراً، فَلَمْ أَرَهُ تَرَكَ رَكْعَتَيْنِ إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ.

---

(١) وأبو داود.

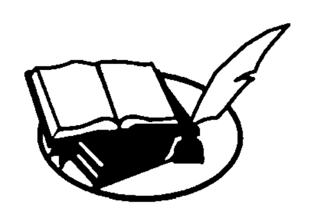


الفصل الرابع

فِي صَلاَتِهِ ﷺ التَّطَوُّعَ فِي السَّفَرِ عَلَى الدَّابَّةِ

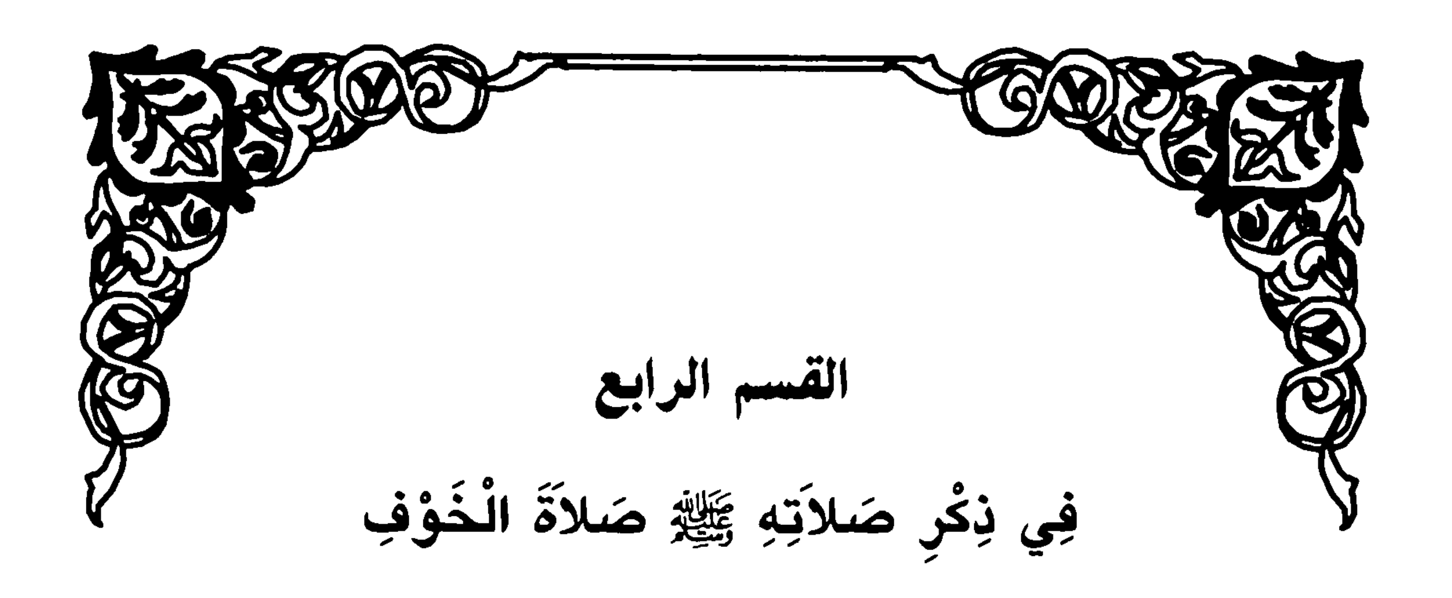
عَنِ ابْنِ عُمَرَ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُصَلِّي سُبْحَتَهُ[1] حَيْثُمَا تَوَجَّهَتْ بِهِ نَاقَتُهُ. وَفِي رِوَايَةٍ: يُصَلِّي وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ حَيْثُ كَانَ وَجْهُهُ.

وَعَنْ أَنَسٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَطَوَّعَ فِي السَّفَرِ اسْتَقْبَلَ بِنَاقَتِهِ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ صَلَّى حَيْثُ تَوَجَّهَتْ رِكَابُهُ. وَهٰذَا حُجَّةُ مَنْ قَالَ: يَسْتَقْبِلُ بِالتَّكْبِيرِ فِي ابْتِدَاءِ الصَّلاَةِ[2].



(١) نافلته.

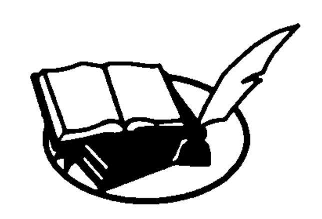
(٢) إن سَهُل عليه.



القسم الرابع

فِي ذِكْرِ صَلاَتِهِ ﷺ صَلاةَ الْخَوْفِ

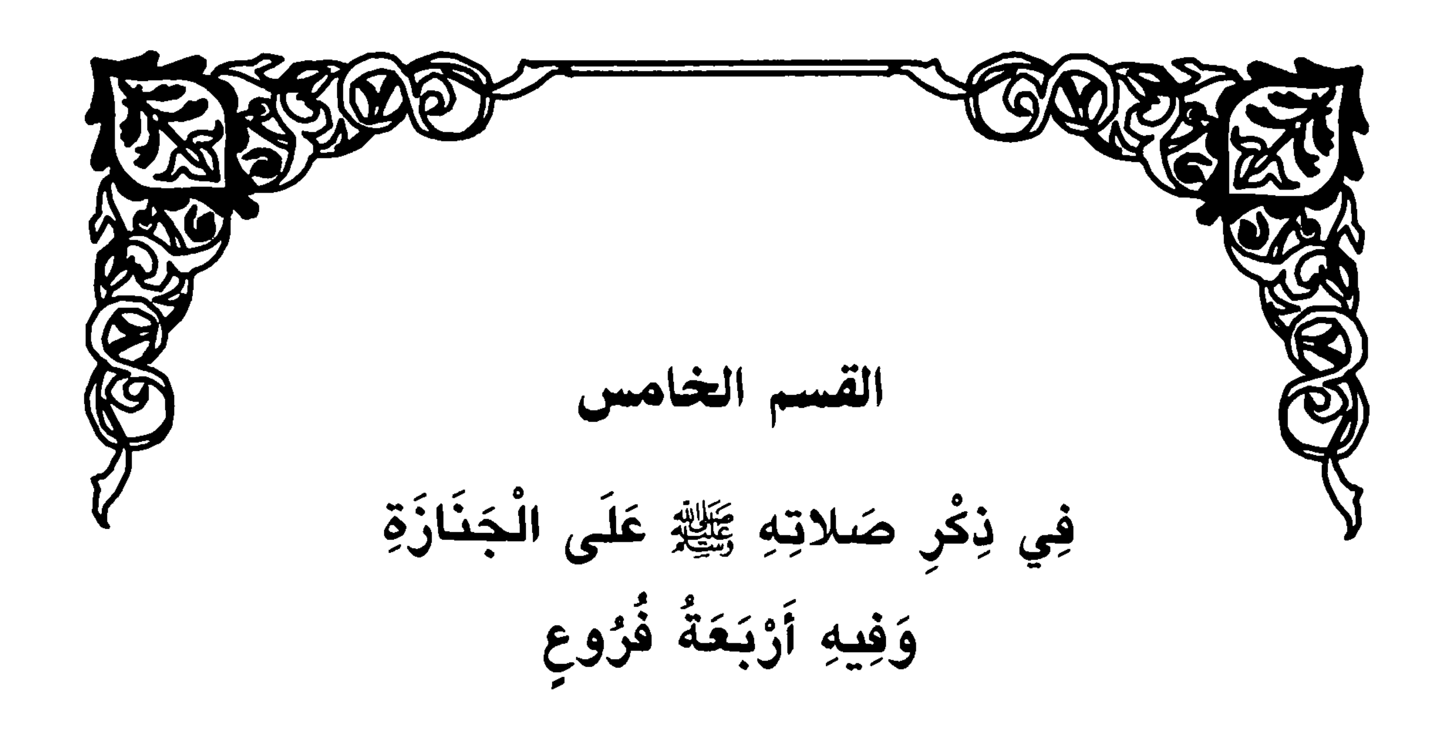
رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ: مِنْ حَدِيثِ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ، عَنْ صَالِحِ بْنِ خَوَّاتٍ، عَمَّن صَلَّى مَعَهُ ﷺ يَوْمَ غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ صَلاَةَ الْخَوْفِ: أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَهُ، وَطَائِفَةٌ وِجَاهَ الْعَدُوِّ، فَصَلَّى بِالَّتِي مَعَهُ رَكْعَةً، ثُمَّ ثَبَتَ قَائِماً[1]، وَأَتَمُّوا لأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ انصَرَفُوا، فَصَفُّوا وِجَاهَ الْعَدُوِّ، وَجَاءَتِ الطَّائِفَةُ الأُخْرَى فَصَلَّى بِهِمْ الرَّكْعَةَ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ صَلاَتِهِ، ثُمَّ ثَبَتَ جَالِساً، وَأَتَمُّوا لأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ سَلَّمَ بِهِمْ، قَالَ مَالِكٌ: وَذٰلِكَ أَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ فِي صَلاَةِ الْخَوْفِ. وَوَافَقَهُ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ[2]. وَلَهَا كَيْفِيَّاتٌ أُخْرَى.



---

(١) في الركعة الثانية.

(٢) وقال أبو حنيفة: لا تُفعَل في جماعة، وعن أبي يوسف: أنها كانت مختصة برسول الله ﷺ.



القسم الخامس

فِي ذِكْرِ صَلاتِهِ ﷺ عَلَى الْجَنَازَةِ
وَفِيهِ أَرْبَعَةُ فُرُوعٍ

الْفَرْعُ الأَوَّلُ: فِي عَدَدِ التَّكْبِيرَاتِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

الْفَرْعُ الثَّانِي: فِي الْقِرَاءَةِ وَالدُّعَاءِ:

رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَالنَّسَائِيُّ[١] عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ[٢]، قَالَ: السُّنَّةُ فِي الصَّلاَةِ عَلَى الْجَنَازَةِ أَنْ يُكَبِّرَ، ثُمَّ يَقْرَأَ بِأُمِّ الْقُرْآنِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يُخْلِصَ الدُّعَاءَ لِلْمَيِّتِ، وَلاَ يَقْرَأُ إِلاَّ فِي الأُولَى[٣].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

---

(١) بإسناد صحيح.

(٢) بل عن أبي أمامة بن سهل بن حُنيف، كما في الأصل والنسائي.

(٣) وتصحّ الفاتحة بعد غيرها من التكبيرات.

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلاً خَيْراً مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجاً خَيْراً مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ**»، قَالَ عَوْفٌ: حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ ذٰلِكَ الْمَيِّتَ لِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ ﷺ إِذَا صَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِسْلَامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمَانِ، اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلاَ تَفْتِنَّا بَعْدَهُ**» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[1].

الْفَرْعُ الثَّالِثُ: فِي صَلاَتِهِ ﷺ عَلَى الْقَبْرِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ[2] الْمَسْجِدَ، فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَ عَنْهَا، فَقَالُوا: مَاتَتْ، قَالَ: «**أَفَلاَ آذَنْتُمُونِي؟**»[3] قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا، فَقَالَ: «**دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهَا**»، فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، زَادَ ابْنُ حِبَّانَ: فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ هٰذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلاَتِي عَلَيْهِمْ**».

---

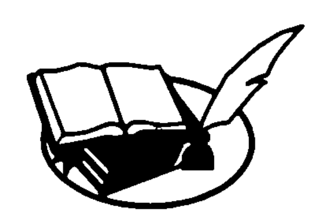
(١) كأبي داود والترمذي.

(٢) تَكْنُس.

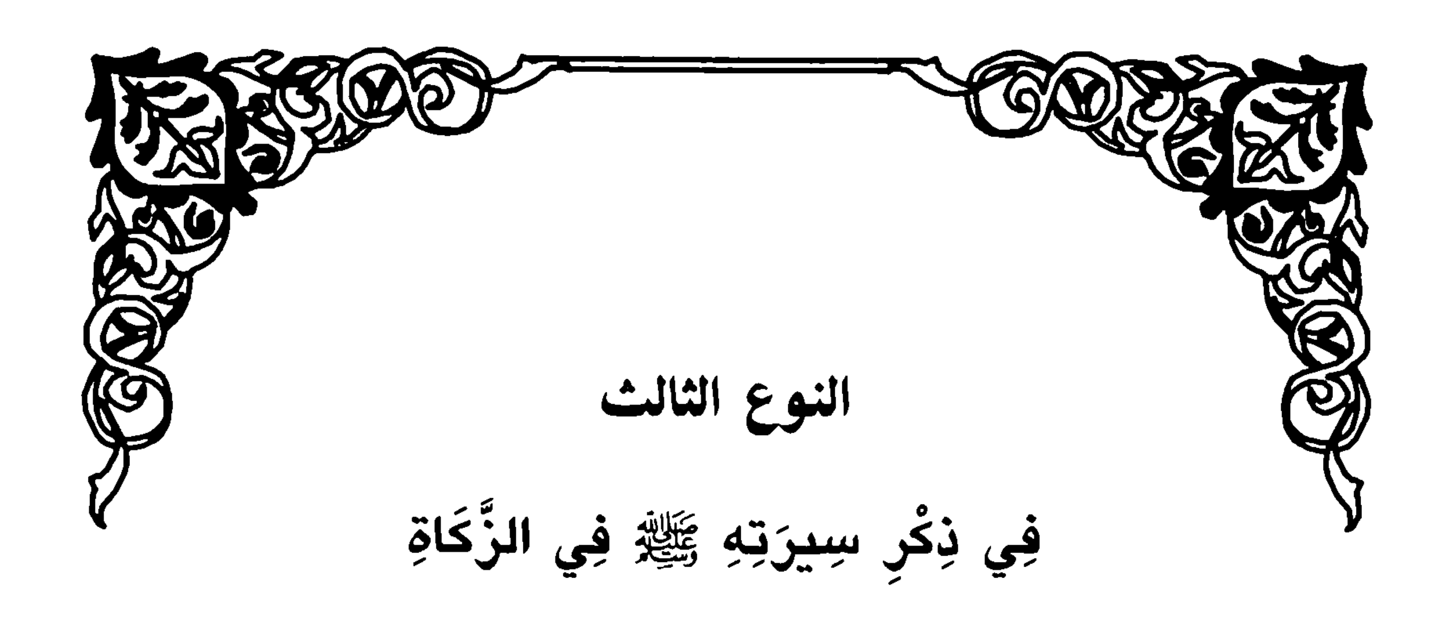
(٣) أعلمتموني.

الْفَرْعُ الرَّابِعُ: فِي صَلاَتِهِ ﷺ عَلَى الْغَائِبِ:

عَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**قَدْ تُوُفِّيَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ مِنَ الْحَبَشِ، فَهَلُمَّ فَصَلُّوا عَلَيْهِ**»، قَالَ: فَصَفَفْنَا، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ وَنَحْنُ وَرَاءَهُ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. (وَهُوَ النَّجَاشِيُّ)[1].



(١) واسمه أصحمة.



النوع الثالث

فِي ذِكْرِ سِيرَتِهِ ﷺ فِي الزَّكَاةِ

كَانَ ﷺ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ: أَهَدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَإِنْ قِيلَ: صَدَقَةٌ، قَالَ لأَصْحَابِهِ: كُلُوا وَلَمْ يَأْكُلْ، وَإِنْ قِيلَ: هَدِيَّةٌ، ضَرَبَ بِيَدِهِ[1] فَأَكَلَ مَعَهُمْ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَكَانَ ﷺ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَةٍ قَالَ: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلانٍ**»، فَأَتَاهُ أَبُو أَوْفَى بِصَدَقَتِهِ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

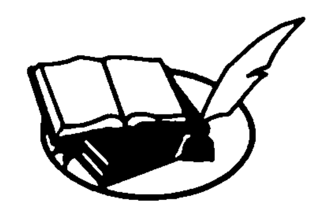
وَاخْتُلِفَ فِي أَوَّلِ وَقْتِ فَرْضِ الزَّكَاةِ: فَذَهَبَ الأَكْثَرُونَ إِلَى أَنَّهُ وَقَعَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ[2].

وَفَرَضَ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلاَةِ[3]. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ.

---

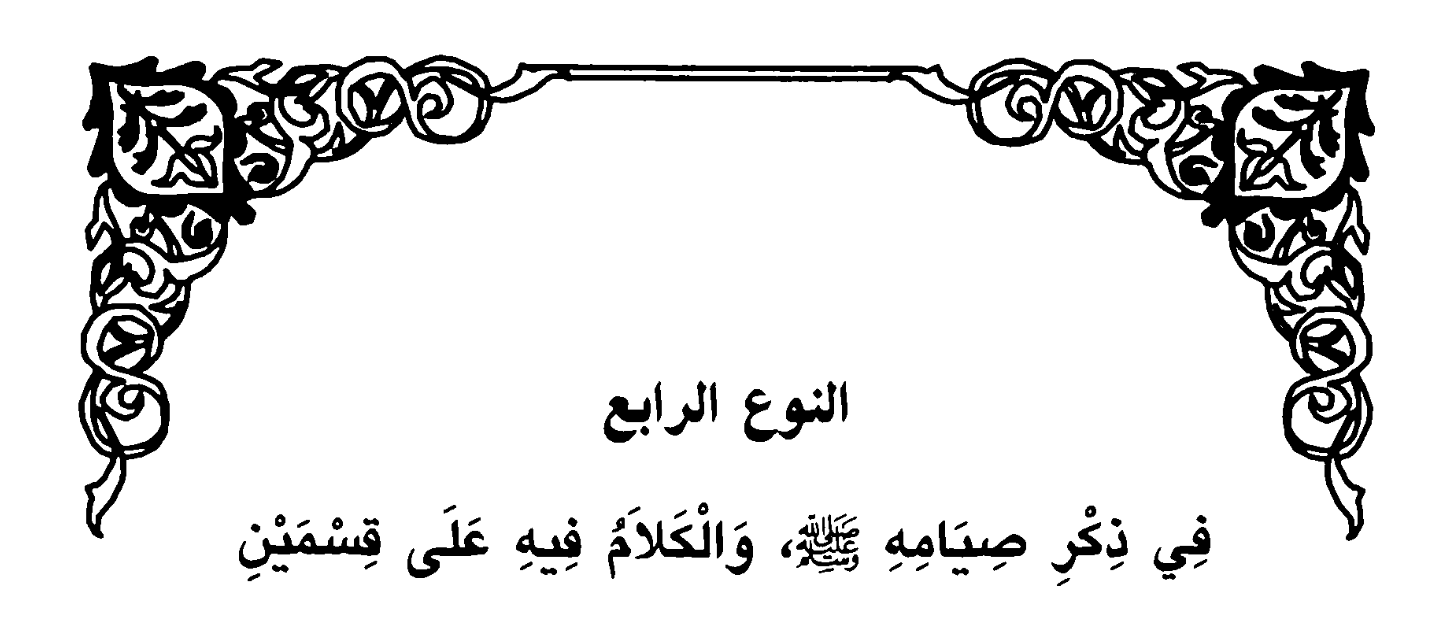
(١) أي: شرع في الأكل مسرعاً.
(٢) في السنة الثانية.
(٣) صلاة عيد الفطر.

وَأَحْكَامُ زَكَاةِ الْمَالِ مُفَصَّلَةٌ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ، وَفِي الأَصْلِ[1] مِنْهَا جُمْلَةٌ وَافِرَةٌ.



---

(١) وهو المواهب اللدنيّة.



النوع الرابع

فِي ذِكْرِ صِيَامِهِ ﷺ، وَالْكَلاَمُ فِيهِ عَلَى قِسْمَيْنِ

الْقِسْمُ الأوَّلُ

فِي صِيَامِهِ ﷺ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَفِيهِ عَشَرَةُ فَصُولٍ

الفصل الأول

فِيمَا كَانَ يَخُصُّ بِهِ رَمَضَانَ مِنَ الْعِبَادَاتِ، وَتَضَاعُفُ جُودِهِ ﷺ فِيهِ

قَدْ كَانَ فَرْضُ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، فَتُوُفِّيَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ صَامَ تِسْعَ رَمَضَانَاتٍ.

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ فِيهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ الْجَامِعَةِ لِوُجُوهِ السَّعَادَاتِ، وَيَخُصُّهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ بِمَا لاَ يَخُصُّ بِهِ غَيْرَهُ مِنَ الشُّهُورِ،

وَكَانَ جُودُهُ ﷺ يَتَضَاعَفُ فِيهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ ـ أَيْ: الْمُطْلَقَةِ ـ. وَوَقَعَ عِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: وَلاَ يُسْأَلُ شَيْئاً إِلاَّ أَعْطَاهُ.

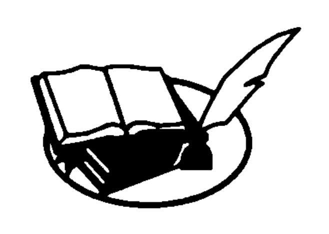
وَقَدْ كَانَ ابْتِدَاءُ نُزُولِ الْقُرْآنِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَكَذَا نُزُولُهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَكَانَ جِبْرِيلُ يَتَعَاهَدُهُ ﷺ فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَيُعَارِضُهُ بِمَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنْ رَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ ﷺ عَارَضَهُ بِهِ مَرَّتَيْنِ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ الْمُدَارَسَةَ بَيْنَهُ ﷺ وَبَيْنَ جِبْرِيلَ كَانَتْ لَيْلاً.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِقُدُومِ رَمَضَانَ يَقُولُ: **«قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، كُتِبَ عَلَيْكُمْ صِيَامُهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ»**.

وَكَانَ ﷺ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَجَبٍ وَشَعْبَانُ قَالَ: **«اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ، وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ»** رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا رَأَى هِلاَلَ رَمَضَانَ قَالَ: **«هِلاَلَ رُشْدٍ وَخَيْرٍ، هِلاَلَ رُشْدٍ وَخَيْرٍ، آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ»** رَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

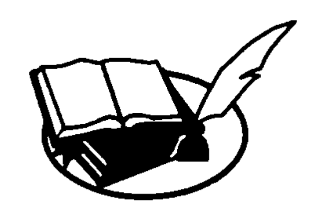




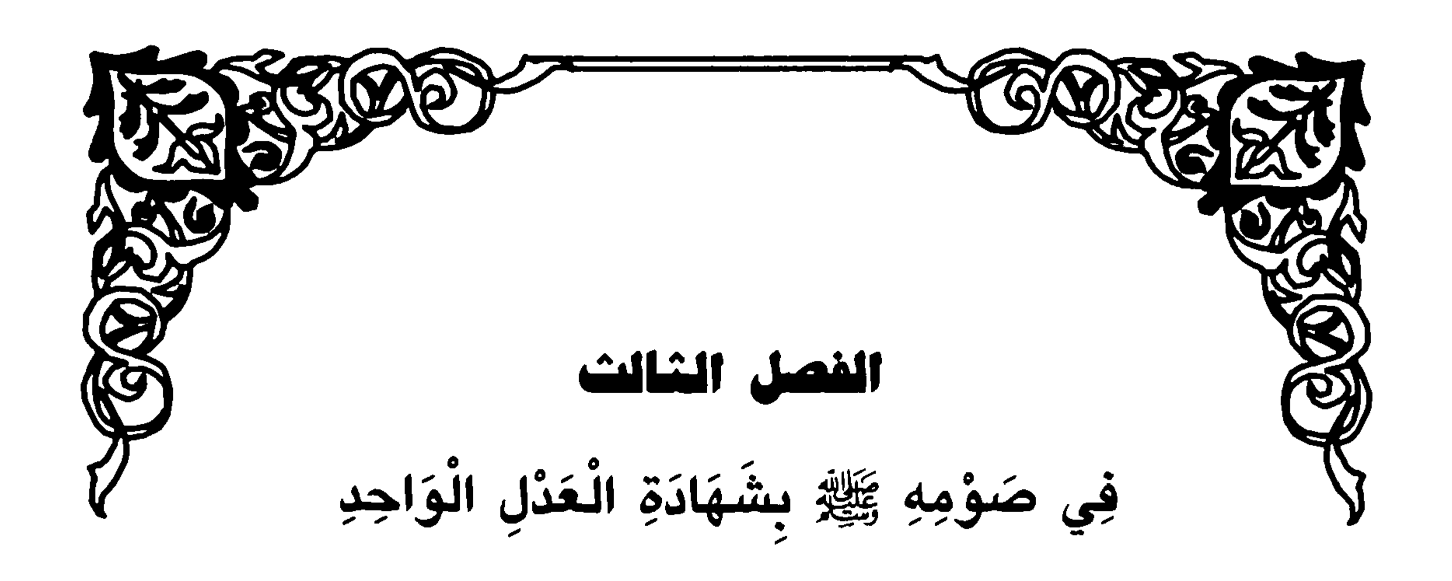
الفصل الثاني

فِي صِيَامِهِ ﷺ بِرُؤْيَةِ الْهِلاَلِ

عَنْ عَائِشَةَ: كَانَ ﷺ يَتَحفَّظُ مِنْ شَعْبَانَ[1] مَا لاَ يَتَحَفَّظُ مِنْ غَيْرِهِ ثُمَّ يَصُومُ لِرُؤْيَةِ رَمَضَانَ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْهِ عَدَّ ثَلاَثِينَ يَوْماً، ثُمَّ صَامَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.



(١) أي: يجتهد في الوصول إلى العلم بهلاله.

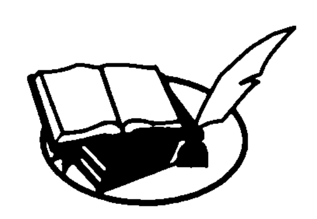


الفصل الثالث

فِي صَوْمِهِ ﷺ بِشَهَادَةِ الْعَدْلِ الْوَاحِدِ

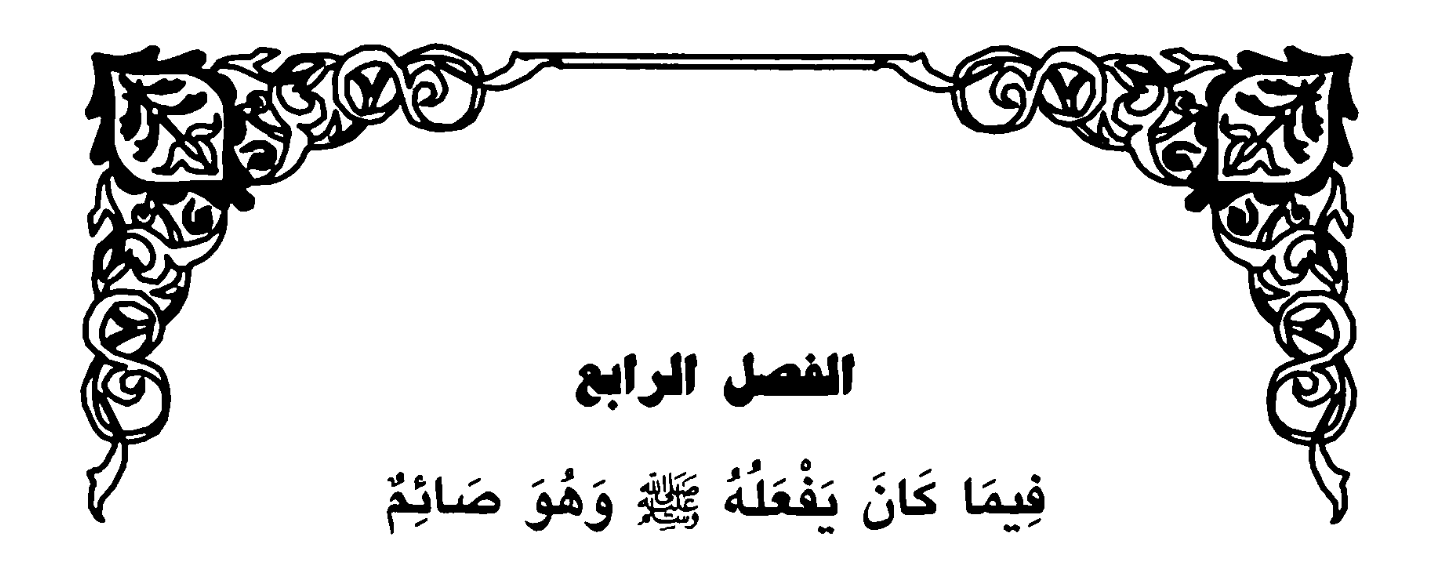
عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ: تَرَاءَىٰ النَّاسُ الْهِلاَلَ، فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ أَنِّي رَأَيْتُهُ، فَصَامَ وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ هِلاَلَ رَمَضَانَ، فَقَالَ: **«أَتَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ؟»** قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: **«أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ؟»** قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: **«يَا بِلاَلُ أَذِّنْ فِي النَّاسِ فَلْيَصُومُوا»** رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[1].



---

(١) كالترمذي والنسائي.



الفصل الرابع

فِيمَا كَانَ يَفْعَلُهُ ﷺ وَهُوَ صَائِمٌ

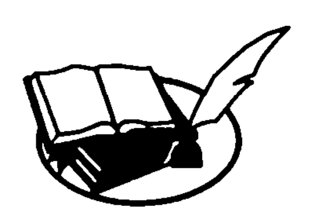
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ احْتَجَمَ وَهُوَ صَائِمٌ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ يُقَبِّلُ بَعْضَ أَزْوَاجِهِ وَهُوَ صَائِمٌ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا. قَالَتْ: وَكَانَ أَمْلَكَكُمْ لأَرَبِهِ[1] - أَيْ: لِحَاجَتِهِ - تَعْنِي: أَنَّهُ كَانَ غَالِباً لِهَوَاهُ.

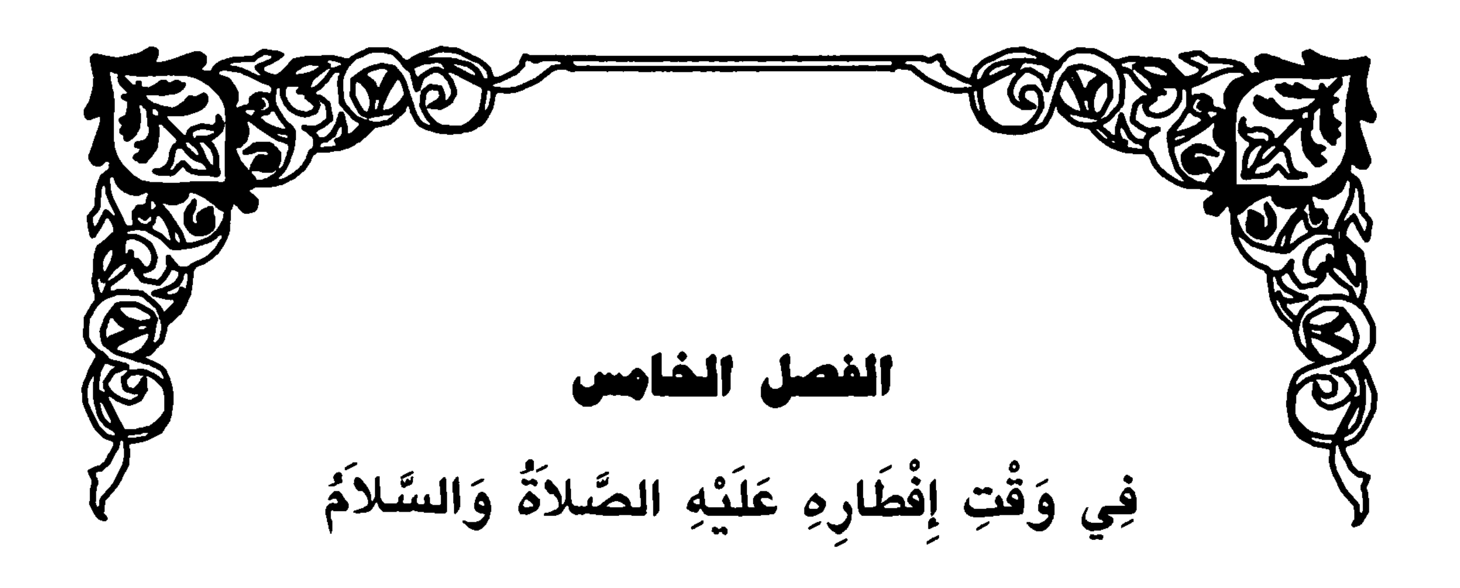
وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَكْتَحِلُ بِالإِثْمِدِ وَهُوَ صَائِمٌ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ يُصْبِحُ جُنُباً مِنْ جِمَاعٍ لاَ حُلْمٍ، ثُمَّ لاَ يُفْطِرُ وَلاَ يَقْضِي. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَقَالَ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ: رَأَيْتُهُ ﷺ يَسْتَاكُ وَهُوَ صَائِمٌ مَا لاَ أَعُدُّ وَلاَ أُحْصِي. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ.



(١) أكثر المحدّثين يروونه بفتح الهمزة والراء، وبعضهم يرويه بكسر الهمزة وسكون الراء.

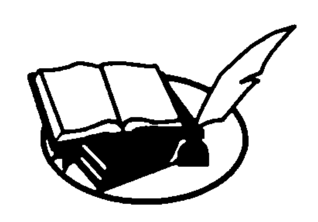


الفصل الخامس

فِي وَقْتِ إِفْطَارِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ

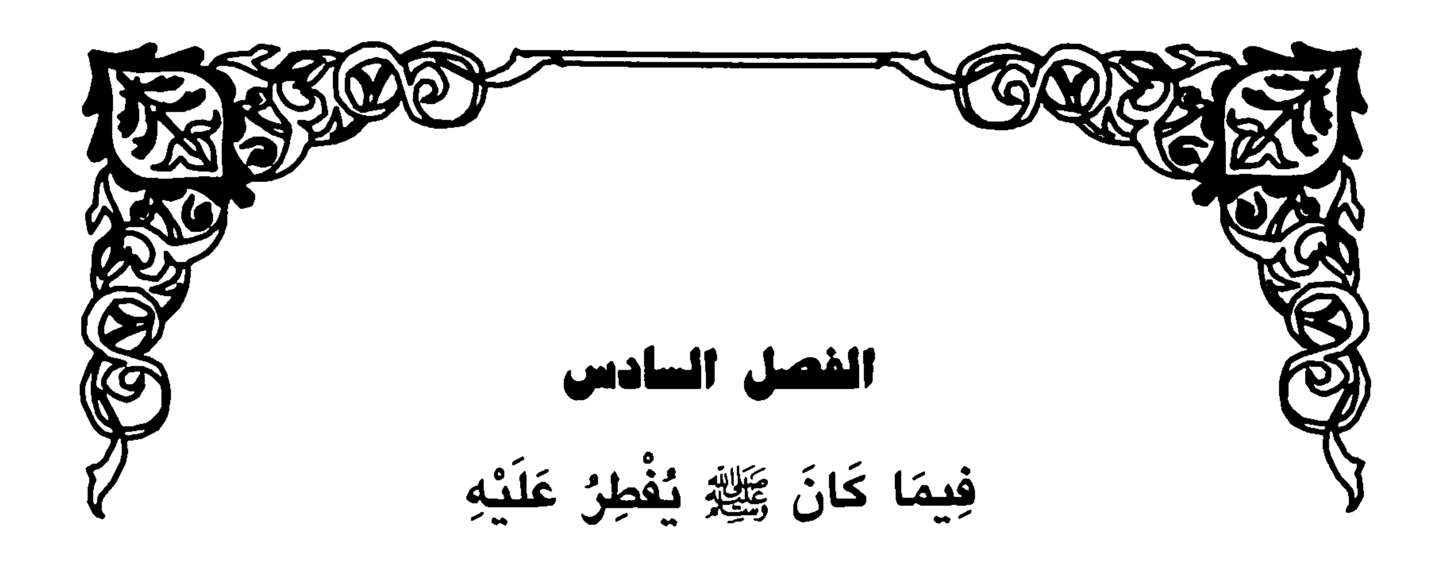
عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ قَالَ: «**يَا بِلاَلُ انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّ عَلَيْكَ نَهَاراً، قَالَ: «**انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا**»، قَالَ: فَنَزَلَ فَجَدَحَ، فَأَتَى بِهِ فَشَرِبَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ: «**إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ مِنْ هٰهُنَا، وَجَاءَ اللَّيْلُ مِنْ هٰهُنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَالْجَدْحُ: خَلْطُ الشَّيْءِ بِغَيْرِهِ، وَالْمُرَادُ خَلْطُ السَّوِيقِ بِالْمَاءِ وَتَحْرِيكُهُ حَتَّى يَسْتَوِيَ، وَالسَّوِيقُ: هُوَ الْقَمْحُ أَوِ الشَّعِيرُ الْمَقْلُوُّ[1] الْمَطْحُونُ[2].



(١) أو المَقْليّ.

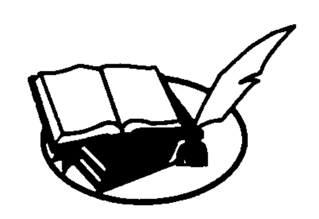
(٢) وسمّي بالسويق لانسياقه في الحلْق.



الفصل السادس

فِيمَا كَانَ ﷺ يُفْطِرُ عَلَيْهِ

عَنْ أَنَسٍ: كَانَ ﷺ يُفْطِرُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى رُطَبَاتٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ رُطَبَاتٍ فَتَمَرَاتٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمَرَاتٍ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[1].



(١) والنسائي والترمذي.



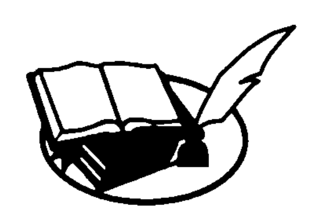
الفصل السابع

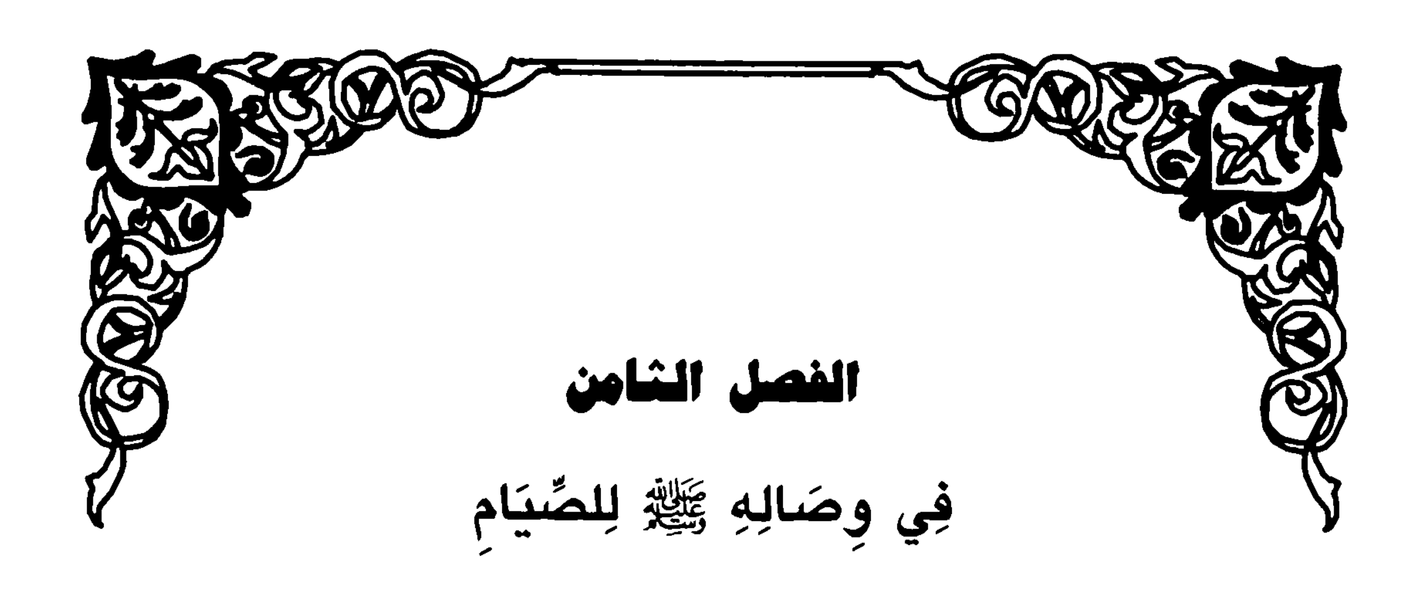
فِيمَا كَانَ يَقُولُهُ ﷺ عِنْدَ الإِفْطَارِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: **«اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ، فَتَقَبَّلْ مِنِّي، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»** رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَابْنُ السُّنِّيِّ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ: كَانَ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: **«ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ، وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»** رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَزَادَ رَزِينٌ: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ»** فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ.

وَفِي كِتَابِ ابْنِ السُّنِّيِّ: عَنْ مُعَاذِ بْنِ زُهْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَانَنِي فَصُمْتُ، وَرَزَقَنِي فَأَفْطَرْتُ»**.





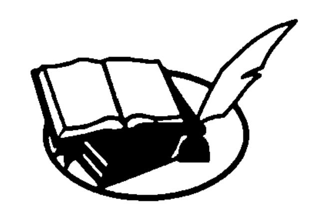
الفصل الثامن

فِي وِصَالِهِ ﷺ لِلصِّيَامِ

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا: أَنَّهُ ﷺ وَاصَلَ، فَوَاصَلَ النَّاسُ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَنَهَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُوَاصِلُوا، قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ؟ قَالَ: **«لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَظَلُّ أُطْعَمُ وَأُسْقَى»**.

وَعَنْ أَنَسٍ: وَاصَلَ ﷺ فِي آخِرِ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَوَاصَلَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَبَلَغَهُ ذٰلِكَ، فَقَالَ: **«لَوْ مُدَّ لَنَا الشَّهْرُ لَوَاصَلْنَا وِصَالاً يَدَعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ، إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِثْلِي، إِنِّي أَظَلُّ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي»** رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

(وَالْمُتَعَمِّقُونَ: الْمُتَشَدِّدُونَ. وَالْوِصَالُ فِي الصَّوْمِ: أَنْ يَصِلَ صَوْمَ النَّهَارِ بِإِمْسَاكِ اللَّيْلِ مَعَ صَوْمِ الَّذِي بَعْدَهُ).





الفصل التاسع

فِي سُحُورِهِ ﷺ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَتَسَحَّرُ، فَقَالَ: **«إِنَّهَا بَرَكَةٌ أَعْطَاكُمُ اللّهُ إِيَّاهَا، فَلاَ تَدَعُوهُ»** رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: دَعَانِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِلَى السَّحُورِ فِي رَمَضَانَ قَالَ: **«هَلُمَّ إِلَى الْغَدَاءِ الْمُبَارَكِ»** رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ.

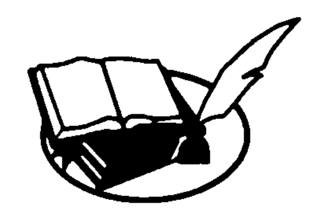
وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَذٰلِكَ عِنْدَ السُّحُورِ: **«يَا أَنَسُ! إِنِّي أُرِيدُ الصِّيَامَ فَأَطْعِمْنِي شَيْئاً»**، فَأَتَيْتُهُ بِتَمْرٍ وَإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ، وَذٰلِكَ بَعْدَمَا أَذَّنَ بِلاَلٌ ـ أَيْ: فِي اللَّيْلِ ـ قَالَ: **«يَا أَنَسُ! انْظُرْ رَجُلاً يَأْكُلُ مَعِي»** فَدَعَوْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَجَاءَ فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ شَرْبَةَ سَوِيقٍ[1] وَأَنَا أُرِيدُ الصِّيَامَ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«وَأَنَا أُرِيدُ الصِّيَامَ»**، فَتَسَحَّرَ مَعَهُ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

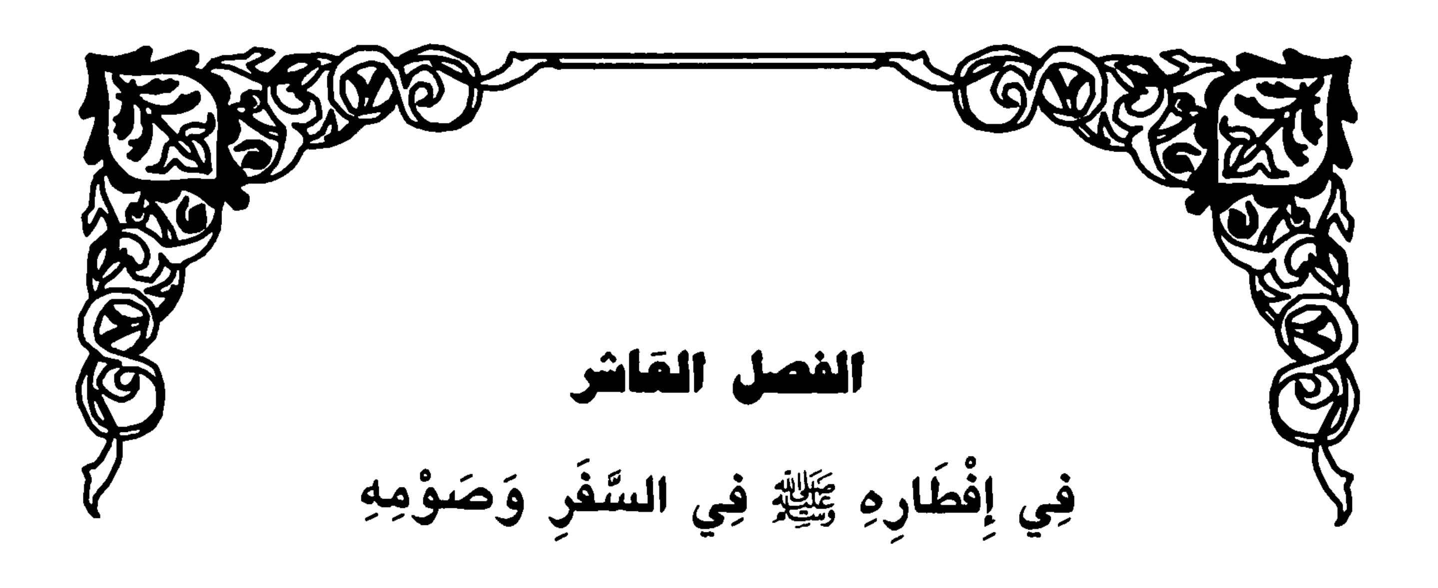
وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، ثُمَّ قُمْنَا إِلَى

---

(١) السّويق: هو القمح أو الشعير المقليّ المطحون، سمّي بذلك لانسياقه في الحلق.

الصَّلاَةِ، قَالَ أَنَسٌ: قُلْتُ: كَمْ كَانَ قَدْرُ مَا بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: قَدْرَ خَمْسِينَ آيَةً. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا.





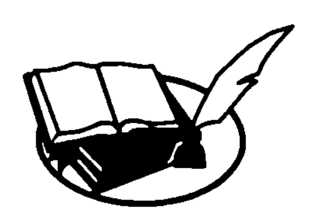
الفصل العاشر

فِي إِفْطَارِهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَصَوْمِهِ

عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ خَرَجَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَان، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ[1]، وَصَامَ النَّاسُ، ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ، فَرَفَعَهُ حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ، ثُمَّ شَرِبَ، فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صَامَ، فَقَالَ: **«أُولٰئِكَ الْعُصَاةُ، أُولٰئِكَ الْعُصَاةُ»**، أَيْ: لِمُخَالَفَتِهِمْ[2].

وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: صَامَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَأَفْطَرَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ[3] قَالَ: كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ، فَمِنَّا الصَّائِمُ، وَمِنَّا الْمُفْطِرُ، وَلاَ يَجِدُ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ[4]، وَلاَ الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ.

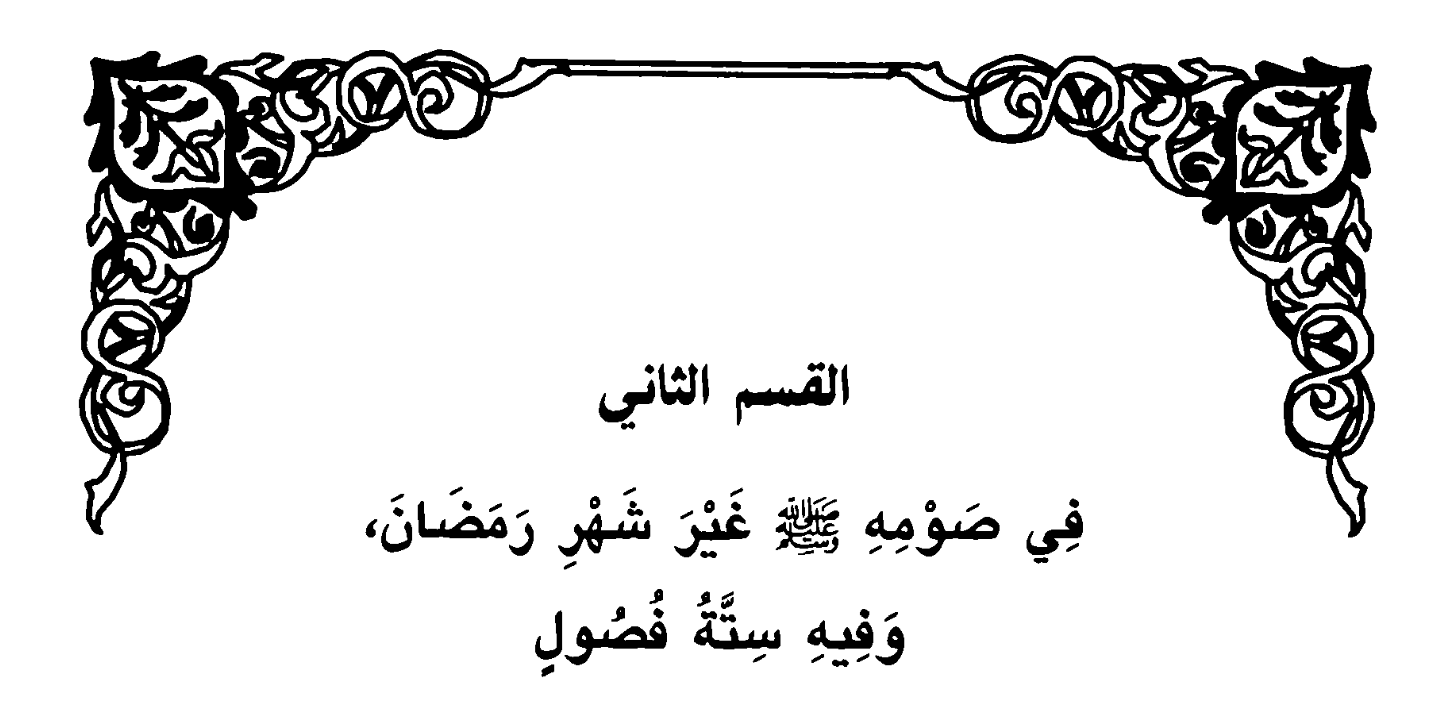


(١) علىٰ بُعْد ١٤ كَيْلاً جنوب عُسْفان قرب مكة. انظر نور اليقين بتحقيقي وتعليقي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) الخُدْري.

(٤) أي: لا يغضب عليه.



القسم الثاني

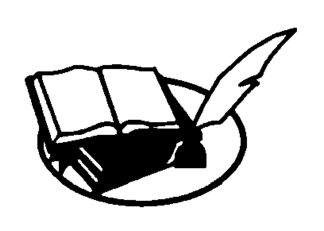
فِي صَوْمِهِ ﷺ غَيْرَ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ

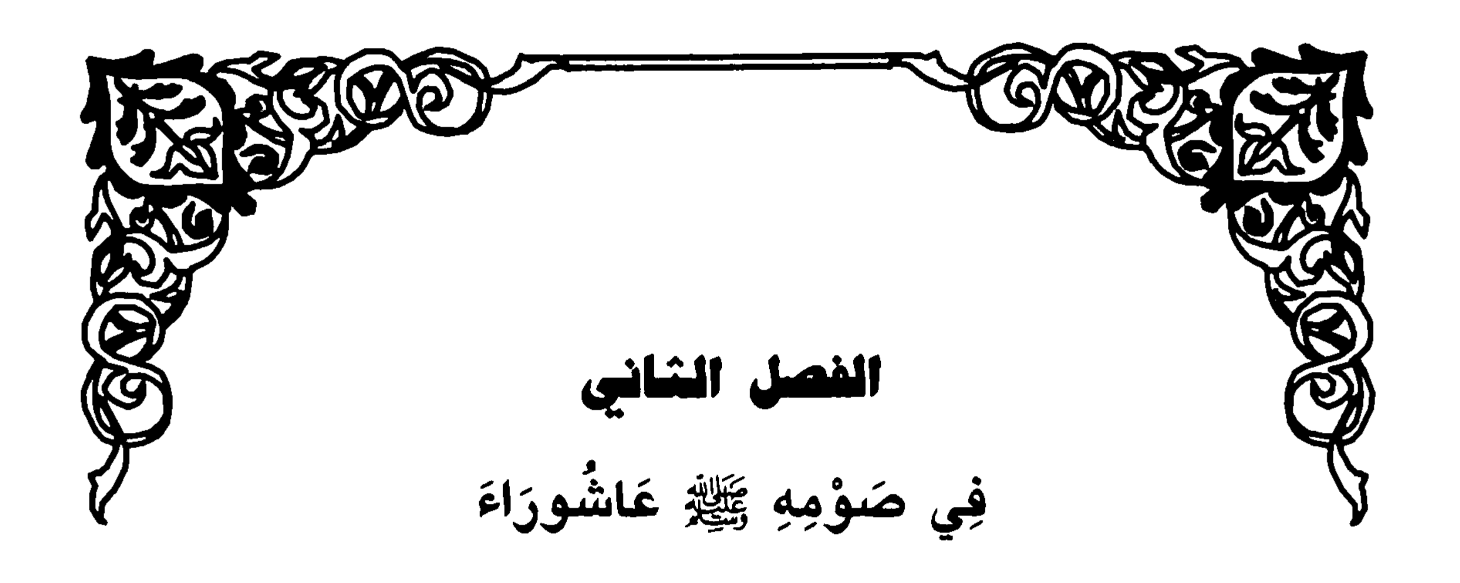
الفصل الأول

فِي سَرْدِهِ أَيَّاماً مِنَ الشَّهْرِ وَفِطْرِهِ أَيَّاماً

عَنْ أَنَسٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لاَ يَصُومَ مِنْهُ، ثُمَّ يَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لاَ يُفْطِرُ مِنْهُ شَيْئاً، وَكَانَ لاَ تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّياً إِلاَّ رَأَيْتَهُ، وَلاَ نَائِماً إِلاَّ رَأَيْتَهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَا صَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهْراً كَامَلاً غَيْرَ رَمَضَانَ، وَكَانَ يَصُومُ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ: لاَ وَاللَّهِ لاَ يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ: لاَ وَاللَّهِ لاَ يَصُومُ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.





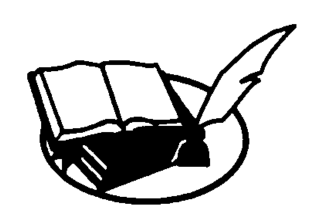
الفصل الثاني

فِي صَوْمِهِ ﷺ عَاشُورَاءَ

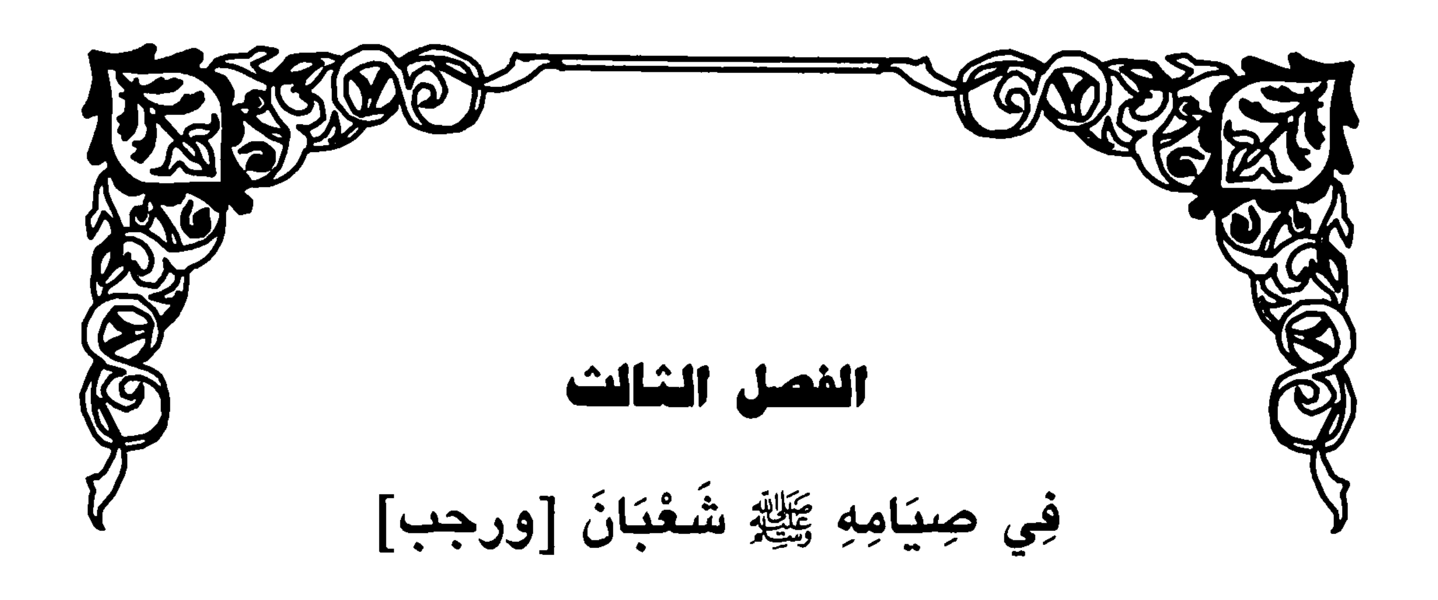
صَامَ ﷺ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالَ ﷺ: **«فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ»**، قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامَ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ[١].

وَعَنْ عَائِشَةَ: كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَصُومُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ صَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تَرَكَ عَاشُورَاءَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا.

وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«أَنَّ صَوْمَ عَاشُورَاءَ يُكَفِّرُ سَنَةً، وَأَنَّ صَوْمَ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ سَنَتَيْنِ»**.



(١) رواه مسلم.



الفصل الثالث

فِي صِيَامِهِ ﷺ شَعْبَانَ [ورجب]

عَنْ عَائِشَةَ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلاَّ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ صِيَاماً مِنْهُ فِي شَعْبَانَ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! لَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ؟ قَالَ: «**ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ، بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ**» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[1].

وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ[2]: كَانَ أَكْثَرُ صِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ فِي شَعْبَانَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَرَى أَكْثَرَ صِيَامِكَ فِي شَعْبَانَ؟ قَالَ: «**إِنَّ هٰذَا الشَّهْرَ يُكْتَبُ فِيهِ لِمَلِكِ الْمَوْتِ أَسْمَاءُ مَنْ يُقْبَضُ، فَأُحِبُّ أَنْ لاَ يُنْسَخَ اسْمِي إِلاَّ وَأَنَا صَائِمٌ**».

وَأَمَّا صِيَامُ رَجَبٍ: فَعَنْ عَطَاءٍ: أَنَّ عُرْوَةَ قَالَ لِعَبْدِاللّهِ بْنِ عُمَرَ: هَلْ

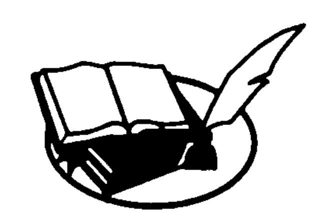
---

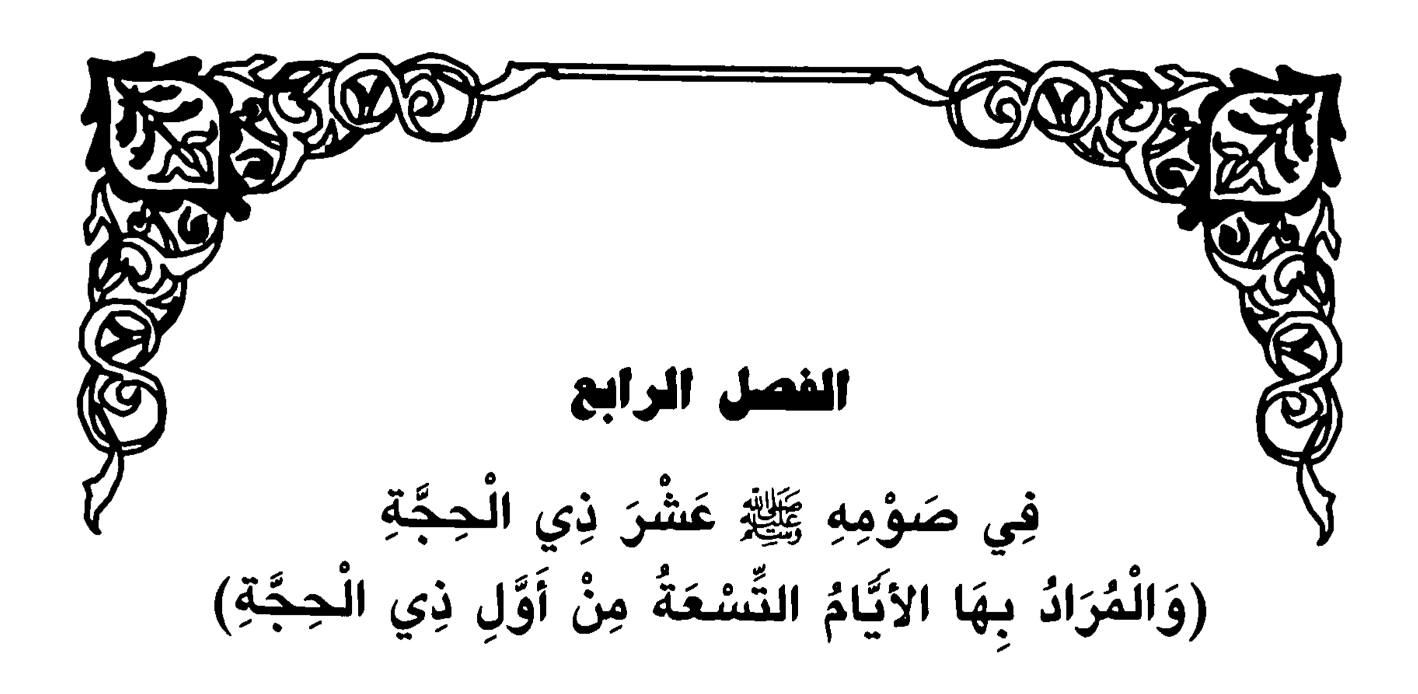
(١) كالنسائي.

(٢) بإسناد فيه ضَعف.

كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَصُومُ فِي رَجَبٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. وَيُشَرِّفُهُ (قَالَهَا ثَلاَثاً). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

وَعَنْ أَبِي قِلاَبَةَ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ قَصْراً لِصُوَّامِ رَجَبٍ. قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: أَبُو قِلاَبَةَ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ، فَلاَ يَقُولُهُ إِلاَّ عَنْ بَلاَغٍ.





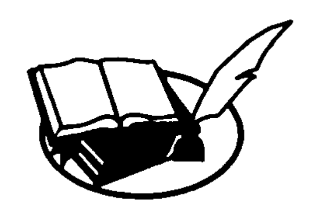
الفصل الرابع

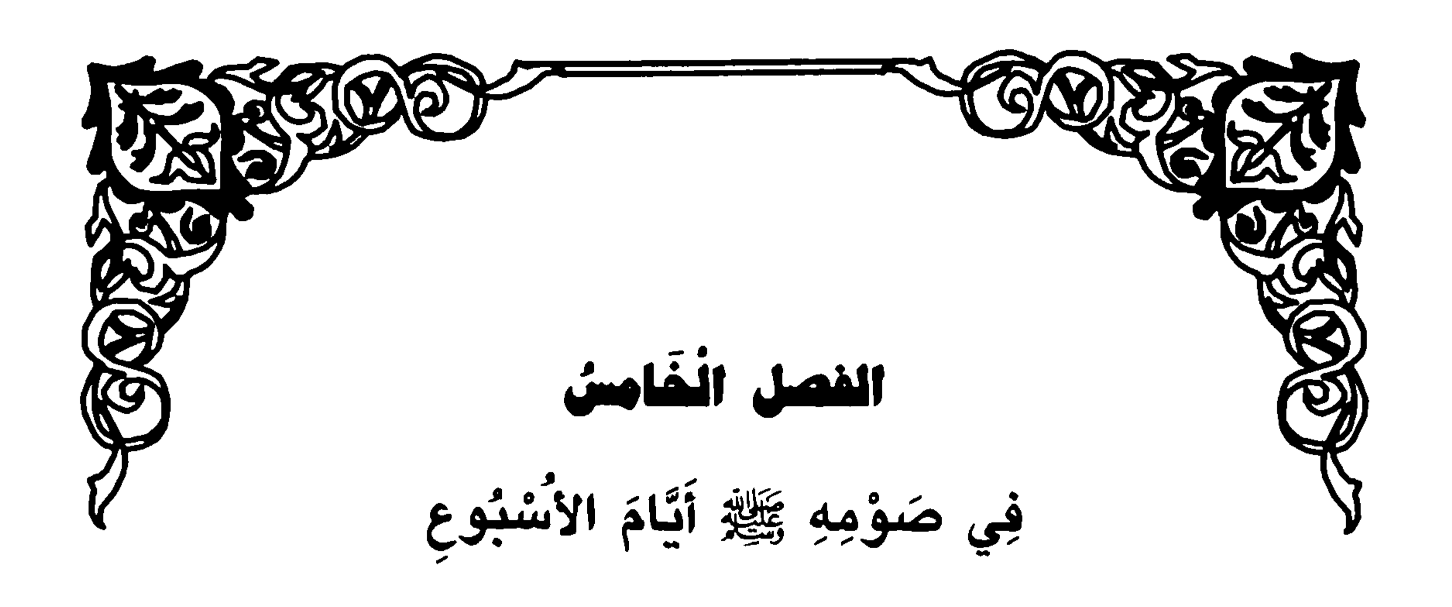
فِي صَوْمِهِ ﷺ عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ
(وَالْمُرَادُ بِهَا الأَيَّامُ التِّسْعَةُ مِنْ أَوَّلِ ذِي الْحِجَّةِ)

عَنْ هُنَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنِ امْرَأَتِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَصَوْمُهَا مُسْتَحَبٌّ اسْتِحْبَاباً شَدِيداً، لاَ سِيَّمَا يَوْمُ التَّاسِعِ مِنْهَا (وَهُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ).

وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَفْضَلُ مِنْهُ فِي هٰذِهِ**» يَعْنِي: الْعَشْرَ الأَوَّلَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَالصَّوْمُ مِنْ جُمْلَةِ الْعَمَلِ.





الفصل الخامس

فِي صَوْمِهِ ﷺ أَيَّامَ الأُسْبُوعِ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْمِ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ.

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَنْ صَوْمِ الاثْنَيْنِ فَقَالَ: «**فِيهِ وُلِدْتُ، وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**تُعْرَضُ الأَعْمَالُ عَلَى اللّهِ تَعَالَى يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

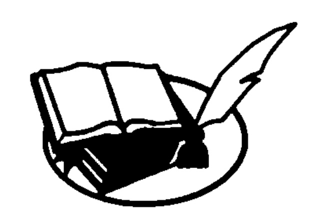
وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ مِنْ هٰذِهِ الْجُمُعَةِ، وَالاثْنَيْنِ مِنَ الْمُقْبِلَةِ، وَفِي أَوَّلِ اثْنَيْنِ مِنَ الشَّهْرِ، ثُمَّ الْخَمِيسَ، ثُمَّ الْخَمِيسَ الَّذِي يَلِيهِ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ ـ أَيْ: أَنَّهُ تَارَةً يَفْعَلُ هٰذَا، وَأُخْرَى هٰذَا ـ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: كَانَ يَصُومُ مِنَ الشَّهْرِ: السَّبْتَ وَالأَحَدَ وَالاثْنَيْنَ، وَمِنَ الشَّهْرِ الآخَرِ الثُّلاثَاءِ وَالأَرْبِعَاءَ وَالْخَمِيسَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

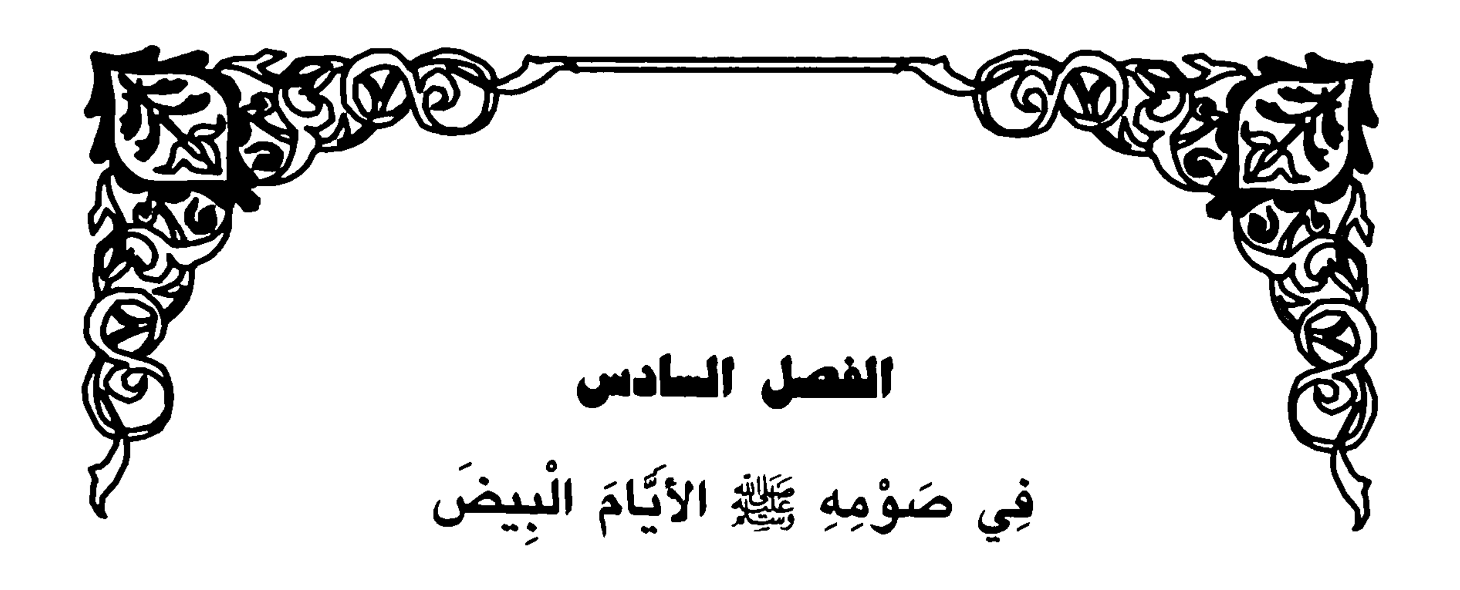
وَعَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَرْسَلَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ وَنَاسٌ مِنْ

أَصْحَابِ النَّبِيّ ﷺ إِلَى أُمّ سَلَمَةَ أَسْأَلُهَا: أَيُّ الأَيَّامِ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَهَا صِيَاماً؟ قَالَتْ: السَّبْتُ وَالأَحَدُ، وَيَقُولُ: «**إِنَّهُمَا عِيدَا الْمُشْرِكِينَ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أُخَالِفَهُمَا**» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ[1].

وَقَدْ ثَبَتَ النَّهْيُ عَنْ إِفْرَادِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بِالصَّوْمِ، إِلاَّ أَنْ يَصُومَ يَوْماً قَبْلَهُ أَوْ يَوْماً بَعْدَهُ.



(١) والنهي الوارد عن صوم السبت أو الأحد إنما هو في إفراده.



الفصل السادس

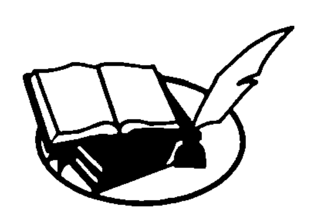
فِي صَوْمِهِ ﷺ الأَيَّامَ الْبِيضَ

وَهِيَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْقَمَرُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى آخِرِهِ (وَهِيَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لاَ يُفْطِرُ أَيَّامَ الْبِيضِ فِي حَضَرٍ وَلاَ سَفَرٍ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

وَعَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَرْبَعٌ لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَدَعُهُنَّ: صِيَامُ عَاشُورَاءَ، وَالْعَشْرِ، وَأَيَّامِ الْبِيضِ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَا الْفَجْرِ[1]. رَوَاهُ أَحْمَدُ، (وَالْمُرَادُ بِالْعَشْرِ: تِسْعُ ذِي الْحِجَّةِ).

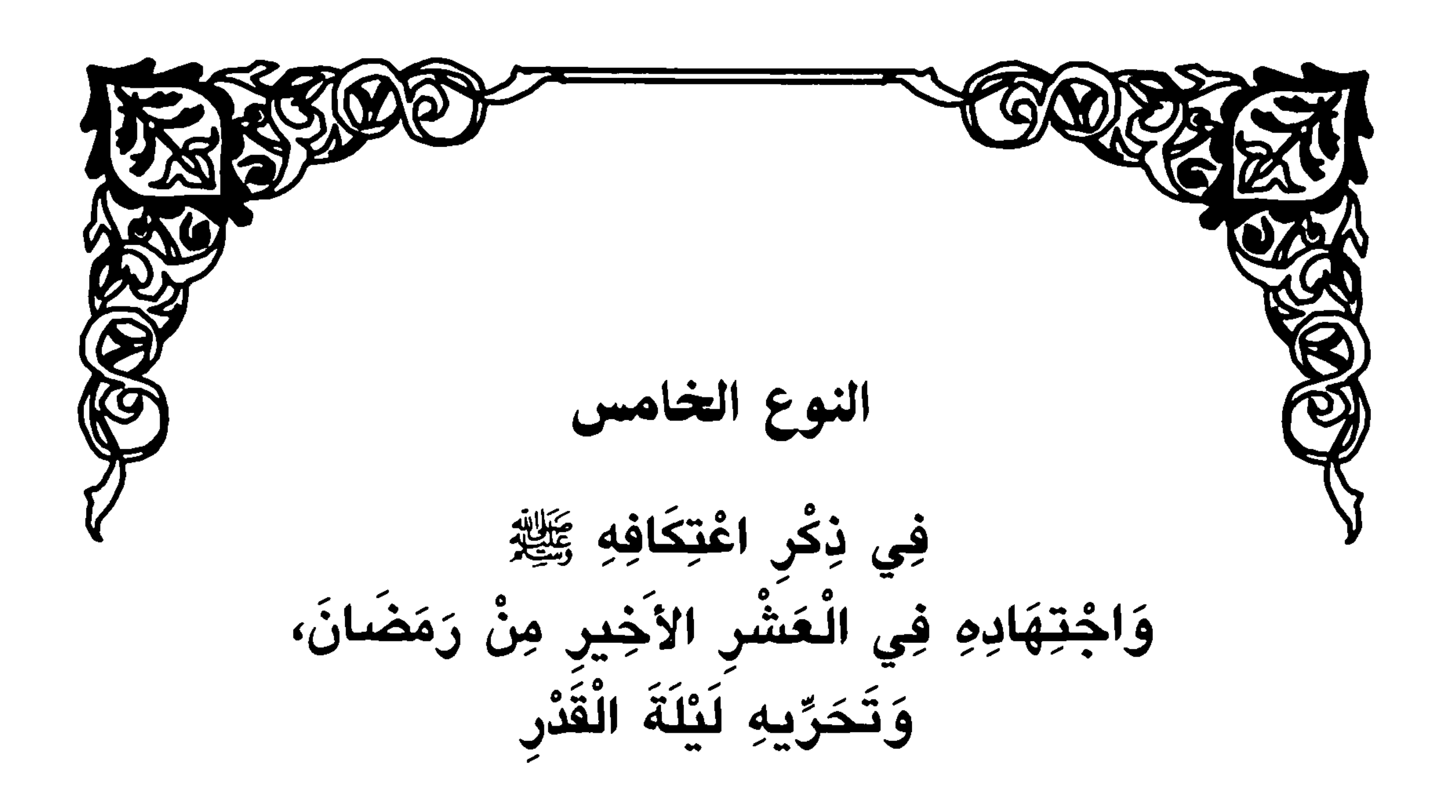
وَرَوَى أَصْحَابُ السُّنَنِ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصُومُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ مِنْ غُرَّةِ كُلِّ شَهْرٍ[2].



---

(١) أي: سُنته.

(٢) أي: بدايته.



النوع الخامس

فِي ذِكْرِ اعْتِكَافِهِ ﷺ وَاجْتِهَادِهِ فِي الْعَشْرِ الأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَتَحَرِّيهِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ

كَانَ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْهَا: كَانَ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ[١]، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ.

وَعَنْهَا: كَانَ ﷺ إِذَا كَانَ رَمَضَانُ قَامَ وَنَامَ، فَإِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الأَخِيرُ مِنْ رَمَضَانَ طَوَى فِرَاشَهُ، وَاعْتَزَلَ النِّسَاءَ، وَاغْتَسَلَ بَيْنَ الأَذَانَيْنِ[٢]، وَجَعَلَ الْعَشَاءَ سَحُوراً[٣]. أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّهُ ﷺ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ، ثُمَّ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الأَوْسَطَ فِي قُبَّةٍ تُرْكِيَّةٍ، ثُمَّ أَطْلَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**إِنِّي اعْتَكَفْتُ**

---

(١) كناية عن الجدّ في العبادة.

(٢) أي: بين المغرب والعشاء.

(٣) أي: أخّر فطره إلىٰ السُّحور.

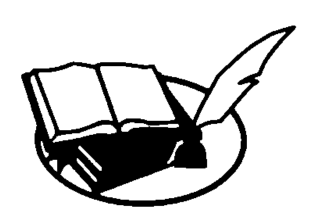
الْعَشْرَ الأَوَّلَ أَلْتَمِسُ هٰذِهِ اللَّيْلَةَ - يَعْنِي: لَيْلَةَ الْقَدْرِ - **ثُمَّ اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الأَوْسَطَ، ثُمَّ أُتِيتُ فَقِيلَ لِي: إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ، فَمَنِ اعْتَكَفَ مَعِي فَلْيَعْتَكِفِ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ، فَقَدْ أُرِيتُ هٰذِهِ اللَّيْلَةَ ثُمَّ أُنسِيتُهَا، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ مِنْ صَبِيحَتِهَا، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ، وَالْتَمِسُوهَا فِي كُلِّ وَتْرٍ مِنْهُ**»، قَالَ: فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَكَانَ الْمَسْجِدُ عَلَى عَرِيشٍ، فَوَكَفَ الْمَسْجِدُ[1] فَبَصُرَتْ عَيْنَايَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ وَعَلَى جَبْهَتِهِ أَثَرُ الْمَاءِ وَالطِّينِ مِنْ صَبِيحَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. (وَالْقُبَّةُ التُّرْكِيَّةُ: خَيْمَةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ لُبُودٍ[2]).

وَلِلَيْلَةِ الْقَدْرِ عَلامَاتٌ:

مِنْهَا: مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ **أَنَّهَا** صَافِيَةٌ كَأَنَّ فِيهَا قَمَراً سَاطِعاً، سَاكِنَةٌ لاَ حَرَّ فِيهَا وَلاَ بَرْدَ، وَلاَ يَحِلُّ[3] لِكَوْكَبٍ أَنْ يُرْمَى بِهِ فِيهَا.

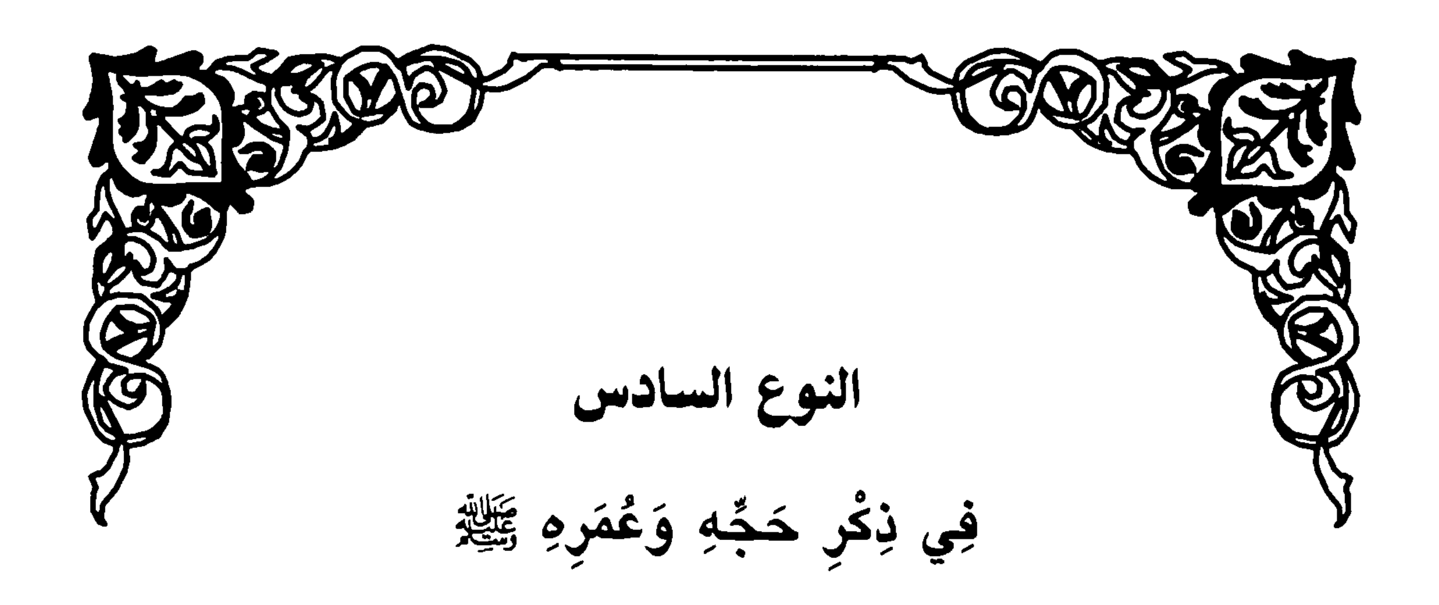
وَأَنَّ مِنْ أَمَارَاتِهَا: أَنَّ الشَّمْسَ فِي صَبِيحَتِهَا تَخْرُجُ مُسْتَوِيَةً لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لاَ يَحِلُّ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهَا يَوْمَئِذٍ.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ: أَنَّ الْمِيَاهَ الْمَالِحَةَ تَعْذُبُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ.



---

(١) تقاطر سقفه.
(٢) صوف.
(٣) أي: لا يتفق.



النوع السادس

فِي ذِكْرِ حَجِّهِ وَعُمَرِهِ ﷺ

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ ﷺ: **«مَنْ مَلَكَ رَاحِلَةً وَزَاداً يُبَلِّغُهُ إِلَى بَيْتِ اللّٰهِ الْحَرَامِ فَلَمْ يَحُجَّ؛ فَلاَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا»** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَقَالَ ابْنُ الأَثِيرِ: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَحُجُّ كُلَّ سَنَةٍ، قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ.

وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ: مَكَثَ ﷺ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أُذِّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ: أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللّٰهِ ﷺ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ[1]، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ: كَيْفَ أَصْنَعُ؟ فَقَالَ: **«اغْتَسِلِي وَاسْتَثْفِرِي»** - أَيْ: اخْتَجِزِي بِثَوْبٍ - وَأَحْرِمِي، فَصَلَّى رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ[2]، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ[3] نَظَرْتُ مَدَّ بَصَرِي بَيْنَ

---

(١) أو (آبار علي) وهي ميقات مَن توجّه من المدينة المنوّرة.

(٢) ناقته.

(٣) الصحراء.

يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذٰلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذٰلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذٰلِكَ، وَرَسُولُ اللّٰهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ.

وَكَانَ خُرُوجُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنَ الْمَدِينَةِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، فَنَزَلَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، فَصَلَّى بِهَا الْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ بَاتَ بِهَا وَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالصُّبْحَ وَالظُّهْرَ، وَكَانَ نِسَاؤُهُ كُلُّهُنَّ مَعَهُ، فَطَافَ عَلَيْهِنَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ اغْتَسَلَ غُسْلاً ثَانِياً لإِحْرَامِهِ غَيْرَ غُسْلِ الْجِمَاعِ الأَوَّلِ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ عَائِشَةَ طَيَّبَتْهُ ﷺ بِذَرِيرَةٍ (وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ الطِّيبِ يُجْعَلُ فِيهِ الْمِسْكُ)، قَالَتْ: طَيَّبْتُهُ عِنْدَ إِحْرَامِهِ، ثُمَّ طَافَ فِي نِسَائِهِ، ثُمَّ أَصْبَحَ مُحْرِماً.

وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَرْكَعُ بِذِي الْحُلَيْفَةِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ إِذَ اسْتَوَتْ بِهِ النَّاقَةُ قَائِمَةً عِنْدَ مَسْجِدِ ذِي الْحُلَيْفَةِ أَهَلَّ - أَيْ: رَفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّلْبِيَةِ -.

وَقَدِ اخْتَلَفَتْ رِوَايَاتُ الصَّحَابَةِ فِي حَجِّهِ ﷺ حِجَّةَ الْوَدَاعِ: هَلْ كَانَ مُفْرِداً أَوْ قَارِناً أَوْ مُتَمَتِّعاً؟

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الظُّهْرَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، ثُمَّ دَعَا بِنَاقَتِهِ فَأَشْعَرَهَا فِي صَفْحَةِ سَنَامِهَا الأَيْمَنِ، وَسَلَتَ الدَّمَ عَنْهَا، وَقَلَّدَهَا نَعْلَيْنِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. أَيْ: لِيُعْلَمَ أَنَّهَا هَدْيٌ (وَأَشْعَرَهَا: شَقَّهَا).

وَكَانَ حَجُّهُ ﷺ عَلَى رَحْلٍ[1] رَثٍّ يُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[2].

---

(١) وهو ما يوضع علىٰ ظهر البعير.

(٢) في الشمائل بلفظ: «رحل رثٌّ، وقطيفة كنا نرىٰ ثمنها أربعة دراهم».

وَلَمَّا مَرَّ ﷺ بِوَادِي عُسْفَانَ[1] قَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ! أَيُّ وَادٍ هٰذَا؟**» قَالَ: وَادِي عُسْفَانَ، قَالَ: «**لَقَدْ مَرَّ بِهِ هُودٌ وَصَالِحٌ عَلَى بَكْرَيْنِ[2] أَحْمَرَيْنِ، خِطَامُهُمَا اللِّيفُ[3]، وَأُزُرُهُمَا الْعَبَاءُ، وَأَرْدِيَتُهُمَا النِّمَارُ، يُلَبُّونَ بِالْحَجِّ، يَحُجُّونَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ**» رَوَاهُ أَحْمَدُ. (وَالنِّمَارُ: جَمْعُ نَمِرَةٍ؛ بُرْدَةٌ مِنْ صُوفٍ تَلْبَسُهَا الأَعْرَابُ).

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَمَّا مَرَّ ﷺ بِوَادِي الأَزْرَقِ قَالَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى هَابِطاً مِنَ الثَّنِيَّةِ[4]، وَاضِعاً إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، مَارًّا بِهٰذَا الْوَادِي، وَلَهُ جُؤَارٌ[5] إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ**».

وَلَمَّا بَلَغَ ﷺ ذَا طُوى[6] عِنْدَ آبَارِ الزَّاهِرِ[7] بَاتَ بِهَا بَيْنَ الثَّنِيَّتَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ صَلَّى الْغَدَاةَ[8]، ثُمَّ اغْتَسَلَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ[9]: كَانَ ﷺ يَدْخُلُ مَكَّةَ مِنَ الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا الَّتِي يُنْزَلُ مِنْهَا إِلَى الْمَعْلاَةِ (مَقْبَرَةِ مَكَّةَ، وَيُقَالَ لَهَا: كَدَاءَ، وَالْحَجُونُ).

وَدَخَلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَكَّةَ لأَرْبَعٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَدَخَلَ

---

(١) قرب مكة.
(٢) البَكر: الفتيّ من الإبل.
(٣) الخِطام: ما يوضع علىٰ خَطْم الجمل (أنفه) ليُقاد به.
(٤) وهي الطريق في الجبل.
(٥) صوت مرتفع.
(٦) بتثليث الطاء.
(٧) موضع معروف بمحلّة جَرْوَل، أمامه بئر تسمىٰ بذي طوىٰ لكونها مطويّة بالحجارة، وهي في أسفل مكة في صوب طريق العمرة المعتادة ومسجد عائشة.
(٨) صلاة الصبح.
(٩) في الصحيح.

الْمَسْجِدَ الْحَرَامُ ضُحًى مِنْ بَابِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ (وَهُوَ بَابُ بَنِي شَيْبَةَ) لأَنَّ بَابَ الْكَعْبَةِ فِي جِهَةِ ذٰلِكَ الْبَابِ[1].

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا نَظَرَ الْبَيْتَ قَالَ: **«اللَّهُمَّ زِدْ بَيْتَكَ هٰذَا تَشْرِيفاً وَتَعْظِيماً وَتَكْرِيماً وَبِرًّا وَمَهَابَةً، وَزِدْ مَنْ شَرَّفَهُ وَعَظَّمَهُ مِمَّنْ حَجَّهُ وَاعْتَمَرَهُ تَعْظِيماً وَتَشْرِيفاً وَبِرًّا وَمَهَابَةً»**.

وَلَمْ يَرْكَعْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ، إِنَّمَا بَدَأَ بِالطَّوَافِ لأَنَّهُ تَحِيَّةُ الْبَيْتِ، ثُمَّ اسْتَلَمَ ﷺ الْحَجَرَ الأَسْوَدَ بِالْمِحْجَنِ[2].

وَرَوَى الشَّافِعِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: اسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَجَرَ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ وَضَعَ شَفَتَيْهِ عَلَيْهِ طَوِيلاً، وَكَانَ إِذَا اسْتَلَمَ الرُّكْنَ[3] قَالَ: **«بِسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»**، وَكُلَّمَا أَتَى الْحَجَرَ قَالَ: **«اللَّهُ أَكْبَرُ»** رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ.

وَلَمَّا اسْتَلَمَ ﷺ الْحَجَرَ مَضَى عَلَى يَمِينِهِ[4]، فَرَمَلَ ثَلاَثاً، وَمَشَى أَرْبَعاً.

وَلَمَّا فَرَغَ ﷺ مِنْ طَوَافِهِ أَتَى الْمَقَامَ فَقَرَأَ: **﴿وَٱتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾**[5]، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَالْمَقَامُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَقَرَأَ فِيهِمَا بِـ**﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾** وَ**﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾** ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ الَّذِي فِيهِ الْحَجَرُ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: **﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾**[6]، أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ، فَبَدَأَ بِالصَّفَا،

---

(١) انظر مخطط المسجد الحرام في كتابي (دليل الحاج والمعتمر والزائر).

(٢) وهو عصاً محنيّة الرأس.

(٣) اليمانيّ.

(٤) فيكون البيت عن يساره.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

فَرَقِيَ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ وَقَالَ: «**لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ**»، ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذٰلِكَ، قَالَ مِثْلَ هٰذَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ ـ أَيْ: تَوَجَّهَ إِلَيْهَا ـ، حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي رَمَلَ، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَثُرَ عَلَيْهِ النَّاسُ يَقُولُونَ: هٰذَا مُحَمَّدٌ، هٰذَا مُحَمَّدٌ، حَتَّى خَرَجَ الْعَوَاتِقُ[1] مِنَ الْبُيُوتِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لاَ يُضْرَبُ النَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَمَّا كَثُرَ عَلَيْهِ رَكِبَ، وَالْمَشْيُ فِي السَّعْيِ أَفْضَلُ. هٰذَا لَفْظُ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ.

وَكَانَ ﷺ مُدَّةَ مَقَامِهِ بِمَنْزِلِهِ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ بِالْمُسْلِمِينَ بِظَاهِرِ مَكَّةَ يَقْصُرُ الصَّلاَةَ فِيهِ، وَكَانَتْ مُدَّةُ إِقَامَتِهِ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْخُرُوجِ إِلَى مِنًى أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ.

وَقَدِمَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْيَمَنِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «**بِمَ أَهْلَلْتَ؟**» فَقَالَ: بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «**لَوْلاَ أَنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ لأَحْلَلْتُ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

وَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ[2] الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِئَةً.

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ (وَهُوَ الثَّامِنُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَكَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ

---

(١) الأبكار من النساء.

(٢) جملتها.

ضُحَى) رَكِبَ ﷺ وَتَوَجَّهَ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى مِنًى وَقَدْ أَحْرَمَ بِالْحَجِّ مَنْ كَانَ أَحَلَّ مِنْهُمْ، فَصَلَّى ﷺ بِمِنًى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلاً حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعْرٍ فَضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ مِنْ عَرَفَةَ، فَلَمَّا بَلَغَهَا نَزَلَ بِهَا، حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ[1] أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ[2] فَرُحِلَتْ لَهُ[3]، فَرَكِبَ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي[4]، فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ: **«إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذَا، فِي شَهْرِكُمْ هٰذَا، فِي بَلَدِكُمْ هٰذَا، أَلاَ إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ»**، وَوَضَعَ: أَيْ: أَسْقَطَ دِمَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ وَرِبَاهَا، وَأَوْصَى بِالنِّسَاءِ خَيْراً، وَقَالَ فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ ﷺ: **«وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟»** قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا[5] إِلَى النَّاسِ، وَيَقُولُ: **«اللَّهُمَّ اشْهَدْ»** (ثَلاَثَ مَرَّاتٍ)، ثُمَّ أَذَّنَ بِلاَلٌ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئاً.

وَلَمَّا فَرَغَ ﷺ مِنْ صَلاَتِهِ رَكِبَ حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ[6]، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ إِلَى الصَّخَرَاتِ[7]، وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ[8]، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَكَانَ أَكْثَرَ دُعَائِهِ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي الْمَوْقِفِ: **«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَالَّذِي نَقُولُ وَخَيْراً مِمَّا نَقُولُ، اللَّهُمَّ لَكَ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي، وَإِلَيْكَ مَآبِي،**

---

(١) مالت عن وسْط السماء.

(٢) ناقته.

(٣) وُضع عليها رِحالها (وهو ما يُركَب عيه).

(٤) وادي عُرَنَة.

(٥) يشير بها.

(٦) في عرفات.

(٧) المفترشات أسفل جبل الرحمة.

(٨) طريقهم الذي يسلكونه في الرَّمْل.

وَلَكَ رَبِّ تُرَاثِي[١]، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَوَسْوَسَةِ الصَّدْرِ، وَشَتَاتِ الأَمْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيَاحُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيحُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ: «أَفْضَلُ الدُّعَاءِ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ ﷺ فِي عَرَفَةَ أَيْضاً كَمَا رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلاَمِي، وَتَرَى مَكَانِي، وَتَعْلَمُ سِرِّي وَعَلاَنِيَتِي، لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي، أَنَا الْبَائِسُ الْفَقِيرُ الْمُسْتَغِيثُ الْمُسْتَجِيرُ الْوَجِلُ[٢] الْمُشْفِقُ، الْمُقِرُّ الْمُعْتَرِفُ بِذُنُوبِهِ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمِسْكِينِ، وَأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الْمُذْنِبِ الذَّلِيلِ، وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ[٣]، مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ، وَفَاضَتْ لَكَ عَبْرَتُهُ[٤]، وَذَلَّ لَكَ جِسْمُهُ، وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ[٥]، اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا، وَكُنْ بِي رَؤُوفاً رَحِيماً، يَا خَيْرَ الْمَسْؤُولِينَ، وَيَا خَيْرَ الْمُعْطِينَ».

وَأَتَاهُ ﷺ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ وَهُوَ بِعَرَفَةَ فَسَأَلُوهُ كَيْفَ الْحَجُّ؟ فَأَمَرَ مُنَادِياً يُنَادِي: «الْحَجُّ عَرَفَةُ، مَنْ جَاءَ لَيْلَةَ جَمْعٍ - أَيْ: قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ - فَقَدْ أَدْرَكَ الْحَجَّ، أَيَّامُ مِنًى ثَلاَثَةٌ، فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ، وَمَنْ

---

(١) ما أخلّفه لورثتي.

(٢) الخائف.

(٣) الذي أصابه الضرّ.

(٤) دمعته.

(٥) لصق بالتراب، بمعنى: خضع وذلّ.

تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ. (وَجَمْعٌ: هِيَ الْمُزْدَلِفَةُ، وَلَيْلَتُهَا: لَيْلَةُ الْعِيدِ).

وَفِي رِوَايَةِ جَابِرٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ[1] قَالَ ﷺ بِعَرَفَةَ: **«وَقَفْتُ هٰهُنَا، وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ، وَهٰهُنَا أُنْزِلَ عَلَيَّ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾»** الآيَةَ[2]، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ بِحَيْثُ ذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلا حِينَ غَابَ الْقُرْصُ أَفَاضَ ﷺ مِنْ عَرَفَةَ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ وَقَدْ شَنَقَ[3] لِلْقَصْوَاءِ الزِّمَامَ، حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ[4] وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: **«أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ»**، وَكُلَّمَا أَتَى حَبْلاً مِنَ الْحِبَالِ[5] أَرْخَى لَهَا قَلِيلاً حَتَّى تَصْعَدَ[6]، وَأَفَاضَ مِنْ طَرِيقِ الْمَأْزِمَيْنِ[7]. (وَمَعْنَى الْحَبْلِ: التَّلُّ اللَّطِيفُ مِنَ الرَّمْلِ. وَطَرِيقُ الْمَأْزِمَيْنِ: بَيْنَ عَرَفَةَ وَالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ[8]).

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ[9]: أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ سَمِعَ وَرَاءَهُ زَجْراً شَدِيداً وَضَرْباً لِلإِبِلِ، فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ وَقَالَ: **«أَيُّهَا النَّاسُ! عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ»** يَعْنِي: بِالإِسْرَاعِ.

---

(١) ومسلم.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) ضمّ وضيّق.

(٤) وهو الموضع الذي يَثني الراكب رِجله عليه قُدّام واسطة الرحل إذا ملّ من الركوب. أو هو قطعة أَدَم يتورك عليها الراكب، تُجعل في مقدّم الرَّحْل شبه المِخدّة الصغيرة.

(٥) الحَبْل من الرمْل: ما طال وامتد كالحَبْل.

(٦) رواه مسلم من حديث جابر.

(٧) انظر مخطط مشاعر الحج في كتابي (دليل الحاج والمعتمر والزائر).

(٨) أي: مزدلفة.

(٩) عند البخاري.

وَفِي رِوَايَةِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ: كَانَ يَسِيرُ الْعَنَقَ، فَإِذَا وَجَدَ فَجْوَةً نَصَّ. (وَالْعَنَقُ: سَيْرٌ بَيْنَ الإِبْطَاءِ وَالإِسْرَاعِ. وَالنَّصُّ: فَوْقَ الْعَنَقِ. وَالْفَجْوَةُ: الْمَكَانُ الْوَاسِعُ).

وَلَمَّا كَانَ ﷺ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ نَزَلَ فَبَالَ، وَتَوَضَّأَ وُضُوءاً خَفِيفاً، فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ: الصَّلاَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**الصَّلاَةُ أَمَامَكَ**»، فَرَكِبَ حَتَّى أَتَى مُزْدَلِفَةَ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِإِقَامَةٍ، وَتَرَكَ ﷺ قِيَامَ اللَّيْلِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَنَامَ حَتَّى أَصْبَحَ، مَعَ كَوْنِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، وَلٰكِنَّهُ أَرَاحَ نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ لِمَا تَقَدَّمَ[1] فِي عَرَفَةَ، وَلِمَا هُوَ بِصَدَدِهِ يَوْمَ النَّحْرِ مِنْ كَوْنِهِ نَحَرَ بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ ثَلاَثاً وَسِتِّينَ بَدَنَةً، وَذَهَبَ إِلَى مَكَّةَ لِطَوَافِ الإِفَاضَةِ، وَرَجَعَ إِلَى مِنًى. كَمَا نَبَّهَ عَلَيْهِ فِي شَرْحِ تَقْرِيبِ الأَسَانِيدِ[2].

وَعَنْ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا لأُمَّتِهِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِالْمَغْفِرَةِ، فَأُجِيبَ: «**إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ مَا خَلاَ الظَّالِمَ، فَإِنِّي آخُذُ لِلْمَظْلُومِ مِنْهُ**»، قَالَ: «**أَيْ رَبِّ! إِنْ شِئْتَ أَعْطَيْتَ الْمَظْلُومَ مِنَ الْجَنَّةِ وَغَفَرْتَ لِلظَّالِمِ**»، فَلَمْ يُجَبْ عَشِيَّتَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ بِالْمُزْدَلِفَةِ أَعَادَ الدُّعَاءَ فَأُجِيبَ إِلَى مَا سَأَلَ، قَالَ: فَضَحِكَ ﷺ، أَوْ قَالَ: تَبَسَّمَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنَّ هٰذِهِ لَسَاعَةٌ مَا كُنْتَ تَضْحَكُ فِيهَا، فَمَا الَّذِي أَضْحَكَكَ؟ أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ، قَالَ: «**إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ اسْتَجَابَ دُعَائِي وَغَفَرَ لأُمَّتِي أَخَذَ التُّرَابَ فَجَعَلَ يَحْثُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ، فَأَضْحَكَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ**» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَأَبُو دَاوُدَ.

---

(١) له من الأعمال.

(٢) تقريب الأسانيد للحافظ العراقي، وشرحه لولده أبي زُرعة أحمد بن عبدالرحيم.

وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ عَنْ غَيْرِ الْعَبَّاسِ مَا يُبَيِّنُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الأُمَّةِ مَنْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ. وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: إِنَّهُ مَحْمُولٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَظَالِمِ عَلَى مَنْ تَابَ وَعَجَزَ عَنْ وَفَائِهِ.

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»[1].

وَهُوَ مَخْصُوصٌ بِالْمَعَاصِي الْمُتَعَلِّقَةِ بِحُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى خَاصَّةً دُونَ الْعِبَادِ[2].

وَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الْفَجْرَ حِينَ تَبَيَّنَ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ.

وَفِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ: قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِلْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ غَدَاةَ النَّحْرِ[3] وَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى رَاحِلَتِهِ: «**هَاتِ الْقُطْ لِي**»، فَلَقَطَ حَصَيَاتٍ مِثْلَ حَصَى الْخَذْفِ ـ أَيْ: الرَّمْيِ، وَالْمُرَادُ: الْحَصَىٰ الصِّغَارُ ـ فَلَمَّا وَضَعَهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ: «**بِأَمْثَالِ هٰؤُلاَءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ**».

ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ الْقَصْوَاءَ[4] حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ[5]، فَرَقِيَ عَلَيْهِ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفاً حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا[6]، فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ.

---

(١) وهو في البخاري ومسلم بلفظ: «**مَن حجّ هذا البيت فلم يرفُث ولم يفسق رجع كما ولدته أمّه**».

(٢) وبالصغائر دون الكبائر علىٰ قول الجمهور. قال ابن تيمية: مَن اعتقد أن الحج يُسقِط ما وجب عليه من الحقوق (كالصلاة) يُستتاب، وإلا قُتِل، ولا يَسقط حق الآدمي بالحج إجماعاً. اهـ من الأصل.

(٣) صبح يوم النحر.

(٤) ناقته.

(٥) وهو جبل صغير آخر المزدلفة يسمىٰ (قُزَح).

(٦) الإسفار: تبيُّن الوجوه.

وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ عِنْدَ الطَّبرِيِّ: لَمَّا أَصْبَحَ ﷺ بِالْمُزْدَلِفَةِ غَدَا فَوَقَفَ عَلَى قُزَحَ، وَأَرْدَفَ الفَضلَ، ثُمَّ قَالَ: **«هٰذَا الْمَوْقِفُ، وَكُلُّ الْمُزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ»** حَتَّى إِذَا أَسْفَرَ دَفَعَ.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ أُسَامَةَ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ، ثُمَّ أَرْدَفَ الْفَضلَ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ إِلَى مِنًى، فَكِلاَهُمَا قَالَ: لَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا.

وَفِي رِوَايَةِ جابِرٍ[١]: فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بَطْنَ مُحَسِّرٍ حَرَّكَ نَاقَتَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ قَلِيلاً. (وَمُحَسِّرٌ: مَوْضِعٌ بَيْنَ مُزْدَلِفَةَ وَمِنًى، وَهُوَ مَكَانٌ نَزَلَ فِيهِ الْعَذَابُ عَلَى أَصْحَابِ الْفِيلِ).

ثُمَّ سَلَكَ ﷺ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ، رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، وَجَعَلَ الْبَيْتَ عَنْ يَسَارِهِ، وَمِنًى عَنْ يَمِينِهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْجَمْرَةَ، وَكَانَ رَمْيُهُ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ ضُحًى، كَمَا قَالَهُ جَابِرٌ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ[٢].

وَفِي رِوَايَةِ أُمِّ الْحُصَيْنِ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ: رَأَيْتُ أُسَامَةَ وَبِلاَلاً، أَحَدُهُمَا آخِذٌ بِخِطَامِ[٣] نَاقَةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَالآخَرُ رَافِعٌ ثَوْبَهُ يَسْتُرُهُ مِنَ الْحَرِّ، حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ.

وَعَنْ أُمِّ جُنْدُب: رَأَيْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَرْمِي الْجَمْرَةَ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي وَهُوَ رَاكِبٌ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ، وَرَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ يَسْتُرُهُ ـ أَيْ: مِنَ

---

(١) عند مسلم.
(٢) كأصحاب السنن.
(٣) الخِطام: ما يوضع على خَطم (أنف) الجمل ليقاد به.

الْحَرّ ـ، فَسَأَلْتُ عَنِ الرَّجُلِ فَقَالُوا: الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ. وَازْدَحَمَ النَّاسُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ لاَ يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، وَإِذَا رَمَيْتُمُ الْجَمْرَةَ فَارْمُوا بِمِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ»**[1].

وَفِي رِوَايَةِ جَابِرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَأَبِي دَاوُدَ قَالَ: رَأَيْتُهُ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَهُوَ يَقُولُ: **«خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ، لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حِجَّتِي هٰذِهِ»**.

وَفِي رِوَايَةِ قُدَامَةَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: رَأَيْتُهُ ﷺ يَرْمِي الْجِمَارَ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ صَهْبَاءَ[2]، لَيْسَ ضَرْبٌ وَلاَ طَرْدٌ، وَلاَ إِلَيْكَ إِلَيْكَ[3].

ثُمَّ انْصَرَفَ ﷺ إِلَى الْمَنْحَرِ، فَنَحَرَ ثَلاثاً وَسِتِّينَ بَدَنَةً، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا فَنَحَرَ مَا غَبَرَ، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ[4]، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ، فَجُعِلَتْ فِي قِدْرٍ فَطُبِخَتْ، فَأَكَلاَ مِنْ لَحْمِهَا، وَشَرِبَا مِنْ مَرَقِهَا[5]. (قَوْلُهُ «فَنَحَرَ مَا غَبَرَ» أَيْ: مَا بَقِيَ مِنَ الْبُدْنِ، وَكَانَتْ مِئَةً).

وَفِي رِوَايَةِ جَابِرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ: نَحَرَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَنْ نِسَائِهِ بَقَرَةً.

ثُمَّ أَتَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَنْزِلَهُ بِمِنًى، ثُمَّ قَالَ لِلْحَلاَّقِ: **«خُذْ»**، فَبَدَأَ بِالشِّقِّ الأَيْمَنِ، فَوَزَّعَهُ الشَّعْرَةَ وَالشَّعْرَتَيْنِ بَيْنَ النَّاسِ، ثُمَّ قَالَ: **«بِالأَيْسَرِ»**، فَصَنَعَ مِثْلَ ذٰلِكَ، ثُمَّ قَالَ: **«هٰهُنَا أَبُو طَلْحَةَ؟»** فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ[6].

---

(١) رواه أبو داود. والخَذْف: جعْل الحصاة بين السبابتين، أو وضع طرف الإبهام علىٰ طرف السبابة ورميها. وقدْر حصى الخذف: دون الأنملة.

(٢) ذات لون أصفر ضارب إلىٰ شيء من الحمرة والبياض.

(٣) أي: ما كان الناس يُضربون أو يُطردون، ولا يقال لهم: إليك إليك (أي: ابتعِد).

(٤) أي: في ذبحها، أو أشرك النبي ﷺ عليًا في ثواب هديه.

(٥) رواه مسلم وأبو داود.

(٦) وقال: اقسمه بين الناس. رواه الشيخان.

وَعِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ: وَقَلَّمَ ﷺ أَظْفَارَهُ، وَقَسَمَهَا بَيْنَ النَّاسِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ»**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ»**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ»**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: **«وَلِلْمُقَصِّرِينَ»** رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَفِي رِوَايَةِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو[1]: وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ بِمِنًى لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَنْحَرَ، فَقَالَ: **«اذْبَحْ وَلاَ حَرَجَ»**، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَمْ أَشْعُرْ فَنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ، فَقَالَ: **«ارْمِ وَلاَ حَرَجَ»**، قَالَ: فَمَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ أَوْ أُخِّرَ إِلاَّ قَالَ: **«افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ»** رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ: **«إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهراً، مِنهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وَذو الحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ[2]»** الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، وَقَالَ: **«أَيُّ شَهْرٍ هٰذَا؟»** قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: **«أَلَيس ذَا الحِجَّةِ؟»** قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: **«أَيُّ بَلَدٍ هٰذَا؟»** قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: **«أَلَيسَ البَلَدَ الحَرَامَ؟»** قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: **«فَأَيُّ يَومٍ هٰذَا؟»** قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: **«أَلَيسَ يَوْمَ النَّحرِ؟»** قُلْنَا: بَلَى، قَالَ:

---

(١) ابن العاصي.

(٢) وهي قريش. وكان بين مضر وربيعة اختلاف في رجب، فكانت مضر تجعل رجَباً بين جمادیٰ وشعبان، وكانت ربيعة تجعله رمضان، فلهذا أضافه ﷺ إلىٰ مضر. وقيل: لأنهم كانوا يعظِّمونه أكثر من غيرهم. انظر شرح مسلم للنووي.

«**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذَا، فِي بَلَدِكُمْ هٰذَا، فِي شَهْرِكُمْ هٰذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلاَ لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً ضُلاَّلاً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: فَوَدَّعَ النَّاسَ.

وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ: عَنْ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ مُعَاذٍ التَّيْمِيِّ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ بِمِنًى، فَفُتِحَتْ أَسْمَاعُنَا حَتَّى كُنَّا نَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا، فَطَفِقَ يُعَلِّمُهُمْ مَنَاسِكَهُمْ حَتَّى بَلَغَ الْجِمَارَ، فَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «**بِحَصَى الْخَذْفِ**»[1]، ثُمَّ أَمَرَ الْمُهَاجِرِينَ فَنَزَلُوا فِي مُقَدَّمِ الْمَسْجِدِ، وَأَمَرَ الأَنْصَارَ أَنْ يَنْزِلُوا وَرَاءَ الْمَسْجِدِ، قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ النَّاسُ بَعْدَ ذٰلِكَ.

ثُمَّ رَكِبَ ﷺ قَبْلَ الظُّهْرِ، فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ، فَطَافَ طَوَافَ الإِفَاضَةِ (وَهُوَ طَوَافُ الزِّيَارَةِ، وَالرُّكْنِ، وَالصَّدَرِ).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَزُورُ الْبَيْتَ كُلَّ لَيْلَةٍ مَا أَقَامَ بِمِنًى. الْحَدِيثَ.

وَأَتَى ﷺ زَمْزَمَ (وَبَنُو عَبْدِالْمُطَّلِبِ يَسْقُونَ عَلَيْهَا) فَقَالَ: «**انْزِعُوا**[2] **بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَوْلاَ أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ**»، فَنَاوَلُوهُ دَلْواً فَشَرِبَ مِنْهُ.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ[3]: فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ[4].

---

(١) أي: بالحصى الصغار.

(٢) النزع: رفع الماء من البئر.

(٣) عند الشيخين.

(٤) لبيان الجواز، أما النهي عن الشرب قائماً فمحمول على كراهة التنزيه.

وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ. وَقِيلَ بِمِنًى، وَفِي كُلٍّ حَدِيثٌ صَحِيحٌ[١].

ثُمَّ رَجَعَ ﷺ إِلَى مِنًى، فَمَكَثَ بِهَا لَيَالِيَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، يَرْمِي الْجَمْرَةَ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ[٢] كُلَّ جَمْرَةٍ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ، وَيَقِفُ عِنْدَ الأُولَى وَالثَّانِيَةِ فَيُطِيلُ الْقِيَامَ فِيهِمَا وَيَتَضَرَّعُ، وَيَرْمِي الثَّالِثَةَ فَلاَ يَقِفُ عِنْدَهَا. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: كَانَ ﷺ إِذَا رَمَى الْجِمَارَ مَشَى إِلَيْهَا ذَاهِباً وَرَاجِعاً.

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ[٣]: وَكَانَ يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ فِي الْجَمْرَتَيْنِ الدُّنْيَا وَالْوُسْطَى، وَيَرْمِي جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي[٤].

ثُمَّ أَفَاضَ ﷺ بَعْدَ الظُّهْرِ يَوْمَ الثَّلاَثَاءِ بَعْدَ أَنْ أَكْمَلَ رَمْيَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَلَمْ يَتَعَجَّلْ فِي يَوْمَيْنِ إِلَى الْمُحَصَّبِ (وَهُوَ الأَبْطَحُ[٥]، وَحَدُّهُ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ[٦]، وَهُوَ خَيْفُ بَنِي كِنَانَةَ)[٧] فَوَجَدَ مَوْلاَهُ أَبَا رَافِعٍ[٨] قَدْ ضَرَبَ[٩] قُبَّتَهُ هُنَاكَ، وَكَانَ عَلَى ثَقَلِهِ[١٠].

---

(١) عند مسلم.
(٢) عن وسْط السماء عند الظهر.
(٣) وهو في الصحيحين.
(٤) جاعلاً مكة عن يساره، ومنًى عن يمينه، والعقبةَ أمامه.
(٥) الأبطح: المكان المتّسع يمرّ به السيل فيترك فيه الرمل والحصى الصغار.
(٦) مقبرة المعْلاة. انظر مخطط مشاعر الحج في كتابي (دليل الحج والمعتمر والزائر).
(٧) الخَيْف: الناحية. وأصل الخَيْف: ما انحدر عن غِلَظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء.
(٨) عبده وخادمه، واسمه: أسلم.
(٩) نصَب.
(١٠) متاعه.

وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ، ثُمَّ رَقَدَ رَقْدَةً بِالْمُحَصَّبِ، ثُمَّ رَكِبَ إِلَى الْبَيْتِ وَطَافَ بِهِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَهٰذَا هُوَ طَوَافُ الْوَدَاعِ.

ثُمَّ ارْتَحَلَ ﷺ رَاجِعاً إِلَى الْمَدِينَةِ، فَخَرَجَ مِنْ كُدَى (وَهِيَ عِنْدَ بَابِ شُبَيْكَةَ).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ ﷺ لَقِيَ رَكْباً بِالرَّوْحَاءِ[١]، فَقَالَ: «**مَنِ الْقَوْمُ؟**» فَقَالُوا: الْمُسْلِمُونَ، فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: «**رَسُولُ اللّٰهِ**»، فَرَفَعَتِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا لَهَا فِي مِحَفَّةٍ[٢] فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ أَلِهٰذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ**».

وَلَمَّا وَصَلَ ﷺ لِذِي الْحُلَيْفَةِ بَاتَ بِهَا لِئَلاَّ يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ لَيْلاً، فَلَمَّا رَأَى الْمَدِينَةَ كَبَّرَ ثَلاَثاً وَقَالَ: «**لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللّٰهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ**».

ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ نَهَاراً مِنْ طَرِيقِ الْمُعَرَّسِ (مَكَانٌ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ وَالشَّجَرَةُ[٣] الَّتِي بَاتَ بِهَا ﷺ فِي ذِهَابِهِ إِلَى مَكَّةَ عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ).

وَأَمَّا عُمَرُهُ ﷺ:

فَهِيَ أَرْبَعٌ: فَفِي الصَّحِيحَيْنِ وَسُنَنِ التِّرْمِذِيِّ وَأَبِي دَاوُدَ: عَنْ قَتَادَةَ قَالَ:

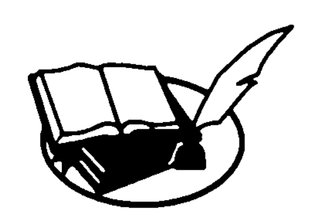
---

(١) موضع بين الحرمين علىٰ ستة وثلاثين ميلاً من المدينة. والميل ١٧١٨,٧ متراً.

(٢) المِحَفَّة: الهودج الذي لا قُبّة له، تركب فيه المرأة.

(٣) موضع معروف علىٰ طريق مَن أراد الذهاب إلىٰ مكة من المدينة.

سَأَلْتُ أَنَساً كَمْ حَجَّ رَسُولُ اللّهِ ﷺ؟ قَالَ: «حِجَّةً وَاحِدَةً»[1]، وَاعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ: عُمْرَةً فِي ذِي الْقَعْدَةِ[2]، وَعُمْرَةَ الْحُدَيْبِيَةِ[3]، وَعُمْرَةً مَعَ حِجَّتِهِ، وَعُمْرَةَ الْجِعْرَانَةِ[4]، إِذْ قَسَمَ غَنِيمَةَ حُنَيْنٍ. وَهٰذَا لَفْظُ رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ.



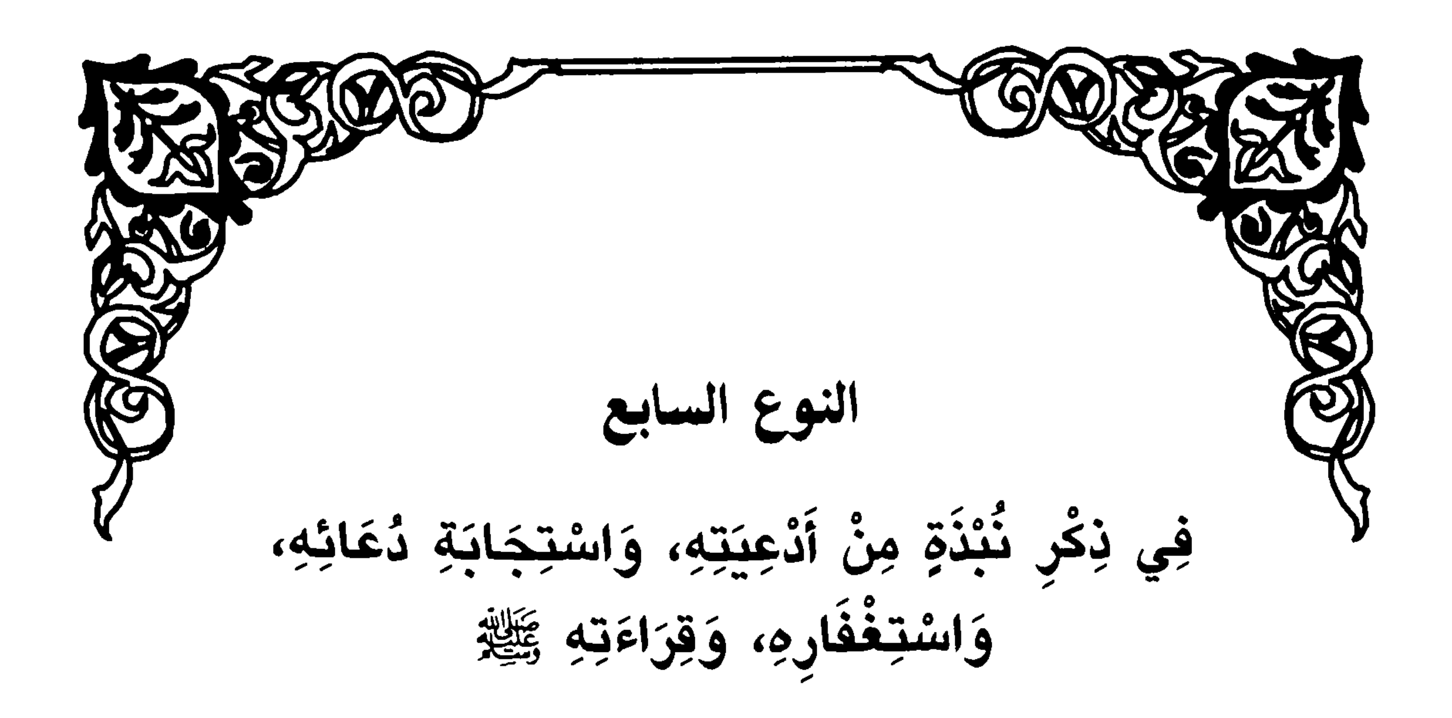
---

(١) أي: بعد الهجرة، وإلا فقد كان يحج عليه الصلاة والسلام كل سنة قبل أن يهاجر.

(٢) من السنة السادسة في غزوة الحديبية، والتي صدّه المشركون عنها.

(٣) في ذي القعدة من السنة السابعة، وهي عمرة القضاء، وسمّيت بذلك لأن الرسول ﷺ قاضىٰ فيها قريشاً (أي: صالحهم)، وليست قضاءً عن العمرة التي صُدَّ عنها، لأنها لم تلزم في الذمة، فلا يجب قضاؤها، والمحصَر يرجع أمره كما كان قبل الإحرام، فإن أُحصر في نُسُك الفرض بقي في ذمّته، وإن أُحصر في تطوُّع لم يلزمه شيء.

(٤) في ذي القعدة من السنة الثامنة بعد فتح مكة ورجوعه من الطائف.



النوع السابع

فِي ذِكْرِ نُبْذَةٍ مِنْ أَدْعِيَتِهِ، وَاسْتِجَابَةِ دُعَائِهِ، وَاسْتِغْفَارِهِ، وَقِرَاءَتِهِ ﷺ

كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الْدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذٰلِكَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ. (وَالْجَوَامِعُ: الَّتِي تَجْمَعُ الأَغْرَاضَ الصَّالِحَةَ وَالْمَقَاصِدَ الصَّحِيحَةَ، أَوْ تَجْمَعُ الْثَّنَاءَ عَلَى اللّهِ تَعَالَى وَآدَابَ الْمَسْأَلَةِ).

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْماً، الْحَمْدُ لِلّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ**» رَوَاهُ الْتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَكَانَ أَكْثَرَ دُعَائِهِ ﷺ: «**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**» رَوَاهُ الْشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «رَبِّ أَعِنِّي وَلاَ تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلاَ تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلاَ تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِراً، لَكَ ذَاكِراً، لَكَ رَاهِباً، مِطْوَاعاً لَكَ، مُخْبِتاً إِلَيْكَ[1]، أَوَّاهاً مُنِيباً، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي[2]، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. (وَالسَّخِيمَةُ: الْحِقْدُ).

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ لاَ تَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذٰلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى.

وَكَانَ أَكْثَرَ دُعَائِهِ ﷺ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي جَسَدِي، وَعَافِنِي فِي سَمْعِي

---

(١) خاشعاً.

(٢) ذنبي.

وَبَصَرِي، وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبِّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ» رَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأ.

وَكَانَ ﷺ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ فَالِقَ الإِصْبَاحِ، وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَناً، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ، وَأَمْتِعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي وَقُوَّتِي، وَتَوَفَّنِي فِي سَبِيلِكَ» رَوَاهُ فِي الْمُوَطَّأ.

وَكَانَ ﷺ يَتَعَوَّذُ فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ». (وَضَلَعُ الدَّيْنِ: ثِقَلُهُ وَشِدَّتُهُ).

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُذَامِ وَالْبَرَصِ وَالْجُنُونِ وَسَيِّءِ الأَسْقَامِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لاَ يُسْمَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ، وَمِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ هٰذِهِ الأَرْبَعِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفَجْأَةِ**[1] **نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو أَيْضاً.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَسُوءِ الأَخْلاَقِ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضاً.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضاً.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ**» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَمِنَ الْغَرَقِ وَالْحَرَقِ**[2] **وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ**[3] **أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِراً، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغاً**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْيَسَرِ.

وَكَانَ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْمُعَوِّذَتَانِ أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَى ذٰلِكَ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

---

(١) أو: فُجاءة.

(٢) بفتح الراء: النار.

(٣) لا توجد (مِن) عند أبي داود ولا النسائي.

وَكَانَ ﷺ إِذَا خَافَ قَوْماً قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَكَانَ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: «**إِنَّ أَبَاكُمَا[1] كَانَ يُعَوِّذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ[2] وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ**» رَوَاهُ الْبُخَارِي وَالتِّرْمِذِيُّ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ: «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**».

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا هَمَّهُ أَمْرٌ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ! بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**مَا كَرَبَنِي أَمْرٌ إِلاَّ تَمَثَّلَ لِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! قُلْ: تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ، وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ فِي الضَّالَّةِ: «**اللَّهُمَّ رَادَّ الضَّالَّةِ، وَهَادِيَ الضَّالَّةِ، أَنْتَ تَهْدِي مِنَ الضَّلاَلَةِ، ارْدُدْ عَلَيَّ ضَالَّتِي بِعِزَّتِكَ وَسُلْطَانِكَ، فَإِنَّهَا مِنْ عَطَائِكَ وَفَضْلِكَ**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ.

---

(١) إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

(٢) وهي: كل ذات سُمّ يقتلُ، والجمع: الهوامّ.

وَكَانَ ﷺ يَدْعُو هٰكَذَا: بِبَاطِنِ كَفَّيْهِ[1] وَظَاهِرِهِمَا[2]. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَنَسٍ، وَقَالَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ كَمَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ.

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ وَأَبُو دَاوُدَ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِذَا دَعَا حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ. وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَهْ: وَيَبْسُطُهُمَا. وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ ﷺ إِذَا دَعَا ضَمَّ كَفَّيْهِ وَجَعَلَ بُطُونَهُمَا مِمَّا يَلِي وَجْهَهُ[3]، وَلاَ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ فِي الْقُنُوتِ فِي الصَّلاَةِ، أَمَّا خَارِجَهَا فَقَدْ رُوِيَ فِيهِ خَبَرٌ[4].

وَأَمَّا اسْتِجَابَةُ دُعَائِهِ:

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: دَعَا لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَاغْفِرْ لَهُ**»، فَقَدْ دَفَنْتُ مِنْ صُلْبِي مِئَةً وَاثْنَيْنِ، وَإِنَّ ثَمَرَتِي لَتَحْمِلُ فِي السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ، وَلَقَدْ بَقِيتُ حَتَّى سَئِمْتُ الْحَيَاةَ، وَأَرْجُو الرَّابِعَةَ.

وَدَعَا ﷺ لِمَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّلُولِيِّ: أَنْ يُبَارَكَ لَهُ فِي وَلَدِهِ، فَوُلِدَ لَهُ ثَمَانُونَ ذَكَراً. رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِر.

وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِلَى عَلِيٍّ يَوْمَ خَيْبَرَ - وَكَانَ أَرْمَدَ - فَتَفَلَ فِي عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ**»، قَالَ: فَمَا وَجَدْتُ حَرًّا وَلاَ بَرْداً مُنْذُ ذٰلِكَ الْيَوْمِ، وَلاَ رَمِدَتْ عَيْنَايَ[5].

وَبَعَثَ ﷺ عَلِيًّا إِلَى الْيَمَنِ قَاضِياً، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! لاَ عِلْمَ لِي

---

(١) إن دعا بنحو تحصيل شيء.
(٢) إن دعا بدفع بلاء.
(٣) رواه الطبراني في الكبير.
(٤) ضعيف.
(٥) رواه الطبراني.

بِالْقَضَاءِ، فَقَالَ: «**ادْنُ مِنِّي**»، فَدَنَا مِنْهُ، فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ، وَثَبِّتْ لِسَانَهُ**»، قَالَ عَلِيٌّ: فَوَاللَّهِ مَا شَكَكْتُ فِي قَضَاءٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[1].

وَعَادَ ﷺ عَلِيًّا مِنْ مَرَضٍ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْفِهِ، اللَّهُمَّ عَافِهِ**»، ثُمَّ قَالَ: «**قُمْ**»، قَالَ عَلِيٌّ: فَمَا عَادَ لِي ذٰلِكَ الْوَجَعُ بَعْدُ. رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ[2].

وَمَرِضَ أَبُو طَالِبٍ، فَعَادَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ[3]: يَا ابْنَ أَخِي ادْعُ رَبَّكَ الَّذِي تَعْبُدُ أَنْ يُعَافِيَنِي، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْفِ عَمِّي**»، فَقَامَ أَبُو طَالِبٍ كَأَنَّمَا أُنْشِطَ - أَيْ: حُلَّ - مِنْ عِقَالٍ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ رَبَّكَ الَّذِي تَعْبُدُ

---

(١) فمن ذلك: أن امرأة جاءت إليه وقالت: توفّي أخي وخلّف ست مئة درهم، فما أعطاني القاضي سوىٰ درهم واحد، فقال لها: مات أخوك وخلّف بنتين فلهما الثلثان أربع مئة درهم، والزوجة لها الثمن خمسة وسبعين، والأم لها السدس مئة درهم، بقي خمسة وعشرون، وله من الإخوة الذكور اثنا عشر، أخذ كل واحد درهمين، فلم يبقَ إلا درهم واحد، فهو لك.
وسئل وهو علىٰ المنبر: رجل مات عن امرأة وأبوين وبنتين فقال علىٰ الفور: صار ثُمن المرأة تُسعاً، ومرّ علىٰ خطبته. وذلك أن للزوجة الثمن، ولكل من الأب والأم السدس، وللبنتين الثلثين، فعالت المسألة من أربع وعشرين إلىٰ سبع وعشرين، فصار نصيب المرأة التُسع بدل الثُمن.

		٢٤ ⟵ ٢٧
$\frac{1}{8}$	زوجة	٣
$\frac{1}{6}$	أب	٤
$\frac{1}{6}$	أم	٤
$\frac{2}{3}$	بنت ٢	١٦

(٢) البيهقي وأبو نُعيم.

(٣) أبو طالب.

لَيُطِيعُكَ، فَقَالَ: «**وَأَنْتَ يَا عَمَّاهُ لَئِنْ أَطَعْتَ اللَّهَ لَيُطِيعَنْكَ**» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ[١] مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

وَدَعَا ﷺ لابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، اللَّهُمَّ أَعْطِ ابْنَ عَبَّاسٍ الْحِكْمَةَ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**» رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ. وَفِي الْبُخَارِيِّ: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ**»، فَكَانَ حَبْرَ الأُمَّةِ[٢]، بَحْرَ الْعِلْمِ، رَئِيسَ الْمُفَسِّرِينَ، تَرْجُمَانَ الْقُرْآنِ.

وَقَالَ ﷺ لِلنَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ لَمَّا أَنْشَدَهُ (وَلاَ خَيْرَ فِي حِلْمٍ) الْبَيْتَيْنِ:

وَلاَ خَيْرَ فِيْ حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ إِنْ تَكَدَّرَا
وَلاَ خَيْرَ فِي عِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرَا

لاَ يَفْضُضِ اللَّهُ فَاكَ ـ أَيْ: لاَ يُسْقِطِ اللَّهُ أَسْنَانَكَ ـ فَأَتَى عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ مِئَةِ سَنَةٍ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْراً[٣]. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَسَقَاهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَمْرُو بْنُ أَخْطَبَ مَاءً فِي قَدَحٍ قَوَارِيرَ[٤]، فَرَأَى فِيهِ شَعْرَةً بَيْضَاءَ فَأَخَذَهَا[٥]، فَقَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ**»، فَبَلَغَ ثَلاَثاً وَتِسْعِينَ سَنَةً وَمَا فِي لِحْيَتِهِ وَرَأْسِهِ[٦] شَعْرَةٌ بَيْضَاءُ. رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَرَوَى مَعْمَرٌ: أَنَّ يَهُودِيًّا حَلَبَ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَاقَةً، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ**» فَاسْوَدَّ شَعْرُهُ وَعَاشَ تِسْعِينَ سَنَةً فَلَمْ يَشِبْ. أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ.

---

(١) ابن عدي وأبو نُعيم.
(٢) عالمَها.
(٣) سِنًّا.
(٤) زجاج.
(٥) رواية أحمد: فكانت فيه شعرة فأخذتها.
(٦) لا توجد هذه الكلمة في المسند.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لابْنِ الْحَمِقِ الْخُزَاعِيِّ وَقَدْ سَقَى النَّبِيَّ ﷺ لَبَناً: **«اللَّهُمَّ مَتِّعْهُ بِشَبَابِهِ»**، فَمَرَّتْ عَلَيْهِ ثَمَانُونَ سَنَةً وَلَمْ يَرَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ. رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ.

وَجَاءَتْهُ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَدْ عَلاَهَا الصُّفْرَةُ مِنَ الْجُوعِ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا ﷺ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهَا، ثُمَّ قَالَ: **«اللَّهُمَّ مُشْبِعَ الْجَاعَةِ، لاَ تُجِعْ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ»**، قَالَ عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا وَقَدْ عَلاَهَا الدَّمُ عَلَى الصُّفْرَةِ فِي وَجْهِهَا، وَلَقِيتُهَا بَعْدُ فَقَالَتْ: مَا جُعْتُ يَا عِمْرَانُ. ذَكَرَهُ يَعْقُوبُ الإِسْفَرَائِينِيُّ.

وَدَعَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِعُرْوَةَ بْنِ الْجَعْدِ الْبَارِقِيِّ، فَقَالَ: **«اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ»**، قَالَ: فَمَا اشْتَرَيْتُ شَيْئاً قَطُّ إِلاَّ رَبِحْتُ فِيهِ[1].

وَقَالَ لِجَرِيرٍ وَكَانَ لاَ يَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ وَضَرَبَ فِي صَدْرِهِ: **«اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيًّا»**، قَالَ: فَمَا وَقَعْتُ عَنْ فَرَسٍ بَعْدُ.

وَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ: **«اللَّهُمَّ أَجِبْ دَعْوَتَهُ»**، فَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ[2].

وَدَعَا لِعَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ بِالْبَرَكَةِ، قَالَ: فَلَوْ رَفَعْتُ حَجَراً لَرَجَوْتُ أَنْ أُصِيبَ تَحْتَهُ ذَهَباً أَوْ فِضَّةً. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) كالطبراني. فمن أشهر ذلك ما روي في الصحيحين أن أهل الكوفة شكَوا سعداً إلىٰ عمر بن الخطاب، فبعث مَن يسأل عنه، فأثنوا عليه خيراً، إلا أسامة بن قتادة إذ قال فيه: إنه لا يسير في السريّة، ولا يَقسِم بالسويّة، ولا يعدل في الرعية القضيّة، فبلغ سعداً فقال: اللهم إن كان عبدك هذا قام مقام رياء وسمعة فأطِل عمره، وأدِم فقره، وأغم بصره، وعرّضه للفتن، فصار شيخاً كبيراً يقف في الطريق فيغمز الجواري، فيقال له فيَقول: شيخ مفتون أصابته دعوة سعد.

وَدَعَا ﷺ عَلَى مُضَرَ[1] فَأَقْحَطُوا، حَتَّى أَكَلُوا الْعِلْهِزَ (وَهُوَ الدَّمُ بِالْوَبَرِ)، حَتَّى اسْتَعْطَفَتْهُ قُرَيْشٌ[2].

وَدَعَا ﷺ عَلَى عُتَيْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْباً مِنْ كِلابِكَ**»، فَقَتَلَهُ الأَسَدُ. وَتَقَدَّمَتْ قِصَّتُهُ فِي الْمَقْصَدِ الثَّانِي[3].

وَعَنْ مَازِنٍ الطَّائِيِّ ـ وَكَانَ بِأَرْضِ عُمَانَ ـ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي امْرُؤٌ مُولَعٌ بِالطَّرَبِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَالنِّسَاءِ، وَأَلَحَّتْ عَلَيْنَا السُّنُونَ فَأَذْهَبْنَ الأَمْوَالَ وَأَهْزَلْنَ الذَّرَارِيَ وَالرِّجَالِ، وَلَيْسَ لِيَ وَلَدٌ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَ عَنِّي مَا أَجِدُ، وَيَأْتِيَنِي بِالْحَيَا ـ أَيْ: الْمَطَرِ ـ وَيَهَبَ لِي وَلَداً، فَقَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَبْدِلْهُ بِالطَّرَبِ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ، وَبِالْحَرَامِ الْحَلالَ، وَأْتِهِ بِالْحَيَا، وَهَبْ لَهُ وَلَداً**»، قَالَ مَازِنٌ: فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنِّي كُلَّ مَا كُنْتُ أَجِدُ، وَأَخْصَبَتْ عُمَانُ، وَتَزَوَّجْتُ أَرْبَعَ حَرَائِرَ، وَوَهَبَ اللَّهُ لِي حَيَّانَ بْنَ مَازِنٍ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَلَمَّا نَزَلَ ﷺ بِتَبُوكَ صَلَّى إِلَى نَخْلَةٍ، فَمَرَّ رَجُلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا[4]،

---

(١) قريش.

(٢) رواه الحاكم والطبراني.

(٣) في المواهب اللدنيّة. ملخّصها: أنه تزوّج أم كلثوم بنتَ رسول الله ﷺ كما تزوّج أخوه عتبةُ أختَها رقيّةَ، فلما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ قال لهما أبوهما: رأسي من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتَي محمد، ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما، ويروىٰ أن عُتيبة لما فارق أمَّ كُلثوم جاء إلىٰ النبي ﷺ فقال: كفرتُ بدينك، وفارقت ابنتك، لا تحبّني ولا أحبّك، ثم سطا عليه، وشقّ قميصه وهو خارج نحو الشام تاجراً، فقال ﷺ: «**اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك**»، حتىٰ إذا نزلوا مكاناً من الشام يقال له الزرقاء ليلاً، فأطاف بهم الأسد، فجعلت فرائص عتيبة تُرعد وهو يقول: هو والله آكلي كما دعا عليَّ محمد، حتىٰ جاء النوم، فأحاطوا به، وأحاطوا أنفسهم بمتاعهم، ووسّطوه بينهم، وناموا، فجاء الأسد يستنشق رؤوسهم رَجُلاً رَجُلاً، حتىٰ انتهىٰ إليه فأخذ برأسه.

(٤) قاصداً قطع صلاة النبي ﷺ.

فَقَالَ ﷺ: «**قَطَعَ صَلاَتَنَا، قَطَعَ اللّهُ أَثَرَهُ**»، فَأُقْعِدَ فَلَمْ يَقُمْ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْبَيْهَقِيُّ.

وَأَكَلَ رَجُلٌ عِنْدَهُ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ ﷺ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**»، قَالَ: لاَ أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «**لاَ اسْتَطَعْتَ**»، فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ بَعْدُ[1]. وَالرَّجُلُ: بُسْرُ بْنُ رَاعِي الْعَيْرِ[2].

وَكَانَ مُعَاوِيَةُ رَدِيفَهُ يَوْماً، فَقَالَ: «يَا مُعَاوِيَةُ! مَا يَلِينِي مِنْكَ؟» قَالَ: بَطْنِي، قَالَ: «**اللَّهُمَّ امْلأْهُ عِلْماً وَحِلْماً**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[3].

وَقَالَ ﷺ لأَبِي ثَرْوَانَ: «**اللَّهُمَّ أَطِلْ شَقَاءَهُ وَبَقَاءَهُ**»، فَأُدْرِكَ شَيْخاً كَبِيراً شَقِيًّا يَتَمَنَّى الْمَوْتَ. (وَالشَّقَاءُ هُنَا: التَّعَبُ). وَأَبُو ثَرْوَانَ كَانَ رَاعِيَ إِبِلٍ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِبلَهُ فِي أَوَّلِ الإِسْلاَمِ لَمَّا هَرَبَ مِنْ قُرَيْشٍ، فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا، فَدَعَا عَلَيْهِ، ثُمَّ أَسْلَمَ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ.

وَلَمْ يُنْقَلْ أَنَّهُ ﷺ دَعَا بِشَيْءٍ فَلَمْ يُسْتَجَبْ.

وَأَمَّا اسْتِغْفَارُهُ:

فَكَانَ ﷺ يَسْتَغْفِرُ اللّهَ وَيَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَسْتَغْفِرُ اللّهَ الَّذِي لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**» فِي الْمَجْلِسِ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِئَةَ مَرَّةٍ، وَلَهُ عَنْهُ أَيْضاً: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ**» مِئَةَ مَرَّةٍ.

---

(١) رواه مسلم وزاد: «لم يمنعه إلا الكِبْر».

(٢) العَير: الحمار. أما العِير فالقافلة من الإبل والبغال والحمير.

(٣) في تاريخه.

وَأَخْرَجَ أَيْضاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ! تُوبُوا إِلَى اللَّهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»**.

وَدُعَاؤُهُ وَاسْتِغْفَارُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَشْرِيعٌ لأُمَّتِهِ، وَإِظْهَارٌ لِعُبُودِيَّتِهِ.

وَوَرَدَ فِي حَدِيثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: **«سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ[1] بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ»** قَالَ: **«مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِناً بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ مُوقِناً بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»** فَتَعَيَّنَ أَنَّ هٰذِهِ الْكَيْفِيَّةَ هِيَ الأَفْضَلُ.

وَأَمَّا قِرَاءَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَصِفَتُهَا:

فَكَانَتْ مَدًّا، يَمُدُّ بِبِسْمِ اللَّهِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمٰنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ.

وَنَعَتَتْهَا أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً حَرْفاً حَرْفاً. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[2].

وَقَالَتْ أَيْضاً: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ يَقُولُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ ثُمَّ يَقِفُ، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ثُمَّ يَقِفُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

---

(١) أعترف.

(٢) النسائي والترمذي.

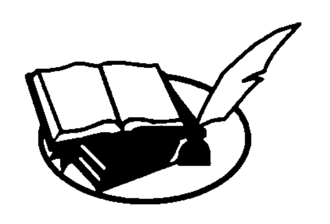
وَقَالَتْ حَفْصَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ يُرَتِّلُ السُّورَةَ، حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا[(١)]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَالَ الْبَرَاءُ: كَانَ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١﴾، فَمَا سَمِعْتُ أَحَداً أَحْسَنَ صَوْتاً أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ ﷺ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَكَانَ ﷺ يَتَغَنَّى بِقِرَاءَتِهِ، وَيُرَجِّعُ صَوْتَهُ أَحْيَاناً[(٢)] كَمَا رَجَّعَ يَوْمَ الْفَتْحِ فِي قِرَاءَةِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾[(٣)].

وَقَدِ اسْتَمَعَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لَيْلَةً لِقِرَاءَةِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ بِذٰلِكَ قَالَ: لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَسْمَعُهُ لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيراً، أَيْ: حَسَّنْتُهُ وَزَيَّنْتُهُ بِصَوْتِي تَزْيِيناً.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لِكُلِّ شَيْءٍ حِلْيَةٌ، وَحِلْيَةُ الْقُرْآنِ حُسْنُ الصَّوْتِ**»[(٤)].



(١) يعني: أن مدة قراءته لها أطول من قراءة سورة أخرىٰ أطول منها إذا قرئت غير مرتّلة.

(٢) أي: يحسّنه، ويمدّ زائداً علىٰ الترتيل مع تقارُب ضروب الحركات في القراءة.

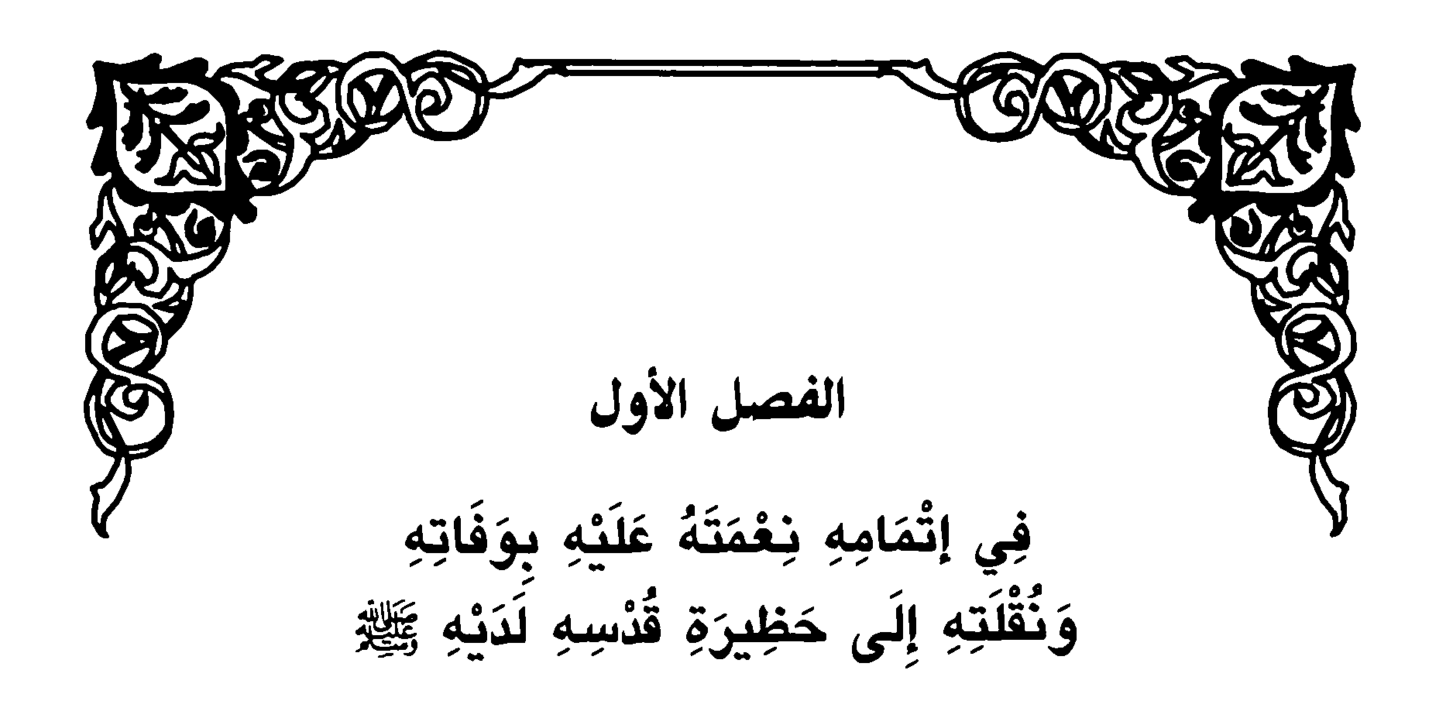
(٣) سورة الفتح، الآية: ١. ذكر الحديث البخاري.

(٤) ضعّفه ابن حبّان والذهبي.

المقصِد العاشر

فِي إِتْمَامِ اللّهِ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ بِوَفَاتِهِ ﷺ، وَزِيَارَةِ قَبْرِهِ الْشَّرِيفِ وَمَسْجِدِهِ الْمُنِيفِ(١)، وَتَفْضِيلِهِ فِي الآخِرَةِ وَتَشْرِيفِهِ بِخَصَائِصِ الزُّلْفَى فِي مَشْهَدِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَتَخْصِيصِهِ بِالشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ فِي مَجْمَعِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَتَرَقِّيهِ فِي الْجَنَّاتِ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، وَفِيهِ ثَلاَثَةُ فُصُولٍ

(١) المرتفع على غيره.



الفصل الأول

فِي إتْمَامِهِ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ بِوَفَاتِهِ وَنُقْلَتِهِ إِلَى حَظِيرَةِ قُدْسِهِ لَدَيْهِ ﷺ

اعْلَمْ أَنَّ الْمَوْتَ لَمَّا كَانَ مَكْرُوهاً بِالطَّبْعِ لَمْ يَمُتْ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ حَتَّى يُخَيَّرَ، وَأَوَّلُ مَا أُعْلِمَ بِهِ ﷺ بِاقْتِرَابِ أَجَلِهِ سُورَةُ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ هٰذِهِ السُّورَةَ آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ يَوْمَ النَّحْرِ وَهُوَ ﷺ بِمِنًى فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ، وَقِيلَ: عَاشَ بَعْدَهَا أَحَداً وَثَمَانِينَ يَوْماً.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ الدَّارِمِيِّ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةَ وَقَالَ: **«نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي»**، فَبَكَتْ، قَالَ: **«لاَ تَبْكِي، فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقاً بِي»**، فَضَحِكَتْ.

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ نُعِيَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَفْسُهُ، فَأَخَذَ بِأَشَدِّ مَا كَانَ قَطُّ اجْتِهَاداً فِي الآخِرَةِ.

وَلِلطَّبَرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ: لَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ السُّورَةُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِجِبْرِيلَ: **«نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي؟»** فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤﴾[1].

---

(١) سورة الضحى، الآية: ٤.

وَرُوِيَ فِي حَدِيثٍ ذَكَرَهُ ابْنُ رَجَبٍ فِي اللَّطَائِفِ[1]: أَنَّهُ ﷺ تَعَبَّدَ حَتَّى صَارَ كَالشَّنِّ الْبَالِي[2].

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ عَلَى جِبْرِيلَ مَرَّةً، فَعَرَضَهُ ذٰلِكَ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ كُلَّ عَامٍ، فَاعْتَكَفَ فِي ذٰلِكَ الْعَامِ عِشْرِينَ، وَأَكْثَرَ مِنَ الذِّكْرِ وَالاسْتِغْفَارِ.

وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ فِي آخِرِ أَمْرِهِ لاَ يَقُومُ وَلاَ يَقْعُدُ وَلاَ يَذْهَبُ وَلاَ يَجِيءُ إِلاَّ قَالَ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**»، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّكَ تَدْعُو بِدُعَاءٍ لَمْ تَكُنْ تَدْعُو بِهِ قَبْلَ الْيَوْمِ؟ فَقَالَ: «**إِنَّ رَبِّي أَخْبَرَنِي أَنِّي سَأَرَى عَلَماً فِي أُمَّتِي**[3]**، وَأَنِّي إِذَا رَأَيْتُهُ أُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ**»، ثُمَّ تَلاَ هٰذِهِ السُّورَةَ[4]. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ[5].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ[6] بَعْدَ ثَمَانِ سِنِينَ كَالْمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «**إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ**[7]**، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ، وَإِنِّي لأَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَنَا فِي مَقَامِي هٰذَا، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا**».

---

(١) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف.

(٢) القِربة الخَلَق. رواه ابن مردويه، والبيهقي في الأسماء والصفات، وابن عساكر، وابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد.

(٣) أي: دليلاً، وهو النصر والفتح ودخول الناس في الدين أفواجاً.

(٤) سورة النصر.

(٥) كابن خزيمة.

(٦) أي: دعا لهم.

(٧) سابق إلىٰ الحوض.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «**إِنَّ عَبْداً خَيَّرَهُ اللّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الْدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ**»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هٰذَا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الْدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا! قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ(١): «**إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ بِصُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلٰكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ، لاَ يَبْقَى فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ(٢) إِلاَّ سُدَّتْ إِلاَّ خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ**»(٣) رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَكَانَتْ هٰذِهِ الْخُطْبَةُ فِي ابْتِدَاءِ مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ﷺ، فَإِنَّهُ خَرَجَ كَمَا رَوَاهُ الْدَّارِمِيُّ وَهُوَ مَعْصُوبُ الرَّأْسِ بِخِرْقَةٍ حَتَّى أَهْوَى إِلَى الْمِنْبَرِ، ثُمَّ بَعْدَ الْخُطْبَةِ هَبَطَ عَنْهُ، فَمَا رُؤِيَ عَلَيْهِ حَتَّى الْسَّاعَةِ.

وَمَا زَالَ ﷺ يُعَرِّضُ بِاقْتِرَابِ أَجَلِهِ فِي آخِرِ عُمُرِهِ، فَإِنَّهُ لَمَّا خَطَبَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ قَالَ لِلنَّاسِ: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ، فَلَعَلِّي لاَ أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هٰذَا**»، وَطَفِقَ يُوَدِّعُ النَّاسَ، فَقَالُوا: هٰذِهِ حِجَّةُ الْوَدَاعِ.

فَلَمَّا رَجَعَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ حِجَّةِ الْوَدَاعِ إِلَى الْمَدِينَةِ جَمَعَ

---

(١) مادحاً أبا بكر ليعلم الناس كلهم فضله، فلا يقع عليه اختلاف في خلافته.

(٢) الخوخة: باب صغير وسْط باب كبير.

(٣) إشارة إلىٰ أن أبا بكر هو الإمام بعده، فإن الإمام يحتاج إلىٰ الاستطراق إلىٰ المسجد، ثم أكّد هذا المعنىٰ بأمره صريحاً: مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس، ولذا قال الصحابة عند بيعة أبي بكر: رضيه رسول الله ﷺ لديننا، أفلا نرضاه لدنيانا.

النَّاسَ بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا فِي طَرِيقِهِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ[1]، فَخَطَبَهُمْ وَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي[2] فَأُجِيبَ»، ثُمَّ حَضَّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَوَصَّى بِأَهْلِ بَيْتِهِ[3].

***

[ابتداءُ مَرَضِهِ ﷺ]

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ: وَكَانَ ابْتِدَاءُ مَرَضِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ صَفَرٍ، وَكَانَتْ مُدَّةُ مَرَضِهِ ثَلاثَةَ عَشَرَ يَوْماً فِي الْمَشْهُورِ.

وَذَكَرَ الْخَطَّابِيُّ: أَنَّهُ ابْتَدَأَ بِهِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ.

وَاخْتُلِفَ فِي مُدَّةِ مَرَضِهِ: فَالأَكْثَرُ أَنَّهَا ثَلاثَةَ عَشَرَ يَوْماً.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنَّ لَهُ، فَخَرَجَ وَهُوَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلاهُ فِي الأَرْضِ، بَيْنَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَبَيْنَ رَجُلٍ آخَرَ ـ أَيْ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ـ.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ دُخُولَهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بَيْتَهَا كَانَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَمَوْتَهُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ الَّذِي يَلِيهِ.

---

(١) على ثلاثة أميال من الجُحْفة، والميل ١٧١٨,٧ متراً.

(٢) ملك الموت.

(٣) رواه مسلم في فضائل علي، ولفظه: «وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به» ثم قال: «وأهلُ بيتي، أذكِّركم اللّهَ في أهل بيتي».

وَفِي الْبُخَارِيِّ: قَالَتْ عَائِشَةُ: وَارَأْسَاهُ، فَقَالَ ﷺ: **«ذَاكِ[1] لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ فَأَسْتَغْفِرَ لَكِ وَأَدْعُوَ لَكِ»**[2]، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَاثُكْلِيَاهُ[3]، إِنِّي لأَظُنُّكَ تُحِبُّ مَوْتِي، فَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ لَظَلِلْتَ آخِرَ يَوْمِكَ مُعَرِّساً بِبَعْضِ أَزْوَاجِكَ، فَقَالَ ﷺ: «**بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهُ**[4]، **لَقَدْ هَمَمْتُ** ـ أَوْ أَرَدْتُ ـ **أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ، فَأَعْهَدَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنُّونَ، ثُمَّ قُلْتُ: يَأْبَى اللّهُ وَيَدْفَعُ**[5] **الْمُؤْمِنُونَ** ـ أَوْ يَدْفَعُ اللّهُ وَيَأْبَى الْمُؤْمِنُونَ ـ»[6].

وَقَدْ تَبَيَّنَ كَمَا نَبَّهَ عَلَيْهِ فِي اللَّطَائِفِ[7] أَنَّ أَوَّلَ مَرَضِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ صُدَاعَ الرَّأْسِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ حُمَّى، فَإِنَّ الْحُمَّى اشْتَدَّتْ بِهِ فِي مَرَضِهِ، فَكَانَ يَجْلِسُ فِي مِخْضَبٍ وَيَصُبُّ عَلَيْهِ الْمَاءَ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ يَتَبَرَّدُ بِذٰلِكَ. (وَالْمِخْضَبُ: إِنَاءٌ يُغْتَسَلُ فِيهِ. وَالأَوْكِيَةُ: جَمْعُ وِكَاءٍ، وَهُوَ رِبَاطُ الْقِرْبَةِ).

وَفِي الْبُخَارِيِّ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: لَمَّا دَخَلَ بَيْتِي وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ قَالَ: **«أَهْرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ»**، فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقِرَبِ، حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ.

وَكَانَتْ عَلَيْهِ ﷺ قَطِيفَةٌ، فَكَانَتِ الْحُمَّى تُصِيبُ مَنْ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهِ مِنْ

---

(١) بكسر الكاف، أي: ما ضرّكِ لو متِّ.
(٢) يشير ﷺ أنه سيموت قبلها.
(٣) الثُّكل: فقد الحبيب.
(٤) أي: دعي ذكر ما تجدينه من وجع رأسك، واشتغلي بي.
(٥) بمعنىٰ: يأبىٰ.
(٦) تتمة الحديث: **«إلا أبا بكر»** وفي رواية للبزّار: **«معاذ الله أن تختلف الناس علىٰ أبي بكر»**.
(٧) لطائف المعارف لابن رجب.

فَوْقِهَا[1]، فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ، فَقَالَ: «**إِنَّا[2] كَذٰلِكَ يُشَدَّدُ عَلَيْنَا الْبَلاَءُ، وَيُضَاعَفُ لَنَا الأَجْرُ**» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُ[3] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

وَعَنْ عَبْدِاللّهِ[4] قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّكَ تُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً! فَقَالَ: «**أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنكُمْ**»، قُلْتُ: ذٰلِكَ أَنَّ لَكَ لأَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «**أَجَلْ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. (وَالْوَعْكُ: الْحُمَّى).

وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ[5] عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْيَمَانِ قَالَتْ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نِسَاءٍ نَعُودُهُ[6]، فَإِذَا سِقَاءٌ يَقْطُرُ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْحُمَّى، فَقَالَ: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلاَءً الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ عُلْبَةٌ أَوْ رَكْوَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ: «**لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**» الْحَدِيثَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَرَوَى أَيْضاً عَنْ عُرْوَةَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهٰذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذٰلِكَ السُّمِّ**». (وَالأَبْهَرُ: عِرْقٌ مُسْتَبْطِنٌ بِالصُّلْبِ يَتَّصِلُ بِالْقَلْبِ، فَإِذَا انْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ).

وَقَدْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ يَرَوْنَ أَنَّهُ ﷺ مَاتَ شَهِيداً مِنَ السُّمِّ.

---

(١) أي: إن حرارة جسمه ﷺ كانت تصل إلى يده لشدّتها.

(٢) أي: معاشر الأنبياء.

(٣) كالحاكم.

(٤) ابن مسعود.

(٥) وأحمد وابن ماجه.

(٦) ولا مانع من ذلك إذا كان مع الحجاب ودون خلوة.

وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ[1] وَمَسَحَ بِيَدَيْهِ، فَلَمَّا اشْتَكَى وَجَعَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ طَفِقْتُ أَنَا أَنْفِثُ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ الَّتِي كَانَ يَنْفُثُ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ. وَفِي رِوَايَةِ مَالِكٍ[2]: وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا.

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: مَرَّ عَبْدُالرَّحمٰنِ وَفِي يَدِهِ جَرِيدَةٌ رَطْبَةٌ[3]، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ بِهَا حَاجَةً، فَأَخَذْتُهَا فَمَضَغْتُ رَأْسَهَا[4] وَنَفَضْتُهَا وَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ، فَاسْتَنَّ بِهَا[5] كَأَحْسَنِ مَا كَانَ مُسْتَنًّا، ثُمَّ نَاوَلَنِيهَا فَسَقَطَتْ يَدُهُ، أَوْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ، فَجَمَعَ اللّهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الآخِرَةِ، وَفِي رِوَايَةٍ[6] أَنَّهَا قَالَتْ: دَخَلَ عَبْدُالرَّحمٰنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي.

وَفِي الْمُسْنَدِ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ لَيُهَوِّنُ عَلَيَّ الْمَوْتَ أَنِّي رَأَيْتُ بَيَاضَ كَفِّ عَائِشَةَ فِي الْجَنَّةِ**» وَفِي رِوَايَةٍ: «**رَأَيْتُهَا فِي الْجَنَّةِ**»[7].

وَيُرْوَى أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ ﷺ فِي مَرَضِهِ سَبْعَةُ دَنَانِيرَ، فَكَانَ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ بِهَا، ثُمَّ يُغْمَى عَلَيْهِ، فَيَشْتَغِلُونَ بِوَجَعِهِ، فَدَعَا بِهَا فَوَضَعَهَا فِي كَفِّهِ

---

(١) سورة الصمد والفلق والناس، وأطلقت على السوَر الثلاث مع أن الصمد ليست منها تغليباً.

(٢) وهي عند البخاري.

(٣) أي: سواك.

(٤) أي: قطعته لإزالة المكان الذي تسوَّك به عبدالرحمٰن.

(٥) أي: استاك.

(٦) عند البخاري.

(٧) والعيش إنما يطيب باجتماع الأحبّة.

وَقَالَ: «مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ بِرَبِّهِ لَوْ لَقِيَ اللَّهَ وَعِنْدَهُ هٰذِهِ؟» ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهَا كُلِّهَا. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ[1] مِنْ طَرِيقِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ فِي شَكْوَاهُ[2] الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا فَضَحِكَتْ، فَسَأَلْنَاهَا عَنْ ذٰلِكَ فَقَالَتْ: سَارَّنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِهِ يَتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[3] عَنْ عَائِشَةَ أَيْضاً أَنَّهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَشْبَهَ سَمْتاً وَهَدْياً وَدَلاً بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قِيَامِهَا وَقُعُودِهَا مِنْ فَاطِمَةَ. (وَالدَّلُّ هُنَا: السَّكِينَةُ، وَالْوَقَارُ، وَحُسْنُ السِّيرَةِ وَالطَّرِيقَةِ، وَاسْتِقَامَةُ الْمَنْظَرِ، وَالْهَيْبَةُ)، وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَامَ إِلَيْهَا وَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَعَلَتْ ذٰلِكَ، فَلَمَّا مَرِضَ دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَأَكَبَّتْ عَلَيْهِ فَقَبَّلَتْهُ.

وَفِي رِوَايَةِ مَسْرُوقٍ: أَنَّ ضِحْكَهَا كَانَ لِإِخْبَارِهِ إِيَّاهَا أَنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّهَا أَوَّلُ أَهْلِهِ لُحُوقاً بِهِ.

وَفِي رِوَايَتِهِ عَنْ عَائِشَةَ: فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحاً أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذٰلِكَ فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ سَأَلْتُهَا[4] فَقَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ: «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ

---

(١) ومسلم.

(٢) في مرضه.

(٣) كالترمذي والنسائي.

(٤) في الأصل: فسألتها.

سَنَةٍ مَرَّةً، **وَأَنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلاَّ حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقاً بِي**».

وَعِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ لِفَاطِمَةَ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ لَيْسَ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَعْظَمَ رَزِيَّةً**(١) **مِنْكِ، فَلاَ تَكُونِي أَدْنَى**(٢) **امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ صَبْراً**».

وَفِي الْحَدِيثِ إِخْبَارُهُ ﷺ بِمَا سَيَقَعُ، وَوَقَعَ(٣) كَمَا قَالَ ﷺ، فَإِنَّهُمُ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا كَانَتْ أَوَّلَ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَهُ، حَتَّى مِنْ أَزْوَاجِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَقَدْ كَانَ ﷺ مِنْ شِدَّةِ وَجَعِهِ يُغْمَى عَلَيْهِ فِي مَرَضِهِ ثُمَّ يُفِيقُ، وَأُغْمِيَ عَلَيْهِ مَرَّةً فَظَنُّوا أَنَّ وَجَعَهُ ذَاتُ الْجَنْبِ(٤) فَلَدُّوهُ، فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْهِمْ أَنْ لاَ يَلُدُّوهُ، فَقَالُوا: كَرَاهِيَةُ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: «**أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ تَلُدُّونِي؟**» فَقَالُوا: كَرَاهِيَةُ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَقَالَ: «**لاَ يَبْقَى أَحَدٌ فِي الْبَيْتِ إِلاَّ لُدَّ وَأَنَا أَنْظُرُ، إِلاَّ الْعَبَّاسَ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. (وَاللَّدُودُ: هُوَ مَا يُجْعَلُ فِي جَانِبِ الْفَمِ مِنَ الدَّوَاءِ، فَأَمَّا مَا يُصَبُّ فِي الْحَلْقِ فَيُقَالُ لَهُ: الْوَجُورُ).

* * *

---

(١) مصيبة.

(٢) أقل.

(٣) في الأصل: فوقع.

(٤) وهي ريح محتقنة بين الأضلاع.

[صَلاَةُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ بِالنّاسِ]

وَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ ﷺ قَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لاَ يُسْمِعُ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، قَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»، فَعَاوَدَتْهُ مِثْلَ مَقَالَتِهَا، فَقَالَ: «**إِنَّكُنَّ صَوَاحِبَاتُ يُوسُفَ**[1]**، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَأَبُو حَاتِمٍ وَاللَّفْظُ لَهُ[2]، وَنَقَلَ الدِّمْيَاطِيُّ أَنَّ الصِّدِّيقَ صَلَّى بِالنَّاسِ سَبْعَ عَشْرَةَ صَلاَةً.

وَقَدْ ذَكَرَ الْفَاكِهَانِيُّ فِي الْفَجْرِ الْمُنِيرِ مِمَّا عَزَاهُ لِسَيْفِ الدِّينِ بْنِ عُمَرَ فِي كِتَابِ الْفُتُوحِ: أَنَّ الأَنْصَارَ لَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَزْدَادُ وَجَعاً أَطَافُوا بِالْمَسْجِدِ، فَدَخَلَ الْعَبَّاسُ فَأَعْلَمَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِمَكَانِهِمْ وَإِشْفَاقِهِمْ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ الْفَضْلُ فَأَعْلَمَهُ بِمِثْلِ ذٰلِكَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَذٰلِكَ، فَخَرَجَ ﷺ مُتَوَكِّئاً عَلَى عَلِيٍّ وَالْفَضْلِ، وَالْعَبَّاسُ أَمَامَهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعْصُوبُ الرَّأْسِ يَخُطُّ بِرِجْلَيْهِ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى أَسْفَلِ مِرْقَاةٍ مِنَ الْمِنْبَرِ، وَثَارَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَخَافُونَ مِنْ مَوْتِ نَبِيِّكُمْ، هَلْ خَلَدَ نَبِيٌّ قَبْلِي فِيمَنْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَأَخْلُدَ فِيكُمْ؟**

---

(١) ووجه المشابهة في ذلك أن زليخا استدعت النسوة، وأظهرت لهنّ الإكرام بالضيافة، ومرادها أن ينظرن إلىٰ حُسن يوسف ويعذرنَها في محبته، وأن عائشة أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها لكونه لا يُسمِع المأمومين القراءة لبكائه، ومرادها أنه لن يقوم أحد مقام النبي ﷺ إلا تشاءم الناس به، وقد صرّحت هي بذلك عند البخاري في باب وفاته ﷺ.

(٢) وفي رواية عند البخاري: قالت عائشة: قلت لحفصة: قولي له: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يُسمِع الناس من البكاء، فمُرْ عمر فليصلِّ بالناس، ففعلت حفصة، فقال رسول الله ﷺ: «**مَهْ، إنكنّ لأنتنّ صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**» فقالت حفصة لعائشة: ما كنتُ لأصيب منك خيراً.

أَلاَ وَإِنِّي لاَحِقٌ بِرَبِّي، أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَحِقُونَ بِهِ، فَأُوصِيكُمْ بِالْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ خَيراً، وَأُوصِي الْمُهَاجِرِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[1]، وَإِنَّ الأُمُورَ تَجْرِي بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلاَ يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ أَمْرٍ عَلَى اسْتِعْجَالِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَعْجَلُ بِعَجَلَةِ أَحَدٍ، وَمَنْ غَالَبَ اللَّهَ غَلَبَهُ، وَمَنْ خَادَعَ اللَّهَ خَدَعَهُ، ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢﴾[2]، وَأُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ خَيراً، (فَإِنَّهُمُ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا[3] الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ)، أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيهِمْ، أَلَمْ يُشَاطِرُوكُمْ فِي الثِّمَارِ؟ أَلَمْ يُوَسِّعُوا لَكُمْ فِي الدِّيَارِ؟ أَلَمْ يُؤْثِرُوكُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَبِهِمُ الْخَصَاصَةُ[4]؟ أَلا فَمَنْ وَلِيَ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَلْيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ، أَلاَ وَلاَ تَسْتَأْثِرُوا عَلَيهِمْ، أَلاَ وَإِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ[5]، وَأَنْتُمْ لاَحِقُونَ بِي، أَلاَ وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ، أَلاَ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرِدَهُ عَلَيَّ غَداً فَلْيَكْفُفْ يَدَهُ وَلِسَانَهُ إِلاَّ فِيمَا يَنْبَغِي، يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ الذُّنُوبَ تُغَيِّرُ النِّعَمَ، وَتُبَدِّلُ الْقِسَمَ، فَإِذَا بَرَّ النَّاسُ بَرَّهُمْ أَئِمَّتُهُمْ، وَإِذَا فَجَرُوا عَقُّوهُمْ».

وَذَكَرَ الْوَاحِدِيُّ بِسَنَدٍ وَصَلَهُ بِعَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: نَعَى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ، فَلَمَّا دَنَا الْفِرَاقُ جَمَعَنَا فِي بَيْتِ عَائِشَةَ فَقَالَ: «حَيَّاكُمُ اللَّهُ بِالسَّلاَمِ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، جَبَرَكُمُ اللَّهُ، رَزَقَكُمُ اللَّهُ، نَصَرَكُمُ اللَّهُ، رَفَعَكُمُ اللَّهُ، آوَاكُمُ اللَّهُ، أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَسْتَخْلِفُهُ عَلَيكُمْ، وَأُحَذِّرُكُمُ اللَّهَ، إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ، أَنْ لاَ تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ فِي بِلاَدِهِ

---

(١) سورة العصر.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٢.

(٣) سكنوا المدينة المنوّرة، وآمنوا قبل قدوم النبي ﷺ إليهم.

(٤) الحاجة.

(٥) سابق إلىٰ الحوض.

وَعِبَادِهِ، **فَإِنَّهُ قَالَ لِي وَلَكُمْ**: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1] وَقَالَ: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[2]، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ! مَتَى أَجَلُكَ؟ قَالَ: «**دَنَا الْفِرَاقُ، وَالْمُنْقَلَبُ إِلَى اللّهِ، وَإِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ! مَنْ يُغَسِّلُكَ؟ قَالَ: «**رِجَالُ أَهْلِ بَيْتِي الأَدْنَى**[3] **فَالأَدْنَى**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ! فِيمَ نُكَفِّنُكَ؟ قَالَ: «**فِي ثِيَابِي هٰذِهِ، وَإِنْ شِئْتُمْ فِي ثِيَابِ بَيَاضِ مِصْرَ أَوْ حُلَّةٍ يَمَنِيَّةٍ**»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ! مَنْ يُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**إِذَا أَنْتُمْ غَسَّلْتُمُونِي وَكَفَّنْتُمُونِي فَضَعُونِي عَلَى سَرِيرِي هٰذَا عَلَى شَفِيرِ**[4] **قَبْرِي، ثُمَّ اخْرُجُوا عَنِّي سَاعَةً، فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيَّ جِبْرِيلُ، ثُمَّ مِيكَائِيلُ، ثُمَّ إِسْرَافِيلُ، ثُمَّ مَلَكُ الْمَوْتِ وَمَعَهُ جُنُودٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ، ثُمَّ ادْخُلُوا عَلَيَّ فَوْجاً فَوْجاً فَصَلُّوا عَلَيَّ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً، وَلْيَبْدَأْ بِالصَّلاةِ عَلَيَّ رِجَالُ أَهْلِ بَيْتِي، ثُمَّ نِسَاؤُهُمْ، ثُمَّ أَنْتُمْ، وَاقْرَؤُوا السَّلاَمَ عَلَى مَنْ غَابَ مِنْ أَصْحَابِي، وَمَنْ تَبِعَنِي عَلَى دِينِي مِنْ يَوْمِي هٰذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ! وَمَنْ يُدْخِلُكَ قَبْرَكَ؟ قَالَ: «**أَهْلِي مَعَ مَلاَئِكَةِ رَبِّي**»، وَكَذَا رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ[5].

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَهُوَ صَحِيحٌ يَقُولُ: «**إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ**»، فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي غُشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**»، فَقُلْتُ: إِذاً لاَ يَخْتَارُنَا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ. وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهَا

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٠.

(٣) الأقرب.

(٤) حافة.

(٥) وهو واهٍ جداً.

أَصْغَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى ظَهْرِهِ يَقُولُ: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الأَعْلَى»** رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَلأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوَيْهِبَةَ[1] قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ وَالْخُلْدَ[2]، ثُمَّ الْجَنَّةَ، فَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَٰلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي وَالْجَنَّةِ، فَاخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي وَالْجَنَّةَ»**.

وَعِنْدَ عَبْدِالرَّزَّاقِ مِنْ مُرْسَلِ طَاوُوسٍ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: **«خُيِّرْتُ بَيْنَ أَنْ أَبْقَى حَتَّى أَرَى مَا يُفْتَحُ عَلَى أُمَّتِي وَبَيْنَ التَّعْجِيلِ، فَاخْتَرْتُ التَّعْجِيلَ»**.

وَفِي حَدِيثٍ مُرْسَلٍ ذَكَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ: أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَالَ: **«اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَأْخُذُ الرُّوحَ مِنْ بَيْنَ الْعَصَبِ وَالْقَصَبِ[3] وَالأَنَامِلِ، فَأَعِنِّي عَلَيْهِ، وَهَوِّنْهُ عَلَيَّ»**.

وَلَمَّا تَغَشَّاهُ ﷺ الْكَرْبُ قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَاكَرْبَ أَبَتَاهُ! فَقَالَ ﷺ لَهَا: **«لاَ كَرْبَ عَلَى أَبِيكِ بَعْدَ الْيَوْمِ»** رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ ذَٰلِكَ الأَلَمَ وَالأَوْجَاعَ زِيَادَةٌ فِي رِفْعَةِ مَنْزِلَتِهِ ﷺ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَمَا هُمْ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِهِمْ لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلاَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي صُفُوفِ الصَّلاَةِ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلاَةِ، قَالَ أَنَسٌ: وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلاَتِهِمْ فَرَحاً

---

(١) مولىٰ رسول الله ﷺ.

(٢) في الدنيا.

(٣) العظام.

بِرَسُولِ اللّٰهِ ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ ﷺ أَنْ أَتِمُّوا صَلاَتَكُمْ، ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ، وَأَرْخَى السِّتْرَ، وَتُوُفِّيَ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ ذٰلِكَ.

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا بَقِيَ مِنْ أَجَلِ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ ثَلاثٌ نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللّٰهَ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ إِكْرَاماً لَكَ وَتَفْضِيلاً لَكَ وَخَاصَّةً لَكَ لِيَسْأَلَكَ عَمَّا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْكَ، يَقُولُ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ فَقَالَ: **«أَجِدُنِي يَا جِبْرِيلُ مَغْمُوماً، وَأَجِدُنِي يَا جِبْرِيلُ مَكْرُوباً»**، ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذٰلِكَ، ثُمَّ جَاءَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذٰلِكَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ فِيهِ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ! هٰذَا مَلَكُ الْمَوْتِ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ، وَلَمْ يَسْتَأْذِنْ عَلَى آدَمِيٍّ قَبْلَكَ، وَلاَ يَسْتَأْذِنُ عَلَى آدَمِيٍّ بَعْدَكَ، قَالَ: **«ائْذَنْ لَهُ»**، فَدَخَلَ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! إِنَّ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُطِيعَكَ فِي كُلِّ مَا تَأْمُرُ، إِنْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَقْبِضَ رُوحَكَ قَبَضْتُهَا، وَإِنْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَتْرُكَهَا تَرَكْتُهَا؟ فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللّٰهَ قَدِ اشْتَاقَ إِلَى لِقَائِكَ، فَقَالَ ﷺ: **«فَامْضِ يَا مَلَكَ الْمَوْتِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ»**، فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! هٰذَا آخِرُ مَوْطِئِي مِنَ الأَرْضِ، إِنَّمَا كُنْتَ حَاجَتِي مِنَ الدُّنْيَا، فَقَبَضَ رُوحَهُ. فَلَمَّا تُوُفِّيَ ﷺ وَجَاءَتِ التَّعْزِيَةُ سَمِعُوا صَوْتاً مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ، وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ فِي اللّٰهِ عَزَاءً مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ، وَخَلَفاً مِنْ كُلِّ هَالِكٍ، وَدَرَكاً مِنْ كُلِّ فَائِتٍ، فَبِاللّٰهِ فَثِقُوا، وَإِيَّاهُ فَارْجُوا، فَإِنَّمَا الْمُصَابُ مَنْ حُرِمَ الثَّوَابَ، وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَتَدْرُونَ مَنْ هٰذَا؟ هُوَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ دَلاَئِلِ النُّبُوَّةِ(١).

---

(١) ذكر العراقي في تخريج الإحياء أن النووي أنكر وجود الحديث المذكور، ثم قال العراقي: رواه الحاكم في المستدرك ولم يصححه، ولا يصح.

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي مَرَضِهِ وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ، فَاسْتَأْذَنَ فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: ارْجِعْ فَإِنَّا مَشَاغِيلُ عَنْكَ، فَقَالَ ﷺ: «**هٰذَا مَلَكُ الْمَوْتِ، ادْخُلْ رَاشِداً**»، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ، فَبَلَغَنِي أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ لَمْ يُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ قَبْلَهُ، وَلاَ يُسَلِّمُ بَعْدَهُ[1].

* * *

[وَفَاتُهُ ﷺ]

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. (وَالسَّحْرُ: الصَّدْرُ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ ﷺ تُوُفِّيَ وَرَأْسُهُ بَيْنَ عُنُقِهَا وَصَدْرِهَا).

قَالَ السُّهَيْلِيُّ: وَجَدْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْوَاقِدِيِّ: أَنَّ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ مُسْتَرْضَعٌ عِنْدَ حَلِيمَةَ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ**»، وَآخِرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: «**الرَّفِيقُ الأَعْلَى**».

وَرَوَى الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ ﷺ: جَلاَلُ رَبِّي الرَّفِيعُ.

وَعَنْ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدِاللَّهِ الأَشْجَعِيِّ قَالَ: لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَجْزَعَ النَّاسِ كُلِّهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَأَخَذَ بِقَائِمِ سَيْفِهِ

(١) وأخرجه الحاكم أيضاً وابن سعد. قال الحافظ في الفتح (كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته): وكل طريق من طرقه لا يخلو من شيعي، فلا يلتفت إليهم، ويعارضه حديث البخاري الآتي، وفيه: أنه ﷺ توفي ورأسه بين سَحر عائشة ونحرها.

وَقَالَ: لاَ أَسْمَعُ أَحداً يَقُولُ مَاتَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إلاَّ ضَرَبْتُهُ بِسَيْفِي هٰذَا، قَالَ: فَقَالَتِ النَّاسُ: يَا سَالِمُ اطْلُبْ لَنَا صَاحِبَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، قَالَ: فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا أَنَا بِأَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَجْهَشْتُ بِالْبُكَاءِ - أَيْ: تَهَيَّأْتُ - فَقَالَ: يَا سَالِمُ! أَمَاتَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ؟ فَقُلْتُ: إِنَّ هٰذَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: لاَ أَسْمَعُ أَحداً يَقُولُ مَاتَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إلاَّ ضَرَبْتُهُ بِسَيْفِي هٰذَا، قَالَ: فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ مُسَجًّى، فَرَفَعَ الْبُرْدَ عَنْ وَجْهِهِ، وَوَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ، وَاسْتَنْشَى الرِّيحَ، ثُمَّ سَجَّاهُ، وَالْتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ الآيَةَ[1]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2]، يَا أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللّهَ فَإِنَّ اللّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، قَالَ عُمَرُ: فَوَاللّهِ لَكَأَنِّي لَمْ أَتْلُ هٰذِهِ الآيَاتِ قَطُّ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. (وَاسْتَنْشَى الرِّيحَ: شَمَّهَا)[3].

وَقَالَ ابْنُ الْمُنَيِّرِ: لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ طَاشَتِ الْعُقُولُ، فَمِنْهُمْ مَنْ خُبِلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُقْعِدَ فَلَمْ يُطِقِ الْقِيَامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُخْرِسَ فَلَمْ يُطِقِ الْكَلامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُضْنِيَ[4]، وَكَانَ عُمَرُ مِمَّنْ خُبِلَ، وَكَانَ عُثْمَانُ مِمَّنْ أُخْرِسَ، يَذْهَبُ وَيَجِيءُ وَلاَ يَسْتَطِيعُ كَلاَماً، وَكَانَ عَلِيٌّ مِمَّنْ أُقْعِدَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ حِرَاكاً، وَأُضْنِيَ عَبْدُاللّهِ بْنُ أُنَيْسٍ فَمَاتَ كَمَداً، وَكَانَ أَثْبَتَهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَعَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، جَاءَ وَعَيْنَاهُ تَهْمُلاَنِ، وَزَفَرَاتُهُ تَتَرَدَّدُ، وَغُصَصُهُ تَتَصَاعَدُ وَتَرْتَفِعُ، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، وَكَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: طِبْتَ حَيًّا وَمَيْتاً، وَانْقَطَعَ لِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٣) أي: شم ريح الموت.

(٤) مرض.

لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَعَظُمْتَ عَنِ الصِّفَةِ، وَجَلَلْتَ عَنِ الْبُكَاءِ، وَلَوْ أَنَّ مَوْتَكَ كَانَ اخْتِيَاراً لَجُدْنَا لِمَوْتِكَ بِالنُّفُوسِ، اذْكُرْنَا يَا مُحَمَّدُ عِنْدَ رَبِّكَ، وَلْنَكُنْ مِنْ بَالِكَ.

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عَائِشَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَانَبِيَّاهُ! ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَاصَفِيَّاهُ! ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ وَقَالَ: وَاخَلِيلاَهُ!

وَلَمَّا تُوُفِّيَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ! يَا أَبَتَاهُ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ! يَا أَبَتَاهُ مَنْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهُ! رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَزَادَ الطَّبَرَانِيُّ: يَا أَبَتَاهُ مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهُ!

وَقَدْ عَاشَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا بَعْدَهُ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَمَا ضَحِكَتْ تِلْكَ الْمُدَّةَ، وَحُقَّ لَهَا ذٰلِكَ.

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: لَمَّا قُبِضَ ﷺ صَعِدَ مَلَكُ الْمَوْتِ بَاكِياً إِلَى السَّمَاءِ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتاً مِنَ السَّمَاءِ يُنَادِي: وَامُحَمَّدَاهُ! كُلُّ الْمَصَائِبِ تَهُونُ عِنْدَ هٰذِهِ الْمُصِيبَةِ.

وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ: **«أَيُّهَا النَّاسُ! إِنْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ** - أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ - **أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِي عَنِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بِغَيْرِي، فَإِنَّ أَحَداً مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي»**.

وَقَالَ أَبُو الْجَوْزَاءِ: كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ جَاءَ أَخُوهُ فَصَافَحَهُ وَيَقُولُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، اتَّقِ اللَّهَ، فَإِنَّ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةً.

وَرُوِيَ أَنَّ بِلالاً لَمَّا كَانَ يُؤَذِّنُ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ وَقَبْلَ دَفْنِهِ، فَإِذَا قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، ارْتَجَّ الْمَسْجِدُ بِالْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ، فَلَمَّا دُفِنَ تَرَكَ بِلاَلٌ الأَذَانَ.

وَقَدْ كَانَتْ وَفَاتُهُ ﷺ يَوْمَ الاثْنَيْنِ بِلاَ خِلاَفٍ، وَقْتَ دُخُولِ الْمَدِينَةِ فِي هِجْرَتِهِ ﷺ حِينَ اشْتَدَّ الضَّحَاءُ، وَدُفِنَ يَوْمَ الثُّلاَثَاءِ، وَقِيلَ: لَيْلَةَ الأَرْبِعَاءِ، وَقِيلَ: يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ. وَالسَّبَبُ فِي تَأْخِيرِ دَفْنِهِ ﷺ مَا وَقَعَ مِنَ الاخْتِلاَفِ فِي مَوْتِهِ، وَفِي مَحَلِّ دَفْنِهِ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ أَبِي ذُؤَيْبٍ الْهُذَلِيِّ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلِيلٌ، فَأَوْجَسَ أَهْلُ الْحَيِّ خِيفَةً[١]، وَبِتُّ بِلَيْلَةٍ طَوِيلَةٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ قُرْبُ السَّحَرِ نِمْتُ فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ وَهُوَ يَقُولُ:

خَطْبٌ أَجَلُّ أَنَاخَ بِالإِسْلاَمِ ... بَيْنَ النَّخِيلِ وَمَقْعَدِ الآطَامِ[٢]
قُبِضَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَعُيُونُنَا ... تُبْدِي الدُّمُوعَ عَلَيْهِ بِالتَّسْجَامِ[٣]

فَوَثَبْتُ مِنْ نَوْمِي فَزِعاً، فَنَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ فَلَمْ أَرَ إِلاَّ سَعْدَ الذَّابِحِ، فَعَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قُبِضَ وَهُوَ مَيِّتٌ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَلأَهْلِهَا ضَجِيجٌ بِالْبُكَاءِ كَضَجِيجِ الْحَجِيجِ إِذَا أَهَلُّوا بِالإِحْرَامِ، فَقُلْتُ: مَهْ[٤]، فَقِيلَ: قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَلَقَدْ أَحْسَنَ حَسَّانُ بِقَوْلِهِ يَرْثِيهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ:

كُنْتَ السَّوَادَ لِنَاظِرِي ... فَعَمِي عَلَيْكَ النَّاظِرُ

---

(١) أضمروا الخوف.
(٢) البيوت.
(٣) بالهطول.
(٤) اسم فعل أمر بمعنى: اكفف.

مَـــنْ شَـــاءَ بَـــعْـــدَكَ فَـــلْـــيَـــمُـــتْ   فَـــعَـــلَـــيْـــكَ كُـــنْـــتُ أُحَـــاذِرُ

وَفِي الْشِّفَاءِ وَغَيْرِهِ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لَمَّا تَحَقَّقَ مَوْتَهُ ﷺ قَالَ وَهُوَ يَبْكِي: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقَدْ كَانَ لَكَ جِذْعٌ تَخْطُبُ النَّاسَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا كَثُرُوا اتَّخَذْتَ مِنْبَراً لِتُسْمِعَهُمْ فَحَنَّ الْجِذْعُ لِفِرَاقِكَ، حَتَّى جَعَلْتَ يَدَكَ عَلَيْهِ فَسَكَنَ، فَأُمَّتُكَ أَوْلَى بِالْحَنِينِ عَلَيْكَ حِينَ فَارَقْتَهُمْ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ رَبِّكَ أَنْ جَعَلَ طَاعَتَكَ طَاعَتَهُ، فَقَالَ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1]، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ رَبِّكَ أَنْ بَعَثَكَ آخِرَ الأَنْبِيَاءِ وَذَكَرَكَ فِي أَوَّلِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ الآيَةَ[2]، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ رَبِّكَ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَوَدُّونَ أَنْ يَكُونُوا أَطَاعُوكَ وَهُمْ فِي أَطْبَاقِهَا يُعَذَّبُونَ يَقُولُونَ: ﴿يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾[3].

❋ ❋ ❋

[تغسيله ﷺ]

وَمِنْ عَجِيبِ مَا اتَّفَقَ: مَا رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهُمْ لَمَّا أَرَادُوا غَسْلَ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: لاَ نَدْرِي أَنُجَرِّدُ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا؟ أَمْ نَغْسِلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ؟ فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلاَّ وَذَقْنُهُ فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لاَ يَدْرُونَ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦٦.

مَنْ هُوَ: اغْسِلُوا رَسُولَ اللّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ، فَقَامُوا وَغَسَلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ، يَضَعُونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ، وَيَدْلُكُونَهُ بِالْقَمِيصِ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلاَئِلِ النُّبُوَّةِ.

وَرَوَى ابْنُ مَاجَهْ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ عَلِيٍّ يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: **«إِذَا أَنَا مِتُّ فَاغْسِلُونِي بِسَبْعِ قِرَبٍ مِنْ بِئْرِي بِئْرِ غَرْسٍ»**[١].

وَغُسِلَ ﷺ ثَلاَثَ غَسَلاَتٍ: الأُولَى بِالْمَاءِ الْقَرَاحِ[٢]، وَالثَّانِيَةُ بِالْمَاءِ وَالسِّدْرِ، وَالثَّالِثَةُ بِالْمَاءِ وَالْكَافُورِ، وَغَسَلَهُ عَلِيٌّ، وَالْعَبَّاسُ وَابْنُهُ الْفَضْلُ يُعِينَانِهِ، وَقُثَمُ وَأُسَامَةُ وَشُقْرَانُ مَوْلاَهُ ﷺ يَصُبُّونَ الْمَاءَ وَأَعْيُنُهُمْ مَعْصُوبَةٌ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ، لِحَدِيثِ عَلِيٍّ: **«لاَ يَغْسِلْنِي إِلاَّ أَنْتَ، فَإِنَّهُ لاَ يَرَى أَحَدٌ عَوْرَتِي إِلاَّ طُمِسَتْ عَيْنَاهُ»** رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَالْبَيْهَقِيُّ.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: غَسَلَ عَلِيٌّ النَّبِيَّ ﷺ، فَكَانَ يَقُولُ وَهُوَ يَغْسِلُهُ ﷺ: **«بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيْتاً»**.

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: غَسَلْتُهُ ﷺ، فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَيْتِ فَلَمْ أَرَ شَيْئاً، وَكَانَ طَيِّباً حَيًّا وَمَيْتاً.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ سَعْدٍ: وَسَطَعَتْ رِيحٌ طَيِّبَةٌ لَمْ يَجِدُوا مِثْلَهَا قَطُّ.

قِيلَ: وَجَعَلَ عَلِيٌّ عَلَى يَدِهِ خِرْقَةً وَأَدْخَلَهَا تَحْتَ الْقَمِيصِ، ثُمَّ اعْتَصَرُوا قَمِيصَهُ، وَحَنَّطُوا مَسَاجِدَهُ[٣] وَمَفَاصِلَهُ، وَوَضَّؤُوا مِنْهُ ذِرَاعَيْهِ وَوَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ وَقَدَمَيْهِ، وَجَمَّرُوهُ عُوداً وَنَدًّا.

---

(١) وقد ورد أنها من عيون الجنة، وماؤها أطيب المياه لكن نضب ماؤها.
(٢) الخالص.
(٣) أماكن السجود من جسمه ﷺ.

وَذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَنَّهُ رُوِيَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: كَانَ الْمَاءُ يَسْتَنْقِعُ فِي جُفُونِ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَ عَلِيٌّ يَحْسُوهُ ـ أَيْ: يَشْرَبُهُ بِفَمِهِ ـ.

***

[تَكْفِينُهُ ﷺ وَالصَّلاَةُ عَلَيْهِ وَدَفْنُهُ]

وَفِي حَدِيثِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُفِّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ثَلاَثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلاَ عِمَامَةٌ. أَخْرَجَهُ الأَئِمَّةُ السِّتَّةُ بِزِيَادَةٍ وَنَقْصٍ. (وَالسَّحُولِيَّةُ: مَنْسُوبَةٌ إِلَى سَحُول، قَرْيَةٌ بِالْيَمَنِ. وَالْكُرْسُفُ: الْقُطْنُ).

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ ابْنِ مَاجَهْ: لَمَّا فَرَغُوا مِنْ جَهَازِهِ ﷺ يَوْمَ الثَّلاَثَاءِ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ دَخَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ ﷺ أَرْسَالاً[1] يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، حَتَّى إِذَا فَرَغُوا دَخَلَ النِّسَاءُ، حَتَّى إِذَا فَرَغْنَ دَخَلَ الصِّبْيَانُ، وَلَمْ يَؤُمَّ النَّاسَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ[2]: أَنَّ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ﷺ: الْمَلاَئِكَةُ أَفْوَاجاً، ثُمَّ أَهْلُ بَيْتِهِ، ثُمَّ النَّاسُ فَوْجاً فَوْجاً، ثُمَّ نِسَاؤُهُ آخِراً.

ثُمَّ قَالُوا: أَيْنَ تَدْفِنُونَهُ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَا هَلَكَ»** أَيْ: مَاتَ **«نَبِيٌّ قَطُّ إِلاَّ يُدْفَنَ حَيْثُ تُقْبَضُ رُوحُهُ»**، وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنَا أَيْضاً سَمِعْتُهُ[3].

---

(١) جماعات.

(٢) للطبراني وغيره بسندٍ واهٍ.

(٣) رواه ابن ماجه.

وَحفَرَ أَبُو طَلْحَةَ[1] لَحْدَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ حَيْثُ قُبِضَ.

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِيمَنْ أَدْخَلَهُ قَبْرَهُ ﷺ: وَأَصَحُّ مَا رُوِيَ أَنَّهُ نَزَلَ فِي قَبْرِهِ عَلِيٌّ، وَعَمُّهُ الْعَبَّاسُ وَابْنَاهُ الْفَضْلُ وقُثَمُ، وَكَانَ قُثَمُ آخِرَ النَّاسِ عَهْداً بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ بُنِيَ فِي قَبْرِهِ ﷺ تِسْعُ لَبِنَاتٍ، وَفُرِشَ تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ نَجْرَانِيَّةٌ كَانَ يَتَغَطَّى بِهَا، فَرَشَهَا شُقْرَانُ فِي الْقَبْرِ وَقَالَ: وَاللّهَ لاَ يَلْبَسُهَا أَحَدٌ بَعْدَكَ.

وَفِي كِتَابِ تَحْقِيقِ النُّصْرَةِ[2]: قَالَ ابْنُ عَبْدِالْبَرِّ: ثُمَّ أُخْرِجَتْ - يَعْنِي الْقَطِيفَةَ - مِنَ الْقَبْرِ، لَمَّا فَرَغُوا مِنْ وَضْعِ اللَّبِنَاتِ التِّسْعِ.

وَلَمَّا دُفِنَ ﷺ جَاءَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ: كَيْفَ طَابَتْ نُفُوسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ التُّرَابَ[3]؟ وَأَخَذَتْ مِنْ تُرَابِ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ وَوَضَعَتْهُ عَلَى عَيْنَيْهَا وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

مَاذَا عَلَى مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَدٍ ... أَنْ لاَ يَشَمَّ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا[4]
صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبٌ لَوْ أَنَّهَا ... صُبَّتْ عَلَى الأَيَّامِ عُدْنَ لَيَالِيَا

وَفِي رِوَايَةِ الدَّارِمِيِّ: قَالَ أَنَسٌ: مَا رَأَيْتُ يَوْماً كَانَ أَحْسَنَ وَلاَ أَضْوَأَ مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَمَا رَأَيْتُ يَوْماً كَانَ أَقْبَحَ وَلاَ أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ.

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ عَنْهُ أَيْضاً: لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ

---

(١) زيد بن سهل الأنصاري.

(٢) بتلخيص معالم دار الهجرة لزين الدين المراغي المتوفى سنة ٨١٦هـ.

(٣) رواه البخاري.

(٤) الغالية: أخلاط من الطيب.

رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا أَيْدِيَنَا مِنَ التُّرَابِ وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا.

وَمِنْ آيَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بَعْدَ مَوْتِهِ مَا ذُكِرَ مِنْ حُزْنِ حِمَارِهِ عَلَيْهِ حَتَّى تَرَدَّى فِي بِئْرٍ[١]. وَكَذَا نَاقَتُهُ فَإِنَّهَا لَمْ تَأْكُلْ وَلَمْ تَشْرَبْ حَتَّى مَاتَتْ.

قَالَ رُزَيْنٌ: وَرُشَّ قَبْرُهُ الشَّرِيفُ ﷺ، رَشَّهُ بِلاَلُ بْنُ رِبَاحٍ بِقِرْبَةٍ بَدَأَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ. حَكَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ مِنْ حَصْبَاءَ حَمْرَاءَ وَبَيْضَاءَ، وَرُفِعَ قَبْرُهُ عَنِ الأَرْضِ قَدْرَ شِبْرٍ.

وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: «**لَعَنَ اللّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، لَوْلاَ ذٰلِكَ لأُبْرِزَ قَبْرُهُ[٢]، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِداً[٣].

وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ، عَنْ سُفْيَانَ التَّمَّارِ: أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ رَأَى قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ مُسَنَّماً ـ أَيْ: مُرْتَفِعاً ـ. زَادَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْمُسْتَخْرَجِ: وَقَبْرُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ كَذٰلِكَ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ مِنْ طَرِيقِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ: يَا أُمَّهْ! اكْشِفِي لِي عَنْ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَشَفَتْ لِي

---

(١) ذكره ابن حبان في الضعفاء وقال: لا أصل له.

(٢) أي: كُشِف ولم يُتخذ عليه حائل، والمراد: الدفن خارج بيته.

(٣) ولهذا لمّا وُسّع المسجد جُعلت الحُجْرة الشريفة مثلّثة الشكل حتىٰ لا يتأتىٰ لأحد أن يصلّي إلىٰ جهة القبر الكريم مع استقبال القبلة.

عَنْ ثَلاثَةِ قُبورٍ، لاَ مُشْرِفَةٍ وَلاَ لاَطِئَةٍ، مَبْطُوحَةٍ بِبَطْحَاءِ الْعَرْصَةِ[1] الْحَمْرَاءِ. زَادَ الْحَاكِمُ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ مُقَدَّماً، وَأَبُو بَكْرٍ رَأْسُهُ بَيْنَ كَتِفَي النَّبِيِّ ﷺ، وَعُمَرُ رَأْسُهُ عِنْدَ رِجْلَي النَّبِيِّ ﷺ، وَهٰذَا كَانَ فِي خِلاَفَةِ مُعَاوِيَةَ، فَكَأَنَّهَا كَانَتْ فِي الأَوَّلِ مُسَطَّحَةً، ثُمَّ لَمَّا بُنِيَ جِدَارُ الْقُبُورِ فِي إِمَارَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِالْعَزِيزِ عَلَى الْمَدِينَةِ مِنْ قِبَلِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِالْمَلِكِ صَيَّرُوهَا مُرْتَفِعَةً.

وَقَدْ رَوَى أَبُو بَكْرٍ الآجُرِيُّ فِي صِفَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عُثَيْمِ بْنِ نِسْطَاسٍ الْمَدَنِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ فِي إِمَارَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، رَأَيْتُهُ مُرْتَفِعاً نَحْواً مِنْ أَرْبَعِ أَصَابِعَ، وَرَأَيْتُ قَبْرَ أَبِي بَكْرٍ وَرَاءَ قَبْرِهِ، وَرَأَيْتُ قَبْرَ عُمَرَ وَرَاءَ قَبْرِ أَبِي بَكْرٍ أَسْفَلَ مِنْهُ.

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ: لَمَّا سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْحَائِطُ (يَعْنِي: حَائِطَ حُجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ) فِي زَمَانِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِالْمَلِكِ أَخَذُوا فِي بِنَائِهِ، فَبَدَتْ لَهُمْ قَدَمٌ، فَفَزِعُوا وَظَنُّوا أَنَّهَا قَدَمُ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَا وَجَدُوا أَحَداً يَعْلَمُ ذٰلِكَ، حَتَّى قَالَ لَهُمْ عُرْوَةُ: وَاللّهِ مَا هِيَ قَدَمُ النَّبِيِّ ﷺ، مَا هِيَ إِلاَّ قَدَمُ عُمَرَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

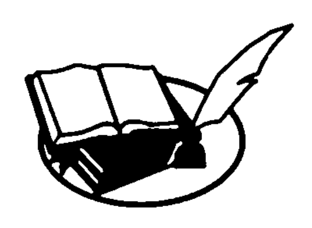
وَرَوَى الآجُرِيُّ: قَالَ رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ: قَبْرُ أَبِي بَكْرٍ عِنْدَ وَسْطِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعُمَرُ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ رَأْسُهُ عِنْدَ وَسَطِهِ، وَهٰذَا ظَاهِرُهُ يُخَالِفُ حَدِيثَ الْقَاسِمِ، فَإِنْ أَمْكَنَ الْجَمْعُ وَإِلاَّ فَحَدِيثُ الْقَاسِمِ أَصَحُّ.

وَنَقَلَ أَهْلُ السِّيَرِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: بَقِيَ فِي الْبَيْتِ مَوْضِعُ قَبْرٍ فِي السَّهْوَةِ الشَّرْقِيَّةِ، يُدْفَنُ فِيهَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَيَكُونُ قَبْرُهُ الرَّابِعَ. (وَالسَّهْوَةُ: بَيْتٌ صَغِيرٌ مُنْحَدِرٌ فِي الأَرْضِ قَلِيلاً، شَبِيهٌ بِالْمَخْدَعِ وَالْخِزَانَةِ).

---

(١) البَطْحة: مسافة بمقدار قامة المنبطِح. والعَرْصة: الساحة.

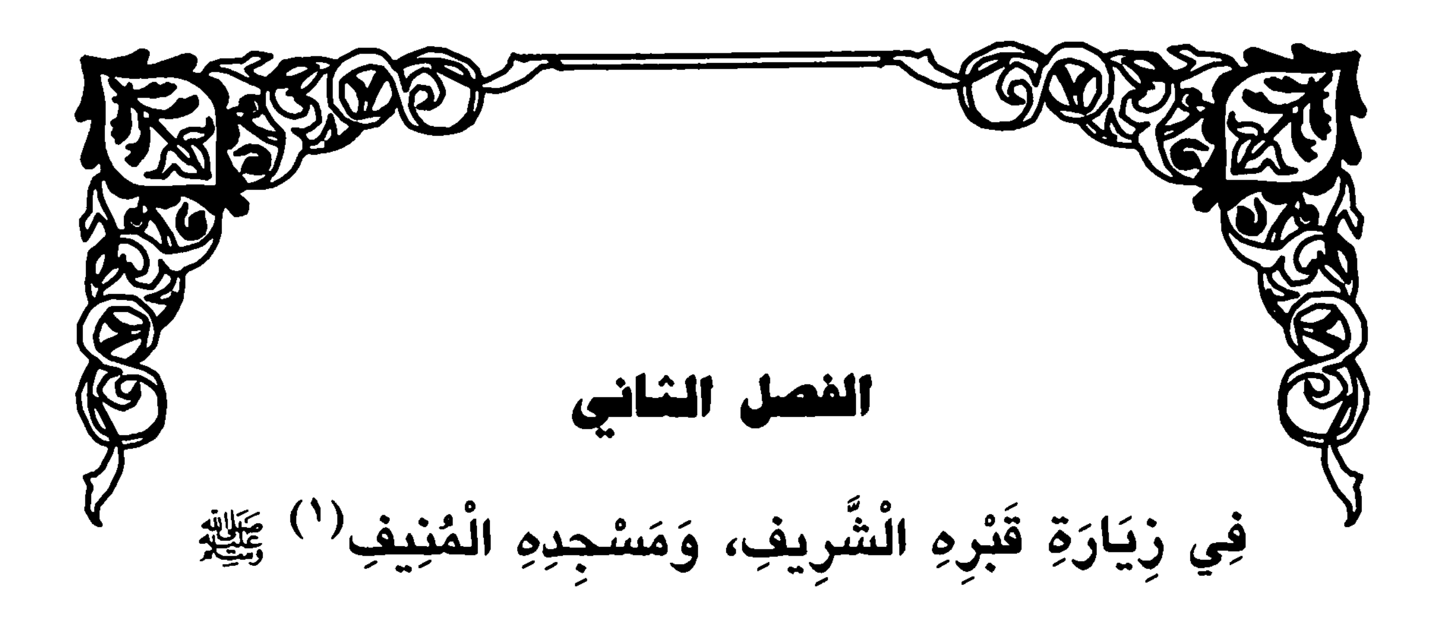
وَفِي الْمُنْتَظَمِ[1] لابْنِ الْجَوْزِيِّ[2]: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فِي الأَرْضِ، فَيَتَزَوَّجُ وَيُولَدُ لَهُ، وَيَمْكُثُ خَمْساً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَمُوتُ، فَيُدْفَنُ مَعِي فِي قَبْرِي، وَأَقُومُ أَنَا وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مِنْ قَبْرٍ وَاحِدٍ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ».



---

(١) في تاريخ الأمم.

(٢) عبدالرحمٰن بن علي المتوفىٰ سنة ٥٩٧هـ.



الفصل الثاني

فِي زِيَارَةِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ، وَمَسْجِدِهِ الْمُنِيفِ[1] ﷺ

اعْلَمْ أَنَّ زِيَارَةَ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ ﷺ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرُبَاتِ، وَأَرْجَى الطَّاعَاتِ، وَالسَّبِيلُ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ. وَمَنِ اعْتَقَدَ غَيْرَ هٰذَا فَقَدِ انْخَلَعَ مِنْ رِبْقَةِ الإِسْلَامِ[2]، وَخَالَفَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَجَمَاعَةَ الْعُلَمَاءِ الأَعْلَامِ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: إِنَّهَا سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْمُسْلِمِينَ مُجْمَعٌ عَلَيْهَا، وَفَضِيلَةٌ مُرَغَّبٌ فِيهَا. فَقَدْ رَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ: «**مَن زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي**»[3]. وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ جَاءَنِي زَائِراً لاَ تُعْمِلُهُ حَاجَةٌ[4] إِلاَّ زِيَارَتِي كَانَ حَقًّا عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ شَفِيعاً لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» وَصَحَّحَهُ ابْنُ السَّكَنِ.

---

(١) المرتفع علىٰ غيره.

(٢) والرِّبْق: حبل فيه عدة عُرَى، وكل عروة رَبقة.

(٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه وأشار إلىٰ ضعفه، والبيهقي وضعّفه، والدارقطني والبزار والطبراني، وصححه كثير من الأئمة (كعبدالحق، والتقي السبكي) وقال الذهبي: طرقه كلها ليّنة، لكن يتقوّىٰ بعضها ببعض، ومِن أجودها حديث حاطب الآتي.

(٤) لا تحمله علىٰ العمل حاجة.

وَفِي الإِحْيَاءِ[1]: قَالَ ﷺ: «**مَنْ وَجَدَ سَعَةً وَلَمْ يَفِدْ إِلَيَّ فَقَدْ جَفَانِي**»[2].

وَأَخْرَجَ ابْنُ النَّجَّارِ[3] عَنْ أَنَسٍ: مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِي لَهُ سَعَةٌ ثُمَّ لَمْ يَزُرْنِي إِلاَّ وَلَيْسَ لَهُ عُذْرٌ.

وَرَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ[4]: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعاً إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي**».

وَعَنْ حَاطِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي، وَمَنْ مَاتَ بِأَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بُعِثَ مِنَ الآمِنِينَ**» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ[5].

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ زَارَ قَبْرِي** ـ أَوْ قَالَ: مَنْ زَارَنِي ـ **كُنْتُ شَفِيعاً لَهُ وَشَهِيداً**» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ[6].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**مَنْ زَارَنِي بِالْمَدِينَةِ مُحتَسِباً كَانَ فِي جِوَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ أَيْضاً.

قَالَ الْعَلاَّمَةُ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمَرَاغِيُّ: وَيَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ اعْتِقَادُ كَوْنِ زِيَارَتِهِ ﷺ قُرْبَةً لِلأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذٰلِكَ[7]، وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ

---

(١) للغزالي.

(٢) رواه ابن عدي والدارقطني في غرائب مالك، وابن حبان في الضعفاء.

(٣) في تاريخ المدينة.

(٤) الخطيب في الرواة عن مالك.

(٥) والطبراني والدارقطني وابن عساكر.

(٦) كالطيالسي.

(٧) قال الشارح: مجموع الأحاديث لا تقصر عن الحسن، وإن كان في أفرادها مقال.

اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1]، وَقَدِ اسْتَغْفَرَ ﷺ لِلْجَمِيعِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[2]، فَإِذَا وُجِدَ مَجِيئُهُمْ وَاسْتِغْفَارُهُمْ تَكَمَّلَتِ الأُمُورُ الثَّلاثَةُ الْمُوجِبَةُ لِتَوْبَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ.

وَيَنْبَغِي لِمَنْ نَوَى زِيَارَتَهُ ﷺ أَنْ يَنْوِيَ مَعَ ذٰلِكَ زِيَارَةَ مَسْجِدِهِ الشَّرِيفِ وَالصَّلاَةَ فِيهِ، فَإِنَّهُ أَحَدُ الْمَسَاجِدِ الثَّلاثَةِ الَّتِي لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ[3] إِلاَّ إِلَيْهَا، وَهُوَ أَفْضَلُهَا عِنْدَ مَالِكٍ.

وَقَدْ وَرَدَ[4] أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِالْعَزِيزِ: كَانَ يُبْرِدُ الْبَرِيدَ لِلسَّلاَمِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. (وَمَعْنَى يُبْرِدُ: يُرْسِلُ. وَالْبَرِيدُ: الرَّسُولُ الْمُسْتَعْجِلُ).

وَيَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ زِيَارَتَهُ ﷺ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ الصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ، فَإِذَا وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى مَعَالِمِ الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ وَمَا تُعْرَفُ بِهِ فَلْيُرَدِّدِ الصَّلاَةَ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيمَ، وَيَسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَهُ بِزِيَارَتِهِ وَيُسْعِدَهُ بِهَا فِي الدَّارَيْنِ، وَلْيَغْتَسِلْ، وَلْيَلْبَسِ النَّظِيفَ مِنْ ثِيَابِهِ، وَلْيَتَرَجَّلْ مَاشِياً بَاكِياً.

وَلَمَّا رَأَى وَفْدُ عَبْدِالْقَيْسِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَلْقَوْا أَنْفُسَهُمْ عَنْ رَوَاحِلِهِمْ وَلَمْ يُنِيخُوهَا وَسَارَعُوا إِلَيْهِ، فَلَمْ يُنْكِرْ ذٰلِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ.

وَيُسْتَحَبُّ صَلاَةُ رَكْعَتَيْنِ تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ قَبْلَ الزِّيَارَةِ. قِيلَ: وَهٰذَا إِذَا لَمْ يَكُنْ مُرُورُهُ مِنْ جِهَةِ وَجْهِهِ الشَّرِيفِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَإِنْ كَانَ اسْتُحِبَّتِ الزِّيَارَةُ قَبْلَ التَّحِيَّةِ.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٣) من أجل الصلاة في مسجد.

(٤) عند البيهقي في شُعَب الإيمان.

وَيَنْبَغِي لِلزَّائِرِ أَنْ يَسْتَحْضِرَ مِنَ الْخُشُوعِ مَا أَمْكَنَهُ، وَلْيَكُنْ مُقْتَصِداً فِي كَلاَمِهِ بَيْنَ الْجَهْرِ وَالإِسْرَارِ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ لِرَجُلَيْنِ مِنَ الطَّائِفِ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لأَوْجَعْتُكُمَا ضَرْباً، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ.

وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَسْمَعُ صَوْتَ الْوَتِدِ يُوتَدُ وَالْمِسْمَارُ يُضْرَبُ فِي بَعْضِ الْدُّورِ الْمُطِيفَةِ بِمَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَتُرْسِلُ إِلَيْهِمْ لاَ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّهِ ﷺ.

قَالُوا: وَمَا عَمِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ مِصْرَاعَيْ دَارِهِ إِلاَّ بِالْمَنَاصِعِ ـ اسْمُ مَكَانٍ خَارِجَ الْمَدِينَةِ ـ تَوَقِّياً لِذٰلِكَ، فَيَجِبُ الأَدَبُ مَعَهُ كَمَا فِي حَيَاتِهِ ﷺ.

وَيَنْبَغِي لِلزَّائِرِ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى الْقَبْرِ الشَّرِيفِ مِنْ جِهَةِ الْقِبْلَةِ، وَإِنْ جَاءَ مِنْ جِهَةِ رِجْلَي الصَّاحِبَيْنِ فَهُوَ أَبْلَغُ فِي الأَدَبِ مِنَ الإِتْيَانِ مِنْ جِهَةِ رَأْسِهِ الْمُكَرَّمِ، وَيَسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةَ، وَيَقِفَ قُبَالَةَ وَجْهِهِ ﷺ، وَقَدْ رُوِيَ[(١)] أَنَّ مَالِكاً سَأَلَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ الْعَبَّاسِيُّ: يَا أَبَا عَبْدِاللّهِ! أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ وَأَدْعُو؟ أَمْ أَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَأَدْعُو؟ فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: وَلِمَ تَصْرِفُ وَجْهَكَ عَنْهُ، وَهُوَ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِلَى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[(٢)].

وَيَنْبَغِي أَنْ يُلاَزِمَ الأَدَبَ وَالْخُشُوعَ وَالتَّوَاضُعَ، غَاضَّ الْبَصَرِ فِي مَقَامِ

---

(١) في الشفا للقاضي عياض.

(٢) قال ابن فرحون: ولعلّه أمرَ المنصور بذلك لأنه يعلم ما يدعو، ويَعلَم آداب الدعاء بين يديه ﷺ فأُمِن عليه من سوء الأدب، فأفتاه بذلك، وأفتىٰ العامّة أن يسلّموا وينصرفوا لئلا يدْعو تلقاء وجهه الكريم، ويتوسّلوا به في حضرته إلىٰ الله العظيم فيما لا ينبغي الدعاء به أو فيما يكره أو يحرم، فلذلك أمرهم بالسلام والانصراف.

الْهَيْبَةِ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي حَيَاتِهِ، وَيَسْتَحْضِرَ عِلْمَهُ بِوُقُوفِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَمَاعَهُ لِسَلاَمِهِ كَمَا هُوَ فِي حَالِ حَيَاتِهِ، إِذْ لاَ فَرْقَ بَيْنَ مَوْتِهِ وَحَيَاتِهِ فِي مُشَاهَدَتِهِ لأُمَّتِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ بِأَحْوَالِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ وَعَزَائِمِهِمْ وَخَوَاطِرِهِمْ، وَذٰلِكَ عِنْدَهُ جَلِيٌّ لاَ خَفَاءَ بِهِ[1].

وَقَدْ رَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ: لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ إِلاَّ وَتُعْرَضُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً، فَيَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَأَعْمَالِهِمْ، فَلِذٰلِكَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ.

وَلْيُمَثِّلِ الزَّائِرُ وَجْهَهُ الْكَرِيمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي ذِهْنِهِ، وَيُحْضِرْ قَلْبَهُ جَلاَلَ رُتْبَتِهِ وَعُلُوَّ مَنْزِلَتِهِ وَعَظِيمَ حُرْمَتِهِ، وَأَنَّ أَكَابِرَ الصَّحْبِ مَا كَانُوا يُخَاطِبُونَهُ إِلاَّ كَأَخِي السِّرَارِ، تَعْظِيماً لِمَا عَظَّمَ اللّهُ مِنْ شَأْنِهِ.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ النَّجَّارِ: أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: أَنِ اكْشِفِي لِي عَنْ قَبْرِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَكَشَفَتْهُ، فَبَكَتْ حَتَّى مَاتَتْ.

وَحُكِيَ عَنْ أَبِي الْفَضَائِلِ الْحَمَوِيِّ أَحَدِ خُدَّامِ الْحُجْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ: أَنَّهُ شَاهَدَ شَخْصاً مِنَ الزُّوَّارِ الشُّيُوخِ أَتَى بَابَ مَقْصُورَةِ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ، فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ نَحْوَ الْعَتَبَةِ، فَحَرَّكُوهُ فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ، وَكَانَ[2] مِمَّنْ شَهِدَ جَنَازَتَهُ.

ثُمَّ يَقُولُ الزَّائِرُ بِحُضُورِ قَلْبٍ، وَغَضِّ طَرْفٍ وَصَوْتٍ، وَسُكُونٍ وَإِطْرَاقٍ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللّهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللّهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ اللّهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا خِيرَةَ خَلْقِ اللّهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا صَفْوَةَ اللّهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا

(١) بإطلاع الله تعالىٰ له علىٰ ذلك. كما قال الشارح.

(٢) أبو الفضائل.

قَائِدَ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ[1]، السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَزْوَاجِكَ الطَّاهِرَاتِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَصْحَابِكَ أَجْمَعِينَ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَعَلَى سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ وَسَائِرِ عِبَادِ اللّٰهِ الصَّالِحِينَ، جَزَاكَ اللّٰهُ يَا رَسُولَ اللّٰهِ أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا وَرَسُولاً عَنْ أُمَّتِهِ، وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَيْكَ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الْغَافِلُونَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمِينُهُ وَخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّيْتَ الأَمَانَةَ، وَنَصَحْتَ الأُمَّةَ، وَجَاهَدْتَ فِي اللّٰهِ حَقَّ جِهَادِهِ.

وَمَنْ ضَاقَ وَقْتُهُ عَنْ ذٰلِكَ أَوْ عَنْ حِفْظِهِ فَلْيَقُلْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ، أَوْ مهمَّا يَحْصُلُ بِهِ الْغَرَضُ.

وَفِي تُحْفَةِ الزَّائِرِ لابْنِ عَسَاكِرَ: أَنَّ ابْنَ عُمَرَ وَغَيْرَهُ مِنَ السَّلَفِ كَانُوا يَقْتَصِرُونَ وَيُوجِزُونَ فِي هٰذَا جِدًّا، فَعَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ إِمَامِ دَارِ الْهِجْرَةِ (وَنَاهِيكَ بِهِ خِبْرَةً بِهٰذَا الشَّأْنِ) مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ وَهْبٍ عَنْهُ، يَقُولُ الزَّائِرُ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَعَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، ثُمَّ أَتَى الْقَبْرَ الْمُقَدَّسَ فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا أَبَتَاهُ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوَ وَلاَ يَتَكَلَّفُ السَّجْعَ؛ فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى الإِخْلاَلِ بِالْخُشُوعِ.

---

(١) أي: يا قائد المتوضئين، إذ يأتون يوم القيامة وفي أعضاء وضوئهم نور مثل البياض الذي يكون في وجه الفرَس ويديه ورجليه.

وَقَدْ حَكَى جَمَاعَةٌ[1] الحِكَايَةَ الْمَشْهُورَةَ[2] عَنِ الْعُتْبِيِّ (وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِاللّهِ، تُوُفِّيَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَمِئَتَيْنِ) قَالَ: أَتَيْتُ قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ، فَزُرْتُهُ وَجَلَسْتُ بِحِذَائِهِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَزَارَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا خَيْرَ الرُّسُلِ! إِنَّ اللّهَ أَنْزَلَ عَلَيْكَ كِتَاباً صَادِقاً قَالَ فِيهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[3]، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِراً مِنْ ذَنْبِي، مُسْتَشْفِعاً بِكَ إِلَى رَبِّي. وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ[4]
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَانْصَرَفَ، فَرَقَدْتُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْمِ وَهُوَ يَقُولُ: الْحَقِ الأَعْرَابِيَّ وَبَشِّرْهُ بِأَنَّ اللّهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ بِشَفَاعَتِي، فَاسْتَيْقَظْتُ وَخَرَجْتُ بِطَلَبِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ.

وَوَقَفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَبْرِهِ الشَّرِيفِ ﷺ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَ بِعِتْقِ الْعَبِيدِ، وَهٰذَا حَبِيبُكَ وَأَنَا عَبْدُكَ، فَأَعْتِقْنِي مِنَ النَّارِ عَلَى قَبْرِ حَبِيبِكَ، فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ: يَا هٰذَا تَسْأَلُ الْعِتْقَ لَكَ وَحْدَكَ؟ هَلاَّ سَأَلْتَ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ؟ اذْهَبْ فَقَدْ أَعْتَقْنَاكَ مِنَ النَّارِ[5].

وَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ قَالَ: وَقَفَ حَاتِمٌ الأَصَمُّ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ

---

(١) منهم أبو نصر بن الصباغ في (الشامل).
(٢) التي ذكرها ابن النجار، وابن عساكر، وابن الجوزي في (مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن).
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٤.
(٤) التِّلال.
(٥) إن الملوك إذا شابت عبيدُهُمُ في رقّهم أعتقوهم عتق أبرار
وأنت يا سيدي أولى بذا كرما قد شِبْتُ في الرق فأعتقني من النار

فَقَالَ: يَا رَبِّ! إِنَّا زُرْنَا قَبْرَ نَبِيِّكَ فَلاَ تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، فَنُودِيَ: يَا هٰذَا! مَا أَذِنَّا لَكَ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ حَبِيبِنَا إِلاَّ وَقَدْ قَبِلْنَاكَ، فَارْجِعْ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الزُّوَّارِ مَغْفُوراً لَكُمْ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ: سَمِعْتُ بَعْضَ مَنْ أَدْرَكْتُ يَقُولُ: بَلَغَنَا أَنَّ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَتَلاَ هٰذِهِ الآيَةَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[١] وَقَالَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ حَتَّى يَقُولَهَا سَبْعِينَ مَرَّةً نَادَاهُ مَلَكٌ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا فُلاَنُ، وَلَمْ تَسْقُطْ لَكَ حَاجَةٌ[٢]. قَالَ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ الْمَرَاغِيُّ وَغَيْرُهُ: وَالأَوْلَى أَنْ يُنَادِيَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتِ الرِّوَايَةُ يَا مُحَمَّدُ.

فَإِنْ أَوْصَاهُ أَحَدٌ بِإِبْلاَغِ السَّلاَمِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلْيَقُلْ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ فُلاَنٍ.

ثُمَّ يَنْتَقِلُ عَنْ يَمِينِهِ قَدْرَ ذِرَاعٍ فَيُسَلِّمُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ (لأَنَّ رَأْسَهُ بِحِذَاءِ مَنْكِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) فَيَقُولُ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا مَنْ أَيَّدَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الرِّدَّةِ الدِّينَ، جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الإِسْلاَمِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْراً، اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْهُ وَارْضَ عَنَّا بِهِ.

ثُمَّ يَنْتَقِلُ عَنْ يَمِينِهِ قَدْرَ ذِرَاعٍ فَيُسَلِّمُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَيَقُولُ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا مَنْ أَيَّدَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ، جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الإِسْلاَمِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْراً، اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْهُ وَارْضَ عَنَّا بِهِ.

ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَوْقِفِهِ الأَوَّلِ قُبَالَةَ وَجْهِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَحْمَدُ اللَّهَ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) رواه البيهقي.

تَعَالَى وَيُمَجِّدُهُ، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيُكْثِرُ مِنَ الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ، وَيُجَدِّدُ التَّوْبَةَ فِي حَضْرَتِهِ الْكَرِيمَةِ، وَيَسْأَلُ اللَّهَ بِجَاهِهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَهَا تَوْبَةً نَصُوحاً، وَيُكْثِرُ مِنَ الصَّلاَةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِحَضْرَتِهِ الشَّرِيفَةِ، حَيْثُ يَسْمَعُهُ وَيَرُدُّ عَلَيْهِ.

فَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ[١] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ»**، وَمَعْنَى رَدِّ رُوحِهِ ﷺ حَتَّى يَرُدَّ عَلَى الْمُسَلِّمِ السَّلاَمَ مَعَ أَنَّهُ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ بِلاَ شَكٍّ: إِقْبَالٌ خَاصٌّ، وَالْتِفَاتٌ رُوحَانِيٌّ يَحْصُلُ مِنَ الْحَضْرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِذٰلِكَ الْمُسْلِمِ، وَهٰذَا الإِقْبَالُ يَكُونُ عَامًّا شَامِلاً، حَتَّى لَوْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ لَوَسِعَهُمْ ذٰلِكَ الإِقْبَالُ النَّبَوِيُّ وَالالْتِفَاتُ الرُّوحَانِيُّ.

قَالَ صَاحِبُ الأَصْلِ الْعَلاَّمَةُ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ الْقَسْطَلاَّنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ ذٰلِكَ مَا لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعَبِّرَ عَنْهُ.

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ سُئِلَ: كَيْفَ يَرُدُّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مَنْ يُسَلِّمُ مِنْ مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا فِي آنٍ وَاحِدٍ؟ فَأَنْشَدَ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ:

كَالشَّمْسِ فِي وَسَطِ السَّمَاءِ، وَنُورُهَا ... يَغْشَى الْبِلاَدَ مَشَارِقاً وَمَغَارِبَا

وَلاَ رَيْبَ أَنَّ حَالَهُ ﷺ فِي الْبَرْزَخِ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ مِنْ حَالِ الْمَلاَئِكَةِ، هٰذَا وَسَيِّدُنَا عِزْرَائِيلُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَقْبِضُ مِئَةَ أَلْفِ رُوحٍ فِي آنٍ وَاحِدٍ وَلاَ يَشْغَلُهُ قَبْضٌ عَنْ قَبْضٍ، وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ مَشْغُولٌ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، مُقْبِلٌ عَلَى التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ.

وَعِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: **«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ غَائِباً بُلِّغْتُهُ»**.

---

(١) بإسناد صحيح.

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ سُحَيْم قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هٰؤُلاَءِ الَّذِينَ يَأْتُونَكَ فَيُسَلِّمُونَ عَلَيْكَ أَتَفْقَهُ سَلاَمَهُمْ؟ قَالَ: **«نَعَمْ، وَأَرُدُّ عَلَيْهِمْ»**.

وَلاَ شَكَّ أَنَّهُ ﷺ حَيٌّ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ كَسَائِرِ الأَنْبِيَاءِ، كَمَا وَرَدَ ذٰلِكَ فِي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ النَّجَّارِ: عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا تَغَلَّبَ عَسْكَرُ يَزِيدَ عَلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ لَمْ يُؤَذَّنْ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا حَضَرَتِ الظُّهْرُ سَمِعْتُ الأَذَانَ فِي الْقَبْرِ، فَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَمِعْتُ الإِقَامَةَ فَصَلَّيْتُ الظُّهْرَ، ثُمَّ مَضَى ذٰلِكَ الأَذَانُ وَالإِقَامَةُ فِي الْقَبْرِ الْمُقَدَّسِ لِكُلِّ صَلاَةٍ، حَتَّى مَضَتِ الثَّلاَثُ لَيَالٍ (يَعْنِي: لَيَالِيَ أَيَّامِ الْحَرَّةِ).

وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ نَبِيَّنَا ﷺ مَاتَ شَهِيداً لأَكْلِهِ يَوْمَ خَيْبَرَ مِنْ شَاةٍ مَسْمُومَةٍ سُمَّا قَاتِلاً مِنْ سَاعَتِهِ؛ حَتَّى مَاتَ مِنْهُ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ، وَصَارَ بَقَاؤُهُ ﷺ مُعْجِزَةً، فَكَانَ أَلَمُ السُّمِّ يَتَعَاهَدُهُ إِلَى أَنْ مَاتَ بِهِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: فَجَمَعَ اللَّهُ لَهُ بِذٰلِكَ النُّبُوَّةَ وَالشَّهَادَةَ.

وَقَدْ ثَبَتَتْ حَيَاةُ الشُّهَدَاءِ بِنَصِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[1]، فَهُوَ ﷺ حَيٌّ مِنْ وَجْهَيْنِ: وَجْهِ النُّبُوَّةِ، وَوَجْهِ الشَّهَادَةِ، بَلْ هُوَ ﷺ أَفْضَلُ الأَنْبِيَاءِ وَأَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ، فَحَيَاتُهُ أَكْمَلُ مِنْ حَيَاتِهِمْ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «**أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُقْبَرُ فِي التُّرْبَةِ الَّتِي خُلِقَ**

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

مِنهَا»[1]. فَكَانَتْ بِهٰذَا تُرْبَةُ الْمَدِينَةِ أَفْضَلَ التُّرَبِ، كَمَا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَفْضَلُ الْبَشَرِ، فَلِهٰذَا وَاللّٰهُ أَعْلَمُ يَتَضَاعَفُ رِيحُ الطِّيبِ فِيهَا عَلَى سَائِرِ الْبُلْدَانِ. قَالَهُ ابْنُ بَطَّالٍ.

وَيَنْبَغِي لِلزَّائِرِ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالاسْتِغَاثَةِ وَالتَّشَفُّعِ وَالتَّوَسُّلِ وَالتَّوَجُّهِ بِهِ ﷺ، فَجَدِيرٌ بِمَنِ اسْتَشْفَعَ بِهِ أَنْ يُشَفِّعَهُ اللّٰهُ تَعَالَى فِيهِ، فَإِنَّ كُلاًّ مِنَ الاسْتِغَاثَةِ وَالتَّوَسُّلِ وَالتَّشَفُّعِ وَالتَّوَجُّهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ [كَمَا فِي (تَحْقِيقِ النُّصْرَةِ)[2]، وَ(مِصْبَاحِ الظَّلاَمِ)[3]، وَغَيْرِهِمَا] وَاقِعٌ فِي كُلِّ حَالٍ، قَبْلَ خَلْقِهِ وَبَعْدَهُ، فِي مُدَّةِ حَيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، وَبَعْدَ مَوْتِهِ فِي مُدَّةِ الْبَرْزَخِ، وَبَعْدَ الْبَعْثِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ:

فَأَمَّا الْحَالَةُ الأُولَى: فَحَسْبُكَ مَا تَقَدَّمَ فِي الْمَقْصِدِ الأَوَّلِ[4] مِنِ اسْتِشْفَاعِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِهِ لَمَّا أُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَقَوْلِ اللّٰهِ تَعَالَى: يَا آدَمُ! لَوْ تَشَفَّعْتَ إِلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ فِي أَهْلِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ لَشَفَّعْنَاكَ[5]، وَإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ[6].

وَأَمَّا التَّوَسُّلُ بِهِ بَعْدَ خَلْقِهِ فِي مُدَّةِ حَيَاتِهِ ﷺ:

فَمِنْ ذٰلِكَ: مَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ: أَنَّ رَجُلاً ضَرِيراً أَتَاهُ ﷺ فَقَالَ: ادْعُ اللّٰهَ أَنْ يُعَافِيَنِي، قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ

---

(١) رواه البزار، والطبراني، وعبدالرزاق، والدينَوَري في المجالس. انظر كنز العمال ٤٢٧٦٨، وهو ضعيف.

(٢) بتلخيص معالم دار الهجرة لزين الدين المراغي المتوفىٰ سنة ٨١٦هـ.

(٣) في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام لمحمد بن موسىٰ بن النعمان المتوفىٰ سنة ٦٨٣هـ.

(٤) ص٣٤.

(٥) رواه ابن عساكر، كما ذكره الشارح.

(٦) رواه الحاكم، والبيهقي وقال: غريب مع ضعفِ راويه، كما ذكر ذلك الشارح.

وَضوءَهُ، وَيَدْعُو بِهٰذَا الدُّعَاءِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ فِي حَاجَتِي لِتُقْضَى، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ**» وَصَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَزَادَ: فَقَامَ وَقَدْ أَبْصَرَ.

وَأَمَّا التَّوَسُّلُ بِهِ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي الْبَرْزَخِ:

فَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى، وَفِي كِتَابِ (مِصْبَاحِ الظَّلَامِ فِي الْمُسْتَغِيثِينَ بِخَيْرِ الأَنَامِ) لِلشَّيْخِ أَبِي عَبْدِاللّٰهِ بْنِ النُّعْمَانِ طَرَفٌ مِنْ ذٰلِكَ.

قَالَ صَاحِبُ الأَصْلِ رَحِمَهُ اللّٰهُ: وَلَقَدْ كَانَ حَصَلَ لِي دَاءٌ أَعْيَا دَوَاؤُهُ الأَطِبَّاءَ، وَأَقَمْتُ بِهِ سِنِينَ، فَاسْتَغَثْتُ بِهِ ﷺ لَيْلَةَ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الأُولَى سَنَةَ ثَلاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَمَانِ مِئَةٍ بِمَكَّةَ ـ زَادَهَا اللّٰهُ شَرَفاً ـ فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مَعَهُ قِرْطَاسٌ مَكْتُوبٌ فِيهِ: هٰذَا دَوَاءُ دَاءِ أَحْمَدَ بْنِ الْقَسْطَلاَّنِيِّ مِنَ الْحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ بَعْدَ الإِذْنِ الشَّرِيفِ، ثُمَّ اسْتَيْقَظْتُ فَلَمْ أَجِدْ بِي وَاللّٰهِ شَيْئاً مِمَّا كُنْتُ أَجِدُهُ، وَحَصَلَ الشِّفَاءُ بِبَرَكَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَأَمَّا التَّوَسُّلُ بِهِ ﷺ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ(١):

فَمِمَّا قَامَ عَلَيْهِ الإِجْمَاعُ وَتَوَاتَرَتْ بِهِ الأَخْبَارُ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الطَّالِبُ إِدْرَاكَ السَّعَادَةِ، وَالْمُؤَمِّلُ لِحُسْنِ الْحَالِ فِي حَضْرَةِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ بِالتَّعَلُّقِ بِأَذْيَالِ عَطْفِهِ وَكَرَمِهِ، وَالتَّطَفُّلِ عَلَى مَوَائِدِ نِعَمِهِ، وَالتَّوَسُّلِ بِجَاهِهِ الشَّرِيفِ، وَالتَّشَفُّعِ بِقَدْرِهِ الْمُنِيفِ(٢)، فَهُوَ الْوَسِيلَةُ إِلَى نَيْلِ الْمَعَالِي وَاقْتِنَاصِ الْمَرَامِ، وَالْمَفْزَعُ يَوْمَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ لِكَافَّةِ الرُّسُلِ الْكِرَامِ.

وَاجْعَلْهُ أَمَامَكَ فِيمَا نَزَلَ بِكَ مِنَ النَّوَازِلِ، وَإِمَامَكَ فِيمَا تُحَاوِلُ مِنَ

---

(١) ساحاتها.

(٢) المرتفع علىٰ غيره.

الْقُرَبِ وَالْمَنَازِلِ، فَإِنَّكَ تَظْفَرُ مِنَ الْمُرَادِ بِأَقْصَاهُ، وَتُدْرِكُ رِضَا مَنْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً وَأَحْصَاهُ.

وَاجْتَهِدْ مَا دُمْتَ بِطَيْبَةَ الطَّيِّبَةَ حَسَبَ طَاقَتِكَ فِي تَحْصِيلِ أَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ، وَلاَزِمْ قَرْعَ أَبْوَابِ السَّعَادَةِ بِأَظَافِيرِ الطَّلَبَاتِ، وَارْقَ فِي مَدَارِجِ الْعِبَادَاتِ، وَلِجْ فِي سُرَادِقِ الْمُرَادَاتِ، وَلاَزِمِ الصَّلَوَاتِ مَكْتُوبَةً وَنَافِلَةً فِي مَسْجِدِهِ الْمُكَرَّمِ ﷺ، خُصُوصاً بِالرَّوْضَةِ الَّتِي ثَبَتَ أَنَّهَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[1].

وَحِكْمَةُ ذٰلِكَ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ فَضَّلَهُ ﷺ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَأَنَّ كُلَّ مَا كَانَ مَنْسُوباً إِلَيْهِ بِنِسْبَةٍ مَا مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ يَكُونُ لَهُ تَفْضِيلٌ عَلَى جِنْسِهِ، كَمَا اسْتُقْرِىءَ فِي كُلِّ أُمُورِهِ مِنْ بَدْءِ ظُهُورِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلاَمِ.

فَمِنْهَا: مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ أُمِّهِ آمِنَةَ، وَمَا نَالَهَا مِنْ بَرَكَتِهِ ﷺ.

وَمِثْلُ ذٰلِكَ مُرْضِعَتُهُ حَلِيمَةُ وَأَتَانُهَا وَالْبُقْعَةُ الَّتِي كَانَتْ تِلْكَ الأَتَانُ تَمْشِي عَلَيْهَا، فَإِنَّهَا كَانَتْ مَتَى جَعَلَتْ يَدَهَا عَلَى بُقْعَةٍ اخْضَرَّتْ مِنْ حِينِهَا.

وَكَانَتْ تَظْهَرُ بَرَكَاتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حِسًّا وَمَعْنًى، حَيْثُمَا مَشَى وَحَيْثُمَا وَضَعَ يَدَهُ الْمُبَارَكَةَ كَمَا هُوَ مَنْقُولٌ مَعْرُوفٌ.

وَلَمَّا كَانَ تَرَدُّدُهُ ﷺ بَيْنَ مِنْبَرِهِ وَبَيْتِهِ كَثِيراً، فَكَانَ يَتَرَدَّدُ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ مِرَاراً فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ طُولَ عُمُرِهِ مِنْ وَقْتِ هِجْرَتِهِ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ تَضَاعَفَتْ حُرْمَتُهَا عَلَى غَيْرِهَا، وَلَيْسَ لَهَا وَصْفٌ أَعْلَى مِنْ وَصْفِهَا الْمَذْكُورِ، وَهُوَ أَنَّهَا

---

(١) ومسلم بلفظ: **«ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»** قال ابن أبي جمرة: معناه: تُنْقَل تلك البقعة بعينها في الجنة فتكون روضة من رياض الجنة.

كَانَتْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَتَعُودُ إِلَيْهَا، وَهيَ الآنَ مِنْهَا، وَلِلْعَامِلِ فِيهَا مِثْلُهَا، لأَنَّ الْعَمَلَ فِيهَا يُوجِبُ لِصَاحِبِهِ رَوْضَةً فِي الْجَنَّةِ.

فَإِنْ قِيلَ: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ لِلْمَدِينَةِ بِكَمَالِهَا، لأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ يَطُوفُهَا[1] بِقَدَمِهِ مِرَاراً.

فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ لِلْمَدِينَةِ تَفْضِيلٌ لَمْ يَحْصُلْ لِغَيْرِهَا.

مِنْ ذٰلِكَ: أَنَّ تُرَابَهَا شِفَاءٌ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَأَنَّهَا تُمْنَعُ مِنَ الدَّجَّالِ، وَأَنَّهُ ﷺ أَوَّلُ مَا يَشْفَعُ لأَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ مَا كَانَ لَهَا مِنَ الْوَبَاءِ وَالْحُمَّى رُفِعَ عَنْهَا، وَأَنَّهُ بُورِكَ فِي طَعَامِهَا وَشَرَابِهَا، وَأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ، فَكَانَ التَّفْضِيلُ لَهَا بِنِسْبَةِ تَرَدُّدِهِ فِيهَا، وَتَرَدُّدُهُ فِي الْمَسْجِدِ أَكْثَرُ مِنْ تَرَدُّدِهِ فِي الْمَدِينَةِ، وَتَرَدُّدُهُ فِيمَا بَيْنَ الْمِنْبَرِ وَالْبَيْتِ أَكْثَرُ مِمَّا سِوَاهُ مِنْ سَائِرِ الْمَسجِدِ، فَالْمَدِينَةُ أَرْفَعُ الْمُدُنِ، وَالْمَسْجِدُ أَرْفَعُ الْمَسَاجِدِ، وَالْبُقْعَةُ أَرْفَعُ الْبُقَعِ، قَضِيَّةٌ مَعْلُومَةٌ، وَحُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ.

وَعَنْ عَبْدِاللّٰهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: **«صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هٰذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِلاَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلاَةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ صَلاَةٍ فِي هٰذَا»** رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[2].

وَذَكَرَ ابْنُ حَبِيبٍ فِي الْوَاضِحَةِ[3]: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **«صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي كَأَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ، وَجُمُعَةٌ فِي مَسْجِدِي كَأَلْفِ جُمُعَةٍ فِيمَا سِوَاهُ، وَرَمَضَانُ فِي مَسْجِدِي كَأَلْفِ رَمَضَانَ فِيمَا سِوَاهُ»**[4].

---

(١) في الأصل: يطؤها.

(٢) كابن خزيمة وابن حبان.

(٣) وهي ثاني الأمهات الأربع في مذهب مالك بعد المدوّنة.

(٤) رواه البيهقي.

وَاخْتُلِفَ هَلِ الأَفْضَلُ مَكَّةَ أَوِ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالَ بِكُلِّ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالأَئِمَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[1].

وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي ضَمَّ أَعْضَاءَهُ الشَّرِيفَةَ ﷺ أَفْضَلُ بِقَاعِ الأَرْضِ حَتَّى مَوْضِعَ الْكَعْبَةِ، بَلْ نَقَلَ التَّاجُ السُّبْكِيُّ عَنِ ابْنِ عَقِيلِ الْحَنْبَلِيِّ أَنَّهَا أَفْضَلُ مِنَ الْعَرْشِ، وَصَرَّحَ الْفَاكِهَانِيُّ فِي تَفْضِيلِهَا عَلَى السَّمٰوَاتِ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَتَفْضِيلُ مَا ضَمَّ أَعْضَاءَهُ الشَّرِيفَةَ ﷺ بِاعْتِبَارَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مَا قِيلَ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُدْفَنُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ.

وَالثَّانِي: تَنَزُّلُ الْمَلاَئِكَةِ وَالْبَرَكَاتِ عَلَيْهِ، وَإِقْبَالُ اللَّهِ تَعَالَى.

وَقَدْ رَوَى أَبُو يَعْلَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ يُقْبَضُ النَّبِيُّ إِلاَّ فِي أَحَبِّ الأَمْكِنَةِ إِلَيْهِ**»، وَلاَ شَكَّ أَنَّ أَحَبَّهَا إِلَيْهِ أَحَبُّهَا إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ حُبَّهُ تَابِعٌ لِحُبِّ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلاَ، وَمَا كَانَ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَكَيْفَ لاَ يَكُونُ أَفْضَلَ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَأَنَا أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ إِبْرَاهِيمُ لِمَكَّةَ، وَمِثْلِهِ مَعَهُ**»[2]، وَلاَ رَيْبَ أَنَّ دُعَاءَ النَّبِيِّ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ دُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ، لأَنَّ فَضْلَ الدُّعَاءِ عَلَى قَدْرِ فَضْلِ الدَّاعِي، وَقَدْ صَحَّ[3] أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**» وَفِي رِوَايَةٍ: «**بَلْ أَشَدَّ**»، وَقَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ ﷺ، حَتَّى كَانَ يُحَرِّكُ دَابَّتَهُ إِذَا رَآهَا مِنْ حُبِّهَا.

وَرَوَى الْحَاكِمُ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي مِنْ أَحَبِّ الْبِقَاعِ إِلَيَّ، فَأَسْكِنِّي فِي أَحَبِّ الْبِقَاعِ إِلَيْكَ**».

---

(١) فقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد: مكة أفضل من المدينة، وقال مالك: المدينة أفضل من مكة.

(٢) رواه مسلم.

(٣) عند الشيخين.

وَوَرَدَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِاللّهِ بنِ عَبَّاسٍ[1] الْمَخْزُومِيِّ: أَنْتَ الْقَائِلُ: لَمَكَّةُ خَيْرٌ مِنَ الْمَدِينَةِ؟ فَقَالَ عَبْدُاللّهِ: هِيَ حَرَمُ اللّهِ وَأَمْنُهُ وَفِيهَا بَيْتُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: لاَ أَقُولُ فِي حَرَمِ اللّهِ وَبَيْتِهِ شَيْئاً، ثُمَّ كَرَّرَ عُمَرُ قَوْلَهُ الأَوَّلَ، فَأَعَادَ عَبْدُاللّهِ جَوَابَهُ، فَأَعَادَ لَهُ عُمَرُ: لاَ أَقُولُ فِي حَرَمِ اللّهِ وَبَيْتِهِ شَيْئاً، فَأُشِيرَ إِلَى عَبْدِاللّهِ فَانْصَرَفَ.

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ حَدِيثَ: «**الْمَدِينَةُ خَيْرٌ مِنْ مَكَّةَ**»، وَفِيهِ رَاوٍ لَيْسَ بِقَوِيٍّ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ ﷺ: «**أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى، يَقُولُونَ يَثْرِبُ وَهِيَ الْمَدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ** - أَيْ: الْخَبِيثَ مِنْهُمْ - **كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**».

قَالَ الْعَارِفُ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ: فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الْمَرْوِيِّ فِي الْبُخَارِيِّ: «**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلاَّ سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلاَّ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ**» ظَاهِرُ هٰذَا الْحَدِيثِ يُعْطِي التَّسْوِيَةَ بَيْنَهُمَا فِي الْفَضْلِ، قَالَ: وَيُؤَيِّدُ ذٰلِكَ أَنَّهُ إِنْ كَانَتْ خُصَّتِ الْمَدِينَةُ بِمَدْفَنِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَإِقَامَتِهِ بِهَا وَمَسْجِدِهِ، فَقَدْ خُصَّتْ مَكَّةُ بِمَسْقَطِهِ ﷺ بِهَا وَمَبْعَثِهِ مِنْهَا وَهِيَ قِبْلَتُهُ، فَمَطْلَعُ شَمْسِ ذَاتِهِ الْكَرِيمَةِ الْمُبَارَكَةِ مَكَّةُ، وَمَغْرِبُهَا الْمَدِينَةُ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ: مِنْ حَدِيثِ سَعْدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَخْرُجُ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلاَّ أَخْلَفَ اللّهُ فِيهَا خَيْراً مِنْهُ**».

وَرَوَى مُسْلِمٌ أَيْضاً مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ**

---

(١) الصواب: عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة، كما في المواهب وشرحها.

يَصْبِرُ عَلَى لأْوَاءِ الْمَدِينَةِ وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي إِلاَّ كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ شَهِيداً». (وَاللأْوَاء: الشِّدَّةُ وَالْجُوعُ).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا»** - أَيْ: يَنْقَبِضُ وَيَنْضَمُّ وَيَلْتَجِىءُ - لأَنَّهَا أَصْلٌ فِي انْتِشَارِهِ، فَكُلُّ مُؤْمِنٍ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ سَائِقٌ إِلَيْهَا فِي جَمِيعِ الأَزْمَانِ لِحُبِّهِ فِي سَاكِنِهَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ[1]، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: **«مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا»**.

وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: **«لاَ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ، وَلاَ الطَّاعُونُ»**.

وَفِيهِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«لاَ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ»**.

قَالَ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ: إِنَّ الطَّاعُونَ لَمْ يَدْخُلِ الْمَدِينَةَ أَصْلاً، قَالَ بَعْضُهُمْ: هٰذَا مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، لأَنَّ الأَطِبَّاءَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ عَجَزُوا أَنْ يَدْفَعُوا الطَّاعُونَ عَنْ بَلَدٍ، بَلْ عَنْ قَرْيَةٍ، وَقَدِ امْتَنَعَ الطَّاعُونُ مِنَ الْمَدِينَةِ هٰذِهِ الدُّهُورَ الطَّوِيلَةَ.

وَمِنْ خَصَائِصِ الْمَدِينَةِ: أَنَّ غُبَارَهَا شِفَاءٌ مِنَ الْجُذَامِ وَالْبَرَصِ، بَلْ مِنْ

---

(١) كابن ماجه وابن حبان والطبراني.

كُلِّ دَاءٍ، كَمَا رَوَاهُ رُزَيْنٌ مِنْ حَدِيثِ سَعْدٍ. زَادَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ: وَعَجْوَتُهَا شِفَاءٌ مِنَ السُّمِّ.

وَنَقَلَ الْبَغَوِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى[1]: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾[2] أَنَّهَا الْمَدِينَةُ.

وَذَكَرَ ابْنُ النَّجَّارِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: كُلُّ الْبِلاَدِ افْتُتِحَتْ بِالسَّيْفِ، وَافْتُتِحَتِ الْمَدِينَةُ بِالْقُرْآنِ.

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ﷺ: **«الْمَدِينَةُ قُبَّةُ الإِسْلاَمِ، وَدَارُ الإِيمَانِ، وَأَرْضُ الْهِجْرَةِ، وَمَثْوَى الْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ»**.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَكُلُّ الْمَدِينَةِ تُرَابُهَا وَطُرُقُهَا وَفِجَاجُهَا[3] وَدُورُهَا وَمَا حَوْلَهَا قَدْ شَمِلَتْهُ بَرَكَتُهُ ﷺ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَتَبَرَّكُونَ بِدُخُولِهِ مَنَازِلَهُمْ، وَيَدْعُونَهُ إِلَيْهَا وَإِلَى الصَّلاَةِ فِي بُيُوتِهِمْ، وَلِذٰلِكَ امْتَنَعَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ رُكُوبِ دَابَّةٍ فِي الْمَدِينَةِ وَقَالَ: لاَ أَطَأُ بِحَافِرِ دَابَّةٍ فِي عِرَاصٍ[4] كَانَ ﷺ يَمْشِي فِيهَا بِقَدَمَيْهِ ﷺ.

❋ ❋ ❋

[زِيَارَةُ مَسْجِدِ قُبَاءَ، وَبَقِيَّةِ المزاراتِ]

وَيَنْبَغِي لِلزَّائِرِ أَنْ يَأْتِيَ مَسْجِدَ قُبَاءَ لِلصَّلاَةِ فِيهِ وَالزِّيَارَةِ، فَقَدْ كَانَ ﷺ يَزُورُهُ رَاكِباً وَمَاشِياً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: «**يَأْتِي**» بَدَلَ «**يَزُورُ**» فَيُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ.

---

(١) ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ ...﴾.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤١.

(٣) الفجّ: الطريق الواسع بين جبلين.

(٤) أرض.

وَعِنْدَهُ أَيْضاً: أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ يَأْتِيهِ كُلَّ سَبْتٍ وَيقُولُ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَأْتِيهِ كُلَّ سَبْتٍ.

وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ عَنْ أُسَيْدِ بْنِ ظُهَيْرٍ الأَنْصَارِيِّ (وَهُوَ غَيْرُ ابْنِ حُضَيْرٍ) قَالَ ﷺ: **«صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ كَعُمْرَةٍ»**.

وَيَنْبَغِي لَهُ بَعْدَ زِيَارَتِهِ ﷺ أَنْ يَقْصِدَ الْمَزَارَاتِ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ، وَالآثَارَ الْمُبَارَكَةِ، وَالْمَسَاجِدَ الَّتِي صَلَّى فِيهَا الْتِمَاساً لِبَرَكَتِهِ ﷺ.

وَيَخْرُجَ إِلَى الْبَقِيعِ لِزِيَارَةِ مَنْ فِيهِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الصَّحَابَةِ مِمَّنْ تُوُفِّيَ فِي الْمَدِينَةِ فِي حَيَاتِهِ ﷺ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ مَدْفُونٌ بِالْبَقِيعِ، وَكَذٰلِكَ سَادَاتُ أَهْلِ الْبَيْتِ وَالتَّابِعِينَ.

وَرُوِيَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: مَاتَ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ عَشَرَةُ آلاَفٍ، وَكَذٰلِكَ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ (سِوَى خَدِيجَةَ فَإِنَّهَا بِمَكَّةَ، وَمَيْمُونَةَ فَإِنَّهَا بِسَرِفٍ)[١].

وَقَدْ كَانَ ﷺ يَخْرُجُ آخِرَ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ فَيَقُولُ: **«السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ»** رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَرَوَى ابْنُ النَّجَّارِ مَرْفُوعاً: **«مَقْبَرَتَانِ مُضِيئَتَانِ لأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لأَهْلِ الدُّنْيَا: بَقِيعُ الْغَرْقَدِ، وَمَقْبَرَةُ عَسْقَلاَنَ»**[٢].

وَعَنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ قَالَ: نَجِدُهَا فِي التَّوْرَاةِ ـ يَعْنِي: مَقْبَرَةَ الْمَدِينَةِ ـ

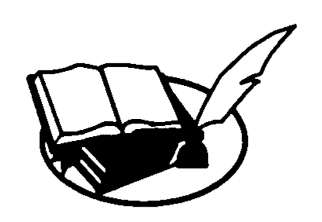
---

(١) موضع قرب التنعيم.

(٢) في فلسطين. وروىٰ الطبراني في الكبير: **«يُبعَث من بقيع الغرقد سبعون ألفاً يوم القيامة علىٰ صورة القمر ليلة البدر، يدخلون الجنة بغير حساب»** وروىٰ الخطيب وأبو يعلىٰ: **«أهل مقبرة شهداء عسقلان يُزَفُّون إلىٰ الجنة كما تُزَفُّ العروس إلىٰ زوجها»** انظر كنز العمال ٣٨٢٥٠، ومجمع الزوائد ١٦٦٦٦.

كَقُبَّةٍ مَحْفُوفَةٍ بِالنَّخِيلِ، مُوَكَّلٌ بِهَا مَلاَئِكَةٌ، كُلَّمَا امْتَلأَتْ أَخَذُوهَا فَكَفَؤُوهَا[1] فِي الْجَنَّةِ.

وَأَخْرَجَ أَبُو حَاتِم[2] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: **«أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ آتِي الْبَقِيعَ فَيُحْشَرُونَ مَعِي، ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ حَتَّى نُحْشَرَ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ»** قَالَ الطِّيبِيُّ: الْحَشْرُ هُنَا: الْجَمْعُ.



(١) أي: قلبوها.

(٢) والترمذي بسند حسن صحيح.

الفصل الثالث

فِي تَفْضِيلِهِ فِي الآخِرَةِ بِفَضَائِلِ الأَوَّلِيَّاتِ، وَانْفِرَادِهِ بِالشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ بَيْنَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَتَرَقِّيهِ فِي الْجِنَانِ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ تَكْرِيمِ اللَّهِ لَهُ ﷺ هُنَالِكَ بِشَرَائِفِ الْكَرَامَاتِ

اِعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَمَا فَضَّلَ نَبِيَّنَا مُحَمَّداً ﷺ فِي الْبَدْءِ بِأَنْ جَعَلَهُ أَوَّلَ الأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ[1]، وَأَوَّلَهُمْ فِي الإِجَابَةِ فِي عَالَمِ الذَّرِ يَوْمَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[2] جَعَلَهُ فِي الْعَوْدِ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، وَأَوَّلَ شَافِعٍ، وَأَوَّلَ مُشَفَّعٍ، وَأَوَّلَ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَأَوَّلَ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْخَلْقُ مَحْجُوبُونَ عَنْ رُؤْيَتِهِ إِذْ ذَاكَ، وَأَوَّلَ الأَنْبِيَاءِ يُقْضَى بَيْنَ أُمَّتِهِ، وَأَوَّلَهُمْ إِجَازَةً عَلَى الصِّرَاطِ بِأُمَّتِهِ، وَأَوَّلَ دَاخِلٍ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأُمَّتَهُ أَوَّلَ الأُمَمِ دُخُولاً إِلَيْهَا، وَزَادَهُ مِنْ لَطَائِفِ التُّحَفِ وَنَفَائِسِ الطُّرَفِ مَا لاَ يُحَدُّ وَلاَ يُعَدُّ.

فَمِنْ ذٰلِكَ: أَنَّهُ يُبْعَثُ رَاكِباً، وَتَخْصِيصُهُ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَلِوَاءِ الْحَمْدِ

---

(١) لِما رَوىٰ الترمذي بسند حسن صحيح غريب: «أنه كان نبيًا وآدمُ بين الروح والجسد».

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢ وروىٰ ابن القطان في جزء من أماليه بسند ضعيف: «أنه أوّلُ مَن أُخِذ عليه الميثاق، وأنه أوّلُ مَن قال بلىٰ يوم ألستُ بربكم». وقد تقدّم كل ذلك في القسم الرابع من الفصل الثاني من المقصد الرابع ص٤٣٣.

تَحْتَهُ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، وَاخْتِصَاصُهُ أَيْضاً بِالسُّجُودِ لِلّهِ تَعَالَى أَمَامَ الْعَرْشِ، وَمَا يَفْتَحُهُ اللّهُ عَلَيْهِ فِي سُجُودِهِ مِنَ التَّحْمِيدِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ، وَلاَ يَفْتَحُهُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَهُ زِيَادَةً فِي كَرَامَتِهِ وَقُرْبِهِ، وَكَلاَمُ اللّهِ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَلاَ كَرَامَةَ فَوْقَ هٰذَا إِلاَّ النَّظَرُ إِلَيْهِ تَعَالَى.

وَمِنْ ذٰلِكَ: تَكْرَارُهُ الشَّفَاعَةَ، وَسُجُودُهُ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً، وَتَجْدِيدُ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِمَا يَفْتَحُ اللّهُ عَلَيْهِ مِنْ ذٰلِكَ، وَكَلاَمُ اللّهِ تَعَالَى لَهُ فِي كُلِّ سَجْدَةٍ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قِيَامُهُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ، لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلاَئِقِ يَقُومُ ذٰلِكَ الْمَقَامَ غَيْرُهُ، يَغْبِطُهُ فِيهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ، وَشَهَادَتُهُ بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ وَأُمَمِهِمْ بِأَنَّهُمْ بَلَّغُوهُمْ، وَسُؤَالُهُمْ مِنْهُ الشَّفَاعَةَ لِيُرِيحَهُمْ مِنْ غَمِّهِمْ وَعَرَقِهِمْ وَطُولِ وُقُوفِهِمْ، وَشَفَاعَتُهُ فِي أَقْوَامٍ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ.

وَمِنْهَا: الْحَوْضُ الَّذِي لَيْسَ فِي الْمَوْقِفِ أَكْثَرُ أَوَانٍ مِنْهُ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ كُلَّهُمْ لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ بِشَفَاعَتِهِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يَشْفَعُ فِي رَفْعِ دَرَجَاتِ أَقْوَامٍ لاَ تَبْلُغُهَا أَعْمَالُهُمْ.

وَهُوَ صَاحِبُ الْوَسِيلَةِ الَّتِي هِيَ أَعْلَى مَنْزِلَةٍ فِي الْجَنَّةِ، إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا يَزِيدُهُ اللّهُ تَعَالَى بِهِ جَلاَلَةً وَتَعْظِيماً وَتَبْجِيلاً وَتَكْرِيماً عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَالْمَلاَئِكَةِ أَجْمَعِينَ، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝﴾[1].

فَأَمَّا تَفْضِيلُهُ ﷺ بِأَوَّلِيَّةِ انْشِقَاقِ الْقَبْرِ الْمُقَدَّسِ عَنْهُ:

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١، وسورة الجمعة، الآية: ٤.

فَرَوَى مُسْلِمٌ[١] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»**.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلاَ فَخرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ** - آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ - **إِلاَّ تَحتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، وَلا فَخرَ»** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[٢].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ آتِي أَهْلَ الْبَقِيعِ فَيُحْشَرُونَ مَعِي، ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ حَتَّى نُحْشَرَ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ»** رَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. (وَمَعْنَى نُحْشَرَ: نَجْتَمِعَ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَصْعَقُ النَّاسُ حِينَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ قَامَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ»**[٣] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. (وَالْمُرَادُ بِالصَّعْقِ: غَشْيٌ يَلْحَقُ مَنْ سَمِعَ صَوْتاً أَوْ رَأَى شَيْئاً فَزِعَ مِنْهُ).

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجاً إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا أَنْصَتُوا، وَأَنَا شَفِيعُهُمْ إِذَا حُبِسُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، الْكَرَامَةُ وَالْمَفَاتِيحُ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَلِوَاءُ الْحَمْدِ**

---

(١) وأبو داود.

(٢) وحسّنه.

(٣) في قوله تعالى: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٨٧].

يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي، يَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُمْ بَيْضٌ مَكْنُونٌ أَوْ لُؤْلُؤٌ مَنْثُورٌ» رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ[1].

وَفِي حَدِيثٍ رَوَاهُ صَاحِبُ كِتَابِ حَادِي الأَرْوَاحِ[2]: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبِلالٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يُنَادِي بِالأَذَانِ.

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَالطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**تُبْعَثُ الأَنْبِيَاءُ عَلَى الدَّوَابِّ، وَأُبْعَثُ عَلَى الْبُرَاقِ، وَيُبْعَثُ بِلالٌ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ نُوقِ الْجَنَّةِ يُنَادِي بِالأَذَانِ مَحْضاً**[3]**، وَبِالشَّهَادَةِ حَقًّا، حَتَّى إِذَا قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ شَهِدَ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ**» وَفِي رِوَايَةٍ: «**فَإِذَا سَمِعَتِ الأَنْبِيَاءُ وَأُمَمُهَا: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، قَالُوا: وَنَحْنُ نَشْهَدُ عَلَى ذٰلِكَ**» وَفِي رِوَايَةٍ زِيَادَةُ: «**وَيُحْشَرُ صَالِحٌ عَلَى نَاقَتِهِ، وَيُحْشَرُ ابْنَا فَاطِمَةَ عَلَى نَاقَتَيَّ: الْعَضْبَاءِ، وَالْقَصْوَاءِ**».

وَعَنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ كَعْبٌ: مَا مِنْ فَجْرٍ يَطْلُعُ إِلاَّ نَزَلَ سَبْعُونَ أَلْفاً مِنَ الْمَلائِكَةِ حَتَّى يَحُفُّونَ بِالْقَبْرِ يَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، حَتَّى إِذَا أَمْسَوْا عَرَجُوا، وَهَبَطَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَحُفُّونَ بِالْقَبْرِ، وَيَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، سَبْعُونَ أَلْفاً بِاللَّيْلِ، وَسَبْعُونَ أَلْفاً بِالنَّهَارِ، حَتَّى إِذَا انْشَقَّتْ عَنْهُ الأَرْضُ خَرَجَ فِي سَبْعِينَ أَلْفاً مِنَ الْمَلائِكَةِ يُوَقِّرُونَهُ ﷺ[4].

---

(١) وقال الترمذي: حديث غريب.

(٢) وهو ابن القيّم.

(٣) خالصاً لم يختلط بغيره.

(٤) ذكره ابن النجار في تاريخ المدينة، والقرطبي في التذكرة، وابن أبي الدنيا، كلُّهم عن كعب الأحبار.

وَفِي نَوَادِرِ الأُصُولِ لِلْحَكِيمِ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَيَمِينُهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَشِمَالُهُ عَلَى عُمَرَ، فَقَالَ: **«هٰكَذَا نُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ فَأُكْسَى حُلَّةً مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ لَيسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلاَئِقِ يَقُومُ ذٰلِكَ الْمَقَامَ غَيرِي»** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَفِي رِوَايَةِ كَعْبٍ: **«حُلَّةً خَضْرَاءَ»**.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ: أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى مِنَ الْجَنَّةِ إِبْرَاهِيمُ، يُكْسَى حُلَّةً مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُؤْتَى بِكُرْسِيٍّ فَيُطْرَحُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِي فَأُكْسَى حُلَّةً مِنَ الْجَنَّةِ لاَ يَقُومُ لَهَا الْبَشَرُ، وَفِيهِ: أَنَّهُ يَجْلِسُ عَلَى الْكُرْسِيِّ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ.

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِاللّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ: **«حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرَائِحَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ**[١] **كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شُرْبَةً لاَ يَظْمَأُ أَبَداً»** وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: **«وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ طُولُهُ كَعَرْضِهِ»**، وَزَادَ فِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ[٢]: **«وَلَمْ يَسْوَدَّ وَجْهُهُ أَبَداً»**، وَزَادَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ[٣]: **«وَمَنْ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ لَمْ يَرْوَ أَبَداً»**.

وَفِي حَدِيثِ ثَوْبَانَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ: **«أَكْثَرُ النَّاسِ عَلَيْهِ وُرُوداً فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ»**.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي التَّذْكِرَةِ: ذَهَبَ صَاحِبُ الْقُوتِ[٤] وَغَيْرُهُ إِلَى أَنَّ

---

(١) جمع كوز، وهو إناء صغير له عروة.

(٢) عند أحمد وابن حبّان.

(٣) عند البزار.

(٤) (قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلىٰ مقام التوحيد) لأبي طالب المكّي المتوفىٰ سنة ٣٨٦هـ.

الْحَوْضَ يَكُونُ بَعْدَ الصِّرَاطِ، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى الْعَكْسِ[1].

وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ مِمَّا رَوَاهُ مُسْلِمٌ: **«أَنَّ الْحَوْضَ يَشْخُبُ[2] فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ»**.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: **«أَنَا فَاعِلٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»**، قُلْتُ: فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: **«أَوَّلُ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ»**، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: **«فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ»**، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ المِيزَانِ؟ قَالَ: **«فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ، فَإِنِّي لاَ أُخْطِىءُ هٰذِهِ الثَّلاَثَةَ مَوَاطِنَ»** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُفْهِمِ[3]: مِمَّا يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْلَمَهُ وَيُصَدِّقَ بِهِ أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ خَصَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّداً ﷺ بِالْحَوْضِ الْمُصَرَّحِ بِاسْمِهِ وَصِفَتِهِ وَشَرَابِهِ فِي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي يَحْصُلُ بِمَجْمُوعِهَا الْعِلْمُ الْقَطْعِيُّ، إِذْ رَوَى ذٰلِكَ عَنْهُ ﷺ مِنَ الصَّحَابَةِ نَيِّفٌ[4] عَلَى الثَّلاثِينَ، مِنْهُمْ فِي الصَّحِيحَيْنِ مَا يَزِيدُ عَلَى الْعِشْرِينَ، وَفِي غَيْرِهِمَا بَقِيَّةُ ذٰلِكَ، كَمَا صَحَّ نَقْلُهُ وَاشْتَهَرَتْ رُوَاتُهُ، ثُمَّ رَوَاهُ عَنِ الصَّحَابَةِ الْمَذْكُورِينَ مِنَ التَّابِعِينَ أَمْثَالُهُمْ، وَمِنْ بَعْدِهِمْ أَضْعَافُ أَضْعَافِهِمْ، وَهَلُمَّ جرًّا، وَاجْتَمَعَ عَلَى إِثْبَاتِهِ السَّلَفُ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الْخَلَفِ.

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِم: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحوْضَ وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ عَنْ إِبِلِهِ»**، قَالُوا: يَا

---

(١) ورجّح الحافظ ابن حجر كونه قبل الصراط.

(٢) يسيل.

(٣) شرح صحيح مسلم.

(٤) زيادة.

رَسُولَ اللّهِ! تَعرِفُنَا؟ قَالَ: «**نَعَم، لَكُمْ سِيمَا**[1] **لَيسَتْ لأَحَدٍ غَيرِكُمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ**»[2].

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**لِحَوْضِي أَرْبَعَةُ أَرْكَانٍ: الأَوَّلُ: بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَالثَّانِي: بِيَدِ عُمَرَ الْفَارُوقِ، وَالثَّالِثُ: بِيَدِ عُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ، وَالرَّابِعُ: بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَمَنْ كَانَ مُحِبًّا لأَبِي بَكْرٍ مُبْغِضاً لِعُمَرَ لاَ يَسْقِيهِ أَبُو بَكْرٍ، وَمَنْ كَانَ مُحِبًّا لِعَلِيٍّ مُبْغِضاً لِعُثْمَانَ لاَ يَسْقِيهِ عَلِيٌّ**» رَوَاهُ أَبُو سَعْدٍ[3].

وَأَمَّا تَفْضِيلُهُ ﷺ بِالشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ:

فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[4]، وَاتَّفَقَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ كَلِمَةَ «عَسَى» مِنَ اللّهِ وَاجِبٌ، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي تَفْسِيرِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ عَلَى أَقْوَالٍ:

أَوَّلُهَا: وَرَجَّحَهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُفَسِّرُونَ كَمَا قَالَهُ الْوَاحِدِيُّ: أَنَّهُ مَقَامُ الشَّفَاعَةِ، وَوَرَدَتِ الأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ فِي تَقْرِيرِ هٰذَا الْمَعْنَى كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَنِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ فَقَالَ: «**هُوَ الشَّفَاعَةُ**». وَفِيهِ أَيْضاً عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًى** - أَيْ: جَمَاعَاتٍ -، **كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ اشْفَعْ لَنَا، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَيَّ، فَذٰلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ**»، وَمِمَّا يُؤَيِّدُ هٰذَا: الدُّعَاءُ الْمَشْهُورُ: «**وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً يَغْبِطُهُ فِيهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ**».

---

(١) علامة.

(٢) في أعضاء وضوئهم نور مثل البياض الذي يكون في وجه الفَرَس ويديه ورجليه.

(٣) في (شرف النبوة) والغيلاني.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

الْقَوْلُ الثَّانِي: قَالَ حُذَيْفَةُ: يَجْمَعُ اللّهُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ[1]، **فَلاَ** تَكَلَّمُ نَفْسٌ، فَأَوَّلُ مَدْعُوٍّ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَيَقُولُ: «**لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، وَالْمُهْتَدِي مَنْ هَدَيْتَ، وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَبِكَ وَإِلَيْكَ، وَلاَ مَلْجَأَ مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ**»، قَالَ: فَهٰذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ[2]، قَالَ ابْنُ مَنْدَهْ: حَدِيثٌ مُجْمَعٌ عَلَى صِحَّةِ إِسْنَادِهِ وَثِقَةِ رِجَالِهِ.

الْقَوْلُ الثَّالِثُ: مَقَامٌ تُحْمَدُ عَاقِبَتُهُ.

الْقَوْلُ الرَّابِعُ: هُوَ إِجْلاَسُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى الْعَرْشِ. وَقِيلَ عَلَى الْكُرْسِيِّ. رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: يُقْعِدُ اللّهُ تَعَالَى مُحَمَّداً ﷺ عَلَى الْكُرْسِيِّ[3].

وَاخْتُلِفَ فِي فَاعِلِ الْحَمْدِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّحْمُودًا﴾ فَالأَكْثَرُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَهْلُ الْمَوْقِفِ، لِمَا ثَبَتَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ بِلَفْظِ: «**مَقاماً مَحْمُوداً يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُمْ**».

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا قُلْنَا بِالْمَشْهُورِ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ الشَّفَاعَةُ، فَأَيُّ شَفَاعَةٍ هِيَ؟

فَالْجَوَابُ: إِنَّ الشَّفَاعَةَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الأَحَادِيثِ فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ نَوْعَانِ:

---

(١) يوم المحشر.

(٢) والنسائي بإسناد صحيح.

(٣) قال الواحدي: وهذا قول رَذْل موحش فظيع، ونصّ الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير، وقد قال تعالى: ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ولم يقل مَقْعَداً.

النَّوْعُ الأَوَّلُ: الْعَامَّةُ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ.

وَالثَّانِي: فِي الشَّفَاعَةِ فِي إِخْرَاجِ الْمُذْنِبِينَ مِنَ النَّارِ.

لَكِنِ الَّذِي يَتَّجِهُ رَدُّ هٰذِهِ الأَقْوَالِ كُلِّهَا إِلَى الشَّفَاعَةِ الْعَامَّةِ، فَإِنَّ إِعْطَاءَهُ لِوَاءَ الْحَمْدِ وَثَنَاءَهُ عَلَى رَبِّهِ وَكَلاَمَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَجُلُوسَهُ عَلَى كُرْسِيِّهِ هِيَ صِفَاتٌ لِلْمَقَامِ الْمَحْمُودِ الَّذِي يَشْفَعُ فِيهِ لِيُقْضَى بَيْنَ الْخَلْقِ، وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ فِي إِخْرَاجِ الْمُذْنِبِينَ مِنَ النَّارِ فَمِنْ تَوَابِعِ ذٰلِكَ.

وَقَدْ جَاءَتِ الأَحَادِيثُ الَّتِي بَلَغَ مَجْمُوعُهَا التَّوَاتُرَ بِصِحَّةِ الشَّفَاعَةِ فِي الآخِرَةِ لِمُذْنِبِي الْمُؤْمِنِينَ، فَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أُرِيتُ مَا تَلْقَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي وَسَفْكَ بَعْضِهِمْ دِمَاءَ بَعْضٍ فَأَحْزَنَنِي، وَسَبَقَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا سَبَقَ لِلأُمَمِ قَبْلَهُمْ، فَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُؤْتِيَنِي فِيهِمْ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَفَعَلَ**»(١).

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا، وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي فِي الآخِرَةِ**»(٢).

وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ: «**فَجَعَلْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي**»(٣)، وَهٰذَا مِنْ مَزِيدِ شَفَقَتِهِ ﷺ عَلَيْنَا وَحُسْنِ تَصَرُّفِهِ، حَيْثُ جَعَلَ دَعْوَتَهُ الْمُجَابَةَ فِي أَهَمِّ أَوْقَاتِ حَاجَاتِنَا، جَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا أَحْسَنَ الْجَزَاءِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَاذَا وَرَدَ عَلَيْكَ

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي وصححه.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) رواه مسلم.

مِنَ الْوَحْيِ فِي الشَّفَاعَةِ؟ فَقَالَ: «شَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ مُخْلِصاً، يُصَدِّقُ بِهَا لِسَانَهُ قَلْبُهُ»[١].

وَعَنْهُ أَيْضاً قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذٰلِكَ؟ يَجْمَعُ اللّٰهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو الشَّمْسُ مِنْ جَمَاجِمِ النَّاسِ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللّٰهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ، أَلاَ تَشْفَعُ لِنَا إِلَى رَبِّكَ؟ أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ[٢]، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحاً عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ! أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ[٣]، وَقَدْ سَمَّاكَ اللّٰهُ عَبْداً شَكُوراً، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى إلى مَا بَلَغَنَا؟ أَلاَ تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللّٰهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ

(١) رواه البيهقي والحاكم وصححه.

(٢) فالصورة صورة معصية، وإلا فقد نسي، قال تعالىٰ: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ أي: علىٰ المعصية. سورة طه، الآية: ١١٥.

(٣) أي: بعد الطُوفان، وإلا فقد تقدمه آدم وشيث وإدريس عليهم الصلاة والسلام.

فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإِنِّي كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ، فَذَكَرَهَا[1]، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى! أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلَى النَّاسِ، أَلاَ تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا[2]، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى، فَيَأْتُونَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى! أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، أَلاَ تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْباً، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، أَلاَ تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِداً لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذٰلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ» الْحَدِيثَ،

---

(١) وهي قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ لمّا دُعِيَ إلىٰ الأصنام (أي: سقيم من كُفركم) وقوله لزوجته سارة لما طلبها الملك منه: إنها أختي (أي: في الدين) وقوله في حق الأصنام: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] (قال ذلك علىٰ سبيل الاستهزاء).

(٢) وكان ذلك مصادفة قدر. قال تعالىٰ: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥] والوكز: الضرب بجُمْع الكفّ، وهو لا يقتل عادة.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَهٰذِهِ الشَّفَاعَةُ بَعْدَ الْعَامَّةِ لِجَمِيعِ الأُمَمِ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ، فَفِي السِّيَاقِ حَذْفٌ. وَفِي مُسْنَدِ الْبَزَّارِ: **«فَأَقُولُ يَا رَبِّ! عَجِّل عَلَى الخَلْقِ الحِسَابَ»**.

وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ حُذَيْفَةَ: أَنَّ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَالَ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذٰلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، وَمَعْنَاهُ: لَمْ أَكُنْ فِي التَّقْرِيبِ وَالإِدْلاَلِ بِمَنْزِلَةِ الْحَبِيبِ، وَقَوْلُهُ: مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، إِشَارَةٌ إِلَى نَبِيِّنَا ﷺ، لأَنَّهُ حَصَلَتْ لَهُ الرُّؤْيَةُ وَالسَّمَاعُ بِلاَ وَاسِطَةٍ، وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْكَذَبَاتِ الثَّلاَثِ، فَقَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: الْحَقُّ أَنَّهَا إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ مَعَارِيضِ الْكَلاَمِ، لٰكِنْ لَمَّا كَانَتْ صُورَتُهَا صُورَةَ الْكَذِبِ أَشْفَقَ مِنْهَا اسْتِقْصَاراً لِنَفْسِهِ عَنِ الشَّفَاعَةِ، لأَنَّ مَنْ كَانَ أَعْرَفَ بِاللّٰهِ وَأَقْرَبَ إِلَيْهِ مَنْزِلَةً كَانَ أَعْظَمَ خَوْفاً.

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَنْ عِيسَى: إِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ ذَنْباً، فَوَقَعَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالنَّسَائِيِّ: إِنِّي اتُّخِذْتُ إِلٰهاً مِنْ دُونِ اللّٰهِ.

وَفِي حَدِيثِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ، حَدَّثَنِي نَبِيُّ اللّٰهِ ﷺ قَالَ: **«إِنِّي لَقَائِمٌ أَنْتَظِرُ أُمَّتِي عِنْدَ الصِّرَاطِ إِذْ جَاءَ عِيسَى فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! هٰذِهِ الأَنْبِيَاءُ قَدْ جَاءَتْكَ يَسْأَلُونَكَ لِتَدْعُوَ اللّٰهَ أَنْ يُفَرِّقَ جَمْعَ الأُمَمِ إِلَى حَيْثُ شَاءَ لِعُظْمِ مَا هُمْ فِيهِ»**، فَأَفَادَتْ هٰذِهِ الرِّوَايَةُ تَعْيِينَ مَوْقِفِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَئِذٍ، وَأَنَّ هٰذَا الَّذِي وُصِفَ مِنْ كَلاَمِ أَهْلِ الْمَوْقِفِ كُلَّهُ يَقَعُ عِنْدَ نَصْبِ الصِّرَاطِ بَعْدَ تَسَاقُطِ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ، وَأَنَّ عِيسَى هُوَ الَّذِي يُخَاطِبُ نَبِيَّنَا ﷺ، وَأَنَّ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ يَسْأَلُونَهُ فِي ذٰلِكَ.

وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ: **«يَأْتُونَ مُحَمَّداً فَيَقُولُونَ: يَا نَبِيَّ اللّٰهِ! أَنْتَ فَتَحَ اللّٰهُ بِكَ وَخَتَمَ بِكَ، وَغَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، وَجِئْتَ فِي هٰذَا الْيَوْمِ وَتَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَقُمْ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكُمْ، فَيَجُوسُ النَّاسَ ـ أَيْ: يَتَخَلَّلُهُمْ ـ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ»**.

وَفِي حَدِيثِ كَعْبٍ عِنْدَ أَبِي يَعْلَى رَفَعَهُ: **«فَأَسْجُدُ لَهُ سَجْدَةً يَرْضَى بِهَا عَنِّي، ثُمَّ أَمْتَدِحُهُ بِمِدْحَةٍ يَرْضَى بِهَا عَنِّي»**.

وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ: مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ: **«ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ»**.

وَفِي رِوَايَةِ ثَابِتٍ عِنْدَ أَحْمَدَ: **«فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ ثُمَّ حَبَّةِ خَرْدَلٍ»** أَيْ: مِنْ إِيمَانٍ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: الشَّفَاعَاتُ خَمْسٌ:

الأُولَى: فِي الإِرَاحَةِ مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ.

الثَّانِيَةُ: فِي إِدْخَالِ قَوْمٍ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

الثَّالِثَةُ: فِي إِدْخَالِ قَوْمٍ حُوسِبُوا فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ أَنْ لاَ يُعَذَّبُوا.

الرَّابِعَةُ: فِي إِخْرَاجِ مَنْ أُدْخِلَ النَّارَ مِنَ الْعُصَاةِ.

الخَامِسَةُ: فِي رَفْعِ الدَّرَجَاتِ. انتهى.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَشْفَعَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدَدَ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ وَمَدَرَةٍ»**[1] رَوَاهُ أَحْمَدُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«نَحْنُ آخِرُ الأُمَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، يُقَالُ أَيْنَ الأُمَّةُ الأُمِّيَّةُ وَنَبِيُّهَا؟ فَنَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ»** رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ[2].

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ[3] قَالَ ﷺ: **«فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ**

---

(١) طين متماسك.

(٢) بسند صحيح.

(٣) الطيالسي.

يَقْضِيَ بَيْنَ خَلْقِهِ نَادَى مُنَادٍ: أَيْنَ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ؟ فَأَقُومُ، وَتَتْبَعُنِي أُمَّتِي غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الطُّهُورِ»[(١)]، قَالَ ﷺ: «فَنَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، فَتُفْرِجُ لَنَا الأُمَمُ عَنْ طَرِيقِنَا، وَتَقُولُ الأُمَمُ: كَادَتْ هٰذِهِ الأُمَّةُ أَنْ تَكُونَ أَنْبِيَاءَ كُلُّهَا».

وَذَكَرَ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْم عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَضَى لأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ حَاجَةً كُنْتُ وَاقِفاً عِنْدَ مِيزَانِهِ، فَإِنْ رَجَحَ وَإِلاَّ شَفَعْتُ لَهُ».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ ﷺ: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلاَّ اللّهُ تَعَالَى، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. (وَالسَّعْدَانُ: نَبَاتٌ ذُو شَوْكٍ، وَيُوبَقُ: يُهْلَكُ. وَيُخَرْدَلُ: يُصْرَعُ).

وَفِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: يَا رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ».

وَفِي حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ[(٢)]: «فَإِذَا عَصَفَ الصِّرَاطُ[(٣)] بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ نَادَوْا: وَامُحَمَّدَاهُ! وَامُحَمَّدَاهُ! فَيُبَادِرُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ شِدَّةِ إِشْفَاقِهِ عَلَيْهِمْ، وَجِبْرِيلُ آخِذٌ بِحُجْزَتِهِ (وَالْحُجْزَةُ: مَعْقِدُ الإِزَارِ) فَيُنَادِي رَافِعاً صَوْتَهُ: رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، لاَ أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ نَفْسِي وَلاَ فَاطِمَةَ ابْنَتِي، وَالْمَلاَئِكَةُ

---

(١) في أعضاء وضوئهم نور مثل البياض الذي يكون في وجه الفَرَس ويديه ورجليه.
(٢) في كتابه (روضة المشتاق).
(٣) اشتدّ وصَعُب أمره.

قِيَامٌ عَنْ يَمِينِ الصِّرَاطِ وَيَسَارِهِ يُنَادُونَ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَقَدْ عَظُمَتِ الأَهْوَالُ وَاشْتَدَّتِ الأَوْجَالُ[1]، وَالْعُصَاةُ يَتَسَاقَطُونَ عَنِ الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ، وَالزَّبَانِيَةُ يَتَلَقَّوْنَهُمْ بِالسَّلاَسِلِ وَالأَغْلاَلِ، وَيُنَادُونَهُمْ: أَمَا نُهِيتُمْ عَنْ كَسْبِ الأَوْزَارِ؟ أَمَا أُنْذِرْتُمْ كُلَّ الإِنْذَارِ؟ أَمَا جَاءَكُمُ النَّبِيُّ الْمُخْتَارُ؟».

وَرَوَى الْقُرْطُبِيُّ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ سَلاَمٍ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللَّهُ الأَنْبِيَاءَ نَبِيًّا نَبِيًّا وَأُمَّةً أُمَّةً، وَيُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَيُنَادَى: أَيْنَ أَحْمَدُ وَأُمَّتُهُ؟ فَيَقُومُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَتْبَعُهُ أُمَّتُهُ بَرُّهَا وَفَاجِرُهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى الصِّرَاطِ طَمَسَ اللَّهُ أَبْصَارَ أَعْدَائِهِ، فَيَتَهَافَتُونَ فِي النَّارِ يَمِيناً وَشِمَالاً، وَيَمْضِي النَّبِيُّ ﷺ وَالصَّالِحُونَ مَعَهُ، فَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، فَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ: عَلَى يَمِينِكَ، عَلَى شِمَالِكَ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى رَبِّهِ، فَيُوضَعُ لَهُ كُرْسِيٌّ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ، ثُمَّ يَتْبَعُهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَلَى مِثْلِ سَبِيلِهِ[2]، ثُمَّ الأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَأَمَّا تَفْضِيلُهُ ﷺ بِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُهَا:

فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ تَبعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ»**، وَفِيهِ أَيْضاً مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: قَالَ ﷺ: **«آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لاَ أَفْتَحَ لأَحَدٍ قَبْلَكَ»** وَزَادَ الطَّبَرَانِيُّ: فَيَقُومُ الْخَازِنُ وَيَقُولُ: لاَ أَقُومُ لأَحَدٍ بَعْدَكَ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَأْخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ وَلاَ فَخْرَ»**[3].

---

(١) المخاوف.

(٢) قال الذهبي: غريب موقوف.

(٣) وهو في مسند الفردوس للديلمي، لكن من حديث ابن عباس.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ إِلاَّ تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلاَ فَخْرَ»** قَالَ: **«فَيَفْزَعُ النَّاسُ ثَلاَثَ فَزَعَاتٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ»** فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ: **«فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ مَعَهُمْ»**، قَالَ أَنَسٌ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: **«فَآخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ فَأُقَعْقِعُهَا[1]، فَيُقَالُ: مَنْ هٰذَا؟ فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ، فَيَفْتَحُونَ لِي، وَيُرَحِّبُونَ بِي فَيَقُولُونَ: مَرْحَباً، فَأَخِرُّ سَاجِداً، فَيُلْهِمُنِي اللَّهُ مِنَ الثَّنَاءِ وَالْحَمْدِ، فَيُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ»** الْحَدِيثَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ.

وَفِي حَدِيثِ الصُّورِ[2]: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا انْتَهَوْا إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ تَشَاوَرُوا فِيمَنْ يَسْتَأْذِنُ لَهُمْ فِي الدُّخُولِ، فَيَقْصِدُونَ آدَمَ، ثُمَّ نُوحاً، ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ مُوسَى، ثُمَّ عِيسَى، ثُمَّ مُحَمَّداً ﷺ، كَمَا فَعَلُوا عِنْدَ الْعَرَصَاتِ[3] عِنْدَ اسْتِشْفَاعِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ لِيَظْهَرَ شَرَفُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى سَائِرِ الْبَشَرِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَنْتَظِرُونَهُ، فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ وَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ، قَالَ: فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَجَباً أَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلاً، اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَقَالَ آخَرُ: مَاذَا بِأَعْجَبَ مِنْ كَلاَمِ مُوسَى كَلَّمَهُ تَكْلِيماً، وَقَالَ آخَرُ: فَعِيسَى رُوحُ اللَّهِ، وَقَالَ آخَرُ: فَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ، وَقَالَ: **«قَدْ سَمِعْتُ كَلاَمَكُمْ وَعَجَبَكُمْ أَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً وَهُوَ كَذٰلِكَ، وَمُوسَى كَلِيماً وَهُوَ كَذٰلِكَ، وَعِيسَى رُوحُ اللَّهِ وَهُوَ كَذٰلِكَ، وَآدَمُ**

---

(١) أحرّكها لتُصوّت.

(٢) الذي ضعّفه البيهقي، وصوّب تضعيفه ابن حَجَر.

(٣) ساحات يوم القيامة.

اصْطَفَاهُ اللّهُ وَهُوَ كَذٰلِكَ، أَلاَ وَأَنَا حَبِيبُ اللّهِ وَلاَ فَخرَ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلاَ فَخرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حَلَقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللّهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلاَ فَخرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَلاَ فَخرَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ(١).

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجاً إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا أَنْصَتُوا، وَقَائِدُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَشَافِعُهُمْ إِذَا حُبِسُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا يَئِسُوا، لِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي، وَمَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلاَ فَخرَ، وَيَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ(٢)، وَالْبَيْهِقِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْهُ أَيْضاً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ أَوَّلُ النَّاسِ دُخُولاً الْجَنَّةَ».

فَهٰذِهِ الأُمَّةُ أَسْبَقُ الأُمَمِ خُرُوجاً مِنَ الأَرْضِ، وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ فِي الْمَوْقِفِ، وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى ظِلِّ الْعَرْشِ، وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى فَصْلِ الْقَضَاءِ، وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى الْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ، وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَهِيَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

رَوَى عَبْدُاللّهِ بْنُ الإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: لَمَا نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾(٣) قَالَ ﷺ: «أَنْتُمْ ثُلُثُ

---

(١) والدارمي.

(٢) بسند غريب.

(٣) سورة الواقعة، الآيتان: ٣٩، ٤٠.

أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَنْتُمْ نِصْفُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَنْتُمْ ثُلُثَا أَهْلِ الْجَنَّةِ».

وَفِي حَدِيثِ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ ﷺ: «**أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِئَةُ صَفٍّ، أَنْتُمْ مِنْهَا ثَمَانُونَ**»[١].

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْجَنَّةَ حُرِّمَتْ عَلَى الأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ حَتَّى أَدْخُلَهَا، وَحُرِّمَتْ عَلَى الأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمَّتِي**»[٢].

وَرَوَى ابْنُ شَيْبَةَ[٣] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ ﷺ: «**أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي**».

وَذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ فَذَكَرَ: بَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ: وَهُوَ بَابُ الرَّحْمَةِ، وَهُوَ بَابُ التَّوْبَةِ.

وَرَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ أَنَا لِشِرَارِ أُمَّتِي**»، فَقَالُوا: فَكَيْفَ أَنْتَ لِخِيَارِهَا؟ فَقَالَ: «**أَمَّا خِيَارُهَا فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَأَمَّا شِرَارُ أُمَّتِي فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِي**»، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ مَا أَشْفَقَهُ عَلَى أُمَّتِهِ.

وَأَمَّا تَفْضِيلُهُ ﷺ فِي الْجَنَّةِ بِالْكَوْثَرِ:

فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ[٤] عَنْ أَنَسٍ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ

---

(١) رواه أحمد والترمذي وحسّنه.

(٢) قال الدارقطني: غريب.

(٣) وأحمد والحاكم وصححه.

(٤) كأبي داود والنسائي.

أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّماً، قُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **«أُنزِلَتْ عَلَيَّ آنِفاً سُورَةٌ»**[١]، فَقَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۞ إِنَّ شَانِئَكَ[٢] هُوَ الْأَبْتَرُ[٣]﴾ ثُمَّ قَالَ: **«أَتَدْرُونَ مَا هُوَ الْكَوْثَرُ؟»** قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **«إِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ»** الْحَدِيثَ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ[٤] عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: **«أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ»**.

وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مَضَى بِهِ جِبْرِيلُ، فَإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ، فَذَهَبَ يَشَمُّ تُرَابَهُ، فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ، قَالَ: **«يَا جِبْرِيلُ! مَا هَذَا النَّهْرُ؟»** قَالَ: الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ.

وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الْكَوْثَرُ؟ قَالَ: **«نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ أَعْطَانِيهِ رَبِّي، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»**.

وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ: سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۞﴾، قَالَتْ: نَهْرٌ أُعْطِيهِ نَبِيُّكُمْ فِي الْجَنَّةِ، شَاطِئَاهُ دُرٌّ مُجَوَّفٌ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. (وَقَوْلُهُ: «شَاطِئَاهُ» أَيْ: حَافَتَاهُ. وَقَوْلُهُ: «دُرٌّ مُجَوَّفٌ» أَيِ: الْقِبَابُ الَّتِي عَلَى جَوَانِبِهِ).

---

(١) هي سورة الكوثر.

(٢) مبغضك.

(٣) المنقطع عن كل خير.

(٤) ومسلم.

وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِلَفظِ: قَالَتْ: نَهْرٌ فِي بُطْنَانِ[1] الْجَنَّةِ، قُلْتُ: وَمَا بُطْنَانُ الْجَنَّةِ؟ قَالَتْ: وَسَطُهَا[2]، حَافَتَاهُ قُصُورُ اللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ، تُرَابُهُ الْمِسْكُ، وَحَصْبَاؤُهُ اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتِ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنَ الذَّهَبِ، وَالْمَاءُ يَجْرِي عَلَى اللُّؤْلُؤِ، وَمَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»** رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا الْكَوْثَرُ؟ قَالَ: **«نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ** (يَعْنِي: فِي الْجَنَّةِ)، **أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، فِيهِ طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ** ـ أَوْ أَعْنَاقِ الْجُزُرِ ـ» قَالَ عُمَرُ: إِنَّهَا لَنَاعِمَةٌ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَكَلَتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا»** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ. (وَالْبُخْتُ: نَوْعٌ مِنَ الإِبْلِ. وَالْجُزُرُ: جَمْعُ جَزُورٍ؛ وَهُوَ الْبَعِيرُ).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: قَدْ تَوَاتَرَ (يَعْنِي: حَدِيثَ الْكَوْثَرِ) مِنْ طُرُقٍ تُفِيدُ الْقَطْعَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ، وَكَذٰلِكَ أَحَادِيثُ الْحَوْضِ.

وَأَمَّا تَفْضِيلُهُ ﷺ بِالْوَسِيلَةِ وَالدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ وَالْفَضِيلَةِ:

فَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ[3]، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ».**

---

(١) جمع بَطْن، وهو الجوف.

(٢) والمراد: أعلاها، وأرفعها قدراً، وأعدلها.

(٣) قال ذلك قبل إخباره بأنها له.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: الْوَسِيلَةُ عَلَمٌ[1] عَلَى أَعْلَى مَنْزِلَةٍ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ مَنْزِلَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَدَارُهُ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ أَقْرَبُ أَمْكِنَةِ الْجَنَّةِ إِلَى الْعَرْشِ.

وَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْظَمَ الْخَلْقِ عُبُودِيَّةً لِرَبِّهِ؛ وَأَعْلَمَهُمْ بِهِ؛ وَأَشَدَّهُمْ لَهُ خَشْيَةً؛ وَأَعْظَمَهُمْ لَهُ مَحَبَّةً؛ كَانَتْ مَنْزِلَتُهُ أَقْرَبَ الْمَنَازِلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَرَ ﷺ أُمَّتَهُ أَنْ يَسْأَلُوهَا لَهُ لِيَنَالُوا بِهَذَا الدُّعَاءِ الزُّلْفَى[2] وَزِيَادَةَ الإِيمَانِ، وَأَيْضاً فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَهَا لَهُ بِأَسْبَابٍ، مِنْهَا دُعَاءُ أُمَّتِهِ لَهُ بِهَا بِمَا نَالُوهُ عَلَى يَدِهِ مِنَ الْهُدَى وَالإِيمَانِ.

وَأَمَّا الْفَضِيلَةُ: فَهِيَ الْمَرْتَبَةُ الزَّائِدَةُ عَلَى سَائِرِ الْخَلَائِقِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ مَنْزِلَةً أُخْرَى[3].

وَرَوَى ابْنُ مَرْدُوَيْهِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوا لِيَ الْوَسِيلَةَ»**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ يَسْكُنُ مَعَكَ؟ قَالَ: **«عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ»**[4].

وَعِنْدَ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ أَيْضاً: أَنَّهُ قَالَ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ: **«أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لُؤْلُؤَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا بَيْضَاءُ، وَالأُخْرَى صَفْرَاءُ، فَأَمَّا الْبَيْضَاءُ: فَإِنَّهَا إِلَى بُطْنَانِ[5] الْعَرْشِ، وَالْمَقَامُ الْمَحْمُودُ مِنَ اللُّؤْلُؤَةِ الْبَيْضَاءِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ، كُلُّ بَيْتٍ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ، وَغُرَفُهَا وَأَبْوَابُهَا وَأَسِرَّتُهَا وَسُكَّانُهَا مِنْ عِرْقٍ** - أَيْ: أَصْلٍ وَاحِدٍ - **وَاسْمُهَا الْوَسِيلَةُ، هِيَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ**

(١) راية.

(٢) القربىٰ والمنزلة.

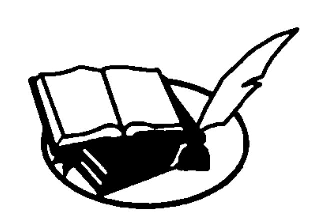
(٣) أو تفسيراً للوسيلة.

(٤) لكن قال الحافظ عماد الدين بن كثير: إنه حديث غريب منكر من هذا الوجه.

(٥) جمع بَطْن، وهو الجوف.

وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَالصَّفْرَاءُ فِيهَا مِثْلُ ذٰلِكَ، هِيَ لإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَأَهْلِ بَيْتِهِ»[1].

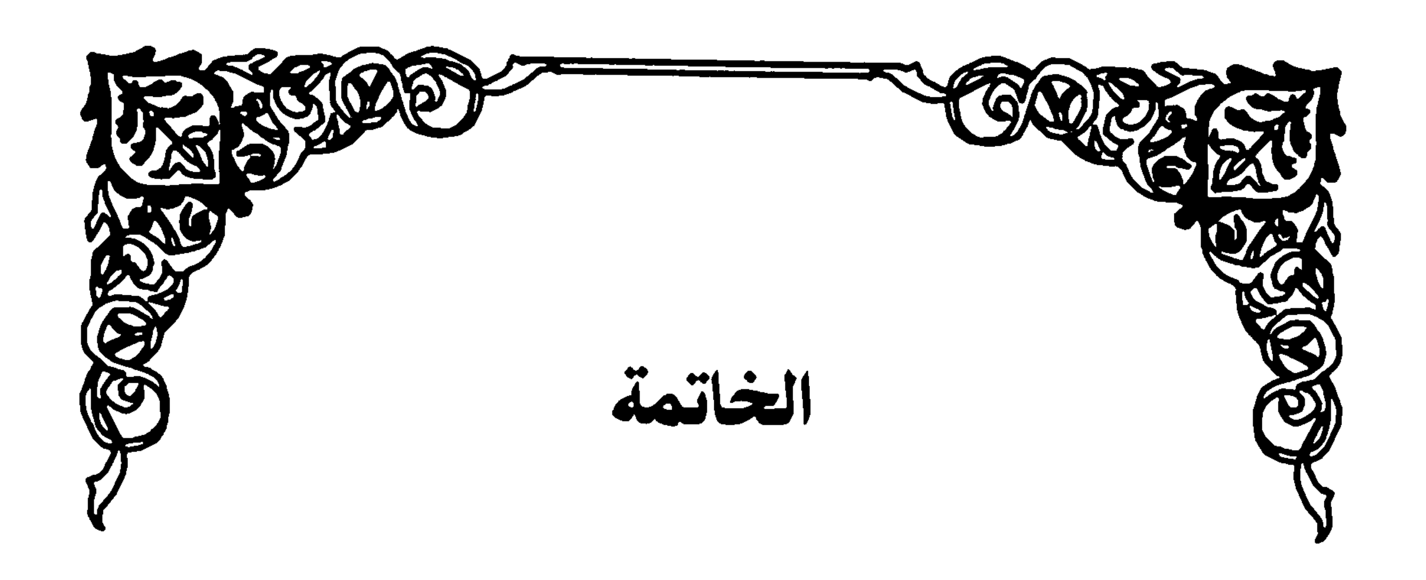
وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾[2] قَالَ: أَعْطَاهُ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ أَلْفَ قَصْرٍ، فِي كُلِّ قَصْرٍ مَا يَنْبَغِي لَهُ مِنَ الأَزْوَاجِ وَالْخَدَمِ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَمِثْلُ هٰذَا لاَ يُقَالُ إِلاَّ عَنْ تَوْقِيفٍ[3].



(١) وهذا أثر غريب كما نبّه عليه الحافظ ابن كثير أيضاً.

(٢) سورة الضحىٰ، الآية: ٥.

(٣) فهو في حكم المرفوع.



الخاتمة

قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: **«مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟»** قَالَ: لاَ شَيْءَ إِلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: **«أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»**، قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **«أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»**، قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ.

رُئِيَتِ امْرَأَةٌ مُسْرِفَةٌ عَلَى نَفْسِهَا بَعْدَ مَوْتِهَا، فَقِيلَ لَهَا: مَا فَعَلَ اللّهُ بِكِ؟ قَالَتْ: غَفَرَ لِي، قِيلَ لَهَا: بِمَاذَا؟ قَالَتْ: بِمَحَبَّتِي لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ.

وَانْظُرْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَئَابٍ﴾[1] وَطُوبَى: اسْمُ شَجَرَةٍ غَرَسَهَا اللّهُ بِيَدِهِ ـ أَيْ: قُدْرَتِهِ ـ تُنْبِتُ الْحُلِيَّ وَالْحُلَلَ، وَإِنَّ أَغْصَانَهَا لَتُرَى مِنْ وَرَاءِ سُورِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ أَصْلَهَا فِي دَارِ النَّبِيِّ ﷺ، وَفِي دَارِ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْهَا غُصْنٌ، فَمَا مِنْ جَنَّةٍ مِنَ الْجِنَانِ إِلاَّ وَفِيهَا مِنْ شَجَرَةِ طُوبَى، لِيَكُونَ سِرُّ كُلِّ نَعِيمٍ وَنَصِيبُ كُلِّ وَلِيٍّ مِنْ سِرِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَإِنَّهُ ﷺ مَلأَ الْجَنَّةَ، فَلاَ وَلِيَّ يَتَنَعَّمُ فِي جَنَّتِهِ إِلاَّ وَالرَّسُولُ مُتَنَعِّمٌ بِنِعْمَتِهِ، لأَنَّ الْوَلِيَّ مَا وَصَلَ إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ النَّعِيمِ إِلاَّ بِاتِّبَاعِهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ، فَلِهَذَا كَانَ سِرُّ النُّبُوَّةِ قَائِماً بِهِ

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٩.

فِي تَنَعُّمِهِ، وَكَذٰلِكَ إِبْلِيسُ مَلأَ النَّارَ، فَلاَ عَذَابَ لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِهَا إِلاَّ وَإِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ سِرُّ تَعْذِيبِهِ، وَمُشَارِكٌ لَهُ فِيهِ.

وَفِي الْبَحْرِ لأَبِي حَيَّانَ: عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾[1] قِيلَ: هِيَ عَيْنٌ فِي دَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تُفَجَّرُ إِلَى دُورِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ.

وَإِذَا عَلِمْتَ هٰذَا فَاعْلَمْ أَنَّ أَعْظَمَ نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَأَكْمَلَهُ التَّمَتُّعُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ، وَقُرَّةَ الْعَيْنِ بِالْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، مَعَ الْفَوْزِ بِكَرَامَةِ الرِّضْوَانِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ مِنَ الْجِنَانِ وَمَا فِيهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[2].

وَلاَ رَيْبَ أَنَّ الأَمْرَ أَجَلُّ مِمَّا يَخْطُرُ بِبَالٍ أَوْ يَدُورُ فِي خَيَالٍ، وَلاَ سِيَّمَا عِنْدَ فَوْزِ الْمُحِبِّينَ فِي رَوْضَةِ الأُنْسِ وَحَظِيرَةِ الْقُدْسِ بِمَعِيَّةِ مَحْبُوبِهِمُ الَّذِي هُوَ غَايَةُ مَطْلُوبِهِمْ، فَأَيُّ نَعِيمٍ وَأَيُّ لَذَّةٍ وَأَيُّ قُرَّةِ عَيْنٍ وَأَيُّ فَوْزٍ يُدَانِي تِلْكَ الْمَعِيَّةَ وَلَذَّتَهَا وَقُرَّةَ الْعَيْنِ بِهَا، وَهَلْ فَوْقَ نَعِيمِ قُرَّةِ الْعَيْنِ بِمَعِيَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ نَعِيمٌ، فَلاَ شَيْءَ وَاللَّهِ أَجَلُّ وَلاَ أَكْمَلُ وَلاَ أَجْمَلُ وَلاَ أَجْلَى وَلاَ أَحْلَى وَلاَ أَعْلَى وَلاَ أَغْلَى مِنْ حَضْرَةٍ يَجْتَمِعُ فِيهَا الْمُحِبُّ بِأَحْبَابِهِ فِي مَشْهَدِ مَشَاهِدِ الإِكْرَامِ، حَيْثُ يَتَجَلَّى لَهُمْ حَبِيبُهُمْ وَمَعْبُودُهُمُ الإِلٰهُ الْحَقُّ جَلَّ جَلاَلُهُ خَلْفَ حِجَابٍ وَاحِدٍ بِاسْمِهِ الْجَمِيلِ اللَّطِيفِ، فَيَنْفَهِقُ[3] عَلَيْهِمْ نُورٌ يَسْرِي فِي ذَوَاتِهِمْ، فَيَبْهَتُونَ مِنْ جَمَالِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتُشْرِقُ ذَوَاتُهُمْ بِنُورِ ذٰلِكَ الْجَمَالِ الأَقْدَسِ بِحَضْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ، ثُمَّ يَرْفَعُ الْحِجَابَ وَيَتَجَلَّى لَهُمْ فَيَخِرُّونَ سُجَّداً، فَيَقُولُ لَهُمْ: ارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ فَلَيْسَ هٰذَا مَوْضِعَ سُجُودٍ، يَا عِبَادِي! مَا دَعَوْتُكُمْ إِلاَّ لِتَتَمَتَّعُوا

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

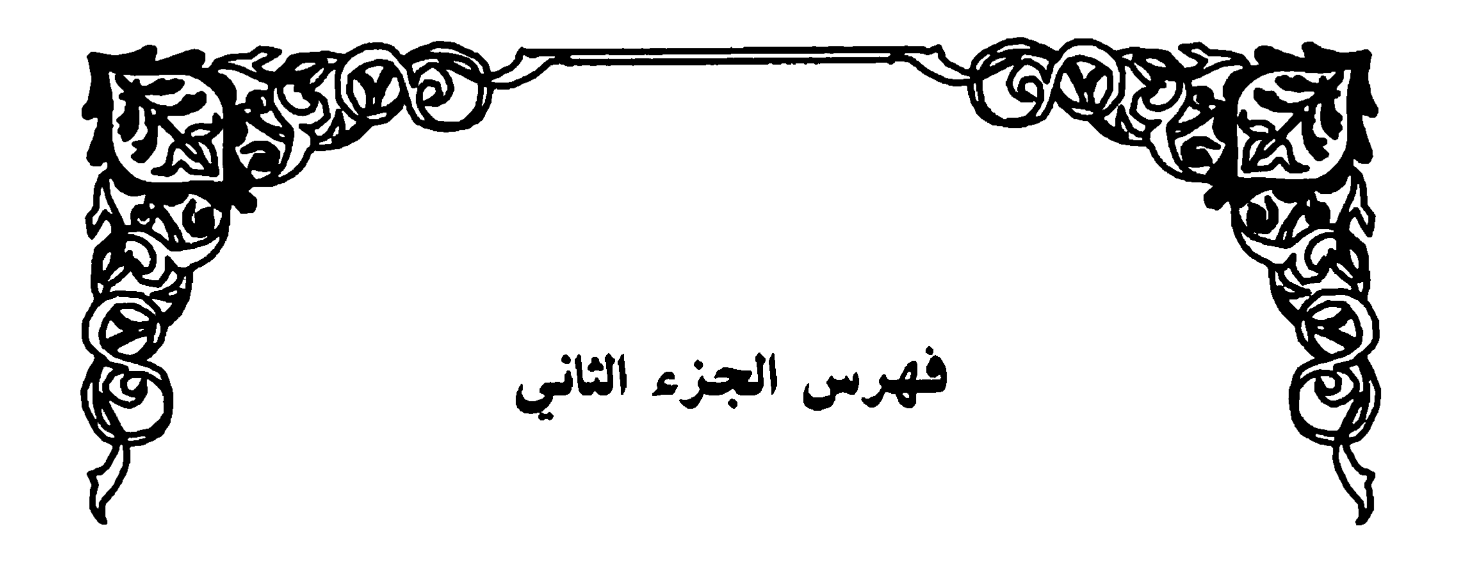
(٣) يفيض.

بِمُشَاهَدَتِي، يَا عِبَادِي! قَدْ رَضِيتُ عَنْكُمْ فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبداً، فَمَا أَحْلاَهَا مِنْ كَلِمَةٍ! وَمَا أَلَذَّهَا مِنْ بُشْرَى! فَعِنْدَهَا يَقُولُونَ: الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ، وَأَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ، لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ، وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ، إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ[1] مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[2]، ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾[3].

قد تمّ والحمد للّه في شهر ذي القعدة سنة ١٣١٢ طبع كتاب (الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية) على يد مختصره يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن حسن بن محمد ناصر الدين النبهاني، فجاء كتاباً فريداً بين أترابه[4]، لا نظير له في بابه، جامعاً لجميع مقاصد المواهب اللدنية من أحواله الشريفة ﷺ، وقد تبيّن بعد طبعه أنه يقيناً أقل من ثلث حجمها، وإن ذُكر في خطبته تخميناً أنه أقل من النصف، وأسأل الله تعالى أن ينفعني به والمسلمين، ويكفيني وإياه شرَّ الجاهلين والحاسدين، وأن يجعله ذخيرة لي يوم الدين بجاه سيدنا محمد خاتم النبيين، سبحان ربك رب العزة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد للّه رب العالمين.

وجرى تصحيحه بمراجعة شرح الزرقاني، ونهاية ابن الأثير، وكتب الحديث واللغة، بمعرفة مؤلفه يوسف النبهاني.

(١) نَنزل.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٧٤.
(٣) سورة يونس، الآية: ١٠.
(٤) أمثاله.



فهرس الجزء الثاني

الموضوع	الصفحة

المقصد السابع:
في وجوب محبته واتباع سنّته، وحكم الصلاة والتسليم عليه،
ووجوب محبة أصحابه وآله،
وفيه ثلاثة فصول

المقصد الثامن
في طبّه ﷺ، وتعبيره الرؤيا، وإنبائه بالمغيبات
وفيه ثلاثة فصول

المقصد التاسع
في عباداته ﷺ
وفيه سبعة أنواع

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

